

نيل كابلان
الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني
تواريخ متضاربة

ترجمة وتقديم: محمد العشماوي مراجعة: عماد عواد

2086





يحظى الصراع العربي الإسرائيلي والفلسطيني الإسرائيلي بأهمية قصوى لكل من الأمن القومي المصري والأمن القومي العربي بحكم موقع فلسطين المهم والاستراتيجي في المنطقة العربية. ومن هنا فالدراسات الموضوعية حول هذا الموضوع تستحق الاهتمام والمتابعة بالنسبة للعرب عموماً ومصر بصفة خاصة بحكم مكانتها ودورها وميراثها التاريخي والفكري ودورها كقوة قائدة في المنطقة العربية.

الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني

تواريخ متضاربة

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2086
- الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني: تواريخ متضاربة
- نيل كابلان
- محمد العشماوي
- عماد عواد
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

THE ISRAEL-PALESTINE CONFLICT: Contested Histories

By: Neil Caplan

Copyright © 2010 by Neil Caplan

Arabic Translation © 2014, National Center for Translation

Authorized translation from the English language edition published by
Blackwell Publishing Limited. Responsibility for the accuracy of the
translation rests solely with National Center for Translation and is not the
responsibility of Blackwell Publishing Limited. No Part of this book may be
reproduced in any form without the written permission of the original
copyright holder, Blackwell Publishing Limited.

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: nctegypt@nctegypt.org

Tel: 27354524

Fax: 27354554

الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني

تواريخ متضاربة

تأليف : نيل كابلان
ترجمة وتقديم : محمد العشماوى
مراجعة : عماد عسواد



2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كابلان، نيل
الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني: تواريخ متضاربة/ تأليف:
نيل كابلان، ترجمة وتقديم: محمد العشماوى؛ مراجعة: عماد
عواد
ط١، القاهرة، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
٥١٢ ص، ٢٤ سم
١- الصراع العربى الإسرائيلى - الفلسطينى.
٢- القضية الفلسطينية.
(أ) (العشماوى، محمد) (مترجم ومقدم)
(ب) عواد، عماد (مراجع)
(ج) العنوان
٣٤١,٥

رقم الإيداع : ٢٠١٢ / ١٣١٣٨
الترقيم الدولى : 978-977-216-179-9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

7 تقديم
15 تصدير

الباب الأول

27 مقدمة
23 الفصل الأول: مشاكل فى تعريف الصراع
47 الفصل الثانى: تعريف الصراع رغم الصعوبات

الباب الثانى

85 تواريخ متضاربة
87 الفصل الثالث: ما وراء ١٩١٧.. جذور الصراع
111 الفصل الرابع: العرب واليهود تحت الانتداب البريطانى: خندقه المواقع (١٩١٧ - ١٩٢٨).....
147 الفصل الخامس: انهيار الانتداب: التمرد والتقسيم والكتاب الأبيض (١٩٢٩ - ١٩٣٩).....
183 الفصل السادس: المحرقة/الاستقلال/النكبة
231 الفصل السابع: إسرائيل والدول العربية (١٩٤٩ - ١٩٧٣).....

الباب الثالث

281 نحو مناقشة مفيدة للصراع العربي- الإسرائيلي
283 الفصل الثامن: عودة إلى الجوهر.. إسرائيل والفلسطينيون
313 الفصل التاسع: من كامب ديفيد إلى الضفة الغربية إلى لبنان
341 الفصل العاشر: من المقاطعة إلى الاعتراف المتبادل (١٩٨٢ - ٢٠٠٨)
381 الفصل الحادي عشر: الكتابة عن الصراع
433 الفصل الثاني عشر: مواجهة العقبات
459 التسلسل الزمني
477 المراجع

تقديم

أنطلق في مقدمتي بوصفي مترجمًا لهذا الكتاب الثرى من مدرسة فكرية، تؤمن إيمانًا مطلقًا وعميقًا بأن مشكلة الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين تمثل المعضلة الكبرى والعقبة الكنود أمام أمن الإقليم المصرى وكذلك أمام الأمن القومى العربى، وأود أن أكون واضحًا منذ البداية لأقول بأن من قدم الصياغة الفكرية المتكاملة للأمن القومى المصرى والعربى هو أستاذان جليلان تتلمذت على أحدهما فى مقاعد الدراسة الجامعية على مستوى البكالوريوس ثم على مستوى الدراسات العليا، وهو العلامة الراحل الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع خاصة على صفحات كتابه "نظرية الأمن القومى العربى"، ومعاركه الفكرية على صفحات مجلة الأهرام الاقتصادية حول أمن المعلومات فى مصر عام ١٩٨٢، وكذلك على صفحات مجلة الموقف العربى فى أعقاب اتفاقات كامب ديفيد التى كانت تحت عنوان "سوف أظل عربياً" فى ثمانينيات القرن العشرين.

أما الأستاذ الثانى الذى شارك أستاذنا الدكتور ربيع- وإن عن بُعد- فى صياغة نظرية الأمن القومى المصرى والعربى، وهو الأستاذ الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا السياسية الراحل بجامعة القاهرة، وذلك فى ثنايا كتابه الرائع حول شخصية مصر: "دراسة فى عبقرية المكان" عام ١٩٦٧ الذى حوَّله فى بداية ثمانينيات القرن العشرين إلى موسوعة كبرى تحت الاسم نفسه "شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان".

ومقتضى مفهوم هذه المدرسة هو أن أمن مصر القومى خط دفاعه الأول منطقة جبال طوروس فى شمال الشام ومنابع نهر النيل فى الجنوب، أما خط الدفاع الثانى فهو فلسطين، وأخيراً فإن خط الدفاع الثالث والأخير فهو شبه جزيرة سيناء التى هى فى ذاتها لا يمكن الدفاع عنها فى أى صراع عسكرى؛ وحسب الخبرة التاريخية فإنها من نصيب المهاجم لا المدافع.

وقد تحولت هذه الصياغة الفكرية للأمن القومى المصرى إلى ما يكاد يصل إلى العقيدة القتالية لمصر التى حافظت عليها طوال تاريخها، ولم نلاحظ ثمة بعد عن هذه العقيدة إلا فى الفترة السابقة مباشرة على ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر، حيث بدأ مؤشر السياسة الخارجية يحاول تغيير العدوات التقليدية فى نشاط سياسى خارجى حاول الاتجاه والإيحاء بأن عدو مصر فى أواخر العقد الأول من القرن الواحد والعشرين هو إيران وليس إسرائيل، وتجلّى ذلك واضحاً بمناسبة حرب لبنان ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٨/٢٠٠٩. وهذا فى رأى كان أحد الأسباب التى أدت إلى اندلاع ثورة ٢٥ يناير، بجانب أسباب أخرى لعل من أهمها التزييف المستمر للانتخابات ومشروع توريث السلطة من الرئيس السابق مبارك إلى نجله جمال.

وبجانب هذه النظرية للأمن القومى المصرى؛ فإن فكر مصر السياسى قد شهد محاولات فكرية تبتعد عن النظرية السابقة وتحت عناوين عديدة، من أهمها ما يقال له "مصر أولاً، وأن أمن مصر القومى لا صلة له بالأمن القومى العربى الذى هو فى رأى هذه النظرية لا وجود له، وأن لغة الحديث عن الصلة بين الأمنين المصرى والعربى هى لغة خشبية قديمة تعدتها الظروف وأودت بها التطورات التكنولوجية فى مجال التسليح والذخائر، ومن هنا فلا تثير على مصر أن تعيش

فى سلام مع إسرائيل وأن تطبّع علاقاتها معها فى جميع المجالات، وأنه لا يربط مصر بالعرب إلا الجانب الثقافى واللغوى لا غير، وأن جامعة الدول العربية فيها الكفاية وأكثر؛ ومن ثم فلا حاجة لما يسمى بالوحدة العربية أو التجمع العربى؛ فضلا عن الإسلامى فى مواجهة ما تسميه النظرية الأولى بالخطر الصهيونى على مصر وعالمها العربى.

والمواقع أن هذه المدرسة الفكرية الأخيرة تستمد أسسها الفكرية من كتابات الأستاذ الدكتور طه حسين والدكتور حسين فوزى والأديب توفيق الحكيم والناقد لويس عوض والذين لم يثر أى منهم- خلال النصف الأول من القرن العشرين- فى كتاباته خطورة الصهيونية على مصر وأمنها القومى. ومؤخرا نضيف لهم ما أطلق عليه مجموعة كوبنهاجن وعلى رأسها الكاتب الصحفى الراحل لطفى الخولى والدكتور عبد المنعم سعيد من مؤسسة الأهرام.

ولقد كانت اتفاقات كامب ديفيد وسياسة التفاوض مع إسرائيل وتطبيع العلاقات معها منذ ١٩٧٨ فى أعقاب حرب أكتوبر التى قادها الرئيس الراحل أنور السادات؛ بمثابة حجر ضخّم ألقى فى بركة الصراع العربى- الإسرائيلى الأسنة ولقى تجاوبا كبيرا وتشجيعا من جانب الدول الغربية، إلا أنه وجه بضغط شعبى مناوئ رفض تطبيع العلاقات مع إسرائيل من جانب الغالبية العظمى لشعب مصر والشعوب العربية بصفة عامة، ورفض قطاع من النخبة والجماهير لمجرد فكرة التفاوض مع العدو الإسرائيلى، ناهيك عن تطبيع العلاقات معها.

ولقد أتى الزخم الكبير لأفكار المحافظين الجدد والفكر المسيحى الصهيونى واليمين الأمريكى بصفة عامة وما ارتبط به من حركة الإحياء الكبرى للأفكار التوراتية، ومعركة هرمجدون وانتظار المسيح المخلص وارث النبى داود وبناء

الهيكل الثالث وما ارتبط بكل ذلك من صعود لنظرية صدام الحضارات، إلى بروز اتجاه مضاد في الفكر العربي والإسلامي، وحيث كان الشعور الديني والأصولية يتنامى هو الآخر في الجانب العربي والإسلامي؛ ومن ثم فإن حركة العودة للأصولية الإسلامية كانت الرد المباشر والمتوقع على ما شهده الحلف الأمريكي الغربي - الإسرائيلي من دعم ونفوذ خاصة بعد عملية غزو العراق عام ٢٠٠٣ وقبلها أفغانستان وحركات الانفصال والتجزئة التي شهدتها الدول العربية من الصومال إلى السودان إلى ليبيا هذه الأيام، وواكب كل ذلك إحياء لملاحم آخر الزمان في الفكر الإسلامي؛ بما فيها فكرة المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وأنه لا حل لصراع العرب مع اليهود إلا بفناء إحدى القوميتين.

ويرى قطاع لا يستهان به من المعلقين والمتابعين لأوضاع المنطقة العربية خاصة لثورات الربيع العربي التي بدأت مع بداية ٢٠١١ من تونس ومنها إلى مصر ثم إلى ليبيا، والجاري على قدم وساق حالياً في سوريا والبحرين وبعض مناطق الجزيرة العربية؛ أن من ضمن أسباب الانتفاضة العربية والتوجه نحو التطور الديمقراطي أن نظم الحكم قد ركنت إلى فكرة السلام والتفاوض والتطبيع مع إسرائيل، ما أدى إلى أن الفساد قد بدأ ينخر بشدة في هذه النظم بجانب طابعها الاستبدادي الأصلي، وأن ذلك كان من ضمن المحركات الأساسية لثورات الربيع العربي. ويبدى هؤلاء المعلقون خوفهم وخشية النظام في دول الغرب وفي الولايات المتحدة من وقوع الدول العربية والإسلامية في يد قوى سياسية جديدة تعتبر أن مصدر الشرعية فيها ينبع من الحضارة الإسلامية بمفهومها الشامل، ومن هنا فإن كتابات الكثيرين تتجه لتوقع المزيد من تأجيج دواعي الصراع بين إسرائيل وبين الدول العربية والإسلامية، ويخشون من اتجاه بعض الدول الإسلامية، مثل إيران وتركيا؛ إلى الائتلاف مع الدول العربية من منطلق إسلامي في مواجهة الفكر

والوجود الإسرائيلي الصهيونى. والواقع أن ما يناهز ثلث قرن من الزمان منذ بداية عملية السلام والتفاوض بين العرب وإسرائيل بداية بمصر ثم الأردن وأخيراً منظمة التحرير الفلسطينية؛ فإن هذه العملية فى حد ذاتها، وعلى الرغم من المصاعب الجمة التى اكتتفتها وبالذات على صعيد التطبيع فى العلاقات العربية-الإسرائيلية، فإن هذه العملية كانت لها آثارها رغم كل ذلك على الجانبين. ومن هنا فإن البحوث والدراسات والتقارير التى تتناول جذور وأسس هذا الصراع العربى-الإسرائيلى لها أهميتها القصوى بالنسبة إلى المتابع والمراقب والراصد الحصيف لشئون المنطقة العربية ودواعى الأمن القومى المصرى والعربى.. فعلى الأقل، ومن ناحية مصر يرى كثير من المحللين المصريين والعرب وقطاع آخر من المهتمين بالشأن المصرى، على النطاق العالمى، أن عملية السلام المصرى-الإسرائيلى خاصة بالطريقة التى مارستها بها الإدارة المصرية فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك كان لها أثر كبير فى تقويم الدور المصرى وإخراج مصر عملياً من ساحة المواجهة العربية مع إسرائيل، وبحكم أن مصر كانت هى الدولة القائد والكبرى فى المنطقة، فإن ما حققته إسرائيل من خلال عملية السلام من دعم لأنها كان بالخصم من الدور المصرى والمكانة والهيبة على النطاقين الإقليمى والدولى. كما يؤكد الكثيرون أن تقلص هذا الدور المصرى قد حفز الجانب الإسرائيلى على دعم وجوده واتصالاته الكثيفة مع دول منابع النيل والعمل بكل الطرق على تأليبها ضد مصر وحقوقها التاريخية فى مياه النيل، ومن ثم تهديد الأمن القومى المصرى من نطاقه الجنوبى فى منابع النيل.

والدراسة التى نقوم بترجمتها بين أيدينا هى، فيما أرى، تمثل قدراً كبيراً وغير عادى من الموضوعية، وذلك إذا ما قورنت ببحوث ودراسات أخرى عديدة فى شكل كتب ودراسات عن الصراع العربى-الإسرائيلى تتحيز بشدة ضد العرب وتقف بجانب وجهة النظر الإسرائيلية. والجديد فى هذه الدراسة أنها تستعرض

تاريخ الصراع العربى- الإسرائيلى- الفلسطينى فى إطار ست مقولات أو قضايا جوهرية مثيرة للاختلاف بين أطراف الصراع حول جذوره وتطورات التاريخة، ودور القوى المحلية والإقليمية والعالمية فى هذا الصراع، ولماذا طال أمده كل هذه المدة الطويلة، وهل هو قابل للحل أم أنه كاد يكون حالة مستعصية، ومن ثم فإنه كما يراه بعض ليس صراع حدود ولكنه بالأساس والأولى صراع وجود، فهو متصل بما هو فى عمق النفس الإنسانية ونظرتها لقضايا الوجود الكبرى، الله والكون والعالم والإنسان.

ويعطى الباحث اهتماما وتقديرًا كبيرين لظاهرة المؤرخين الإسرائيليين الجدد الذين قدموا مقتربات تحليلية هى أقرب نسبيا من حقائق الصراع العربى- الإسرائيلى، ويهتم الكاتب بالإشارة إلى أمله فى أن يرى- يوما من الأيام- ما يماثل هذه الظاهرة على الجانب الفلسطينى، وهو ما يعزز لا محالة من إمكانيات التلاقى بين أطراف الصراع توطئة لحله وتسويته إذا ما كان ذلك ممكنا.

كما أنه فى هذا التقديم إلى الاهتمام الكبير الذى أبداه الباحث بالجوانب النفسية السيكولوجية فى الصراع، وهو جانب بدأ فى الظهور فى نطاق الدراسات الاجتماعية عبر ما حدث من تقدم كبير ونمو مطرد فى مدرسة التحليل السلوكى التى تولى الجانب النفسى قدرًا كبيرًا من الاهتمام كمقترب فكرى وتحليلى منذ أوائل القرن العشرين.

ويقضى أن أطراف الصراع العربى- الإسرائيلى كافة، هى فى حاجة ماسة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التى تستهدف جلاء حقيقة ذلك الصراع ليس فقط من الظاهر على السطح؛ ولكن من خلال النفاذ إلى الباطن فى الأعماق.

ولعلنى أكون- من خلال ترجمة هذه الدراسة- قد قدمت إسهاماً متواضعاً فى نقل ما يدور ويعتمل فى عقول المفكرين والباحثين فى هذا الصراع، خاصة أولئك المنتمين منهم للعالم الغربى الذى ضرب فيه العلم الإنسانى والاجتماعى وفى مجال العلوم السياسية بسهم وافر فى إيضاح ولو جزء من الحقيقة، وهو الذى يمثل شيئاً أساسياً فى مجال إسهام العلم والعلوم الإنسانية خاصة فى فهم الصراعات والنزاعات الكثيرة التى يموج بها عالمنا المعاصر إسهاماً فى محاولات حلها وتسويتها.

ومع حركة النمو الكبير والمطرّد فى أعداد المراكز الدراسية والاستقصائية فى مجالات العلوم والإنسانيات والشئون الاستراتيجية والسياسية الدولية فى مصر والعالم العربى، فإن من المتوقع أن يكون هناك سيل من البحوث والدراسات فى مجال الصراع العربى- الإسرائيلى وصلته بالأمنين القومى المصرى والعربى، والذى من شأنه، من خلال الحوار والتلاقح الفكرى، أن يكون ذا فائدة لمصر والعرب وكل بلاد العالم والإنسانية على وجه العموم.

محمد محمود العشماوى

تصدير

تمثل حرب يونيو ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط وتَعقيدات الصراع العربى-الإسرائيلى؛ أول إلهاماتى لبحثى عن موضوع لرسالة الدكتوراه بعد تخرجى بوصفى طالبًا جامعيًا، وكان خاطرى الأول هو حل المشكلة وكان نابعا بالضرورة من خبرتى الشخصية، لأن بلادى- كندا- كانت تحتفل بعيدها المئوى ومنخرطة فى نقاشات حية حول كيف أن الأمم الإنجليزية والفرنسية تستطيع التعايش فى تسامح تحت نظام فيدرالى واحد. وبعد عام من الدراسة والقراءة الاستكشافية، والبحث فى لندن أثار انجذابى واهتمامى، على غير توقع، بالجذور التاريخية وتطور الصراع، وحول تركيزى بالكامل من المستقبل إلى الماضى.

ومنذ ذلك الحين؛ فإننى أقوم بالبحث والكتابة والتدريس، تقريبًا بالكامل حول التاريخ والدبلوماسية وسيكولوجية الصراع العربى-الإسرائيلى. باحثًا فى الأرشفات عن مصادر أولية أصلية وكتابة المقالات والمذكرات من أجل المحاضرات العلمية، وقد كانت تمثل جميعًا الأنشطة التى استمتعت بها كثيرًا.. فذلك فيما أرى جعل منى مؤرخًا وضعيًا، ولكن فى الوقت نفسه تطور داخلى اهتمامًا عميقًا واحترامًا للأبعاد النفسية والاجتماعية لذلك الصراع.

والقليل جدًا حول النزاع واتجاهات أطرافه المختلفة هو أمر بسيط ومباشر؛ ولكنه يجعله- بصفة خاصة- أمرًا من الصعب تلخيص أحداثه وموضوعاته

بطريقة دقيقة إذا أردنا أن نكون عادلين في مواجهة التعقيدات التي تكثف ذلك الصراع. ومن أجل ظهور هذا الكتاب في إطار سلسلة التواريخ المتضاربة؛ فقد جمعت مذكرات من المحاضرات الدراسية التي قمت بإلقائها في مختلف الجامعات مع بعض الخواطر النقدية؛ حول كيف يتم تقديم الصراع في الكتابات الأكاديمية وغيرها. وهذا الكتاب يضع نفسه ضمن الاستعراضات التاريخية الممكنة، ولكن محاولات تخطي إعادة سرد ما حدث؛ تكون من خلال التركيز على سلسلة قضايا جوهرية التي تبدو أنها تقف حاجزاً أمام الأطراف والمؤرخين على السواء. وأحد التحديات الرئيسية في إخراج هذا الكتاب؛ كان هو اختيار المستوى المناسب من التفصيل وذلك في عرض تاريخ هذا الصراع بالنسبة للطلبة الجامعيين من المستوى الأول. والقراء المهتمون سيستفيدون - كما أمل - من استخدامي الكثيف للإحالات المرجعية والإشارة إلى التفاصيل الإضافية والتعليقات والتفسيرات المضادة التي - كما ذكرت - كانت ستجعل من النص نصاً شديداً الكثافة لو ضمنت داخل المتن

وفي النهاية يوجد ذلك الشيء المحير من الإدراك والتحيز، وإحدى صعوبات الكتابة حول الموضوع؛ ألا وهو أنه سيوجد حتماً شخص ما يمكن أن تأثيره كلمة أو فقرة باعتبارها تبسيطاً مخلأً أو خاطئاً لحدث ما أو لدوافع طرف ما. لقد فعلت كل ما يمكنني لأجل الاستماع لكل الأصوات التي في عقلي؛ ولكنني أعيد النظر باستمرار وبحساسية إلى المعاني والمصطلحات ونبرة الكلام، وأمل أن القراء سيقدرّون محاولاتى من أجل السماح لكل وجهات النظر والصيغ في تاريخ هذا الصراع بأن تعبر عن نفسها أو أن يتم الاستماع لها بشكل موضوعي.

وإننى أشعر بالامتنان حقاً لمجموعة من الزملاء والأصدقاء الذين ساعدوني بكرمهم من خلال الإجابة عن تساؤلاتى ونقد الصياغة الأولية للفصول، وهم قد

يختلفون مع بعض مظاهر ما قدمته من تاريخ أو مؤرخين، ولذلك فإنني لن أذكرهم بالاسم هنا منعا للإجراج، وإنني سأقدم شكرى إليهم بصفة شخصية، أما الأكثر كرمًا هي زوجتى مارا التى زودتنى بالمساندة العاطفية والتضحيات التى كنت فى أشد الحاجة إليها والتى هيات لى أفضل الظروف خلال أيام الكتابة الطويلة.

مونتريال - كيبيك - كندا

ديسمبر ٢٠٠٨

ملاحظة حول المصادر:

يظهر هذا الكتاب في وقت يتم فيه - على نطاق واسع - استخدام المصادر التي تعتمد على الشبكة العنكبوتية، ولقد ضمنت كتابي مراجع من هذه المصادر التي تتضمن صحفاً ومجلات (الجارديان - هآرتس - بيتر ليمونز - ميريا) وعرضت إمكانية الدخول على هذه المقالات. والدراسة الصحيحة لهذا الموضوع، على أى حال، تحتاج إلى الاعتماد الأكثر ثقلًا والمكثف على المواد المطبوعة (الكتب - المجلات - المذكرات - الدوريات) المتاحة على أرفف المكتبات، وكذلك الملفات المتاحة في الأرشفات العامة. وحيثما وجد فقد أعطيت تفصيلًا للاقتباس من المصادر الأولية وتقديرات الأشخاص المباشرين؛ متجاوزًا ما يصفها المؤرخون بالمصادر الثانوية، فالأولى هي الأصلية وهي أعمدة البناء دون رتوش؛ وذلك لخلق السرد التاريخي: نصوص الإعلانات العامة، الاتصالات والمكاتبات الرسمية أو الخاصة، مذكرات المقابلات، نصوص الاجتماعات، المذكرات الشخصية، وتقديرات لما حدث من جانب من كانوا بالفعل حاضرين الحدث. وهناك مصادر أولية كثيرة متاحة بسهولة للطلبة في مجلدات موثقة. وفي الصفحات التالية استعملت بكثافة مجموعات جرى بشدة التوصية عليها مثل: "القارئ الإسرائيلي - العربي، تحرير والتر لاكير وباري روبين"، وكذلك "الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني الذي حرره إيهودا لوكاتش" (١).

والمؤرخون والكتاب وغيرهم يستخدمون المصادر الثانوية من أجل عرض معالجاتهم للحوادث، وبشكل ما فإنهم يقومون بعملية طبخ لهذه المواد الأولية الخام بغية خلق أعمالهم الثانوية (مقالات - كتب) التي تعكس اختيارًا خاصًا

وتتظيماً للمواد وتفسيراً للحوادث ووجهات نظر المؤيدين (وكثير من هذا يوجد فى الفصل رقم ١١).

وكمُتحدثين باللغة الإنجليزية؛ فإننا أجنب أمام مؤيدى هذا الصراع الأساسيين فيما يخص لغة تواصلهم ومنشوراتهم وهى إما عربية وإما عبرية، وعلى الرغم من ذلك الحاجز اللغوى؛ فقد تم إمدادنا بأعمال تعد بمثابة عينات من جانب عرب وإسرائيليين مترجمة للإنجليزية. وبافتراض أن معظم قرائى غير قادرين على الدخول على المواد العربية أو العبرية؛ فإن زملائى فى الإقليم يحذرون من بعض الموضوعات خاصة حوارات المؤرخين (انظر الفصل ١١)، ولذلك فإننا باعتبارنا أجنب لا نرى سوى رأس جبل الثلج من خلال الترجمة ونفتقد المناقشات التفصيلية والأفكار الثرية المختلفة التى تستمر فى الانتشار فى الأدبيات العربية والعبرية الأكاديمية وكذلك المذكرات والخيالات والأفلام السينمائية.

الهوامش

١. "The Israel-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict"

التاريخ الوثيقي لصراع الشرق الأوسط- الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وباري

روبن، نيويورك، دار نشر بنجوين، ٢٠٠٨. وأيضا "The Israel-Palestinian Conflict: A

"documentary Record: 1967-1990"، تحرير يهودا لوكاس، دار نشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢.

الباب الأول

مقدمة

الفصل الأول

مشاكل في تعريف الصراع

فلسطين قياسًا على حجمها ربما تكون البلد الأكثر خضوعًا للبحث والدراسة في العالم^(١).

"لا يوجد ثمة صراع آخر لم يتم توثيقه وتسجيله ووضعه على خرائط مثل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي"^(٢).

إذا كان هناك ثمة صراع معاصر يمكن تضمينه في سلسلة تاريخية تحت مسمى "الاختلاف على الماضي"؛ فإنه - بلا شك - الصراع العربي - الإسرائيلي أو الإسرائيلي - الفلسطيني. وعلى الرغم من أن هذا الصراع يثير الجدل؛ فإنه يشكل، وفقًا لأحد الباحثين، "الصراع الوحيد الأكثر مرارة واستمرارية على الأرض اليوم"^(٣)، وحقيقة الأمر أن مجرد محاولة الاستعراض البسيط لمحطاته الرئيسية في تسلسل تاريخي؛ ستكون حتمًا موضعًا للخلاف من قبل بعض، حتى إن تم إخضاع ذلك لأدق معايير الموضوعية بشكل يبتعد عن إصدار الأحكام سواء فيما يتصل بالدوافع أو الأسباب أو التبعات، وإذا كان الاكتفاء بمجرد العرض التاريخي يمثل أمرًا محدود الأهمية؛ فإن دراسة التاريخ هي مهمة أكثر تعقيدًا.

من بين المؤشرات الدالة على صحة المقولة الخاصة بالطبيعة الخلافية لهذا الصراع؛ التنوع الضخم فيما يتصل بمصدر وتاريخ كل من الاقتباسين اللذين

يتصدران هذا التقديم. فالإقتباس الأول يمثل جزءًا من خطاب وجهه د. "حاييم وايزمان"، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، إلى الرئيس الأمريكي "هارى ترومان" فى ديسمبر عام ١٩٤٥، أما الاقتباس الثانى فقد كتبه فى أغسطس ٢٠٠٧ "ريجيس دبرى"، المفكر الفرنسى الذى كان وثيق الصلة، فى فترة ما، بالثورى الكوبى المعروف "أرنست وتشى جيفارا"، فالتناقض والتعارض من هذا القبيل يحدث بشكل متكرر ويوفر، بشكل مثير للسخرية، مصدرًا للاستمتاع للباحثين فى هذا الصراع المستمر والمثير للارتباك.

فى هذا السياق؛ فإنه ليس من المثير للدهشة أن نجد تنوعات كبيرة فى طرق فهم وعرض الصراع العربى-الإسرائيلى أو الفلسطينى-الإسرائيلى. إن هذه المحاولات لتقديم التفسيرات، سواء كانت فى إطار السياسة أو ممارسة الضغوط أو الإعلام أو البحث الأكاديمى أو غيرها، تمثل غالبًا انعكاسات لهذا الصراع الضارى بما يتضمنه من مرارة وتعقيد، ومن بين الأنماط التى أصبحت مألوفة فى هذا الصدد أن يتم وصف ما يقدمه طرف من الأطراف بأنه "حقيقى" فى مواجهة "أكاذيب" أو "أساطير" أو "دعاية" الطرف الآخر. وفى مواجهة هذا النمط توجد مدرسة أخرى تنتشر بين الباحثين والصحفيين والمحليين تنأى بنفسها عن التبسيط وتهتم بمناقشة الأفكار المتعارضة المقدمة من قبل أطراف الصراع.

ومن خلال الجزء الثانى فى هذا الكتاب؛ سنستعرض تاريخ الصراع على مدار ما يقارب مئة وثلاثين عامًا من بداياته الأولى على المستوى المحلى حتى تطوره ليشمل أبعادًا إقليمية ودولية، وعلى مدار البحث سيتم تركيز الضوء على عدد من "الحجج الجوهرية" التى تبلورت وأسهمت فى خلق الحقيقة المؤسفة المتمثلة فى أن الصراع لا يزال ماثلاً حتى اليوم دون تسوية ويبدو مستعصيًا على

الحل. وعلى الرغم من تواضع أهدافي؛ فإنها تمثل في الوقت ذاته تحدياً كبيراً: استكشاف هذا الصراع بجميع تناقضاته وتعقيداته، والعمل بقدر الإمكان على تحييد الجانب الأسطوري لبعض ملامحه، وتقديم توضيح لأسباب الجدل حول تاريخ فلسطين وإسرائيل.

ماذا عن الاسم؟

ينبع العديد من المشكلات من التعقيدات المرتبطة بتسمية الصراع وتحديد أطرافه الرئيسيين، فمجرد تسميته وتعريف موضوعه يعني أن المرء، على الرغم من إرادته، يتخذ موقفاً سيكون - بالتأكيد - موضع منازعة من قبل آخرين يقدمون آراء مختلفة. فالصراع الذي يتناوله بالتحليل هذا الكتاب تم توصيفه بطرق مختلفة: الصراع "اليهودي-العربي"، الصراع "الصهيوني-العربي"، الصراع "العربي-الإسرائيلي"، الصراع "الإسرائيلي-الفلسطيني".

وإذا ما اخترنا تسميته الصراع "اليهودي-العربي"؛ فإننا نضع بذلك الشعب اليهودي كافة في مواجهة الشعب العربي بأكمله، هل يعتبر ذلك تعريفاً مناسباً أو دقيقاً؟ وكما سنرى لاحقاً، في الفصل الثاني، فإن مفهومي العرب واليهود يشيران إلى مجموعات عريضة تمتد إلى ما هو أبعد من الأطراف الذين يتنازعون بشكل مباشر على أرض فلسطين-إسرائيل. وعلى الرغم من أن بعض الكتاب يشيرون إلى الصراع "اليهودي-العربي"؛ فإننا سنتجنب في هذا الكتاب هذا التوصيف؛ لأنه واسع وقضفاض وقد يقود إلى الخلط والتفسيرات المضللة. وفي واقع الأمر؛ فإن مثل هذا التعريف يفتقر إلى الجوانب السياسية والوطنية والمتصلة بالأرض

للصراع الدائر اليوم، ولعل استخدام مصطلح "الصهيوني" عوضاً عن "اليهودى"؛ يوفر العناصر المفقودة فى توصيف أحد المتصارعين، فالصهاينة يعتقدون ويساندون سعى اليهود "للعودة إلى صهيون" (القدس والأراضى المقدسة)، وهو ما تم التعبير عنه فى الفترة الحديثة بدعم قيام دولة يهودية فى هذه المنطقة، وبتطبيق هذا التعريف؛ سيكون من الدقيق القول: إنه قبيل إنشاء الدولة الإسرائيلية فى عام ١٩٤٨ كان الأمر يتصل بصراع "صهيوني- عربى" وصراع "صهيوني- فلسطينى".

إن من هم العرب؟ ليس هناك، فى الحقيقة، مفهوم مناظر ومواز لليهود، فالعرب يمكن تعريفهم كمجموعة قومية عرقية لهم تاريخ مشترك ولغة واحدة وجذور ثقافية منبعها القبائل العربية فى شبه جزيرة العرب. والصراع العربى-الإسرائيلى هو الاسم الأكثر استخداماً ضمن هذه الأسماء؛ وهو- بطرق كثيرة- الأكثر تحديداً ومناسباً للنزاع السياسى والإقليمى منذ عام ١٩٤٨ بين دولة إسرائيل من ناحية ونحو عشرين دولة أو أكثر تعتبر نفسها عربية من ناحية أخرى.

حتى هذا التعريف للصراع والمفضل لدى بعض، يتضمن فى طياته عدداً من السلبيات، فإنه، كما لاحظنا، قد يقود إلى مفهوم خاطئ فحواه أن الصراع بدأ منذ عام ١٩٤٨ مع إنشاء دولة إسرائيل، متجاهلاً على الأقل نصف قرن قبل ذلك من صراع صهيوني/عربى وصهيوني/فلسطينى، كذلك فإن النظرة إلى العالم العربى على أنه كيان له اتجاهات وسياسات موحدة تجاه اليهود والصهاينة و/أو إسرائيل تعتبر مضللة. وفى الحقيقة فإن الخبرات التاريخية والسياسات والاتجاهات تتباين فيما بين الشعوب والدول العربية، الأمر الذى يعنى أنه من لخطأ تقديم العرب باعتبارهم وحدة واحدة تشكل خصماً فى الصراع العربى-الإسرائيلى^(٤).

كذلك، فإن استخدام مفهوم "العرب" قد يؤدي، أحياناً، إلى تجاهل وجود صراع محدد بين الصهاينة (قبل ١٩٤٨) وإسرائيل (منذ ١٩٤٨) من ناحية، وبين عرب فلسطين أو الفلسطينيين من ناحية أخرى؛ ومن ثم فإنه على الرغم من أن معظم المناقشات من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ تدور حول الصراع العربي-الإسرائيلي الأكثر اتساعاً، في حين أنه منذ عام ١٩٧٣؛ وبشكل أكثر منذ ١٩٩٣، يتجه الكثيرون للنظر للصراع على أنه في جوهره صراع أكثر ضيقاً بين الإسرائيليين والفلسطينيين حول السيادة وتقرير المصير على إقليم واحد، حتى إن كانت له أبعاد عربية أوسع.

وفي هذا الكتاب، فإننا نأخذ بالمقتربين الأخيرين في تسمية الصراع؛ حيث نستخدم التعريف الأكثر شيوعاً والأكثر مناسبة (الصراع العربي-الإسرائيلي) لتضمين أبعاده الإقليمية الأكثر اتساعاً، بينما نعود إلى تسمية الصراع الفلسطيني/الإسرائيلي عندما نتعرض لجوهره وأطرافه الرئيسيين، ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الطريقة لتحديد الصراع وأطرافه تجد من يتحداها بشدة، خاصة من قبل اليمين الإسرائيلي والصهاينة^(٥).

المصطلحات المثقلة بالمعاني:

كما هي الحال بالنسبة إلى صراعات أخرى، فإن استخدام المصطلحات قد يكشف عن تأييد أو انحياز من قبل الكاتب أو المتحدث، سواء كان متعمداً أو غير متعمد، لمواقف طرف على حساب الآخر، ويبرز المخاطر المرتبطة بذلك فيما يتصل بالصراع العربي-الإسرائيلي سواء في توصيفه العام وتسمية أطرافه

المتصارعة، بل وحتى في تسمية الأحداث ووضع الخرائط. فكما هي الحال بالنسبة إلى الصراعات والحروب الأخرى، يتم توظيف المصطلحات للتمييز بين الأختار والأشرار، وتنعكس مشاعر ومواقف الكاتب أو المراقب في اختياريه لمصطلحات ذات أبعاد معنوية خاصة من قبيل "الإرهابي" أو "المقاوم المدافع عن الحرية"، وفي ضوء حقيقة أن كلاً من الطرفين يدعى قول الحقيقة والنبيل، فإن المراقبين ينساقون إلى تبنى مواقف عندما يشيرون إلى أعمال "عدوان" أو "مقاومة" في مواجهة العدوان.

وفيما يتصل بتسمية أطراف الصراع توجد، لدى بعض الأشخاص، معانٍ يلزم تبنيها أو تجنبها بشكل تلقائي، فكلمة صهيوني يمكن أن ترتبط - على سبيل المثال - بكتاب بروتوكولات حكماء صهيون، وهو تشويه يستهدف تقديم الدليل على أن اليهود أعضاء جمعية سرية تستهدف السيطرة على العالم، وفي المقابل يتم فهم مصطلح الصهيونية سلباً من قبل العرب الفلسطينيين المناهضين للصهيونية الساعية لبسط سيطرتها على فلسطين إريتز إسرائيل (أرض إسرائيل بالعبرية)؛ حيث يرتبط تلقائياً بأولئك الذين يرون أراضى دولة أنها ملكيتهم. وفي واقع الأمر فإن الجانب الأسطوري الذي يحيط بالعالم اليهودي قد لعب دوراً في توليد الخوف أو الاحترام بين الذين يعارضون الصهيونية، وقد تمخضت بعض الحملات الدولية لصالح الحقوق الفلسطينية عن المزيد من التجسيد للمعزى السلبي لمصطلح الصهيونية، ومن ذلك القرار الذي يساوى بين الصهيونية والعنصرية وتبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٥ (وألغى عام ١٩٩١)^(١). وفيما يتصل باستخدامنا لهذه الكلمة في صفحات هذا الكتاب؛ فإنه سيشير أساساً إلى أولئك الذين عرفوا أنفسهم تاريخياً بأنهم صهيانية، وبعبارة أخرى، المنتسبون إلى حركات

سياسية وأيديولوجية تسعى إلى إقامة وطن قومي أو دولة للشعب اليهودي في فلسطين إيريتر إسرائيل.

وبطبيعة الحال؛ فإن بعض القراء الذين يرفضون شرعية الدولة اليهودية؛ قد يشعرون بالضيق من استخدام هذا الكتاب لمصطلحي "إسرائيل" و"الإسرائيليون" مفضلون وصف الآخرين "الغزاة الصهاينة" أو "المحتلون"، والدول بـ "الكيان الصهيوني" أو "فلسطين المحتلة"، واستناداً إلى المنطق ذاته، قد يجد بعض آخر صعوبة في التعامل مع إشاراتي المتكررة إلى "الفلسطينيين" مفضلين بدلاً من ذلك الإشارة إلى هؤلاء على أنهم "عرب" بما يتماشى مع معتقداتهم بأنه لا يوجد شيء مستقل يمكن تسميته الشعب الفلسطيني له الحق في دولة فلسطينية.

ويمكن رصد مخاوف مشابهة فيما يتصل بتسمية الوقائع والحقب في تاريخ العلاقات العربية- الصهيونية قبل عام ١٩٤٨، والعلاقات العربية- الإسرائيلية، فحالات العنف التي وقعت خلال فترة الانتداب أطلق عليها مسميات مختلفة تحمل مضامين غاية في الاختلاف، فوصفها بـ "القتال" تبدو أنها محاولة للتقليل من أهميتها، في حين أن وصفها بـ "الشغب" قد يتضمن تلميحاً لسلوك همجي أو إجرامي من قبل السكان، الذين يقصد بهم عادة العرب وفي بعض الأحيان كذلك اليهود، وعلى خلاف ذلك يفضل بعض الفلسطينيين والعرب القوميين توصيف هذه باعتبارها "مظاهرات احتجاج" (تمخضت عن عنف) أو عمليات "مقاومة" ضد الاحتلال البريطاني والاستيطان الصهيوني لأراضيهم، ولعل الاختلافات حول تسمية حرب ١٩٤٨ (وبشكل أكثر دقة القتال في الفترة من ديسمبر ١٩٤٧ حتى يناير ١٩٤٨) تقدم أوضح الأمثلة في هذا الخصوص؛ فبالنسبة إلى الإسرائيليين يتصل الأمر بـ "حرب تحرير" أو "حرب استقلال" (باللغة العبرية ملحمة هاتزاموت) المفعمة بالنصر والنشوة والشعور بالانعتاق، وفي المقابل تمثل الأحداث

نفسها بالنسبة إلى الفلسطينيين "النكبة" (وتترجم بالكارثة) بما تحمله في مضمونها من دمار لمجتمعهم وتشريد لما يقارب من سبعمئة ألف لاجئ.

وقد كانت الحروب الإسرائيلية-العربية التالية أيضاً؛ مثاراً للخلاف على تسميتها، فبالنسبة إلى إسرائيل حرب عام ١٩٥٦ مع مصر هي "حملة سيناء" أو "عملية قadesh" وفقاً للخطة العسكرية التي وضعتها قوات الدفاع الإسرائيلية، أما من وجهة النظر المصرية والعربية؛ فإنها تعرف تحت مسمى "العدوان الثلاثي"؛ لتركيز الضوء على تواطؤ الجيش الإسرائيلي الغازي مع العمليات الحربية البريطانية-الفرنسية في منطقة قناة السويس بذريعة حماية القناة من الجانبين المتحاربين. وبين هذين الموقفين، تعتبر تسمية هذه الحرب بـ "حرب السويس" أو "حرب ١٩٥٦" هي الوسيلة المحايدة للتعامل معها.

وعلى النمط نفسه، فإن الإشارة لحرب يونيو ١٩٦٧، باعتبارها حرب "الأيام الستة"، تمثل تمجيد وتركيز الضوء على سرعة ويسر النصر الإسرائيلي، بما يتضمنه ذلك ربما من ازدياد للعرب وخسارتهم. كذلك الحال لدى استخدام اسم "يوم كيبور" للإشارة لهجوم مصر وسوريا في أكتوبر ١٩٧٣ ضد القوات الإسرائيلية المتمركزة في قناة السويس ومرتفعات الجولان؛ حيث إن هذا الاسم يقدم الحرب كما يراها الإسرائيليون دليلاً على قسوة وفضاظة العدو الذي اختار أكثر الأيام اليهودية للقيام بهجوم مفاجئ، وبشكل عام يمكن القول إن أفضل طريقة للحياد فيما يتصل بتسمية الأحداث يتمثل في الاختصار على الإشارة إلى الحروب بأيام وقوعها.

وفي النهاية؛ فإنه من الضروري الإشارة إلى تعارض المتصل ببعد آخر من أبعاد الصراع العربي-الإسرائيلي، وهو الخاص بالتسميات المتباينة للخرائط الجغرافية^(٧)، فالخرائط العربية تظهر الأرض المتنازع عليها باعتبارها فلسطين، دونما إشارة إلى دولة تسمى "إسرائيل"، وهو ما يمكن اعتباره عملاً سياسياً يكشف

عن عدم الاعتراف بها، ويتناقض ذلك مع أغلب الخرائط العالمية والإقليمية المطبوعة بالإنجليزية واللغات الأوروبية بين عامي ١٩٤٩ و١٩٦٧ التي لا تتضمن فلسطين (التي اختفت ككيان محدد بعد حرب ١٩٤٧/١٩٤٩) وتتضمن فقط الدولة الإسرائيلية الجديدة داخل خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ (انظر الخريطين ٦-١ و٦-٢ في الفصل السادس).

ولقد أظهر العديد من الخرائط باللغة العبرية منذ عام ١٩٦٧؛ إسرائيل دون أن يوضح الخطوط الفاصلة بينه أو الأراضي التي احتلها من الأردن (الضفة الغربية) ومصر (غزة) وسوريا (مرتفعات الجولان) خلال حرب يونيو ١٩٦٧، ومؤخرًا عاود بعض الخرائط الإسرائيلية ترسيم خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ والمعروفة كذلك بـ "الخط الأخضر"، أما الخرائط التي ينشرها اليمين الإسرائيلي وحركة المستوطنين؛ فإنها تشير إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة والمعروفة بشكل عام وعالمي تحت مسمى "الضفة الغربية" (نهر الأردن) بأسمائها العبرية التوراتية (يهود أو السامرة) بما يؤكد تضمينها في "إيريتز إسرائيل" الموعودة- (أرض إسرائيل) الموعودة- ويوضح النية في إبقائها كجزء من دولة إسرائيل الحديثة. كذلك فإن هذه الأراضي (الضفة الغربية) إلى جانب قطاع غزة؛ يتم وصفها بأشكال متعددة: "الأقاليم المُدارة" أو "الأقاليم المتنازع عليها"- (وذلك في الجانب الأكبر من المطبوعات الإسرائيلية الرسمية)، و"الأقاليم المحررة" (في المطبوعات التي تروج لرقعة أرض أكثر اتساعًا لإسرائيل تتجاوز حدود ١٩٤٩)، و"الأراضي المحتلة" (بشكل عام ودولي) و"الأراضي الفلسطينية المحتلة".

وإذا ما نحينا جانبًا الحديث عن التشويه وعدم الدقة، فإن تقديم الخرائط وتسميتها بشكل متباين يمكن أن يعبر عن عملية تسييس فائقة كطريقة للتعبير عن دوافع عدوانية أو لتسجيل مطالب ومظالم، وعلى سبيل المثال فإن مجلدًا صدر حديثًا لمجموعة أوراق مؤتمر عقد تحت مسمى "مستقبل فلسطين وإسرائيل: من

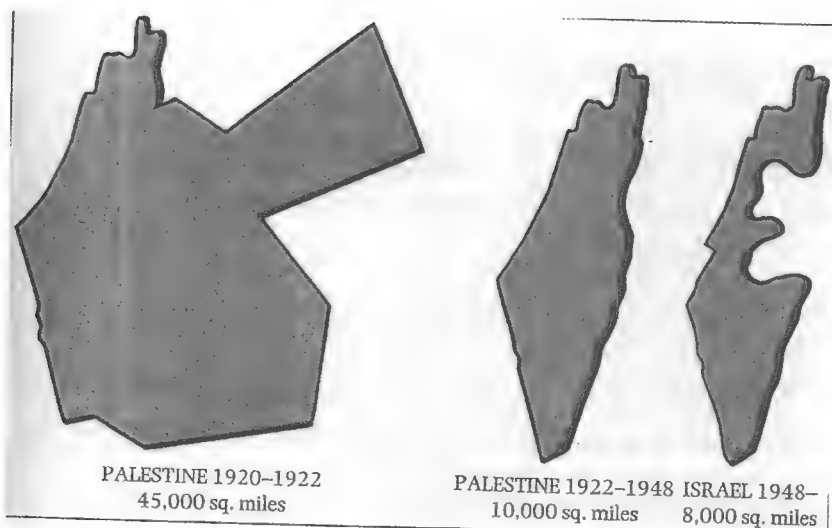
الجذور الاستعمارية إلى الواقع الحالي"، يتضمن في مقدمته مجموعة من الخرائط أطلق عليها "الخسارة الفلسطينية من الأرض (١٩٤٦-١٩٩٩)". وكل من الخرائط الأربع توضح التغييرات في الحجم والشكل لـ "الأراضي الفلسطينية" وتلك "اليهودية"، واستخدام كلمة "مرحلة" يسجل وجود التعمد من الجانب الإسرائيلي^(٨). وفي المقابل، فإن الخرائط الموازية التي يقدمها الصهاينة تتجاهل الفلسطينيين وتسجل المكاسب والإنجازات المتراكمة لـ "الحصول على الأراضي اليهودية" أو "شراء اليهود للأراضي"، دونما إشارة إلى خسارة أى شخص جراء ذلك.

ويبرز هذا التناقض، بشكل صارخ، عند مقارنة خريطة "المستوطنات اليهودية في فلسطين ١٨٥٥-١٩١٤" في كتاب "والتر لاكير" "تاريخ الصهيونية"^(٩) مع ذلك المسمى "أول مستوطنة صهيونية في فلسطين، ١٨٧٨" والوارد في كتاب "وليد الخالدي" "قبل الدياسبورا"^(١٠)، فالأول يظهر خمس عشرة نقطة ومثلثا أسود اللون دونما مدن أو قرى فلسطينية، ويشير جميع المناطق البيضاء اللون إلى أرض فضاء^(١١)، أما الأخير فيظهر جميع القرى والمدن الفلسطينية وتلك المدن المختلطة (مئات النقاط الحمراء، وست نقاط سوداء كبيرة، ونقطة صغيرة للغاية ملونة بالأخضر تشير إلى مستعمرة حديثة باسم "بتاح تكفاه". كذلك فإن الخرائط التي توضح الأشكال المتغيرة لإسرائيل والمناطق الفلسطينية والدول المجاورة على مدار الوقت يمكن أن يتم تحريفها وتسييسها بطرق مختلفة، فالاتهامات الصهيونية والإسرائيلية للبريطانيين بقيامهم بتخفيض المساحة؛ المفترض أنه وعد بأن تكون وطنًا قوميًا لليهود عام ١٩١٧، ويمكن التعبير عنها بثلاث خرائط مختلفة لفلسطين قبل الانتداب ١٩٢٠/١٩٢٢، والمناطق الخاضعة رسميًا للانتداب ١٩٢٢/١٩٤٨ التي لا تظهر شرق الأردن، وخريطة فلسطين-إسرائيل ١٩٤٨/١٩٤٩ (خطوط الهدنة بعد الحرب)^(١٢). بالطريقة نفسها، فإنه يرسم إسرائيل في قلب خريطة تُظهر كل الدول العربية الممتدة من مراكش في الغرب حتى دول الخليج في الشرق.

والسودان فى الجنوب، فإن الدولة اليهودية تبدو ضيقة ومعرضة للخطر. كذلك فى خرائط "مارتن جيلبرت" التاريخية والخالية من الإيضاحات، تم تقديم حروب إسرائيل من ١٩٤٨ فصاعداً بطريقة تشدد على دقة موقف الدولة اليهودية^(١٢) المحاطة بدول معادية شاسعة المساحة ومدججة بالسلاح ولديها نوايا عدوانية^(١٣).

وعلى الجانب الآخر، فإن التغييرات التى حدثت مع مرور الوقت يمكن أن يتم إظهارها لتقديم إسرائيل بوصفها القوة المعتدية، وعلى سبيل المثال فإن عرض ثلاث خرائط متوالية تُظهر تنامي الأراضي التى تم تخصيصها أو السيطرة عليها من قبل إسرائيل منذ مقترح الأمم المتحدة للتقسيم فى عام ١٩٤٧ حتى خطوط الهدنة عام ١٩٤٩؛ ثم حتى الاستيلاء على أراضٍ إضافية عام ١٩٦٧ يشكل دعوة للقارئ لأن يصل إلى نتيجة مفادها أن إسرائيل هى دولة توسعية^(١٤).

وفى النهاية؛ فإن أولئك الذين يميلون لتفسير الإنجيل كخريطة طريق للحاضر؛ سيقبسون ما يشير إلى الوعود الإلهية لموسى ويوشع بأن العبرانيين القدماء سيحصلون على الأرض الممتدة من "البرية ولبنان حتى النهر العظيم (النيل) ونهر الفرات - كل بلاد الحثيين - حتى البحر العظيم (المتوسط) فى الغرب". ومن جانبهم فإن المسلمين يخشون من ذلك باعتباره يمثل الخطأ الرئيسية لدولة إسرائيل الحديثة وأطماعها فى أجزاء من مصر وسوريا والعراق، فى حين ينظر اليهود الأصوليون لذلك على أنه عمل إلهي^(١٥).



فلسطين ١٩٢٠-١٩٢٢

فلسطين ١٩٢٢

إسرائيل ١٩٤٨

٤٥٠٠٠ ميل مربع

١٠٠٠٠ ميل مربع

٨٠٠٠ ميل مربع

خريطة ١-١

فلسطين ١٩٢٢-١٩٤٨، وإسرائيل ١٩٤٩.

المصدر: إسرائيل الكفاح من أجل السلام، نيويورك، مكتب

الإعلام الإسرائيلي، ١٩٦٠، ص: ٨.

التواريخ والتقسيم إلى فترات:

يمثل قيام الفرد باختيار تاريخ بداية الصراع، وتحديد نقاط التحول الرئيسية، وتقسيم تاريخ الصراع إلى فترات، عملاً أكثر تعقيداً من حيث الجغرافيا التاريخية. فقد يرغب بعض في البدء بسوابق الصراع التي أوردتها الإنجيل (إسحاق وإسماعيل ولدا إبراهيم باعتبارهما آباء إسرائيل والعرب اليوم)، بشكل يجعلنا نعتقد أننا نتعامل مع صدام جوهرى له أبعاد تتجاوز الطبيعة. ومن جانبنا، فقد فضلنا، بدلا من ذلك، أن نبدأ في الصفحات التالية دراستنا للصراع المتطور بالمهاجرين الصهاينة الأوائل في العصر الحديث ومستوطناتهم في فلسطين العثمانية عام ١٨٨٢؛ بشكل يعكس وجهة نظر مخالفة تذهب إلى أن هذا النزاع هو منتج بشري لقوى تاريخية واجتماعية جرى إطلاقها في مكان وزمان معينين، وهذا في الواقع هو الإطار التاريخي الذي يتبناه معظم المؤرخين للصراع، أما الجزء الثانى من هذا الكتاب فسيستكشف أحداث المئة والثلاثين عاما الأخيرة من الصراع. وهنا تجب ملاحظة ما يراه بعض النقاد أن هذا الخيار لفترات النزاع يزيد من حدة الإحساس بالعداوة بين الطرفين نتيجة لتجاهله قروناً من الصداقة والتعاون بين اليهود والمسلمين، والعرب واليهود قبيل الانقسامات والنزاعات التي تبلورت في عصر القومية والاستعمار^(١٧).

صراع مستمر:

ترجع مجموعة أخرى من المشكلات إلى قيامنا بدراسة ومحاولة فهم صراع دائر بالفعل لم تتم تسويته بعد، صراع يُخلف ضحايا أو خسائر بشكل يومي، وتؤججه وتغذيه مشاعر المرارة والكراهية والرغبة في الثأر التي تتوارثها أجيال بعد أجيال، كذلك فإن تناول الجذور التاريخية ونماذج مثل هذا الصراع لا تقتصر أهميته على البعد النظرى والأكاديمي فقط، فكيفية الاقترب من الماضى

وإخضاعه للتحليل غالبًا ما يحركه، بوعى أو دون وعى، ما يجرى فى إسرائيل وفلسطين والشرق الأوسط ما دام الصراع تزداد حدته وتعلو نبرته ويفرز تقيحاته، كما أن كيفية عرض ماضى الصراع يمكن أن تكون لها انعكاسات حول كيفية دراسة الأسئلة والقضايا التى تتجم عن صراع لم تتم تسويته بعد، وهذه الحالة توضح بجلاء القول المأثور بأن "كل التاريخ هو تاريخ معاصر".

الصراع هل يمكن تسويته أم لا؟

يدور أحد الأسئلة الرئيسية حول معرفة إلى أى مدى يعتبر الصراع العربى-الإسرائيلى بطبيعته غير قابل للتسوية؟^(١٨) وعلى خلاف الحكمة المعروفة التى تذهب إلى أن كل الصراعات، بشكل أو آخر وفى نهاية المطاف يمكن تسويتها، فإن عددًا من الشخصيات القيادية فى كلا الطرفين قد خلص إلى أنه فى الحقيقة متورط فى صراع غير قابل للتسوية، فبينما كان "بن جوريون"، آنذاك المتحدث باسم العمال-الصهيانية، وتولى فى مرحلة لاحقة رئاسة الوزراء فى إسرائيل، ينتظر تطبيق قرار مؤتمر باريس للسلام عام ١٩١٩ على الشرق الأوسط، دعا رفاقه فى مجلس اليوشف (المجتمع الفلسطينى-اليهودى) للقاء بهدف بحث علاقاتهم مع الشعب العربى دون الانسياق وراء الأوهام قائلاً: "كل شخص يرى صعوبة فى مجال علاقات اليهود مع العرب لكن لا يرى الجميع أنه لا حل لهذه القضية، لا حل! هناك فجوة لا يمكن لأى شىء أن يسدها. من الممكن تسوية الصراع بين مصالح العرب واليهود فقط عن طريق المغالطة، ولا أدرى كيف سيوافق العرب على أن فلسطين يجب أن تكون لليهود-حتى لو تعلم اليهود العربية (كما نصحهم خلال المناقشات أحد مناصرى المصالحة اليهودية-العربية)، ويجب علينا التسليم بالموقف ولا نحاول تقديم علاج له... إننا، باعتبارنا أمة، نريد أن يكون هذا البلد لنا، والعرب، باعتبارهم أمة، يريدونه لهم، وتم ترك القرار فى هذا الخصوص لمؤتمر السلام"^(١٩).

وهناك وجهة نظر تكاد تكون صورة مرآة لما سبق تم طرحه، أوائل عام ١٩٣٢، من قبل "عوني عبد الهادي" وهو محام فلسطيني في حزب الاستقلال القومي العربي ومساعد سابق لـ "قيصل بن الحسين" - (ملك العراق لاحقاً) - في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩، ففي حديث له مع د. حاييم أورلوسوروف، رئيس الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية بالقدس رد عوني سلّبا على المتعاطفين مع فرص التوصل إلى اتفاق صهيوني - عربي؛ ونقل عنه القول: "منذ فترة مضت توصل إلى نتيجة نهائية مفادها أنه لا توجد ثمة فائدة في المفاوضات أو محاولات الوصول إلى تفاهم متبادل، فهدف اليهود حكم البلاد وهدف العرب هو محاربة هذا الحكم، إنه يعرف الصهاينة تماما ويحترمهم، لكن مصالحهم تتعارض تماما مع مصالح العرب، ومن ثم فإنه لا يرى ثمة إمكانية للاتفاق"^(٢٠).

ومن المهم أن نأخذ وجهات النظر هذه التي نشى بالتشاؤم بعين الاعتبار في تحليلنا، خاصة حينما يعبر عنها قادة لهم وزنهم وفعاليّتهم في الصراع، وذلك ليتسنى مواجهة أخطار التفكير بالتمنى حول حلول وتسويات لهذا الصراع. وفي الفصل الأخير فإننا سنعود لتناول مسألة مدى قابلية الصراع للتسوية.

تسوية الصراع أم إدارة الصراع؟

إن استعصاء الصراع العربي - الإسرائيلي، لفترة تزيد على قرن، على جميع محاولات تسويته بشكل جدي، يشكل تحدياً قوياً لمصادقية الافتراض المتفائل بأن كل الصراعات يمكن تسويتها، وكما سيتضح خلال استعراضنا للصراع في الباب الثاني؛ فإن كلاً من الإسرائيليين والفلسطينيين قد حددا هديهما وعبراً عن معتقدات

تبدو، حتى في أدنى أشكالها، متناقضة مع بعضها بعض إذا ما وضعت جنباً إلى جنب، ومع ذلك كانت هناك لحظات نادرة وقليلة (نوافذ للفرص) بدت فيها جميع الأطراف، في الوقت ذاته، مستعدة وقادرة على التنازل عن بعض ما يدعى الطرف الآخر حاجته إليه للتوصل إلى اتفاق حول حل وسط والواقع أن كلا الطرفين الرئيسيين - يبدوان بشكل عام - مستعدان للاستمرار في المزيد من نزيف الدم والحروب المستقبلية حتى يحقق أحدهما في النهاية النصر وفقاً لشروطه.

مثل هذا الوضع يدفعنا إلى بحث إمكانية عدم تسوية هذا الصراع بالصيغة المتعارف عليها في معاهدة دولية أو من خلال نموذج الصيغة التوافقية التي تنهى إلى الأبد المطالب والخلافات التي تنتظر حلاً، وعلى الأحرى، ربما نكون أمام صراع يمكن فقط إدارته أو احتواءه في أحسن الأحوال في شكل نزاع على مستوى أقل لم تتم تسويته، أو نزاع أقل حدة. إن هذا الوضع يدفعنا بشكل مباشر إلى تفرقة مبدئية في العلاقات الدولية بين مفهومى تسوية الصراع وإدارته للصراع. وفي التعاملات اللاحقة معه، سيطلب من القارئ أن يتقبل توتراً غير سهل أو التراجع بين فرضيات متنافسة: (١) إن الصراع يمكن أن تتم تسويته يوماً ما. (٢) إنه في أفضل الظروف يمكن إدارته، بمعنى الإبقاء عليه بعيداً عن مستوى الانفجار بتعبيراته الأكثر دماراً وعنفاً وعلى الرغم من أن التعايش مع ذلك لا يمثل وضعية واضحة أو مريحة عاطفياً أو عقلياً، فإنه يمثل، من وجهة نظري، انعكاساً للواقع ومكوناً رئيسياً من الجهود المبذولة لفهم تاريخ الصراع ومستقبله.

الصراع العربي - الإسرائيلي الآخر:

جاءت التعقيدات التي أحدثتها أبعاد أخرى لتزيد من صعوبة عملية تعريف الصراع العربي - الإسرائيلي في: إسرائيل وفلسطين والأراضي المجاورة؛ حيث إن سعى كل طرف لشن معركة طويلة الأمد أملا في كسب تعاطف لاعبين آخرين من خارج دائرة الصراع، قد اتخذ ملامح مميزة في العديد من الميادين: جماعات الضغط الدولية؛ الإعلام؛ المراكز الأكاديمية.. وعند هذه النقطة؛ فإنني أستعير الوصف الذي أطلقه - على وجه حق - أحد علماء السياسة في وصفه للسياق الخاص بالضغط على الرؤساء الأمريكيين وأعضاء الكونجرس، حين تحدث عن الصراع العربي - الإسرائيلي "الآخر"^(٢١). ويتصل الأمر بحلقة موازية يستمر الصراع العربي - الإسرائيلي في التفاعل عليها إما بطريقة فعلية وإما مجازية. وكما سنرى لاحقاً عندما نتعرض بالدراسة للعديد من المقولات الجوهرية، فإن خبراء القانون الدولي وحقوق الإنسان قد انخرطوا في عملية "اتهام" أو "الدفاع" عن أحد الطرفين في مواجهة الآخر، من خلال ما ينشرونه أو في قاعات المحاضرات، أو في الميادين الإعلامية والأفلام، أو حتى داخل قاعات المحاكم، الأمر الذي أفرز شكلاً جديداً للصراع يعرف تحت مسمى "الحرب القانونية"، بمعنى استخدام القانون في المعركة عوضاً عن وسائل أخرى بهدف تحقيق أهداف سياسية أو غيرها ليست ذات صبغة قانونية خالصة^(٢٢)، ومن شأن التعامل مع الصراع من خلال مثل هذه المناظير الخارجية، يبرز مخاطر تشكيل إدراك مشوه، بدلاً من رؤية واقعية للصراع كما هو على الأرض.

تبنى وجهة نظر وإدانة الأخرى:

يمكن الاعتبار الأخير الذى يأتى ليزيد من تعقيد سعينا لتعريف الصراع، الذى لم تتم تسويته بعد، فى الاتجاه الشائع بين الكتاب والمراقبين إما لتوجيه النقد وإما للانخراط فى الدفاع والتأييد لوجهة نظر ما، فخلال عملية مناقشة نشأة الصراع ومحاولة تفسير استمراريته، قد يكون من الصعب بمكان تجنب توجيه النقد للأطراف الذين يتم النظر إليهم على أنهم مسئولون عن أخطاء تمت فى الماضى وأدت إلى انطلاق الصراع أو تعقيده، وأيضا انتقاد الأطراف الآخرين الذين يبدون، بسلوكهم أو سياساتهم، وكأنهم يضعون العراقيل أمام التوصل إلى التسوية أو تحقيق التعايش السلمى.

وفى حقيقة الأمر، فإنه غالباً ما يكون مستحيلاً على المحللين التركيز على وقائع الصراع وقضاياها بطريقة تتسم بالحيادية التامة ودون التأثير بمشاعرهم تجاه العدالة و/أو البحث عن الحقيقة، فكل من الفلسطينيين والإسرائيليين يضعون ادعاءاتهم وشكواهم فى إطار مفاهيمهم الخاصة للعدالة أو/الحقيقة. وأخذ ما تقدم بعين الاعتبار، فإن الصفحات التالية ستقتصر على عرض وجهات نظر الأطراف دون تبني أى منها، أو حتى توجيه الاتهام لأيهما، كما أننى سأعود للتعرض لهذه القضية مجدداً، بشكل سريع، فى نهاية الفصل الثانى، وبإسهاب فى الفصلين الحادى عشر والثانى عشر اللذين يبحثان فى طرق تناول الأكاديميين للصراع.

وفى الخاتمة، أود القول إن هذا الكتاب ينضم إلى ما سبقه من المؤلفات التى تناولت بالبحث سؤالاً بسيطاً، وإن كان مراوفاً: ما الجوهر الحقيقى للصراع العربى- الإسرائيلى؟ وبشكل جزئى يمكن القول إنه نتيجة لطول فترة الصراع وتعقيداته، أضحت عناصره "صعبة التعريف، فضلاً عن أنها فى حالة تغيير

مستمر"، وهو ما سبق أن أبرزه "حاييم شاكيد" خلال سعيه عام ١٩٨٤ لتحديد الخصائص الرئيسية للصراع^(٢٣). وإذا كان مؤيدًا وكل طرف من الأطراف لديهم مسبقًا إجابات متعارضة على السؤال السالف الذكر، فإن الهاجس الذى يطرح نفسه بقوة يتصل بكيفية تنقل الباحث أو المراقب المحايد بين ما يقدمه طرف على أنه الحقيقة وما يعتبره الآخر مجرد ضرب من ضروب الدعاية، بين الإدعاءات والإدعاءات المضادة، أو بين الروايات المتضاربة لليهود الإسرائيليين والفلسطينيين العرب؟ إن كل ما تقدم يمثل التحديات والصعوبات التى تواجه هذا العمل، وفى صفحات الفصل الثانى من هذا المؤلف سأعمل على رسم معالم بعض الأساليب المجدية لتعريف الصراع والبدء فى فهم خصائصه المميزة.

الهوامش

- (١) من خطاب حايم وايزمان إلى هاري ترومان عام ١٩٤٥ المجلد ٢٢، تحرير جوزيف هيلر، نى وبروزويك، جامعة روتجارز، الكتب المترجمة عام ١٩٧٢، ص: ٧٨.
- (٢) ريجز ديبيراي، *Palestine : A Policy of Deliberate Blindness*، مجلة لوموند دبلوماسيك، الطبعة الإنجليزية، أغسطس ٢٠٠٧، ص: ٥.
- (٣) جيفرى هوينكروفت، *Zion Story*، الملحق الأدبي للتايمز، ٢٠ - ٢ - ٢٠٠٨، تاريخ الإطلاع: ١٥ مارس ٢٠٠٨.

http://entertainment.timesonline.co.uk/tol/arts_and_entertainment/the_tls/article3403151.ece.

- (٤) من أجل معالجة مفيدة للموضوع انظر، مارك تيسلر " *Narratives and Myths about Arab Israeli and Palestinian Narratives of conflict*، في: *Intransigence Toward Israel*، *Histories' Double Helix*، تحرير روبرت روثبرج، بلومنجتون/أنديانا بوليس، دار نشر جامعة أنديانا عام ٢٠٠٦، ١٧٤ - ٩٣.
- (٥) انظر إسحاق شامير " *Israel's Role in A Changing Middle East*، مجلة الشئون الخارجية، عدد ربيع ١٩٨٢، ٧٩٠ - ٣، بنيامين نتانياهو " *A Durable Peace, Israel and Its Place*، *Among The Nations* نسخة منقحة، نيويورك، Warner Books، ٢٠٠٠، الفصل ٣ " *The Theory of Palestinian Centrality* "
- (٦) قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ في ١٠ - ١١ - ١٩٧٥، ٧٢ صوتاً مع و ٣٥ صوتاً ضد وامتناع ٣٢ صوتاً: قرار الجمعية العامة ٤٦٨٦ في ١٦ - ١٢ - ١٩٩١، ١١١ مع ٢٥ ضد وامتناع ١٣ عن التصويت.
- (٧) من أجل مناقشة أولية ومباشرة انظر ميرون بن فينيستي، " *Conflict and Contradictions*، نيويورك، فيلار بوكس، ١٩٨٦، ص ١٩١ - ٢٠٢ و " *Sacred Landscape : The Buried History of The Holy Land Since 1948*، ترجمة ماكسين كوفمان - لاكوستا بيركلي/ لندن، دار نشر جامعة كاليفورنيا عام ٢٠٠٠.

(٨) إسلام فاروق على، "The Poetics of Justice and the Politics of Oppression"، *The Future of Palestine and Israel : From Colonial Roots to Postcolonial Realities*، تحرير إسلام فاروق على، ميدراوند، جنوب إفريقيا، *Institute for Global Dialogue*، ٢٠٠٧ ص: ٥ و ٧.

(٩) والتر لاكير، "A History of Zionism"، نيويورك، هولت، رينهارت أند وينستون، ١٩٧٢ والمعاد نشره في نيويورك *Schocken Books*، ١٩٨٩، ص: ٤١، وانظر أيضًا خريطة مماثلة في *Howard Sachar : A History of Israel From the Rise of Zionism to Our Time*، نيويورك، *Alfred A. Knopf*، ١٩٧٦، ص: ٨٧، متاحة على الرابط التالي: http://passia.org/palestine_facts/MAPS/Jewish_Yishuv/settlement_1881_1914.htm.

(١٠) وليد خالد، *Before Their Diaspora : A Photographic History of the Palestinians*، ١٩٤٨ - ١٩٤٨، واشنطن دي سي، *Institute for Palestine Studies*، ١٩٤٨، ص: ٣٤، ويمكن رؤيتها على الرابط :

http://www.passia.org/palestine_facts/MAPS/first_zionist_colony.htm.

(١١) لتطبيق هذه الظاهرة عن: *White Patches*، حول الخرائط العقلية حول رؤساء اليهود والعرب في فلسطين/ أرض إسرائيل التي تغطي مواطن الآخر "الاقتباس من الجزء الأول"، انظر بن فينيستي، "Sacred Landscape".

(١٢) انظر مايكل كيرتوز، وجوزيف نيار، حاييم واتسمان وألين بولاك، *The Palestinians: People, History, Politics*، ني ورونزويك، الكتب المترجمة التي جرى إعدادها تحت رعاية الجمعية الأكاديمية الأمريكية من أجل السلام في الشرق الأوسط، عام ١٩٧٥، ٢٢٥ - ٣.

(١٣) انظر كيرتوز، *The Palestinians*، ص ٢٥١، ومارتين جيلبرت *The Routledge Atlas of the Arab Israeli Conflict*، الطبعة السابعة لندن / نيويورك، *Routledge*، ٢٠٠٢، ص: ٣٤، ٦٠ - ١.

(١٤) أطلس جيلبرت، *Routledge*، ٣٧، رد الفعل الفوري على خطة الأمم المتحدة للتقسيم، ص: ٣٨ - ٩ وهجوم العرب ورد الفعل الإسرائيلي، ص: ٤٠ - ٢، ٤٤، إسرائيل ما قبل الاستقلال ٤٣ - ٤. المعركة من أجل طرق القدس ٥٢، إحساس إسرائيل بعدم الأمن ١٩٤٩ - ١٩٦٧، ص: ٥٣. إسرائيل الوسطى وحدود الأردن ١٩٤٩ - ١٩٦٧، ص: ٥٨.

الغارات الإرهابية في إسرائيل ١٩٥١ - ١٩٥٦، ص: ١-٦٠، ميزان القوى المتغير في العالم العربي ١٩٥٣ - ١٩٧٣. ولربما كانت أكثر الخرائط شهرة، ص: ٤٥، والمسماة الغزو العربي لدولة إسرائيل ١٥ مايو ١٩٤٨.

(١٥) "From the Nile to the Euphrates : The Facts About the Palestine Problem" بيروت، لجنة إعلان المرأة، مايو ١٩٦٨.

(١٦) Goscu، ٣-؛ المجلد الثالث الذي يبدأ بأن كل مكان تطأه الأقدام كما وعدت موسى وذلك حسب الترجمة الجديدة للنصوص المقدسة إلى النص العبري التقليدي- فيلادلفيا، جمعية النشر اليهودية عام ١٩٨٥، ص: ٣٧٣، وانظر أيضًا الأعداد ٣٤: ١- ١٢ المرجع السابق، ص: ٢٦٧ - ٨.

(١٧) روث كارك في *Shared Histories*، ١٣ - ٢٢ إدوارد كوفمان ومان ويل حساسيان "Understanding Our Israeli Palestinian Conflict and Searching for Its Resolution" في *regional and Ethnic Conflicts: Perspectives Upper Saddle River, Prentice hall, 2008* ٨٧ - ١٢٩. وحول العصر الذهبي للعلاقات المتناسقة بين اليهود والعرب أو بين اليهود والمسلمين انظر *SD Goitein, Jews and Arabs: Their Contacts Through the Ages*. الطبعة الثالثة، نيويورك، Schocken، ١٩٧٤. رافائيل باتاي، *The Seed of Abraham : Jews and Arabs in Contactand Conflict*. مدينة بحيرة يالت، دار نشر جامعة يوتاه، ١٩٨٦.

(١٨) شيستر كروكار، فين أوسلار هامبسون وباميل آل، *Grasping the Little : Analyzing Cases of Intractable Conflict, Washington*، معهد الولايات المتحدة لصحافة السلام، ٢٠٠٥، ٣٤٣ - ٧٢. مقالات بقلم ستيفن كوهين وشييلي تلحمي.

(١٩) خطاب إلى فاد زاماني "Provisional Council of the Jews of Palestine / Ertz Israel"، ١٠ يونيو ١٩١٩، الأرشيف المركزي الصهيوني، القدس، ترجمتي من العبرية، *CF. N. Caplan, Futlie Diplomacy*، المجلد الأول عن محاولات المفاوضات المبكرة ١٩١٣ - ١٩٣١، لندن، *Francc Cass*، ١٩٨٣، ص: ٧.

- (٢٠) موشى شيرتوك، "فيما بعد شاريت، تقرير حول المحادثات بين حاييم أربلسروف وعونى عبد الهادى"، ١٢ فبراير ١٩٣٢، ترجمتى من العبرية. كابلان ، *Futile Diplomacy*: ٨-٧.
- (٢١) ستيفن لام سبيجل، *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East*, *Policy from Truman to Reagan, Chicago*. دار نشر جامعة شيكاغو، ١٩٨٥.
- (٢٢) انظر آن هيرزبيرج، *NGO Low fare Exploitation of Courts in the Arab Israeli* (*Conflicts (Ngo monitor)*، سبتمبر ٢٠٠٨، وهو متاح على الرابط: <http://www.ngo-monitor.org/article.php?id=2097>، وإبنى أشكر الأستاذ رينا "Brina Bogokh" بجامعة بار إيلان الذى لفت نظرى إلى ذلك.
- (٢٣) حاييم شاكيد، "Continuity and Change : An Overview" وذلك فى " *The Arab Israeli Conflict: Perspectives*"، الطبعة الثانية، ألفين روبنشتاين، نيويورك، هابر كولنز ١٩٩١، ص ١٩٧ والطبعة الأولى نشرتها دار Praeger عام ١٩٨٤.

الفصل الثانى

تعريف الصراع رغم الصعوبات

من الأطراف المتصارعة؟

تتمثل إحدى طرق وضع إطار لفهم الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني فى طرح سؤالين متوازيين، وإن كانا متقلين بالمعاني، حول الأطراف المتصارعة: هل يمثل اليهود شعباً (أمة) له الحق فى المطالبة بدولة قومية على الأرض التى يطلقون عليها "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل)، أم أنهم مجرد جماعة دينية عالمية ليست ذات طابع سياسى، بما يعنيه ذلك من تلاشى الحقوق المتصلة بالأرض وما تولده من مطالب وطموحات؟ هل الفلسطينيون يمثلون شعباً له حقوق سياسية قومية وطموحات خاصة، أم أنهم عرب ليس لهم أى مطلب شرعى لوطن قومى أو دولة، خاصة فى فلسطين؟

وفى بداية هذا الفصل، فإننا سنسعى لتحديد المصطلحات التالية: اليهودى، الصهيونى، الإسرائيلى، العربى، الفلسطينى، والمسلم ووضعهم فى الإطار الصحيح. وفى حين أن الأسلوب المعتاد هو أن نترك لكل جماعة مهمة تعريف نفسها، فإن آخرين، سواء من داخل الجماعة ذاتها أو خارجها، لديهم الحرية فى الاختلاف مع هذه التعريفات، وينطبق ذلك على الصراع المعاصر: العربى- الإسرائيلى، والفلسطينى- الإسرائيلى؛ حيث يعرض كل طرف أسباباً تدفعه لتحدى تعريف الطرف الآخر لذاته، الأمر الذى يوفر بعداً مهماً للطبيعة الخلافية للصراع.

يمكن تعريف اليهود على أنهم شعب يضم جماعات كثيرة عرقية وثقافية ولغوية؛ لكنه يمتلك هوية مشتركة نبعت من الاعتبارات التالية:

(أ) الإيمان باليهودية كعقيدة توحيدية؛ تعود إلى أرض إسرائيل التوراتية (والمتفق بشكل عام على أنها تتوافق جغرافياً مع دولة إسرائيل الحالية والأراضي التي تخضع للسلطة الفلسطينية).

(ب) النسب البيولوجي من حيث الميلاد لأُم يهودية.

(ج) الشعور الاجتماعي - الثقافي بالانتماء إلى جذور مشتركة، فضلاً عن وحدة العادات والتقاليد والتراث والمستقبل.

وبالنظر لهذه التعقيدات، فإنه ليس مستغرباً أن أحداً، حتى داخل الكنيسة الإسرائيلية (البرلمان) ذاته، لم يتمكن من تقديم تعريف بسيط متفق عليه عالمياً لمن هو اليهودي، وفي عام ٢٠٠٨، قُدر عدد اليهود في العالم بـ ١٣,٢ مليون نسمة، ٥,٤ مليون في إسرائيل و ٥,٣ مليون في أمريكا، وما بين مليون ومليون ونصف المليون في أوروبا^(١). ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، اختار عدد متزايد من اليهود تعريف أنفسهم باعتبارهم شعباً تتضمن هويته مكونات قومية - سياسية وأرضية، بالإضافة إلى روابط تقليدية وروحانية تتصل بالانتماء لمجتمع ديني عالمي، وقد انتسب هؤلاء اليهود أو أيدوا حركة عُرفت باسم الصهيونية، وعلى الرغم من وجود يهود لا ينتمون لهذه الحركة، بل ويعارضونها أو يرفضون هذا التعريف الجماعي، ويعرفون أنفسهم فقط على أنهم ينتمون إلى جماعة دينية، فإن عدد هؤلاء قد تناقص، خاصة منذ ظهور أدولف هتلر في ثلاثينيات القرن العشرين.

ومن جانبهم؛ فإن المسلمين والعرب والفلسطينيين ربما يعودون إلى السوراء لقرون من التفاعل والعلاقات السلسة مع اليهود الذين عاشوا بين ظهرانيهم،

ويؤكدون أن هؤلاء كانوا على الدوام جماعة دينية دونما مطالب أو أهداف سياسية، ويجب أن يستمر النظر إليهم كذلك. وتشير هنا إلى أن المادة العشرين من الميثاق الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية تضمنت النص على أن "ادعاءات وجود روابط تاريخية ودينية لليهود في فلسطين لا تتماشى مع حقائق التاريخ والمفهوم الحقيقي لما تعنيه الدولة، فاليهودية باعتبارها ديناً لا تمثل جنسية مستقلة، كذلك فإن اليهود لا يشكلون أمة واحدة لها هويتها الذاتية، فهم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها"^(٢).

وعلى الرغم من ذلك، فإن مثل هذه التصريحات أو التعريفات المعدة من الخارج لا تنفي الحقيقة التي يرفضها أو يعارضها بعض، والمتمثلة في أن كثيرًا من اليهود، داخل وخارج دولة إسرائيل الحالية، يرون في أنفسهم جزءًا من أمة أو شعب تمثل "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) قلبه، إن لم يكن جسده.

وكما ذكرنا آنفًا، فإننا نستخدم مصطلح الصهاينة للدلالة على شعب (بصفة أساسية ولكن ليس حصريًا يهوديًا) يؤمن ويساند مسعى اليهود لـ "العودة إلى صهيون" من البلاد التي كانوا مشتتين فيها منذ سيطرة الرومان على فلسطين؛ وهذا الطموح الذي ظل في ثبات عميق لقرون خلت، لكن تم الإبقاء عليه حيًا من خلال الشعائر الدينية، بدأ يأخذ شكل تعبير سياسي صريح في منتصف وأواخر القرن التاسع عشر. وعلى مدار نصف القرن الذي تلى ذلك قامت حركة صهيونية موحدة بتوظيف الجهاز التنظيمي للمنظمة الصهيونية العالمية (وصنيعتها الوكالة اليهودية لفلسطين) من أجل تشجيع عملية "تجميع المبعدين" أو هجرة اليهود إلى فلسطين/أرض إسرائيل. وقد مثلت الهجرة جزءًا من جهد أكبر لتشييد البنية التحتية لـ "وطن قومي" مستقبلي على هذه الأرض، والتي انتقلت من الحكم العثماني إلى الحكم الإنجليزي عام ١٩١٧، وكان من المفترض تقسيمه وفق قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧. وعندما غادر البريطانيون فلسطين، في منتصف مايو عام ١٩٤٨، اندلعت حرب ولدت في نهايتها دولة إسرائيل، التجسيد الأكبر للصهيونية، وتم

قبولها عضواً في الأمم المتحدة في مايو ١٩٤٩. ويطلق على مواطني هذه الدولة الإسرائيليين (Israelis) حتى لا يتم الخلط بينهم والإسرائيليت (Israelites) أو بني إسرائيل الوارد ذكرهم في التوراة. وفي أواخر ٢٠٠٧ بلغ عدد سكان الدولة ٧,٢ مليون، ٥,٤٧ مليون يهودي و ١,٤٥ مليون من الفلسطينيين أو المواطنين العرب في دولة إسرائيل.

فمن هم إذن العرب كما سبق أن أوردنا في الفصل الأول، يمكن تعريف العرب على أنهم جماعة عرقية قومية لهم أصول وجذور ثقافية ولغوية؛ ترجع إلى القبائل القديمة في شبه الجزيرة العربية (حالياً السعودية، واليمن، ودول الخليج). وفي الوقت الحاضر يوجد ٢٩٥ مليوناً من العرب يقطنون واحداً وعشرين دولة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تشترك من بينها أربع دول هي: لبنان وسوريا والأردن ومصر في الحدود مع إسرائيل، ويطلق عليها أحياناً صفة "دول المواجهة" في هذا الصراع.

وفضلاً عن هذه الدول المستقلة؛ يوجد شعب فلسطيني - عربي لا يملك (بعد) دولة معترفاً بها دولياً، على الرغم من أن فلسطين معتمدة كعضو وفي جامعة الدول العربية. وفي عام ٢٠٠٦/٢٠٠٧ تم إحصاء ثمانية ملايين فلسطيني وهم موزعون في الإقليم كالتالي:

أ) ١,٤ مليون في غزة (من بينهم مليون مسجلون كلاجئين).

ب) ٢,٥ مليون في الضفة الغربية (من بينهم ٧٦٠ ألفاً مسجلون كلاجئين).

ومعاً يشكل هؤلاء سكان "السلطة الوطنية الفلسطينية" أو "السلطة الفلسطينية" التي لا تزال في عملية انتقال لم تكتمل بعد من وضعية الاحتلال إلى وضعية الدولة المستقلة.

وبالإضافة إلى ذلك يوجد:

ج) ٢,٨٣ مليون لاجئ يقطنون (٣١) مخيمًا في لبنان (٤٢٢ ألفًا) وسوريا (٤٦١ ألفًا) والأردن (١,٩ مليون)، وعدد آخر مبعثر في باقي دول الشرق الأوسط.

د) ١,٤٥ مليون مواطن في دولة إسرائيل، منحرون من الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون في المناطق التي أصبحت الدولة اليهودية عام ١٩٤٨^(٣).

وكما هي الحال بالنسبة إلى رفض العرب إعادة التعريف القومى اليهودى؛ فإنه مهما كان كم الحجج الواردة من خارج العالم العربى والفلسطيني، فإنه لا يمكنه أن يغير من الحقيقة التى قد يجرى الاعتراض عليها أو اعتبارها غير مناسبة، القائلة بأنه مع اضمحلال الإمبراطورية العثمانية أوائل القرن العشرين، كرس عدد متزايد من الناطقين بالعربية فى الشرق الوسط نشاطهم السياسى نحو إنشاء وتأسيس دولة عربية مستقلة أو اتحاد كونفيدرالى للدول فى هذا الإقليم. وحقيقة أن هذه الرؤية للوحدة العربية لم تتحقق على أرض الواقع على مدار قرن تخللته محاولات متقطعة لتحقيقها؛ كان سببًا للإحباط لدى أولئك الذين آمنوا بهذا الحلم العربى القومى.

والأمر ذاته ينطبق على الذين يُعرفون بالفلسطينيين، وكما سنرى فيما بعد؛ فإن هؤلاء العرب الذين عاشوا فى المناطق التى تم وضعها تحت الانتداب البريطانى قاموا تحت قياداتهم المحلية، وفى فترة مبكرة، بتشكيل منظمات وطنية، تمثل هدفها المباشر فى مقاومة الصهيونية وإنشاء دولة عربية مستقلة هناك؛ حيث رأى غالبية السكان الفلسطينيين فى هذه البقعة أنفسهم كجماعة مهددة فى حقوقها وأوضاعها بسبب تدفق المهاجرين اليهود، بل إنهم اعتقدوا أن تزايد أعداد المهاجرين وتنامى البنى التحتية الاقتصادية التى يعملون على توسيعها سيقود فى

نهاية المطاف إلى وقوع بلادهم تحت حكم اليهود أو الصهاينة. وعلى الرغم من الكم الهائل من التشكيك في أصالة وصدقية المخاوف التي عبر عنها الفلسطينيون، وحول تقديمهم لأنفسهم على أنهم شعب لا يرغب في أن تكون له صلة بالسياسات البريطانية المتعلقة بإقامة "وطن قومي لليهود"، فإن ذلك لا يمكنه بأى حال أن يغير من هذه الحقائق.

وأخيراً، فمن المهم التذكير بأن هناك أبعاداً دينية تتصل بكل من العرب واليهود، فمنذ مجيء الرسول محمد وظهور المجتمع (الأمة الإسلامية) في القرن السابع الميلادي وانتشار هذا الدين في أرجاء المعمورة؛ كان أغلب عرب العالم يمارسون الإسلام، وتوجد تجمعات مسيحية مقيمة منذ القدم في لبنان، مصر، سوريا، العراق، الأردن، لكن التاريخ والثقافة والقيم والهوية الإسلامية أصبحت جزءاً لا يتجزأ من العروبة والعرب الذين يعيشون في هذه المجتمعات، أما أعداد المسلمين فقد امتدت وراء العالم العربي وصارت تربو على ١,٢ مليار نسمة.

وتضفي حقيقة أن الخصوم في هذا الصراع هم كذلك مسلمون ومسيحيون ويهود؛ المزيد من التعقيدات فيما يتصل بعملية تحديد وتعريف أطرافه، فعلى الرغم من أن نسباً متفاوتة في كل من هذه المجتمعات قد صارت من العلمانيين، ما زال عدد لا يستهان به ممن يُصرون على تقديم أنفسهم على أساس معتقداتهم الدينية، وفي عقل هذه الشعوب فإن ما تتعامل معه باعتباره الصراع العربي-الإسرائيلي أو الإسرائيلي-الفلسطيني هو جزء من صدام أوسع بين حضارات ومجموعات دينية. فالأصوليون المسيحيون والمسلمون واليهود على السواء يميلون إلى النظر إلى صراع السيادة والسيطرة على الأرض المقدسة، كجزء من حرب أكثر عمقاً واتساعاً بين الشعب المختار (أيا كان تعريفه) أو المؤمنين وأهل العقيدة من جانب، وأولئك الذين يكرههم الرب (أيا كان تعريفهم) أو غير المؤمنين ومن لا عقيدة لهم من جانب آخر.

إن هذا البعد الدينى للتنازع على فلسطين- إسرائيل؛ يظهر بشكل دورى فى الفترات التى يُمارس فيها العنف تحت ستار الحماية من التهديدات والمخاطر المتصورة على الأماكن المقدسة على النحو الذى حدث عام ١٩٢٨-١٩٢٩ (انظر الفصل الرابع)، كذلك جرى استحضار الأساطير المتضاربة والمتصلة بالمدينة المقدسة (القدس) للإسهام فى الصراع، كما كانت عليها الحال مؤخرًا عام ٢٠٠٠ لنسف المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، وإطلاق العنف فيما عرف بـ "انتفاضة الأقصى" التى أخذت اسمها من المسجد الأقصى. ولا جدال فى أن هذا البعد من شأنه أن يُثير العواطف ويُجيشها فى أى وقت، ويعى معظم الأطراف تمامًا مخاطر إثارة هذه الحساسيات الدينية العميقة.

وحتى إن لم نتقبل هذه الرؤية المأساوية للصراع، فإن هناك أبعادًا مهمة لاستحضار البعد الدينى فيما سنتناوله فى الصفحات التالية كصدام بين حركتين قوميتين متنافستين، فوجود مثل هذا البعد يُفاقم ويزيد من مرارة صراع معقد أصلاً؛ حيث يضيف لمسة تتصل بالحق مصحوبة بيقين فى حتمية النصر النهائى على الأعداء. وفى سياق الحياة البشرية، تأتى مثل هذه الرؤى الغيبية لتُطيل من أمد الصراع وتجعله أكثر استعصاء على التسوية؛ حيث يتم انتزاع الصفة البشرية عن العدو وإفقاده للشرعية، من خلال إعطاء الآمال لأولئك الراضين بشكل مستمر للبحث عن حل وسط مع الطرف الآخر، وبذل الوعود بمكافأة أولئك الذين يرتكبون أعمال العنف والانتقام تنفيذاً للتعاليم الإلهية. وفى الحقيقة، وكما رأينا فى السنوات الأخيرة، فإن الانصهار بين القومية والدين قد ولد تياراً ضخماً من المثاليين المستعدين لإيذاء العدو (بما فى ذلك الاستشهاديين) تحت قيادة مبشرين مفرطى الحماسة، حتى إن كان ذلك يتناقض مع التعليمات التى تنهى عن العنف والمتضمنة فى جوهر المعتقدات الدينية^(٤).

ما القضايا الأساسية موضع الخلاف بين أطراف الصراع؟

من المفيد التمييز بين القضايا الملموسة وتلك غير الملموسة في الصراع، وتحت الطائفة الأولى ندرج المسائل المعروفة والملموسة التى يتنازع حولها الأطراف، أما المجموعة الثانية فتشمل الجوانب النفسية والوجودية التى تعكسها الروايات التاريخية المتضاربة التى يقدمها كل طرف. وعلى الرغم من أن القضايا الملموسة موضع الصراع بين العرب/الفلسطينيين والصهاينة/الإسرائيليين، سيتم التعرض لها من خلال السياق التاريخى فى القسم الثانى من هذا الكتاب، فإثناء، وبغرض التقديم، نلخصها تحت ثلاثة عناوين رئيسية:

(١) السيادة على الأرض.

(٢) السكان وشراء الأراضي والهجرة.

(٣) الحدود.

١ - السيادة على الأرض:

يدعى كلا الطرفين الملكية الأصلية للأرض ذاتها، بما يعنيه ذلك من الحق فى الإقامة وممارسة السيادة عليها (الحق القومى فى تقرير المصير)، حتى إن كانت الحدود الفعلية للإقليم المتنازع عليه (انظر: النقطة الثالثة فيما بعد يكتنفها الغموض إلى حد ما، فعلى الرغم من أن عديدًا من الممالك الإسرائيلية قام فى القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد، فإن المنطقة خضعت على مدار قرون عديدة لسيطرة إمبراطوريات مختلفة^(٥))، ولم يتواجد كيان سياسى مستقل تحت مسمى "فلسطين" فى الفترة الممتدة من العصور القديمة إلى بدايات القرن العشرين، وحتى كوحدة إدارية^(٦) فإنها لم توجد قبل مجيء البريطانيين فى نهاية الحرب العالمية الأولى، وفى ضوء عدم توافر خيار أفضل، عرّفت منظمة التحرير الفلسطينية،

بشكل رسمي فلسطين بأنها الإقليم المتضمن داخل الحدود التي تم وضعها تحت الانتداب البريطاني منذ عام ١٩٢٢^(٧). ومن جانبهم، يعرف المَدينون الصهاينة حدود "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) وفقاً للمصادر الإنجيلية (انظر الفصل الأول)، في حين قدمت المنظمة الصهيونية عام ١٩١٩ خريطة تقترح وطناً قومياً لليهود^(٨) داخل فلسطين تمتد حدودها شمالاً وشرقاً لما يتجاوز تلك التي حددتها بريطانيا لاحقاً لمشروع الوطن القومي اليهودي. وعلى الرغم من هذا اللبس، فقد استهدف كل من العرب والصهاينة، بدءاً من عام ١٩٢٠، بسط السيادة على ذات الإقليم الواقع أساساً غرب نهر الأردن والواقع تحت الانتداب حتى عام ١٩٤٨.

وفضلاً عن الغموض الذي يكتنف دقة الحدود، فإنه من بين النقاط التي يختلف عليها الطرفان بشكل حاد تلك المتصلة بتحديد "لمن الأرض الموعودة"؟ الأمر الذي يعود بنا بالضرورة إلى الوراء للتاريخ القديم، وهو ما سيتم تناوله في الفصل الثالث باعتباره أول نقطة في سلسلة من إحدى عشرة مقولة جوهرية مثيرة للجدال تُشكل في مجملها التواريخ المتضاربة بين العرب والفلسطينيين واليهود والإسرائيليين. ويتصل بهذا سؤال آخر هو: "لمن هذه الأرض بالفعل؟"، فاستناداً إلى حقيقة الإقامة المستمرة وصفة الأغلبية منذ العصور القديمة، مثل: المسلمون والمسيحيون أغلبية السكان الأصليين إبان وصول الموجات الأولى للمستوطنين والصهاينة في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وظهر في ذلك الوقت الإقليم المتنازع عليه على الخرائط كأقضية تتبع الإمبراطورية العثمانية^(٩)، واستمر الوضع على حاله حتى عام ١٩١٧ عندما وصل البريطانيون وصدر إعلان بلفور الذي وعد بتأييد إنشاء "وطن قومي لليهود في فلسطين". وقد أسفر هذا التطور عن منح امتيازات خاصة لأقلية من سكان البلاد، الأمر الذي جعل من الإعلان (بلفور) تاريخياً من زوايا متعددة، ونثر بذور صراع في المستقبل (انظر الفصل الرابع).



مناطق أدخلتها بريطانيا العظمى في فلسطين تحت الانتداب بوصفها إمارة شرق الأردن ذات الحكم الذاتي.

الخريطة (١-٢) فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ١٩٢٣.

وعندما عبرت بريطانيا عن رغبتها في التخلي عن الانتداب، بعد مرور ثلاثين عامًا على ذلك، أقرت منظمة الأمم المتحدة الوليدة تقرير اللجنة الخاصة لفلسطين والذي قضى بتقسيم البلاد إلى دولة لليهود وأخرى للعرب مع وضع خاص لمدينة القدس، الأمر الذي رفضه العرب الفلسطينيون وزعماء الدول العربية، ليس فقط لعدم رضائهم عن الحدود المقترحة لمشروع الدولة العربية؛ ولكن أيضًا لأنهم لم يعترفوا بمشروعية إصدار الأمم المتحدة لقرار يتعارض مع رغبات أغلبية سكان البلاد، وكان من نتائج القتال الذي أعقب ذلك (١٩٤٧/١٩٤٩) إنشاء دولة إسرائيل المستقلة، في حين تم إلحاق أجزاء أخرى من فلسطين تحت الانتداب بكل من الأردن (الضفة الغربية) ومصر (قطاع غزة).

وهكذا، فإن الأمر تعلق بشعبين تنازعا حق تقرير المصير القومي على إقليم واحد، تمكن أحدهما (يسمى الإسرائيليون)، على النحو الذي أوضحناه، من تأسيس دولته القومية مع حلول عام ١٩٤٩، في حين تدور القضية العالقة وموضع الجدل حول معرفة ما إذا كان الشعب الآخر (الفلسطينيون) سيمارس سيادته على الأجزاء المخصصة (أو جميع الأراضي) التي يرون فيها وطنهم الأصلي.

٢) السكان وشراء الأراضي والهجرة^(١٠):

تعتبر الموضوعات المتصلة بالسكان وشراء الأراضي والهجرة في هذا الصدد مترابطة، فالسيادة وترسيم الحدود بين الدول القومية الحديثة تقومان على أساس مبدأ احترام إرادة الأغلبية العرقية واللغوية و/أو التجمعات الدينية التي تقطن رقعة أرض معينة. وفي حالة أقضية الإمبراطورية العثمانية، التي أضحت فيما بعد فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ضمت أغلبية ساحقة من العرب المسلمين خلال معظم فترات للتاريخ الحديث حتى عام ١٩٤٨. (انظر الجدول رقم ٢-٢ لأنه).

وعلى الجانب الآخر، مثل كل من الهجرة اليهودية وشراء الأراضي وإنشاء المستوطنات جوهر وأساس "الصهيونية العملية" التي استهدفت خلق حقائق جديدة على الأرض، وبعبارة أخرى فرض وجود كتلة ضخمة من اليهود تعمل في

الأرض- كشروط ضرورية لإنشاء دولة يهودية فى المناطق التى عرفها الشعب اليهودى على أنها له. ومن الناحية النظرية؛ فإن توفير أغلبية يهودية عن طريق الهجرة المستمرة، والمسماة بالعبرية "أليا" *aliya*، وشراء الأراضى كان من شأنه أن يسفر عن خلق حقائى جديدة على الأرض سواء كان ذلك سكانيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، ليوفر شروط إنشاء الدولة اليهودية فى النهاية على الأرض.

وتجدر الإشارة إلى أن قلة قليلة جدا من المراقبين البريطانيين والصهاينة قد تنبأت- منذ البداية- بعقبات يصعب التغلب عليها نتيجة معارضة العرب الفلسطينيين، الذين كان مقدرًا لهم، وفقا لهذه الخطة، الانتقال من وضعية الأغلبية إلى الأقلية، مع مثل هذه التحركات^(١١)، وكما أبلغ "حاييم وايزمان" وزير الخارجية الأمريكى فى مؤتمر فرساي للسلام فى فبراير ١٩١٧؛ فإن الصهاينة يريدون إنشاء إدارة فى فلسطين "ستتبع من الظروف الواقعية فى البلاد، وترعى دائما مصالح غير اليهود هناك، على أمل أن تؤدى الهجرة اليهودية إلى أن تصبح فلسطين يهودية كما هى الحال فى بريطانيا الإنجليزية"^(١٢)، وبالنسبة إلى تنفق الهجرة إلى فلسطين فقد اتسم بالضعف فى بعض السنوات والكثافة فى بعض آخر. (انظر جدول رقم ١-٢)

وكان من شأن الزيادة الضخمة فى أعداد المهاجرين اليهود من ألمانيا فى الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٥؛ أن تزيد من مخاوف الفلسطينيين بقرب موعد تفوق اليهود عدديا عليهم. وعلى الرغم من أن ذلك كان بالفعل هو الهدف المنشود، فإنه من المثير للاهتمام الإشارة إلى أن عددا محدودا من القادة الصهاينة بدأ يشكك فى إمكانية تحقيق وتنفيذ البرنامج السلمى التدريجى لإعادة التشكيل الديموغرافى فى فلسطين من خلال الهجرة؛ وفى هذا الصدد تشير إلى ما خلص إليه الدكتور "حاييم أورلوسوروف"، وهو من قادة الصهيونية العمالية، من أن هدف تحويل الأغلبية

العربية إلى أقلية من خلال الأساليب التدريجية ربما يكون صعب المنال دون اللجوء إلى العنف^(١٣). كذلك ذهبت قلة أخرى، خلال الثلاثينيات، إلى الاعتقاد بأن تحقيق الحلم الصهيوني المتصل بإقامة دولة يهودية في المنطقة قد لا يتحقق؛ مما قد يتطلب حلاً تستند إلى صيغ أخرى من قبل الدولة ذات القوميتين، أو الكانتونات أو الترتيبات الفيدرالية^(١٤).

ويوضح الجدول (٢-٢) أرقام الهجرة اليهودية السنوية المسجلة وتأثيرها في التوازن السكاني بين العرب واليهود.

جدول (٢-٢) الهجرة اليهودية إلى فلسطين (سنوات مختارة من قبل إدارة الانتداب البريطاني).

العالم	الهجرة الوافدة	الهجرة الخارجة	صافي المهاجرين
١٩٢٢	٧٨٤٤	١٥٠٣	٦٣٤١
١٩٢٤	١٢,٨٥٦	٢٠٧٣	١٠,٧٨٣
١٩٢٥	٣٣,٨٠١	٢١٥١	٢٩,٦٥٠
١٩٢٧	٢٧١٣	٥٠٧١	٣٣٥٨-
١٩٢٨	٢١٧٨	٢١٦٨	١٠
١٩٢٩	٥٢٤٩	١٧٤٦	٣٥٠٣
١٩٣٢	٩٥٥٣	لا يوجد	
١٩٣٣	٣٠,٣٢٧		

		٤٢,٧٥٧	١٩٣٤
٦١,٤٥٨	٣٩٦	٦١,٨٥٤	١٩٣٥
٢٨,٩٥٤	٧٧٣	٢٩,٧٢٧	١٩٣٦
٩٦٤٧	٨٨٩	١٠,٥٣٦	١٩٣٧
١٥,٣٨٦	١٠١٩	١٦,٤٠٥	١٩٣٩
	لا يوجد	٤٥٤٧	١٩٤٠
	لا يوجد	٨٥٠٧	١٩٤٣
	لا يوجد	١٤,٤٦٤	١٩٤٤
	لا يوجد	١٢,٧٥١	١٩٤٥
	لا يوجد	٧٨٥١	١٩٤٦
	لا يوجد	لا يوجد	١٩٤٧

المصدر: الكتاب الأزرق لفلسطين (لندن)، متابعة فلسطين، الجزء

الأول (ص: ١٨٥)، الجزء الثاني (ص: ١٧).

الأرقام الموضحة عاليه منقولة عن التقديرات البريطانية للهجرة الشرعية، أما فيما يخص الهجرة اليهودية غير الشرعية فتذهب التقديرات البريطانية إلى أنها بين ٣٠٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ في الفترة قبل أبريل ١٩٣٩، بالإضافة إلى ما يتراوح بين ٣٠٠٠٠ و ٣٥٠٠٠ بين أبريل ١٩٣٩ حتى ديسمبر ١٩٤٦، انظر: متابعة فلسطين، الجزء الثالث (ص: ٢٣).

وطبقاً لمصادر إسرائيلية مختلفة؛ فإن عدد المهاجرين عام ١٩٤٦ يجب أن يكون ١٧,٧٦٠ أو ١٨,٧٦٠، أما عام ١٩٤٧؛ فإنه يتراوح بين ٢١,٥٤٢ و ٢٢,٠٩٨.

وبحلول عام ١٩٤٧؛ تراوح تعداد اليهود بين ٦٠٠ ألف و ٦٥٠ ألفاً؛ بما يمثل عشرة أضعاف عددهم الإجمالي قبيل الحرب العالمية الأولى، وأضحت المستوطنات تشكل كتلاً ضخمة يصعب تجاهلها، ومن جانبهم شكل العرب تضاعف عددهم (وإن كان ذلك بشكل أقل من معدل زيادة اليهود) إذ يمثلون أغلبية ثلثي عدد السكان (مليون وثلاثمئة ألف خلال العقود الثلاثة) في الوقت الذي كانت فيه الأمم المتحدة مدعوة لتوصي بخطة تتعلق بمستقبل الأراضي المتنازع عليها. وعلى الرغم من انتهاء حرب ١٩٤٨/١٩٤٩ بإنشاء دولة إسرائيل، فقد استمرت "المعركة الديموغرافية" وإن كان ذلك بأشكال مختلفة.

العام	إجمالي السكان بما في ذلك البدو	العرب	اليهود	الهجرة اليهودية	نسبة اليهود من إجمالي السكان
١٩٣٠	٩٩٢,٥٥٩	٨١٨,١٣٥	١٦٤,٧٩٦	٤٩٤٤	%١٦,٦
١٩٣١	١,٠٣٣,٣١٤	٨٤٨,٦٠٧	١٧٤,٦٠٦	٤٠٧٥	%١٦,٩
١٩٣٢	١,٠٧٣,٨٢٧	٨٧١,٣٢٣	١٩٢,١٣٧	٩٥٥٣	%١٧,٩
١٩٣٣	١,١٤٠,٩٤١	٨٩٥,٢٩٧	٢٣٤,٩٦٧	٣٠,٣٢٧	%٢٠,٦
١٩٣٤	١,٢١٠,٥٥٤	٩١٦,٧٨٦	٢٨٢,٩٧٥	٤٢,٣٥٨	%٢٣,٤
١٩٣٥	١,٣٠٨,١١٢	٩٤١,٩٢٤	٣٥٥,١٥٧	٦١,٨٥٤	%٢٧,٢
١٩٣٦	١,٣٦٦,٦٩٢	٩٧١,٢٣٤	٣٨٤,٠٧٨	٢٩,٧٢٧	%٢٨,١

١٩٣٧	١,٤٠١,٧٩٤	٩٩٤,٣١٥	٣٩٥,٨٣٦	١٠,٥٣٦	%٢٨,٢
١٩٣٨	١,٤٣٥,٢٨٥	١,٠١٢,٢٢٤	٤١١,٢٢٢	١٢,٨٦٨	%٢٨,٧
١٩٣٩	١,٥٠١,٦٩٨	١,٠٤٤,٠٩١	٤٤٥,٤٥٧	١٦,٤٠٥	%٢٩,٧
١٩٤٠	١,٥٤٤,٥٣٠	١,٠٦٨,٤٣٣	٤٦٣,٥٣٥	٤٥٤٧	%٣٠,٠
١٩٤١	١,٥٨٥,٥٠٠	١,٠٩٨,٥١٧	٤٧٤,١٠٢	٣٦٤٧	%٢٩,٩
١٩٤٢	١,٦٢٠,٠٠٥	١,١٢٢,٤٧٦	٤٨٤,٤٠٨	٢١٩٤	%٢٩,٩
١٩٤٣	١,٦٧٦,٥٧١	١,١٥٩,٩٩٦	٥٠٢,٩١٢	٨٥٠٧	%٣٠,٠
١٩٤٤	١,٧٦٤,٥٢٢	١,١٩٦,٨٢٤	٥٥٣,٦٠٠	١٤,٤٦٤	%٣١,٤
١٩٤٥	١,٨٣٤,٩٣٥	١,٢٤٠,٨٥٠	٥٧٩,٢٢٧	١٢,٧٥١	%٣١,٦
١٩٤٦	١,٩١٢,١١٢	١,٢٨٨,٣٩٩	٦٠٨,٢٢٥	٧٨٥١	%٣١,٨

هذا الجدول تم استخلاصه من: جداول "سكان فلسطين وفقاً للديانة" وأعداد المهاجرون سنوياً وفقاً للجنس" في "مراجعة فلسطين" ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ للعرض على لجنة الاستقصاء الأمريكية-البريطانية، لندن، وزارة الداخلية، عام ١٩٤٦، إعادة طباعة من قبل معهد الدراسات الفلسطينية، عام ١٩٩١، الجزء الأول (ص: ١٨٥)، وتمت مراجعته (١٩٤٤ - ١٩٤٦) في ملحق الجزء الثالث (ص: ١٠-١١-١٧).

وبالنظر إلى أن الهجرة ظلت المحرك الرئيسي لزيادة السكان اليهود، فإن النزوح للخارج، أثناء الحرب وبعدها من الأرض المتنازع عليها؛ حيث إن عدداً كبيراً من الفلسطينيين تركوا أراضيهم وصاروا في عداد المبعدين (وادعى بعضهم أن ذلك كان نتاجاً للتطهير العرقي (انظر: الفصلين ٦ و ١١) ليصبحوا لاجئين، وإزاء هذه الوضعية طالبوا بالحق في العودة أو التعويض عن منازلهم التي أجبروا

على تركها خلال المعارك، وهو المطلب الذى تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها رقم ١٩٤ فى ديسمبر ١٩٤٨^(١٥)، وعلى مدار السنوات التالية تزايد عدد هؤلاء المسجلين لدى وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين من ٧٦٠ ألفاً عام ١٩٤٩ ليربو حالياً على ٤,٦ مليون، بالإضافة إلى ما يقارب ٢,٥ مليون من اللاجئين غير المسجلين^(١٦) لدى الوكالة، وتمثل وضعية هؤلاء اللاجئين والتساؤلات المتصلة بها خاصة تحديد عدد من سيسمح لهم بالعودة للعيش فى إسرائيل، وأولئك الذين ستكون عودتهم إلى المناطق الفلسطينية، فضلاً عن عدد الذين سيتم تعويضهم أو توطيئهم فى أماكن أخرى، يمثل كل ذلك عنصراً أساسياً فى أى مفاوضات مستقبلية من أجل اتفاق نهائى إسرائيلى- فلسطينى، وتسوية شاملة بين إسرائيل والدول العربية؛ حيث يعيش أغلب اللاجئين الفلسطينيين فى معسكرات تديرها منظمة الأونروا التابعة للأمم المتحدة.

وعلى صعيد آخر، تم تشجيع النمو المضطرد لسكان إسرائيل من اليهود من خلال حث يهود الشتات على الهجرة والانتقال للإقامة فى الدولة اليهودية؛ وقد حدثت موجة هجرة قوية ومفاجئة فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥١، نتيجة وصول اليهود الذين تم طردهم أو أولئك الذين فروا نتيجة الشعور بالخوف من كل من العراق واليمن وغيرهما من الدول العربية، ما أدى إلى ضخ ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ لاجئ-مهاجر فى عدد اليهود فى فلسطين الذى تضاعف من ٧٦ ألفاً إلى ١,٤ مليون عام ١٩٥١^(١٧). وعلى الرغم من أن النذر القليل من بين هؤلاء يفكر فى العودة إلى ديارهم القديمة، فإن المفاوضين الإسرائيليين شرعوا فى طرح مطالبات بالتعويض عن الممتلكات التى تم تركها أو مصادرتها والتى تعود إلى أولئك اليهود المتحدثين بالعربية، كعنصر يلزم بحثه (فى مواجهة مطالب اللاجئين الفلسطينيين تجاه دولة إسرائيل) فى أى مفاوضات تهدف لتحقيق تسوية شاملة^(١٨).

وفضلاً عن ذلك، تلزم الإشارة إلى وجود تيار ديموغرافي آخر كامن، يتمثل في النمو المستمر، من خلال الزيادة الطبيعية للأقلية العربية- الفلسطينية داخل حدود إسرائيل، وحقيقة الأمر فإن مجرد تواجدهم في داخل الدولة يشكل تحدياً لإعلان قيام دولة ذات صبغة يهودية، وفي الوقت ذاته يمثل اختباراً لتعهدات إسرائيل بتحقيق المساواة بين جميع مواطنيها والمنصوص عليها في إعلان الاستقلال. ف منذ عام ١٩٤٨؛ تراوحت نسبة الأقلية الفلسطينية بين ١٥ و ٢٠% من جملة سكان إسرائيل، وينظر إليها بعض القوميين اليهود الإسرائيليين باعتبارها مصدر تهديد للجوهر الصهيوني للدولة؛ كما تثار الشكوك بين الإسرائيليين حول مدى ولاء المواطنين العرب داخل الدولة والذين زاد عددهم ليزبو على ١,٤ مليون من ٧,٢ مليون عام ٢٠٠٨^(١٩).

وتمتد الاعتبارات الديموغرافية خارج حدود إسرائيل لتشمل الأوضاع في الضفة الغربية (يهود أو السامرة) وقطاع غزة، فمع احتلال إسرائيل لهما خلال حرب يونيو ١٩٦٧، تزايد عدد الفلسطينيين العرب تحت الحكم الإسرائيلي ليقتفز من ٣٥٠ ألفاً إلى ما يناهز المليون، وقد مضت عقود عدة دون إعادة هذه الأراضي، كلياً أو جزئياً، لمصر والأردن أو إخضاعها للحكم الذاتي الفلسطيني في إطار اتفاق سلام، ومنذ عام ١٩٦٧ قام مئات الآلاف من يهود إسرائيل، في خرق صارخ لاتفاقية جنيف الرابعة^(٢٠) (انظر: الفصل السابع) بتأسيس ضواحي ومستوطنات هذه الأراضي المحتلة منذ حرب ١٩٦٧. وعلى الرغم من أن أجزاء من هذه المناطق تم وضعها، بعد عام ١٩٩٣، تحت سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني، وأعيد انتشار القوات الإسرائيلية، فإن مستقبل العديد من المستوطنات الإسرائيلية هناك لا يزال في حاجة إلى قرار، وفضلاً عن ذلك، فإنه نتيجة لتزايد حدة الهجمات الإرهابية على المدنيين الإسرائيليين، أقدم جيش الدفاع الإسرائيلي، في

ربيع ٢٠٠٢، على إعادة احتلال أجزاء كبيرة من الضفة الغربية. وعلى الرغم من أن إسرائيل قامت في صيف ٢٠٠٥ بإجلاء ما بين ثمانية وتسعة آلاف مستوطن كانوا يقطنون ٢١ مستعمرة في قطاع غزة، تاركة ١,٤ مليون فلسطيني يحكمون أنفسهم، فإنهم عام ٢٠٠٨ أصبحوا خاضعين للحصار من قبل القوات الإسرائيلية. أما فيما يتصل بالضفة الغربية؛ فإنها شهدت عام ٢٠٠٨ وجود ٢,٤ مليون فلسطيني يعيشون جنباً إلى جنب مع المستوطنين في ١٢٥ مستعمرة والبالغ عددهم ٢٨٠ ألفاً (٤٩٠ ألفاً بما فيها الضواحي اليهودية للقدس منذ عام ١٩٦٧)^(٢١).

وإذا كانت قلة من الإسرائيليين تعتقد أن جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧؛ يجب أن تظل تحت السيطرة الإسرائيلية، سواء لأسباب أمنية (غياب السلام وعدم الثقة في العدو) أو لأسباب توراتية، فإن العديد من الإسرائيليين يعارضون فكرة الضم، بهدف تجنب إمكانية التحول لأقلية يهودية بين أغلبية فلسطينية عربية وفقاً للبعض، أو للتخلص من أعباء السيطرة والإدارة لمناطق محتلة يقطنها سكان حائقون من وجهة نظر بعض آخر.

(٣) الحدود:

ترتبط كل من السيادة والمكون السكاني بشكل لا ينفصل عن قضية أين يتم ترسيم الحدود، وبشكل ما فإنه منذ عام ١٩٤٨، بدا وكأن إسرائيل والعرب، وبدرجة أقل الفلسطينيين والإسرائيليين يمكن النظر إليهم على أنهم يتقاتلون حول الحدود، فالمواجهات العسكرية خلال الحرب الفلسطينية الأولى ١٩٤٧/١٩٤٩ جرى إنهاؤها عبر أربع اتفاقات للهدنة بين إسرائيل ومصر (فبراير ١٩٤٩)، ومع الأردن (مايو ١٩٤٩)، ولبنان (يوليو ١٩٤٩)، وسوريا (يوليو ١٩٤٩)، فإن هذه الاتفاقات لم تتحول إلى اتفاقات حددت بشكل مؤقت خطوط وقف إطلاق النار بين

مُتَحَارِبِينَ، دامت لعدة عقود، عوضاً عن حدود مُتَّفَقٍ عليها ومُعترف بها دولياً. وقد بات هذا "العمل غير المكتمل" المتصل بالحدود غداة حرب ١٩٤٨ أحد الأسباب فيما وقع لاحقاً من خروقات وغارات، بلغت ذروتها باندلاع حروب كبرى في أكتوبر ١٩٥٦ (إسرائيل ضد مصر) ويونيو ١٩٦٧ (إسرائيل ضد مصر والأردن وسوريا) وأكتوبر ١٩٧٣ (مصر وسوريا ضد إسرائيل). وعلى الرغم من أن الاتفاقات التي تم توقيعها عامي ١٩٧٩ و ١٩٩٤ قد سوت موضوع الحدود بين إسرائيل ومصر والأردن، فما زالت توجد حدود متنازع عليها يلزم التعامل لدى جلوس كل من إسرائيل وسوريا ولبنان للتفاوض حول اتفاقات سلام.

ومنذ عام ١٩٩٣، أضحت قضايا الحدود جزءاً من المأزق الإسرائيلي-اللسطيني، في وقت كان من المفترض فيه أن يقوم الطرفان بتنفيذ الاتفاقات المؤقتة لانسحاب إسرائيل من أراضٍ محتلة ١٩٦٧ والانتقال إلى حكم ذاتي فلسطيني على أقاليم جرى تحديدها كنواة لدولة فلسطينية مستقلة في المستقبل. ووفقاً لإطار السلام الفلسطيني-الإسرائيلي الذي تم الاتفاق عليه في أوسلو عام ١٩٩٣ شكلت مسألة الحدود إحدى قضايا "الوضع النهائي" التي يجب تسويتها على طريق تنفيذ حل الدولتين، وقد كان موضوع رسم الحدود بين إسرائيل ودولة فلسطين المستقبلية موضع بحث ونقاش في المفاوضات التي لم تكتمل في كامب ديفيد وطابا عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠١.

الروايات المتنافسة.. الحق في مواجهة الحق، والضحية في مواجهة الضحية:

بشكل عام؛ فإن الادعاءات والادعاءات المضادة، على النحو الذي أبرزناه في القسم السابق، تتميز بالقدرة على بحثها من زاوية المصالح التي من الممكن التوصل لحلول وسط حولها في إطار الديناميكيات التقليدية للمواقف التفاوضية، أما

بالنسبة إلى الموضوعات غير المادية التي تضم الأبعاد السيكلوجية، الأساطير، الصور النمطية، والروايات المتناقضة^(٢٢) فهي جميعاً تنتمى إلى طائفة أخرى؛ حيث إن هذه الموضوعات ذات الطبيعة الوجودية تتضمن إشباع مطالب حقوق مطلوبة أو تصحيح لدعاوى عدم العدالة، أكثر من كونها تتصل بأشياء ملموسة يمكن، على الأقل نظرياً، تسويتها من خلال التقاسم أو التعويض أو المبادلة أو الصياغات الماهرة، وكما سنوضح في الفصل الثامن عشر، فإن مثل هذه الموضوعات هي الأكثر صعوبة في حلها.

ويبرز التمييز بين المصالح التي يمكن التفاوض حولها والحقوق التي لا يمكن التفاوض بشأنها - بشكل واضح - في السيرة الذاتية للأكاديمي الفلسطيني، والناشط خلال فترة ما، ساري نسيبة؛ حيث تضمن النص على ما يلي: "إن الحقوق الأساسية الخاصة بنا - حق اليهود التاريخي في أرض الأجداد، وحق الفلسطينيين في بلد تمت سرقة منهم - هي حقوق متصارعة بشكل جوهري، وتلغى كل منها الأخرى. وبقدر ما يطالب كل طرف بالعدالة التاريخية، بقدر ما تتضاءل الخدمة للمصالح الوطنية الحقيقية، بشكل تقع فيه العدالة في صراع مع المصالح"^(٢٣). وجاءت المؤرخة نتاشا جيل لتدعم من هذه الفكرة مُحذرة من أنه: "في مكان التفاوض؛ فإن الإصرار على الحقوق والاعتراف والتوفيق لا يفضي إلى أي نتيجة، بل إنه أضحى أداة للتصلب ورمزاً للقضايا التي توقع بعملية السلام على ركبتيها"، وتضيف المؤرخة: "إن الحقوق تمثل جزءاً من صراع لم تتم تسويته على التاريخ، وسيتم استدعاؤها على الدوام، أما الاعتراف فإنه لا يأتي أبداً بالشكل الذي يطلبه كل طرف"، وفيما يتصل بالمصالحة تشير الكاتبة بطريقة حكيمة إلى أنها "ستكون النتيجة وليس السبب في تحقيق السلام"^(٢٤)، فالسلام يتم بناؤه بالضرورة على المصالح والحلول الوسط.

وتفرض الحاجة إلى فهم مدى عمق واستمرارية الصراع لفترة طويلة؛ تركيز الاهتمام على الأساطير والرموز والصور النمطية أكثر من الحقائق الموضوعية المزعومة، وهو ما سيكون موضع الدراسة في الفصل الحادي عشر الذي سيتعرض لقضايا التحيز والموضوعية وأثرهما في تناول المؤرخين للصراع؛ حيث سنلاحظ كيف أن كل طرف يقوم بتفسير تفاصيل خبرته التاريخية بما يؤكد مشاعره العميقة بالظلم الواقع عليه كضحية للطرف الآخر، الأمر الذي أوضحه بحق (بينى موريس) في استعراضه التاريخي للصراع منذ ١٩٨١ بتقديمه لكل طرف على أنه يؤمن بعمق بأنه ضحية عدوانية الطرف الآخر ونواياه الشريرة^(٢٥).

وفي الفصل الثاني سيتم استعراض تاريخ الصراع خلال مراحل المختلفة بشكل يذكرنا بكيفية تأثير مثل هذه المدركات المتوازية لدى الطرفين والمتصلة بمظاهر التعبير عن الشعور بأن كلا منهما ضحية للآخر، وحقيقة الأمر فإن مثل هذه المدركات تشكل ربما أكثر العقبات صعوبة أمام قدرة كل طرف على الانخراط في المفاوضات؛ وقدرته على الاعتراف بشريعة وحقوق الطبيعة الإنسانية للطرف الآخر.

طرق تصور الصراع:

يقدم المؤرخون وعلماء السياسة مقترحات متعددة لكيفية النظر للصراع، ولعل من بين أكثرها شيوعاً هو ذلك المتصل بالمقرب الخطي، وبعبارة أخرى التعامل من منطلق خط زمني بدءاً من تاريخ محدد متفق عليه أو نقاط تحول مهمة (بعضها يمثل محددات لمراحل زمنية)، ويسمح هذا المقرب بالإضافة، سواء تعلق الأمر بلاعبين جدد ومستويات إضافية من التعقيد، فرضت نفسها على نزاع بدأ

بسيطاً في أبعاده^(٢٦). ويذهب بعض المؤرخين وعلماء السياسة لتصوير الصراع كنمط يمر بحلقات متتابعة: تقبّح وتفاقم المظالم - تبلور التوترات - اندلاع الحروب - انتهاء الحروب بشكل مؤقت دون تسوية للأسباب الحقيقية للصراع، لتبدأ حلقة جديدة من المظالم والشكاوى الجديدة وما يعقبها من توترات تمهد الطريق لاندلاع جولة جديدة من القتال، وكلما زادت دائرة الحلقة كان ذلك دليلاً على التصعيد في العنف وإدخال مكونات أو لاعبين أو مستويات جديدة من التعقيد لم تكن موجودة من قبل في المرحلة الأولى للصراع. ومؤخراً تم طرح مقترح اللولب المزدوج الذي يظهر تركيز المتصارعين على تصفية حساباتهم الماضية بشكل يغذى ويُحدد مسار عملية مستمرة وفقاً لمنطق ضربة مقابل أخرى، وفي هذا الصدد يذهب "روبرت أ. روتبرغ" إلى القول بأن "الفلسطينيين والإسرائيليين منحصران معا في شرك صراع مُحكم، تغطيه تعقيدات تاريخية متصاعدة وعدم اتفاق جوهري ويغلب عليه سوء إدراك للدوافع"^(٢٧).

ومن بين الطرق التي يمكن اللجوء إليها لتقييم التغيرات في شكل الصراع، تتبعه من وجهة نظر تركز على العامل الجغرافي مع مرور الوقت، وذلك من خلال عرض ومناقشة سلسلة من الخرائط الجغرافية المتغيرة، فكما تم إيضاحه في الجزء الأول شكّل التغيير في التوازن الديموغرافي ونموذج تملك اليهود للأراضي واستقرارهم فيها عاملاً رئيسياً في الفترة التي سبقت عام ١٩٤٨، الأمر الذي يمكن إبرازه بخرائط تبرز إما خسائر الفلسطينيين وإما إنجازات الصهاينة^(٢٨)، كما أن الحدود المتغيرة لفلسطين وإسرائيل يُمكن كذلك متابعتها من خلال الخرائط التي أعيد رسمها في أعقاب الحروب (١٩٤٧ - ١٩٤٩ و ١٩٦٧ - ١٩٧٣) والاتفاقات في عام ١٩٧٩ (المعاهدة بين مصر وإسرائيل) وعام ١٩٩٤ (المعاهدة بين الأردن

وإسرائيل) و١٩٩٣-١٩٩٨ (الاتفاقات المؤقتة الإسرائيلية- الفلسطينية). كما يلجأ أساتذة العلوم السياسية، في بعض الأحيان، إلى أسلوب توضيحي مختلف لتقديم الصراع العربي- الإسرائيلي انطلاقاً من الدوائر البسيطة الدخلية إلى الأطراف، أو أساليب أكثر تعقيداً لصانعي القرار في مواجهتهم للآزمات المتتالية على فترات^(٢٩).

وأخيراً واستناداً إلى أعمال الخبراء في مجال الدبلوماسية وتسوية الصراعات، يمكن فهم هذا الصراع باعتباره يتفاعل على مستويات متعددة؛ حيث يذهب المؤرخ والدبلوماسي الإسرائيلي السابق، الذي شارك في المفاوضات مع السوريين، "إيتامار رابينوفيتش"، إلى القول بأنه "لا يوجد نزاع عربي- إسرائيلي واحد، وإنما على الأرجح سلسلة من الصراعات المستقلة وإن كانت متداخلة" يقدمها على النحو التالي:

(١) الصراع الأساسي بين إسرائيل والفلسطينيين، هو "صراع كلاسيكي بين حركتين قوميتين تدعيان الملكية وتسعيان للسيطرة على الأرض نفسها".

(٢) صراع أوسع بين إسرائيل والقومية العربية، "صراع قومي سياسي ثقافي ويتزايد بعده الديني؛ يتسلح كل طرف فيه بموارثه الثقافية والتاريخية" وأساطيره القومية الفضفاضة.

(٣) سلسلة من النزاعات الثنائية بين إسرائيل والدول العربية المجاورة تنطلق من مصالح جيو استراتيجية وجيو بولوتيكية متعارضة.

(٤) صراعات أوسع تتصل بالتنافس بين القوى الكبرى والاستعمار، ومقاومة الهيمنة الأوروبية^(٣٠).

وفى توجه مشابه يؤكد "استيفان كوهين"، عالم النفس المتخرج فى جامعة هارفارد وذو الخبرة فى مجال الوساطة بين شخصيات مؤثرة إسرائيلية وعربية فى إطار ورش عمل مغلقة، أن الصراع يعمل على مستويات متعددة، ويذهب إلى أن التسوية الناجحة سوف تتوقف ليس فقط على التعامل مع هذه المستويات، ولكن الأهم من ذلك فهم كيفية تفاعلها فيما بينها^(٣١).

وفى النهاية؛ فإنه بغض النظر عن المنهجية التى يتبعها المرء فى تشخيص وتصوير الصراع، فإننى من جانبى أرى أنه توجد على الأقل مستويات يلزم أخذها فى الاعتبار عند محاولة فهم وتحديد جوهر الصراعات الإسرائيلية- الفلسطينية والعربية- الإسرائيلية:

١) شعبان يسعيان إلى تقرير مصيريهما باعتبارهما كيانيين قوميين يتنافسان على السيادة على الأرض ذاتها (وهو ما يتم التعامل معه فى صفحات هذا الكتاب وغيره باعتباره جوهر الصراع).

٢) تشابك هذا الصراع الأساسى (ذى الطابع المحلى) بدرجات متباينة مع تدخلات أطراف خارجية (اللاعبون الإقليميون، ومجتمعات المهجر، والقوى العالمية).

ويستند تقسيم هذا الكتاب إلى الخطتين السابق الإشارة إليهما؛ حيث يركز الضوء على المستوى الأول فى الفصول من الثالث إلى السادس (الفترة حتى عام ١٩٤٩)، ويتضمن الفصل السابع عناصر مهمة تتصل بالمستوى الثانى، ليعود ويركز من جديد عبر الفصول من الثامن إلى العاشر على الصراع الرئيسى.

الأمثلة والتناظرات:

عندما يترك التحليل المنطقي الهادئ جوانب غير مفهومة من الصراع، يلجأ بعض الكتاب إلى القصص والأساطير المثقلة بالمعاني لتوضيحها، ومن بين أكثر القصص الرمزية المجازية استخدامًا تلك التي طرحها مؤرخ الثورة الروسية، وكاتب قصة حياة جوزيف ستالين، "إسحاق دوينشر"، ففي مقابلة صحفية عقب حرب يونيو ١٩٦٧ سرد قصة رمزية تحت عنوان: "الرجل الذى سقط"، ومضمونها كما يلي:

ذات مرة قفز رجل من أعلى منزل احترق فيه عدد من أفراد عائلته، وعلى الرغم من أنه نجح فى إنقاذ حياته فإنه أثناء قفزه ارتطم برجل واقف أسفل المنزل وكسر ساقيه وذراعيه، وبالنسبة للرجل الذى قفز لم يكن أمامه لإنقاذ نفسه إلا هذا الخيار، أما فيما يخص الآخر الذى تكسرت أطرافه فإن هذا الشخص كان سبب مأساته. وفى مثل هذا الموقف إذا تصرف الطرفان بأسلوب عقلانى فإتھما لن يصيرا أعداء، فبعد نجاه ذلك الذى قفز كان يمكنه أن يساعد المصاب ويخفف من ألمه، والأخير كان يمكنه أن يدرك أنه كان ضحية ظروف لم يكن فى مقدور أى من الطرفين التحكم فيها.

ولننظر الآن إلى ما يمكن أن يحدث إذا ما تصرف الطرفان بطريقة غير عقلانية: الرجل المصاب يلوم الشخص الناجى على أنه السبب فى معاناته ويقسم على الثأر منه، فى حين يقوم الناجى، مدفوعاً بالخوف، بتوبيخ وضرب الشخص

المصاب عندما يلتقيا. ويعاود المصاب تكرار القسم بالانتقام
ويتعرض مجدداً للعقاب، وتتمثل النتيجة في أن تلقى العداوة
المريرة بظلالها على الرجلين طوال حياتيهما وتسمم
أفكاريهما^(٣٢)، على الرغم من أن الأمر قد وقع منذ
البداية بطريق المصادفة.

وللهولمة الأولى تبدو هذه القصة تلخيصاً متبصراً وسريعاً للصراع على
النحو الذى تبلور غداة النصر الذى حققته إسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧، كما
أنها تمس الأعصاب باستحضار الظروف القاسية التى وضعت الناجين من المحرقة
اليهودية الباحثين عن ملاذ آمن ومرافئ أمن فى مواجهة الفلسطينيين العرب الذين
عانوا إثر ذلك، إلا أنه بعد تمحيص دقيق يتهاوى التشبيه ويدفع كل طرف بأنها
أساءت تمثيله بالصور المرسومة (انظر: الفصل السادس)^(٣٣).

ولقد قدم كتاب آخرون - ذوو ميول أدبية - ومن بينهم "عاموس عوز"
و"إيزهار" و"سارى نسيية" قصصاً مليئة بالرموز من قبيل:

- رجلان متعاركان يمسك كل منهما بعنق الآخر، ويخشى كل منهما أن
يكون الأول فى ترك خصمه.
- رجلان يوشكان على الغرق فى البحر، ينصارعان للتعلق بقطعة خشب
واحدة فقط تطفو على سطح الماء.
- متصارعان يخشى كل منهما أن يصرع الآخر؛ حيث إن كليهما يقفان على
رمال متحركة تجذبهما إلى أسفل^(٣٤).

وتوجد صورة مجازية أخرى تظهر اليهود والفلسطينيين كطرفين؛ يلزم
عليهما أن يتقاسما المنزل أو الشقة ذاتها، إما بطريقة لطيفة كمستأجرين لحجرات

مستقلة يتقاسمون الردهات، وإما بشكل عنيف، يبرز الصهيونيين كغزاة للمنزل يقومون بطرد سكانه الأصليين - الفلسطينيين - ويلقون بهم فى الطريق. ومن جانبه، ربط "عاموس عوز" دائماً المأزق الحالى بصورة الاختلال الوظيفى بين زوجين فى حاجة ماسة إلى صيغة طلاق جيدة^(٢٥).

مثل هذه الصور، وإن كان من شأنها أن تضيف رؤية جديدة، فإنه يتم المنازعة فيها والاختلاف عليها، بشكل يذكرنا بالحاجة للتعامل معها بحرص حتى نتجنب الوقوع فى شرك العروض المشوهة للواقع أو النتائج المضللة.

الصراع من وجهة نظر مقارنة:

من بين الطرق المستخدمة لفهم صراع ما؛ أن نطرح السؤال التالى على أنفسنا: إلى أى حد يتشابه مع غيره، وفى أى من جوانبه يبدو وكأنه فريد من نوعه؟ وحقيقة الأمر فإن التساؤل الذى يطرح نفسه هو معرفة ما إذا كان من الممكن أن نشرح أو نفهم جيداً الصراع من خلال اللجوء إلى المقارنة أو المقاربة أو من خلال البناء على تشابهات مع وقائع فى التاريخ الدولى أو التطورات المعاصرة؟ وإذا كان الرد بالإيجاب، فأى صراع آخر يمكن النظر إليه على أنه يقدم نموذجاً مشابهاً؟ وخلال سعيهم لمساعدة القارئ على فهم الصراع العربى-الإسرائيلى بطريقة أفضل، يعتمد الأكاديميون ورجال الدعاية على السواء إلى استخدام نماذج أو تشابه مع صراعات أخرى، ومن بين تلك التى تم استخدامها بشكل متكرر نشير إلى ما يلى:

(أ) تقديم الكيان اليهودي قبل عام ١٩٤٨ (إسرائيل فيما بعد)؛ على أنه دولة استعمارية- استيطانية، في حين تم وصف قوته الدافعة (الصهيونية) بأنها حركة استعمارية هدفت إلى ملء ما اعتبروه أرضًا خالية بالسكان الأجانب وتملك الأرض من خلال السيطرة، أو نزع الملكية و/ أو طرد السكان الأصليين^(٢٦).

(ب) تقديم الصهيونية على أنها حركة تحرر وطني، تهرع لنجدة اليهود من وضعيتهم الهشة كأقلية مشتتة (المهجر) وتُسهل تجميعهم في وطنهم القومي السابق، ولكنها تصطدم بعقبة تتمثل في وجود شعب آخر يسكن الأرض ويسعى لتحقيق تحرره الوطني على الإقليم ذاته^(٢٧).

(ج) النظر إلى المسعى الصهيوني والإسرائيلي لتأسيس والإبقاء على أغلبية يهودية في دولة يهودية؛ على أنه نوع من أنواع العنصرية التي مارسها البيض في إفريقيا الجنوبية (الأفريكانز) الذين طبقوا نظام "الأبارتايد" العنصري من أجل طرد أو السيطرة على الأغلبية الأصلية من الأفارقة السود^(٢٨).

(د) مقارنة الصهيونية، سواء كانت في تجسيدها الأول أو فيما بعد حرب ١٩٦٧، كحركة لملء الأرض المحتلة بالمستوطنين اليهود، مع فرض البروتستانت على كاثوليك أيرلندا، وقيام بريطانيا بحمايتهم تحقيقًا لأهدافها الخاصة^(٢٩).

وحقيقة الأمر، أن الصورتين في كل من النقطة (أ) و(ب)؛ ليستا مجرد تعبير عن وسائل من قبل أطراف خارجية لمحاولة فهم الصراع، وإنما يعكسان الأساس والعمود الفقري لروايات الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو ما سنتناوله بالنقاش في الفصل الثالث باعتباره يمثل واحدًا من الإحدى عشرة مقولة جوهرية مثيرة للخلاف تناقشها هذه الدراسة.

وينتج عن رؤية الصراع من خلال واحدة من هذه الصور بدلاً من غيرها؛
تبعات مهمة حول كيفية تفسير الحقائق وتقييم الحجج التي تقدمها الأطراف
المتصارعة، وفي هذا الخصوص كتب أحد المؤرخين الإسرائيليين:

فى جميع النماذج التى يتم اللجوء إليها لشرح الصراع
العربى- الإسرائيلى يمثل وجود أو غياب الدليل التاريخى
أمراً حاسماً، شأنه فى ذلك شأن اختيار المجتمع، سواء كان
فى العالم القديم أو المعاصر، والذى تجرى مقارنة فلسطين
وإسرائيل به، فالمجازفات أو الرهانات فيما يتصل بهذا
الاختيار كبيرة وعميقة، إن التمييز بين المطالبات
المتعارضة، سواء كانت حقيقية أو متخيلة، سيستمر فى
كونه تحدياً كبيراً للباحثين والعامّة، وأيضاً بالنسبة
للمراقبين^(٤٠).

وإذا كان إقناع القارئ بصحة أى من النماذج السابقة على غيره ليس من
بين نواياي، فإننى أسعى فقط إلى الإشارة إلى وجود أربع مقاربات أو مقارنات
بهدف إظهار تنوع التفسيرات المتصارعة الممكنة، وفى الفصول التالية سأحرص
على عرض وجهات نظر متشابهة ومتناقضة؛ كما تم التعبير عنها فى الإطار
التاريخى للصراع، وأترك للقارئ مهمة ومسئولية اختيار أيها تبدو أكثر إقناعاً.

الهوامش

- (١) Jewish People Policy Planning Institute, website: <http://www.jpppi.org.il> دخول يوم ٢٤ مارس ٢٠٠٩، المكتب المركزي للإحصاء، إسرائيل،
Statistical Abstract of Israel, 2008, Table خاصة: Website:: <http://www.cbs.gov.il/reader/>
2.1 and 2.27، دخول ٢٤ مارس ٢٠٠٩.
- (٢) الميثاق الوطني الفلسطيني، قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، ١ - ١٧ يوليو ١٩٦٨،
دخول ٢٣ مارس ٢٠٠٨ موقع إلكتروني: <http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm#art20>
- (٣) مكتب الإحصاء المركزي الفلسطيني،
website : <http://www.pcbs.gov.ps/DesktopDefault.aspx?tabID=3845&lang=en> دخول: ٢٦
فبراير ٢٠٠٨ وكذلك موقع وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين:
<http://www.un.org/unrwa-publications-/pdf/uif/dec08.pdf> ، دخول ٢٤ مارس ٢٠٠٩.
- (٤) Bernard Wasserstein, Israel and Palestinians: Why Do They Fight? Can They "Stop?"
الطبعة الثالثة، New Heaven. CT. London، دار نشر جامعة ييل/لندن، Profile
Books، عام ٢٠٠٨، ص: ١٥٦-١٦٩.
- (٥) انظر: خرائط الحدود المتغيرة لفلسطين التاريخية في مؤلف Jacob Lassner and S. Ilan
Troen بعنوان: "Jews and Muslims in the Arab World: Haunted By Pasts, Real and Imagined"
الناشر Rowman and Littlefield، ٢٠٠٧، ص: ٣٥٣-٣٦٦.
- (٦) Wasserstein, Israelis and Palestinians ص: ٩٩.
- (٧) المادة الثانية من الميثاق الوطني الفلسطيني، دخول على الموقع ٩ سبتمبر ٢٠٠٨،
<http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm#art2.cf>، مرجع
Israelis and Palesinians، ص: ١٢٣.

- (٨) Martin Gilbert: "The Routledge Zionists Plan for Palestine: February 1919" مرجع ،
Atlas of the Arab-Israeli Conflict، الطبعة السابعة، لندن نيويورك، ٢٠٠٢، ٢٠٠٩، كذلك
 Wassertein, *Israelis and Palestinians*، ص: ١٠٣-١٠٤.
- (٩) فيما يتصل بالخرائط الموضحة للوحدات الإدارية العثمانية انظر: *Gilbert, Routledge Atlas*
 ص: ٥-٤، وكذلك *Mark Tessler, A History of the Israeli-Palestinian Conflict*، الناشر
Bloomington Indianapolis, Indiana University Press، ١٩٩٤، ص: ١٦١.
- (١٠) من أجل دراسة وفحص الأبعاد الديموغرافية للصراع انظر *Israelis and Palestiniens*،
 الفصل الأول.
- (١١) انظر على سبيل المثال: *Kenneth W. Stein, The Land Question in Palestine: 1917-1939*
 وكذلك: *Chapel Hill, University North Carolina Press: Wasserstein, Israelis and Palestinians*،
 الفصل الثاني.
- (١٢) حاييم وايزمان، *Trial and Error*، السيرة الذاتية لحاييم وايزمان، لندن، الناشر *Hamish Hamilton*،
 ١٩٤٩، ص: ٣٠٥.
- (١٣) رسالة من أركوسوروف إلى وايزمان بتاريخ ٣ يوليو ١٩٣٢، *Weizmann Archives*.
 ويبدو أن هذا الخطاب المكتوب أصلاً باللغة الإنجليزية قد تمت ترجمته إلى العبرية ونقله بعد
 ذلك إلى الإنجليزية مرة أخرى. انظر على سبيل المثال: *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Until 1948*
 الثانية، واشنطن، معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧، ص: ٢٤٥-٢٥٤، وللإطلاع على
 مناقشات أكثر حول هذه الرسالة المهمة انظر: *Neil Caplan, "Zionist Visions in the Early 1930s"*
Jonathan Frankel, "The Zionist Visions in the Early 1930s: An Annual"، المجلد الرابع، إصدار *Jonathan*
Shlomo Avineri, "The Zionist Visions in the Early 1930s: An Annual"، كذلك: *Frankel*
"Socialist Zionism of Chaim Arlosoroff"، الصادر في *Jerusalem Quartetly*، شتاء
 ١٩٨٥، ص: ٨٤-٨٧.
- (١٤) انظر *Kaplan, "Zionist Visions"* وكذلك *Neil Caplan, Futile Diplomacy*، المجلد الثاني،
Arab -Zionist Negotiations and the End of Mandate، لندن، *Frank Cass*، ١٩٨٦،
 الفصل الأول.

(١٥) الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٤/٣، الصادر في ١١ ديسمبر ١٩٤٨، قرارات الأمم المتحدة عن فلسطين والصراع العربي-الإسرائيلي، المجلد الأول: ١٩٤٧-١٩٧٤. الطبعة المنقحة تحرير جورج طعمة، واشنطن، معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص: ١٦.

(١٦) انظر إدارة شئون المفاوضات لمنظمة التحرير الفلسطينية: "اللاجئون الفلسطينيون" مايو ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها في ٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على موقع:

<http://www.nad-plo.org/facts/refugees/palestinians%20Refugees.pdf>.

(١٧) المكتب المركزي للإحصاء، إسرائيل، *Statistical Abstract of Israel*، المتاح على موقع <http://www.cbs.gov.il/reader/cw-usr-view-folder?ID=141>. وبسبب ذلك فإن الأشكيناز أو الطابع الأوروبي للسكان اليهود الإسرائيليين بدأ ينخفض وتتحرك التوازن السكاني من ٧٥% أشكيناز عام ١٩٤٨ إلى ٥٥% عام ١٩٦١؛ مما أعطى الفرصة لتضخم عنصر السفاردين الشرقيين والبحر متوسطيون من اليهود ومن أجل وصف وتحليل نقدي للمشاكل التي واجهت المهاجرين اليهود إلى إسرائيل من الدول العربية في ذلك الوقت، انظر Howard M. Sachar: "A History of Israel: From the Rise of Zionism to Our Time", New York, Alfred A. Knopf, ١٩٧٩، ص: ٣٩٥-٥٠٩، كذلك: Tom Segev, 1949, "The Frist Collier", دار نشر Arlen Neal Weinstein، نيويورك، فرى برس، لندن، وأيضاً: "Nameless People", Macmillan, ١٩٨٦، الفصل السادس بعنوان "Nameless People".

(١٨) على سبيل المثال: *Justice for Jews in Arab Countries*، وقد تم الدخول على الموقع بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط: <http://www.justiceforjews.com>. وللحصول على تقرير عن مؤتمر هذه المنظمة الذي عقد في لندن بتاريخ يوليو ٢٠٠٨، انظر: Nathan Geffay, "The Other Middle East Refugees", Jerusalem Report, 4, ٢٠٠٨، ص: ٣٣-٣٤. كذلك يمر مطالعة Micheal R. Fischbach, "Palestinians and Mizaerhi Jewish Exile and Return: Property Claims in Discourse and Dipolmacy", في كتاب Ann M. Lesch, Ian S. Lustick, "Predictions of Palestinans and Jews"، دار نشر جامعة بنسلفانيا، ٢٠٠٧، ص: ٢٠٧-٢٢٤. وأيضاً: Yehouda Shenhav, "Arab Jews, Population Echange, and the Palestinian Right of Return"، في كتاب Michael R. Lesch and Lustick, "Exile and Return"، ص: ٢٢٥-٢٤٥، كذلك: Michael R. Fischbach, "Palestinian Refugee compensation and Israeli Counterclaims for Jewish Property in Arab Countries"، في *Journal of Palestine Studies*، العدد ٣٨، خريف ٢٠٠٨، ص: ٦-٢٤.

(١٩) Statistical abstract of Israel، ٢٠٠٨.

(٢٠) اتفاقية جنيف الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، ١٢ أغسطس ١٩٤٩

متاحة على موقع: <http://www.unhchr.ch/html/menu3/b/92.htm>

(٢١) أرقام السكان الفلسطينيين مأخوذة من مكتب الإحصاء المركزي الفلسطيني
website : <http://www.pcbs.gov.ps/desktopdefault.aspx?tab2=3845&lang=en> في حين
يصعب الحصول على إحصاءات يمكن الاعتماد عليها دون خلاف، وتشير الأرقام الواردة
في The Statistical Abstract of Israel لعام ٢٠٠٧، إلى أن ٢٧١٠٠٠ إسرائيلي يعيشون في
مخيمات في "يهود أو السامرة" بنهاية ٢٠٠٦. وبصفة عامة فإن المعلومات الأكثر مصداقية
وغير المنتقدة عن المستوطنين اليهود صعب الحصول عليها. The Statistical Abstract of
Israel, 2007 تشير إلى ٢٧١٠٠ يعيشون في مخيمات يهودية في "جوديا وسماريا" في نهاية
ممكن الحصول عليها من الموقع الإلكتروني الخاص بـ Foundation for Middle East
Peace والذي تم النخول له يوم ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط <http://www.fmep.org>. انظر كذلك:
Gershom Gorenberg, "The Accidental Empire: Israel and the British of Settlements:
1967-1977", نيويورك، Times Books، ٢٠٠٦، ص: ٣٦٤. وأيضاً: Idith Zertal and
Akiva Eldar, "Lords of the Land: The War over Israel's Settlements in the Occupied
Territories: 1967-2007"، المترجم من العبرية بواسطة Vivian Eden، نيويورك، كتب
الأمم، رقم ١٤.

(٢٢) من أجل الحصول على تطبيق أكثر على وضعية الروايات الإسرائيلية والفلسطينية

المتناقضة، انظر مقدمة Paul Scham لمؤلف "Shared Histories: A Palestinian-Israeli
Dialogue" تحرير كل من Paul Scham, Walid Salem and Benjamin Porgrund، إصدار
Walnut Creek, CA Left Coast Press، ٢٠٠٥، ص: ١-١٢.

(٢٣) ساري نسيبة مع أنطوني ديفيد، "Once upon a Country: A Palestinian Life"، نيويورك،

إصدار Farrar, Straus and Giroux، ٢٠٠٧، ص: ٥٠٨.

(٢٤) "The Arab Peace Plan: Say No to Rights, Recognition"، Natasha Gill، في The

Forward، ٦ يونيو ٢٠٠٧.

(٢٥) Benny Norris, "Righteous Victims: A History of the Zionist-Arab Conflict (1881-1999)", نيويورك، إصدار Alfred A. Knopf، 2001.

(٢٦) من أجل الحصول على عينات للتسلسلات الزمنية المختلفة انظر: "The Arab-Israeli Conflict: Perspectives"، الطبعة الثانية، تحرير Alvin Z. Rubinstein، الناشر Harper Collins، ١٩٩١، ص: ٢١٥-٢٢٢. أيضا: Bickerton and Carla L. Klausner, "A History of the Arab-Israeli Conflict" الطبعة الخامسة، الناشر Upper Saddle River, NJ, Pearson/Prentice Hall، ٢٠٠٧. كذلك في الصفحات الأولى من كل فصل في David W. Lesch, "Israelis and Palestinians"، ص: ١٧٩-١٩٤، وأيضا، "The Arab-Israeli Conflict: A History"، نيويورك-أكسفورد، مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٨، ص: ٤٦٧-٤٧٢ وفي نهاية صفحات ٤٦٨-٤٧٩.

(٢٧) Robert I. Rotberg, "Building Legitimacy through Narrative", in *Israelis and Palestinians Narratives of Conflict: History's Double Helix*، تحرير Robert I. Rotberg، الناشر Bloomington-Indianapolis، دار نشر جامعة إنديانا، ٢٠٠٦، ص: ٢.

(٢٨) من بين أفضل الخرائط المتاحة من هذا النوع تلك التي في وليد خالدى، «Before their diaspora: A photographic history of the Palestinians, 1876-1948»، الدراسات الفلسطينية، ١٩٤٨، ٣٤، ٨٤، ٢٣٧، ٢٣٩ متاحة على موقع <http://www.passia.org/palestine facts/maps>.

ومن أجل مناقشة نقدية مفيدة انظر Gideon

Biger «The Boundaries of Israel – Palestine, Past, Present, and Future: A Critical Geographical View»، الدراسات الإسرائيلية، ١٢:١، ربيع ٢٠٠٨، ص: ٦٨-٩٣.

(٢٩) انظر على سبيل المثال العمل الرائد الذى قام به Michael Brecher, "The Foreign Policy System of Israel: Setting, Images, Process"، لندن تورنتو/ملبورن، الناشر جامعة أكسفورد، ١٩٧٢، وكذلك: *Decisions in Israel's Foreign Policy*, New Haven، جامعة ييل، ١٩٧٥.

(٣٠) انظر Itamar Rabinovich, "Waging Peace: Israel and the Arabs: 1948-2003", نسخة

محدثة ومنقحة، دار نشر برينستون، ٢٠٠٤، ص: ٣-٥.

(٣١) "Intractability and the Israeli-Palestinian Conflict", Stephan Cohen, في Grasping

the Nettle، ص: ٣٤٨-٥٠.

(٣٢) Isaac Deutscher, "The Arab Israeli- War, June 1967", The New Left من مقابلة تمت مع مجلة

بتاريخ ٢٣ يونيو ١٩٦٧، ومنشورة في London, oxford في The Non-Jewish Jew and Other Essays

لندن، الناشر جامعة أكسفورد، ١٩٦٨، ص: ١٣٦-١٣٧، وهي نفس القصة المختلفة من

Nusseibeh في Once upon a Country، ص: ٤٦٢.

(٣٣) يلاحظ أن الادعاء هنا يتجاهل الصهيونية ما قبل المحرقة باعتبارها دافعاً وسبباً للمطامح

اليهودية الصهيونية في الهجرة إلى فلسطين/ أرض إسرائيل، وهي لا تذكر أهداف ما قبل

المحرقة والمخاوف من القادمين الجدد على السكان المحليين، كما أنه لا يقول شيئاً عن عدم

مبالاة المجتمع الدولي الذي فتح المزيد من الأبواب للهرب من جانب الناجين من المحرقة، ما

أدى إلى السماح للشخص القافز إلى الأرض في مكان آخر دونما جرح وإيذاء الشخص

الفلسطيني الذي يقف في الجانب الأسفل.

(٣٤) نسبية، "Once Upon A Country"، ص: ٤٨٣-٤٨٥. انظر كذلك المرجع السابق ص:

٤٨٦-٤٨٧.

(٣٥) "How to Cure a Fanatic princeton.", Amos Oz, دار نشر جامعة برينستون، ٢٠٠٦،

ص: ١٩-٢٠-٦٢.

(٣٦) من بين الكثيرين انظر Joseph A. Massad, "The Persustebnce of the Palestinian

Questions: Essays on Zionism and the Palestinians"، مقالات عن الصهيونية

والفلسطينيين لندن، الناشر Routledge، ٢٠٠٦.

(٣٧) ضمن الكثيرين انظر Jacob Tsur, "Zionism: The Saga of a National Liberation

Movement"، الناشر NJ Transaction، ١٩٧٧، كذلك Amos Elon, "The Isralis:

Founders and Sons"، نيويورك، الناشر Holt Rinehart Winston، ١٩٧١.

(٣٨) من بين الكثيرين انظر: مروان بشاره "Palestine/Israel: Peace or Apartheid: Prospects for Resolving the Conflict" لندن، Zed Books/Halifax, Fernwood، ٢٠٠١. ومن أجل نظرة شاملة ونكية لاستخدام وإساءة استخدام المقاربة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا انظر: Heribert Adam and Kogila Moodley, "Seeking Mandela: Peacemaking between Israelis and Palestinians" الناشر جامعة تامبيل، ٢٠٠٥.

(٣٩) انظر على سبيل المثال: slan Lustick, "Unsettled and Disputed Lands: Britain and Ireland, France and Algeria, Israel and West-Bank-Gaza" ١٩٩٣. وأيضا Thomas G. Mitchell, "Native vs. Settler: Ethnic Conflict in Israel/Palestine, Northern Ireland and South Africa, wesport,act: greenwood press, 2000. للنشر جرين وود، ٢٠٠٠.

(٤٠) S. Ilan Troen, "De-Judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the Histor of Palestine" مسائل إسرائيلية، عدد ١٣-١٤ (٢٠٠٧)، ص: ٨٨٢-٨٨٣. انظر كذلك الفصل الثالث من هذا المؤلف.

الباب الثانى

تواريخ متضاربة

الفصل الثالث

ما وراء ١٩١٧: جذور الصراع

صلات قديمة وذكريات تاريخية:

لدى تحديدنا لطبيعة الصراع؛ كان من بين الخيارات التي فضلناها للتعامل معه بوصفه صراعاً، أخذ شكله الحالي في نهاية القرن التاسع عشر، بين يهود صهيانة مهاجرين وسكان عرب محليين (مسلمين ومسيحيين)، وكان مقدراً لهذين المجتمعين التنافس على ممارسة حق تقرير المصير على منطقة صغيرة، ولكن مهمة استراتيجياً أو حساسة دينياً، من مناطق الإمبراطورية العثمانية.

إن ما سبق لا يعنى أن الصلات القديمة والذكريات التاريخية لا صلة لها بالموضوع؛ حيث تتم عادة الإشارة إلى التاريخ الذى سبق القرن التاسع عشر، وإن كان ذلك بطريقتين مختلفتين، فمن جانب، يمكن للطرفين، بل يقومان بذلك بالفعل، استدعاء ذكريات قرون من التسامح والاحترام والتعاون اليهودى-المسلم المثمر منذ القرن السابع الميلادى باعتباره نموذجاً يلزم تذكره بل والعمل على تكراره، إذا ما كان ذلك ممكناً، للتغلب على العداوة السائدة حالياً. وعلى الرغم من ذلك، فإن ما يحدث بشكل أكثر تكراراً عودة الشعبين إلى جذوريهما التاريخية باعتبارهما كيانات قبلية ودينية لبناء هويتهما أو وعييهما القومى المعاصر، فضلاً عن دعم ادعاء الملكية الأصلية للأرض المتنازع عليها (التي وعد بها الرب)^(١)، ويقودنا ذلك إلى

مناقشة أولى المقولات الجوهرية المثيرة للجدال- من بين الإحدى عشرة مقولة التي نبحثها في هذه الدراسة- من كان هناك أولاً؟ ولمن كانت الأرض منذ البداية؟ إن كلا الطرفين يقدم ماضيًا محفوظًا بالجوانب الأسطورية، يتم تناقله من خلال نصوص مكتوبة أو شفوية بين الأجيال لإثبات أن أجدادهم كانوا "هناك" أولاً، وأن الأسلاف وسلالاتهم سيطرت على الأرض لفترات ممتدة من الزمان، و/أو أن الأرض موضع النزاع وعدهم الرب بها.

ومن وجهة نظر بعض؛ فإن هذا الأمر يتم حسمه بشكل رئيسي من خلال التحليل اللاهوتي وتفسير النصوص المقدسة، وفي هذا الخصوص، يمكن أخذ براهين على الإدعاءات اليهودية من المقاطع العبرية المقدسة خاصة نصوص التوراة (الكتب الخمسة للنبي موسى والتي هي جزء من العهد القديم من الإنجيل المسمى) التي تُسجل أنه قبيل مجيء المسيح بألفي عام وعد الرب بأرض معينة باعتبارها "ملكاً دائماً" لإبراهيم وذريته^(٢)، ولقد كان لإبراهيم ولدان إسحاق وإسماعيل. وعلى الرغم من تجوالهم وتشتيتهم وطردهم بالقوة عبر قرون، فإن اليهود من سلالة إبراهيم، من خلال إسحاق ويعقوب، قد حافظوا على تواجد مستمر على الأرض حتى إن كان ذلك، وفترات طويلة، بأعداد محدودة كأقلية. أما فيما يتصل بالمسلمين فإنهم يعترفون بوجود نسب وتراث روحي مشترك مع أغلبية الأنبياء العبريين، ويُدرجون المسيح عيسى في هذا السياق، فضلاً عن ذلك فإنهم يقدسون إبراهيم (أبراهام) باعتباره الأب المشترك لكل المسلمين والعرب وغيرهم من الشعوب السامية، ويرون أصلهم المشترك يمر من خلال إسماعيل بن إبراهيم، وخلال انتشار الدين الإسلامي الجديد في منتصف القرن السابع الميلادي، استولى العرب على المنطقة المسماة فلسطين وعاشوا فيها بوصفها جزءاً من الإمبراطوريات الإسلامية المتعاقبة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ومنذ نهاية القرن الثامن عشر تضمن الخلاف حول الأرض، بالنسبة إلى بعض، بعداً جديداً يتعلّق بما إذا كانت الحدود التوراتية الموعودة سيتم التمسك بها في الوقت الحاضر، وأى من الشعوب الحالية يمكن توصيفه على أنه سلالة إبراهيم وله الحق في إرث هذه الأرض^(٣). وحول هذه النقاط فإن الأصوليين الدينيين لا يجدون مشكلة في قبول صدقية وقداثة الوعود الإلهية كما وردت في نصوصهم الدينية المقدسة. أما أولئك الذين يؤمنون بأديان أخرى (دون الحديث عن غير المتدينين على الإطلاق)؛ فإنهم لا يرون ما يجرحهم على قبول ادعاءات على الأرض استناداً إلى نصوص دينية معينة.

ومن المثير للاهتمام أن عدداً من العلمانيين الاشتراكيين الصهاينة البارزين من قبيل "بن جوربون" و"موشى ديان"؛ قد أثرتهم النصوص العبرية في التوراة، وبالنسبة إليهم يقدم الكتاب المقدس برهاناً على صلة اليهود بفلسطين/إيريتز إسرائيل المعاصرة، ويتم استخدامه كمرجع إرشادي^(٤) في مجال الآثار، وسند قانوني. وخلال شهادته أمام اللجنة الملكية المعروفة باسم "لجنة بيل" والمكلفة آنذاك ببحث الشكاوى ضد نظام الانتداب البريطاني عام ١٩٣٧، شرح "بن جوربون" مطالب اليهود في فلسطين على النحو التالي: "الإيجيل هو سلطنتنا، الإنجيل الذى كتبناه بلغتنا العبرية في هذه البلاد هو سلطنتنا، إن حقنا قديم قدم الشعب اليهودي"^(٥).

وفضلاً عن المكونات الدينية، توجد كذلك عناصر علمانية للروابط القديمة بالأرض، فعملية البحث عن الآثار أضحت أداة إما لتأكيد وإما لحض الادعاءات بصلات الأجداد مع المجتمعات القديمة والتي يُطلقها اليوم كل من العرب والفلسطينيين في الأراضي المتنازع عليها، ولإظهار هذه البراهين والأدلة على الملكية الأصلية يعكف علماء الآثار، المحترفون منهم والهواة، على البحث في باطن الأرض المتنازع عليها لتأكيد حقيقة استمرارية الوجود والسكن في عصور

الكنعانيين والفينيقيين والفيلسبيين والعبريين وغيرهم من الشعوب. وعلى سبيل المثال، يذهب بعض الفلسطينيين إلى حد ادعاء امتداد صلاتهم ونسبهم إلى شعوب ما قبل وجود العبرانيين في عصر التوراة، كما أن بعض الكتاب العرب والمسلمين يفسرون التاريخ القديم بشكل يبرهن على أن "العرب عاشوا في فلسطين منذ عصور ما قبل التاريخ وقاموا حتى بمنح ديانتهم وأديبهم لليهود"^(٦)، ومن جانبهم، يركز اليهود على فترة الإنجيل للتأكيد أن وجودهم القومى سبق وصول العرب الذين قفزوا إلى الهلال الخصيب خلال توسع الإسلام خارج الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادى.

وكما هو معلوم، يمكن تفسير الاكتشافات الأثرية بطريقة انتقائية لخدمة غايات مختلفة، فباستطاعة الفلسطينيين أن جمع- بسهولة- براهين كافية لدعم ما يعتقدونه حول دفعهم الرئيسى بأحقيتهم فى الأرض منذ القدم، كما أنهم لا يواجهون أى صعوبات فى تقديم الوقائع التى تدحض وتكشف زيف الادعاءات اليهودية، ومن جانبهم، يستطيع اليهود تفسير البراهين الأثرية بطريقة تساعد فى تأكيد ارتباطهم المستمر بالأرض، فضلاً عن التشكيك فيما يطرحه منافسوه الفلسطينيون، وتتضافر مع ذلك الأعمال الأدبية المنشورة، على مدار القرون، التى تؤيد مواقف كل من الطرفين فى هذا الجدل الذى لم يتم حسمه^(٧)، فى وقت يبدو فيه دور الحوار الأكاديمى ضعيفاً فى حل هذه الخلافات، على النحو الذى أوضحته المناظرة الأخيرة بين مؤرخ إسرائيلى معاصر "بيني موريس"، وآخر فلسطينى- أمريكى "جوزيف مسعد"، والتى جاءت فى إطار اقتراح تأسيس لجنة من الباحثين للبحث عن "الحقيقة التاريخية والعدالة السياسية"؛ حيث انتهت إلى طريق مسدود فيما يتصل بالإجابة عن السؤال المتصل بمن كان هناك على الأرض أولاً^(٨)، وكما هو شأن معظم المقولات الإحدى عشرة التى سنستعرضها خلال الدراسة، فإن هذه المقولة لا يمكن لأى طرف أن يضعها لصالحه.

اللقاءات الأولى ١٨٨٠/١٩١٤:

فى ضوء تركيزنا فقط على المئة والثلاثين عامًا الأخيرة للصراع، فإنه من المفيد البحث فى السياق الذى ظهرت فيه كل من الحركتين القوميتين. فمنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ السكان الناطقون بالعربية فى الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، مترامية الأطراف ومتعددة الثقافات، يشعرون بشكل متزايد، وإن كان منفردًا، بأنهم عرب راغبون فى تأكيد "عروبتهم"، وفى بعض الحالات أكثر ربما من هويتهم باعتبارهم مسلمين أو مواطنين عثمانيين، وقد سابر هذا التعريف المتنامى وفقًا لهوية عربية قومية التطورات فى أوروبا؛ حيث أضحت اللغة والأرض من العوامل المحددة للدول والمجتمعات الجديدة. ولقد شكل القوميون العرب فى البداية حركة أقلية فى مواجهة أغلبية كان ولاؤها للإمبراطورية العثمانية، وفضلًا عن قيامهم بتكوين تجمعات سرية، فهم ناقشوا أفكارًا جديدة فى نوادى ضباط الجيش، وعملوا على تنمية وتشجيع استخدام اللغة العربية والنهوض بثقافتها فى الصالونات والمننديات الأدبية.

أسهمت ثلاثة عوامل فى بلورة هذا الشعور المتجدد بالفخر والانتماء للعروبة، كان أولها الدافع الإسلامى؛ حيث كان الرسول محمد عربيًا وكانت القبائل فى شبه الجزيرة العربية المكون الأصلى لتكوين الأمة الإسلامية (مجتمع)، كما أن القرآن المقدس كُتب باللغة العربية، وشكلت الأفكار الواردة من أوروبا الدافع الثانى، خاصة تلك التى تشجع القومية اللغوية الثقافية، وقد انتشرت هذه الأفكار من خلال التجار، والمبشرين بالمسيحية، وكان للمسيحيين العرب، على وجه الخصوص، دور فى السعى لتأكيد الفكر الجديد المتصل بوحدة جميع الناطقين بالعربية لتجاوز الخلافات والمناقشات بل وأيضًا الغيرة بين المسلمين والمسيحيين^(٩)، ويمثل الدافع الثالث لخلق الوعي العربى المتميز فى ردة الفعل تجاه

"الثورة التركية الشابة" في القسطنطينية عام ١٩٠٨ ضد التوجهات المركزية للإمبراطورية العثمانية، فقد كان رد فعل العرب بشكل قوى ضد سياسية "النتريك" التي حلت محل السياسات المرنة المتصلة بلا مركزية العلاقة بين الأقاليم ومركز الخلافة العثمانى، وقامت مجموعة من القوميين العرب بتأسيس "الحزب اللا مركزى" الذى هدف إلى تحقيق الحكم الذاتى، إن لم يكن الانفصال عن الإمبراطورية المتهاككة.

مع بدايات القرن العشرين؛ شعر المفكرون القوميون العرب بأحقيتهم فى تقرير المصير استنادا إلى إقاماتهم كأغلبية وبشكل دائم فى هذه المنطقة، حتى إن كان ذلك فى إطار خلافة إمبراطوريات إسلامية منذ القرن السابع. ولكن فى هذا التوقيت بالتحديد، واجه هذا الإدعاء تحديًا كبيرًا فى المنطقة المعروفة باسم فلسطين على يد حركة وعى قومية منافسة بين اليهود فى أوروبا؛ حيث ركز أغلبهم، تحت مسمى الصهيونيين، اهتمامهم ليس على أرض أوروبية ولكن على الأرض المقدسة، وبعد مرور عقد على تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية أشار كاتب قومى عربى ومسئول سابق فى الإمبراطورية العثمانية هو السيد "تجيب عزورى" إلى وجود:

ظاهرتين مهمتين، من طبيعة واحدة، لكنهما متعارضتان... يقظة الأمة العربية من جانب، والجهود المستترة من قبل اليهود لإعادة بناء مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع من جانب آخر، وكان مقدراً على كليهما أن تتصارعا حتى يكتب النجاح لإحدهما. إن مستقبل العالم كله (تنبأ الكاتب) سيعتمد على النتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبادئ متعارضة^(١٠).

وعلى غرار القوميين العرب فى الإمبراطورية العثمانية، قامت مجموعات من يهود أوروبا بإصدار نشرات وتكوين جمعيات لإعادة تقديم أنفسهم بصيغة أكثر علمانية وقومية، وبعد مرور عدة عقود من المناقشات الداخلية والإصدارات بدأ المستوطنون الأوائل فى كل من أوروبا وروسيا بالرحيل فى بدايات الثمانينيات من القرن التاسع عشر؛ إلى المنطقة المعروفة عمومًا باسم فلسطين ويطلق عليها الشعب اليهودى "إيريتز إسرائيل" أو "أرض إسرائيل". وعلى صعيد آخر، نظم "تيودور هيرتزل" فى مدينة بازل بسويسرا، عام ١٨٩٧، المؤتمر العالمى الأول للصهيونية وقام بتأسيس إطار تنظيمى لحركة كرست نفسها لتعزيز الوعى القومى بين اليهود، وتعبئة دعم القوى الدولية فى ذلك الحين للمساعدة فى الحصول على الأرض التى أمل الصهاينة اليهود فى إعادة بناء وطنهم القومى ودولتهم المستقبلية فيها، وبناء عليه كانت الصهيونية تعمل على تحقيق التجمع فى أرض واحدة كاستجابة لما كان يعرف آنذاك بـ "المسألة اليهودية" التى كان يمكن تلخيصها فى حينه كما يلى: ماذا سيكون مصير يهود أوروبا الذين، كأفراد ومواطنين، تحرروا مؤخرًا من وضعية الدونية والخضوع، ولكنهم يواجهون بشكل متزايد، كمجموعة، صعوبة فى الانخراط فى نسيج القوميات والدول القومية الجديدة؟ ألم تؤكد عمليات العنف ضد السامية التى نظمتها عدة دول أوروبية (المذابح المنظمة) هشاشة وضع اليهود وعدم قدرتهم على الانصهار فى الثقافات المحيطة بهم؟ وبدأت الإجابة عن هذا السؤال متمثلة فى إقامة دولة مستقلة لهم.

وعلى الرغم من حقيقة تشنتهم بين العديد من الدول، فإن اليهود كان يجمعهم دين مشترك وعادات، تراث تاريخى، ولغة مشتركة يستحدثونها (اليديش) وأخرى خاصة بالطقوس الدينية (العبرية). وعلى الرغم من أن قليلاً من المفكرين راودهم، فى البداية، حلم تحويل مجتمعاتهم إلى مجموعة قومية واحدة، استهدفت الحركة

الصهيونية إقناع المجتمعات اليهودية في مختلف الأراضي بإعادة توجيه أنفسهم ليس فقط من الناحية الفكرية، ولكن أيضا التعبئة لعملية الانتقال المادي و"العودة إلى صهيون"، الأرض الموعودة في التوراة للعبرانيين القدامى، وهي الأرض التي كانت معروفة آنذاك بشكل عام تحت مسمى فلسطين وتتم إدارتها كإحدى ولايات الإمبراطورية العثمانية، وباستثناء حقيقة أنهم لم يتواجدوا بشكل ملموس على الأرض التي يرغبون في أن تكون وطنهم القومي، فإن الصهيونيين العلمانيين، الذين عرفوا بمسمى "الصهاينة" كانوا يحاكون الحركات القومية الحديثة وعملية بناء الأمة التي قام بها الإيطاليون والفرنسيون وغيرهما من الشعوب الأوروبية^(١١).

ولقد كُتب الكثير عن هذه الفترة المبكرة التي تم خلالها نثر بذور الصراع الدائر حاليًا، وتبرز هذه الكتابات سعي قادة الحركة الصهيونية، في عالم السياسة الدولية آنذاك، لخطب ود الإمبراطورية العثمانية التي كانت تحكم الإقليم موضع الاهتمام، وفيما بعد وجه كل من القوميين العرب والصهاينة جهودًا على مستوى دبلوماسي رفيع تجاه بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة.. وغيرها من القوى الكبرى، وهكذا بدأت معالم نموذج يتطلع بموجبه كل من الطرفين المتصارعين إلى الحصول على تأييد قوى من الخارج لمطالبه، بما يعنيه ذلك من عنصر مُعقّد للصراع يتمثل في إضافة بُعد خارجي ولاعبين جدد للتنافس الجوهري بين الحركتين القوميتين الصاعدين والمتنافستين على الأرض ذاتها. وقد التقى ممثلون عن الحركتين العربية والصهيونية عدة مرات خلال عامي ١٩١٣ و ١٩١٤؛ بهدف مناقشة احتمالات التوصل إلى توافق يستبعد الأطراف الخارجية، لكن هذه اللقاءات لم تسفر عن شيء^(١٢). وعلى أرض الواقع؛ فإن أول لقاء بين رواد الصهاينة المستوطنين من جانب، والسكان الأصليين الناطقين بالعربية (مسلمين ومسيحيين) من جانب آخر، تضمن مراحل من سوء الفهم، والشك، والاحتكاك، بالتوازي مع نماذج من التعاون وعلاقات حسن الجوار^(١٣).

سؤال ضمنى:

قدمنا فى الجزء السابق مقتبسات عكست الإدراك العربى المبكر لصدام صاعد مع الصهاينة فى فلسطين وفى العقود الأخيرة من حياة الإمبراطورية العثمانية، عبر سياسيون ومستولون صحفيون عرب كذلك عن مخاوفهم فى هذا الخصوص^(١٤)، فكيف نظر الصهاينة الأوائل للسكان المحليين؟ هل توقعوا ثمة مشكلات فى علاقاتهم مع العرب؟ إن هناك أدلة عديدة تشير إلى أن الصهاينة كانوا على دراية بالمخاوف والشكوك والعداوة التى عبر عنها سكان الأرض التى يُهاجر إليها الصهاينة، ولقد قام الكاتب العبرى ذائع الصيت "آهاد ها أم" بنشر مجموعة من التقارير المحيرة عما شاهده خلال جولته فى المستوطنات فى "إيريتز إسرائيل" عام ١٨٩١^(١٥). وقد وجد "تيودور هيرتزل" نفسه مضطراً إلى الكتابة إلى "يوسف ضياء خالدي"، عمدة القدس، عام ١٨٩٩ للدفاع عن الصهيونية فى محاولة لتهدئة المخاوف والانتقادات التى عبر عنها فى هذا الخصوص^(١٦)، وتتعدد الأمثلة على الجهود التى بذلها الصهاينة لتحليل و/ أو تبديد المعارضة التى أبدتها سكان فلسطين^(١٧) العثمانية، لكن أياً من هذه الجهود اتسم بالاستمرارية أو الفعالية؛ بالمقارنة بالنجاحات التى حققتها الصهيونية من خلال الدبلوماسية رفيعة المستوى. وفى هذا الصدد لا يمكننا إلا أن نتساءل عما إذا كان من شأن محاولات أفضل لخطب ود السكان المحليين، من خلال أنشطة تمس القاعدة العريضة، أن تؤدى إلى جسر الهوة بين كل ما يريده الشعبان على هذه الأرض المتنازع عليها، وعلى أى حال، فإننا سنعود لمناقشة هذا السؤال فى الفصل الحادى عشر باعتباراه إحدى "الفرص الضائعة" لتفادى تفاقم الصراع.

الاستعمار والقومية:

إن تناول الجذور الأوروبية لإعادة إحياء الحركة القومية اليهودية وبحثها عن "العودة إلى صهيون"، يدفعنا إلى دراسة المقولة الثانية الجوهرية المثيرة للجدال، والتى ما زالت محل نقاش ليس فقط بين طرفى الصراع، ولكن أيضاً من قبل الساعين إلى شرحه ودراسته، والمتصلة بالأسئلة التالية: هل كان الحل

الصهيوني للمسألة اليهودية بمثابة شكل يهودى مختلف لليقظة والكفاح الوطنى للحصول على الاستقلال؟ أم أن الصهيونية كانت جزءاً من توسع استعماري عدواني في الشرق الأوسط، يجد سبب وجوده في استغلال ونزع ملكية والهيمنة على السكان الأصليين؟

إن كلاً من القومية العربية والصهيونية الوليدتين؛ لم تتصادما في فراغ على قطعة أرض، وإنما كان ذلك يجرى في إطار أوسع من الضغط القوى والمتواصل ذى الطابع الاقتصادي والسياسي والثقافي على الإمبراطورية العثمانية التى ناهزت الأربعمئة عاماً، وكانت في مرحلة الأفول وفي طريقها إلى التفكك. ومن منظور التاريخ اليهودي والحركة الصهيونية البازغة؛ فإن اليهود الذين انتقلوا إلى فلسطين اعتبروا أنفسهم عاندين، بينما نظر إليهم أغلب السكان الفلسطينيين على أنهم (فى أفضل الأحوال) متطفلون، أو (فى أسوأ الأحوال) غزاة، وهو ما يضعنا أمام صدام فى المقتربات التى يصعب التوفيق بينها من خلال إقناع طرف بصحة وجهة نظر الطرف الآخر. وحقيقة الأمر، فإن الطريقة التى قد يقع عليها اختيار المرء للإجابة عن السؤال المتصل بمعرفة ما إذا كانت الحركة الصهيونية تعبيراً شرعياً عن القومية اليهودية أم أنها جزء من توسع استعماري عنيف من شأنها أن تقضى إلى العديد من النتائج، أولاً: التأثير بقوة فى طريقة تقدير المعلومات التاريخية وتفسير الدلائل والحجج التى يقدمها الأطراف. ثانياً: وربما أكثر خطورة، أنها ستتضمن اختيار تأييد طرف ضد آخر من خلال تأييد مطالبه وعرضه للأحداث ورفض موقف الطرف الآخر؛ فقبول الرواية الصهيونية المتصلة بالعودة يتعارض مع الرواية الفلسطينية الخاصة بالتعرض للغزو والاستعمار.. وفى المقابل، تأييد التفسير الاستعماري يقوض شرعية القضية الصهيونية، وفى مثل هذه الحالة فإن المراقبين والباحثين والصحفيين الذين يعتبرون أنفسهم غير محايدين، سيتحولون

على الفور - بمجرد إضفاءهم المصادقية على وجهة نظر في مواجهة الأخرى - إلى جزء من الجدل ذاته بما يتضمنه ذلك من الموافقة أو الرفض من قبل الأطراف المعنية. وحتى الإجابة عن السؤال بالقول بأن "كلا الطرفين على حق" تتضمن اتخاذ موقف يمكن النظر إليه من قبل أى من الطرفين على أنه خاطئ بنسبة خمسين في المئة.

وفيما يتصل بالأجيال الجديدة؛ حظى منظور الاستعمار - الاستيطاني بشعبية كبيرة بين الباحثين في أرجاء العالم؛ وفي بعض الدوائر الأكاديمية أضحي أمراً بديهياً لا يتطلب حتى الإثبات أو النقاش^(١٨). وحتى في داخل إسرائيل فإن "جيل ما بعد الصهيونية" والعديد من "المؤرخين الجدد" (انظر: الفصل الحادي عشر) يتبنون عن إدراك هذا المقترّب ويتحدون التيار الرئيسي الذى نظر إلى المستوطنين الأوائل على أنهم قاموا بأعمال خيرة دون إيذاء للسكان المحليين. ونشير فى هذا الصدد إلى "إيلان تروين" الذى ينتقد النظرة إلى الصهيونية كحركة استعمارية-استيطانية؛ يذهب إلى أن المقترّب الشائع الآن هو تشويه للحجج التى، فى وقت سابق، كانت مقنعة بدرجة كافية لخلق اعتراف واسع بالحقوق القومية اليهودية-الصهيونية فى المجتمعات الغربية والدوائر والأوساط الأكاديمية، ويصف "تروين" هذا المقترّب على أنه "نموذج للانحراف فى الدراسات المتصلة بفلسطين" فى القرن العشرين، ساعياً لإقناع قرائه بضعف هذا التوجه^(١٩).

ومن بين الأمور المتوقعة، أن نجد باحثين إسرائيليين آخرين وغيرهم، ممن يؤيدون النظرة إلى الصهيونية كحرمة وطنية يهودية^(٢٠)، يرون أن النموذج الذى يُقدم إسرائيل باعتبارها "وجوداً استعمارياً" غير مقنع، بل وقد يشكك بعض فى دوافع أولئك الذين يدافعون عن هذه الرواية، ويقدمونهم على أنهم من صانعى

الدعاية متحدین الأسس التي استند إليها مثل هذا التوجه. ونشير كذلك إلى أنه بعد متابعته للتحول في النظرة لإسرائيل في الدوائر العلمية الغربية خلال السبعينيات من القرن الماضي، وصف المؤرخ في الجامعة العبرية "يعقوف جيلبير" الموقف على النحو التالي:

"إن الشعارات الفلسطينية ذاتها التي كان لها تأثير ضئيل في الرأي العام الأوروبي في فترة ما بين الحربين العالميتين، وفي أعقاب حرب ١٩٤٨، بدأت الآن تجد أرضاً خصبة في إطار عقدة الشعور بالذنب التي أعقبت فترة الاستعمار، وقد تم تشجيع هذه العملية من خلال الدولارات- الناتجة عن البترول العربي، وغيرها من أشكال التمويل التي انتشرت في الجامعات الأمريكية ومؤخراً في إسرائيل ذاتها، وبدأت تباشر هذا التغيير في الاتجاهات، في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين مع صعود ما سمي بحركة "المؤرخين الجدد" الذين تمثل إسهامهم الرئيسي في تحويل دراسة الصراع العربي- الإسرائيلي من مقولة الإنجازات الإسرائيلية إلى مقولة المحنة الفلسطينية، وجرى تصوير الفلسطينيين على أنهم قليلو الحظ ضحايا للعنف والظلم الإسرائيلي، والتواطؤ الإسرائيلي- الأردني، ودبلوماسية الخيانة من قبل البريطانيين والعرب، بل ويصف بعض الإسرائيليون بالتصلب وعدم الرحمة وأنهم مستعمرون قساة استغلوا المحرقة للحصول على تأييد العالم لدولة يهودية على حساب حقوق الفلسطينيين في أرضهم"^(٢١).

ويثور التساؤل حول إمكانية شرح النموذج الاستعماري فقط باعتباره نتاجاً للتغيير في التوجهات الأكاديمية والسياسة الدولية؟ وعلى الرغم من أنه قد يكون هناك من الأسباب النبيلة والخبيرة لتفسير ارتقاء نموذج معين على حساب آخر في وقت معين، فإنه من قبيل التشويه؛ تخيل أن الرواية القائلة بأن: "الصهيونية هي من قبيل الاستعمار"؛ قد جرى اختراعها لاحقاً بغرض ترجيح كفة المناقشات المعاصرة ودحض الرواية الصهيونية، أو أنها مجرد أداة تم اصطفاؤها من قبل المعادين للسامية ومن يكرهون إسرائيل لإدانة اليهود ونزع شرعية مطالبهم بدولة. وما تفتقده الانتقادات على النحو الذي أشرنا إليه عاليه، هو حقيقة أن نموذج الاستعمار - الاستيطاني هو أكثر من مجرد مفهوم نظري؛ فهو أيضاً جزء لا يتجزأ من رواية فلسطينية أصيلة تستند إلى خبرة واقعية، تماماً كما هي الحال بالنسبة إلى الرواية اليهودية المضادة الخاصة بـ "العودة إلى صهيون" التي تعتبر أصيلة على خلفية خبرة واقعية لليهود في الشتات، ولا يمكن رفضها بوصفها عملية غسيل للمخ أو مجرد دعاية، ولسوء الحظ فإن الباحثين - أطراف هذا النقاش - نادراً ما يرتفعون فوق الاتجاهات الشائعة والعمياء للأطراف الذين يمثلونهم، ويعتقدون أن "روايتهما تقص الحقائق، وروايتهم من قبيل الدعاية"^(٢٢)، وسنعود لتناول هذه النقطة في الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب.

إن التعامل الأكاديمي المعاصر مع الصهيونية على أنها ظاهرة استعمارية - استيطانية، يمكن النظر إليه على أنه يمثل استمراراً للأسانيد المقدمة من قبل الفلسطينيين القوميين الناشطين ضدها منذ بداية عشرينيات القرن العشرين، إن لم يكن قبل ذلك، وفضلاً عن الاحتجاجات السياسية سريعة الزوال، والرسائل، والكتيبات، وجدت هذه الأسانيد أول تعبير قوى لها في عام ١٩٣٨ مع نشر "جورج أنطونيوس" لكتابه الواسع التأثير (يقظة العرب)^(٢٣)، ومن أهم الذين أسهموا في دعم

هذا الاتجاه فى العقود الأخيرة الباحث الفرنسى "ماكسيم رودنسون" الذى نشر مقالاً مفعماً بالمعانى عام ١٩٦٧ تحت عنوان "إسرائيل: واقع استعماري" (٢٤) ، فضلاً عن عميد المؤرخين الفلسطينيين "وليد خالدى" (٢٥) ، والأستاذ الفلسطينى الأمريكى "إدوارد سعيد" ، وتتضمن العناوين الرئيسية والفرعية فى كتاب "إدوارد سعيد" (مأساة فلسطين) ، الذى أعيد نشره عدة مرات ويتم الاقتباس منه عادة، جوهر النقد المناهض للاستعمارية، وقد عنون الجزء الثانى من كتابه "الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها"، وهو ما يتم التعامل معه من خلال قسمين، الأول: "الصهيونية وسلوك الاستعمار الأوروبى، والثانى: "زيادة السكان الصهيونيين، وتقريغ السكان الفلسطينيين" (٢٦). ويمثل "جوزيف مسعد" الأستاذ بجامعة كولومبيا، توجهاً أكثر راديكالية لأنصار هذا المقترب؛ حيث تقترح كتاباته أن عبارة "الصراع الإسرائيلى - الفلسطينى" مُضللة نتيجة لتضمّنها توازناً يساوى بين متصارعين متساويين أو ذوى مطالب متساوية الشرعية. وبالنسبة إليه فإنه يلزم أن نتحدث عن غزو استعماري - استيطاني، وعدوان نظمه طرف عنصرى يرغب فى التسيّد (الصهيونيين) على آخر (الفلسطينيين) فقط يحاول الدفاع عن نفسه (٢٧).

وخلال المناقشات التى تفشل - بشكل واضح - فى إقناع أولئك الذين يرون أن الصهيونية شكل من أشكال الاستعمار، يقدم كتاب من قبيل "تورين" و"جيلبر" وغيرهما حججاً مضادة، إما ترفض صراحة التشبيه بالاستعمار، وإما تبرز الصفات التى لا تجعل من الصهيونية نوعاً من أنواع الاستعمار الخالص، وعلى سبيل المثال، يطرح "تورين" دليلاً على القبول المسبق من قبل المجتمع الدولى (الأوروبى) إعادة تشكيل اليهود، وحقهم فى العودة وبناء وطنهم فى فلسطين/إيريتز إسرائيل، ويصف السلوك اليهودى على أنه بناء مجتمع جديد (اليوشيف) يهدف إلى معارضة، وليس إعادة إنتاج، الحقائق الأوروبية فى الشرق الأوسط:

"التأقلم والتحول ورفض أوروبا يتردد صداه خلال الواقع الثقافي والذهنى لليوشيف (إسرائيل)، فقد كان واضحاً بشكل صارخ أن الصهيونية لم تكن عاكفة على تقليد أو توطن مباشر، فالصهاينة لم يعتبروا أنفسهم أجانب أو غزاة، فعلى مدار قرون فى الشتات عانوا من الشعور بالغربة، أما فى "إيريتز إسرائيل" (أرض إسرائيل) فإنهم أبدوا نشاطاً خلافاً كبيراً ليشعروا بأنهم فى ديارهم، كما لو كانوا أهل البلاد الأصليين. ولقد كان تجدد الشباب هذا هو الذى أفتتح شريحة واسعة من العالم بأن اليهود لهم الحق فى الاستقلال داخل قطعة الأرض الذين تركوا بصماتهم عليها بشكل مميز" (٢٨).

ومن بين الأسانيد الأخرى التى تم تقديمها ضد نموذج "الصهيونية= الاستعمار" تشير إلى ما يلى:

- كانت المستوطنات الصهيونية والأنشطة الاستعمارية أنشطة لبناء الأمة من قبل شعب راغب فى الاندماج مع الأرض، أكثر منها لخلق موقع متقدم لاستغلال الموارد لصالح القوى الاستعمارية الأجنبية.
 - لم يكن لجوء الصهيونية للقوة نتاجاً لخطأ أصلية للغزو العدوانى، وإنما كرد فعل للعنف العربى.
 - قام الصهاينة بشراء الأرض، وليس الاستيلاء عليها أو سرقتها.
 - تشمل الصهيونية خليطاً من عناصر منبثقة عن وسائل وممارسات "الاستعمارية، ومناهضة الاستعمار، وفترة ما بعد الاستعمار" (٢٩).
- والجدال حول ما إذا كان يلزم النظر للصراع وفقاً للنموذج الاستعماري أو للرواية اليهودية القومية المنافسة، من وجهة نظرى، لا يمكن حسمه لصالح طرف، فوجود حجج مضادة لا يعنى الكثير لأولئك الذين يؤيدون بقوة أحد النموذجين؛ حيث يكون من السهل تنفيذها باعتبارها تخدم مصلحة أو تعبيراً عن التعالى. وفى

هذا الخصوص نشير إلى حوار دار مؤخرًا بين باحثين فلسطينيين وإسرائيليين ذوى عقلية متفتحة ونوايا حسنة، انحدر، عندما أثير ملف الصهيونية/ الاستعمار^(٢٠)، بعيدًا عن الموضوعية ليعكس موقفًا حاميًا تتوالى فيه الحجج وما يقابلها من حجج مضادة؛ فأولئك الذين مالوا لدعم "قضية إسرائيل" أو "قضية فلسطين" بدوا غير قادرين على الذهاب أبعد من اتهام مؤيدى النموذج المضاد بكونهم جداليين عدوانيين، كما لو كان الأمر يتعلق بتسجيل نقاط. وفى معالجتنا للصراع؛ فإننا سنتناول كلاً من هاتين الصيغتين المتضاربتين كتعبيرات أصيلة لروايات كل من المتصارعين.

ضحايا في مواجهة ضحايا:

ربما كانت الخلافات غير القابلة للتسوية بين من يرون الصراع الإسرائيلي- العربى؛ إما على أنه صدام قوميات وإما كغزو استعماري- استيطاني، يتغذى على كيفية رؤية كل طرف لذاته باعتباره ضحية للطرف الآخر، وكما سنوضح فى موقع آخر من هذه الصفحات؛ فإن البعد الخاص بـ "الضحايا فى مواجهة الضحايا" هو فى حد ذاته عامل من عوامل استعصاء الصراع على الحل، فالصهاينة الأوائل كان يغمرهم الشعور بالقيام بمهمة تتمثل فى إصلاح الظلم والمعاناة التى عانى منها اليهود على مدار قرون كضحايا كراهية واضطهاد دينى، ثم عنصرى- بيولوجى. والحماسة والتضحيات التى تطلبها الجهد المبدول للرحيل من أوروبا للذهاب إلى ما اعتبروه أرض الأجداد؛ ربما يفسر، جزئيًا، العمى من جانب الرواد الصهاينة عن الآثار السلبية التى سيوقعونها على قطاعات من السكان المحليين فى فلسطين العثمانية، فهؤلاء الصهاينة المثاليون، بما فى ذلك الاشتراكيين والدوليين بينهم، جاءوا محملين بأحكام مسبقة، سادت آنذاك، عن تفوقهم كأوروبيين

فى مواجهة "محلين بدائين" يحتاجون للاستقرار السياسى والتقدم الاجتماعى والاقتصادى الذى يحملة الصهاينة معهم لآسيا الغربية. وحققة الأمر، نظر الصهاينة للعرب ليس باعتبارهم أندادا لهم ولكن كشعب متخلف ليس له أى رابطة خاصة بإقليم معين؛ كشعب لا يحترم فقط إلا القوة (فى إشارة إلى فترات القمع التركى)، سينحنى أمام سلطة أكثر تفوقا، ولقد تمحورت خطط الصهاينة الأوائل وافتراضاتهم عن فلسطين والفلسطينيين حول شعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" (٣١).

ومن جانبهم، نظر السكان المحليون فيما سيعرف بفلسطين/إسرائيل إلى اليهود الجدد الوافدين؛ على أنهم أفراد فى شعب غامض كان فيما مضى رقيقا، ليصبح الآن مانلا إلى السيطرة على العالم، بل إنهم على قناعة (شأنهم فى ذلك شأن العديد فى ذلك الوقت) بنظريات المؤامرة لـ "بروتوكولات حكماء صهيون" (٣٢)، وقد سهل ذلك عملية "شيطنة" الصهيونية باعتبارها قوة إمبريالية خطيرة لها اتصالاتها السرية فى كل عواصم العالم، وتمثل هدفها الوحيد فى اغتصاب أرض الفلسطينيين وغيرهم من العرب.. وهكذا فإن المتحدثين باسم القومية العربية عملوا على تعبئة أنصارهم من خلال الدعوة لمقاومة الهيمنة الأجنبية من قبل الغزاة اليهود غير المرغوب فىهم، وكما سنرى مجددا، عبر العقود التالية للصراع، فإن هذا الشعور بوضعية الضحية، سيصبح ملمحا مستمرا لإدراك كل طرف لنفسه، الأمر الذى لا يمكن التخلص منه فقط من خلال الكلمات الرقيقة التى تعكس حسن النوايا.

الهوامش

(١) من أجل عرض ممتاز ومتوازن لتاريخ اليهود القديم والتاريخ العربى الإسلامى وصلتهم

بالصراع الحالى، انظر: *Mark Tessler, A history of the Israeli-Palestinian Conflict*,

Bloomington, Indianapolis, دار نشر جامعة أنديانا، ١٩٩٤، (الطبعة المزيّدة ٢٠٠٩)،

الفصلان ١ - ٢ . وانظر أيضا: *Raphael Patai, The Seed of Abraham : Jews and*

Arabs in Contact and Conflict, Salt lack city, نشر جامعة يوتاه، ١٩٨٦، ٢٩٦-٣٠٤.

(٢) فى الترجمات التقليدية لسفر التكوين، الفصل ١٧، الآية ٨، قال الله لإبراهيم: سأعطيك

ولذريتك الأرض التى أنت فيها غريب كل أراضى كنعان لتملكها ملكية أبدية وسأكون أنا

ربهم، والآيات الأخرى التى تعد اليهود فى سفر التكوين ١٢:٧، ١٣:١٤، ١٦:٧، ١٧:١٥،

١٨:٢٦، ٢٦:٣، ٢٨:٤، ١٢:٣٥. سفر الخروج ٦:٤: سفر اللاويين ٢٠:٢٤، الأعداد

١٢:٣٤:٥٣:٣٣:١٦:١٤، ١٣ وجوشوا ١:٢ - ٤.

(٣) من أجل تعليق حديث حول إسحاق وإسماعيل، انظر: *Reuven Firestone, Children of*

Abraham : An introduction to Judaism for Muslims, Hoboken Katv 2001, 10-12.

ومن أجل التفسير الجغرافى المثير للجدال والتجديدى انظر كمال صليبي، *The Bible came*

from Arabia, London, Jonathan Cape, 1985.

(٤) موسى ديان، *Living with the Bible, London : Weidenfeld and Nicolson, 1978.*

(٥) مذكرات عن الأدلة تم تسجيلها يوم الثلاثاء ٧ يناير ١٩٣٧، فى المقابلة للتاسعة والأربعين

للجنة الملكية لفلسطين، نصوص الدليل جرى الاستماع إليها فى جلسات عامة (مع الفهرس)،

كولونيل رقم ١٤٣، لندن *HMSO 1937, 288* وأعيد نشرها فى *The Rise of Israel* المجلد

٢٢ وتحرير لجنة فلسطين الملكية والتي قدم لها : Aaron S. Klieman, New York, London :

Garland, 1987.

(٦) محمد جميل بيهوم، "Arabism and Jewry in Syria", 1957، مترجم في : Arab Nationalism

and Anthology، تحرير وتقديم سيلفيا ج. حايم، بيركلي/لوس أنجلوس، نشر جامعة

كاليفورنيا، ١٩٦٢، ١٢٨ - ٤٦: والاقتباس من مقدمة حايم، المرجع السابق، ٣٨.

(٧) حديثاً تحدى شلوم وصائد المؤرخ بجامعة تل أبيب الأسطورة القومية والمستمرة للشعب

اليهودي القديم والتي بلغت ذروتها في الصهيونية والدولة اليهودية وذلك في Comment le

peuple juif fut inventé ?, Paris, Fayard, 2008. وكعينة من الكتابات الجدلية الأكاديمية

والشعبية على الجانبين لهذه المسألة، انظر مقالات Alfred Guillaume, و Ilene Beatty

والتي أعيد نشرها في From Haven to Conquest : Readings in Zionism and the

Palestine Problem until 1948, تحرير وتقديم وليد خالدي، بيروت ١٩٧١، الطبعة الثانية

في واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧، ٣ - ٣٠، وعاموس إيلون،

The Israelis : Founders and Sons, New York : Holt, Rinehart and Winston ١٩٧١،

ص: ٢٨٠-٢٨٩، كذلك G. W. Bowersock, "Palestine: Ancient History and Modern

Politics" في Journal of Palestine Studies، العدد ٥٦، صيف ١٩٨٥، ص: ٤٩-٥٧

والتي أعيد نشرها في Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian

Question، تحرير إدوارد سعيد وكريستوفر هتشنز، لندن، فرسو، ٢٠٠١، ص: ١٨١-

١٩١. كذلك Hershel Shanks, "Archaeology as Cultural Survival: The Future of the

Palestinian Past" في Journal of Palestine Studies، العدد ٢٣، ١٩٩٤، ص: ٧٠-٨٤.

انظر أيضاً: "Cultural Bias in the Archaeology of Palestine"، في Journal of Palestine

Studies، العدد ٢٤، ١٩٩٥، ص: ٤٨-٥٩. كذلك: Yael Zerubavel, "Recovered Roots:

Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition" نشر

جامعة شيكاغو، ١٩٩٥، ص: ٢٢-٣٦. وأيضًا: *F Palestine Zeru Bavel, recovered roots: collective memory and the making of Israeli National tradition, Chicago/London, Howard Marblestone, « The Great Archiological Debate »*، نشرة الدراسات الإسرائيلية، ١٦:١ (نهاية ٢٠٠٠)، ٢٣،٩ وأمى بوكسر ماركوس، *The view from Nebo : How Archeology is Rewriting the Bible and Reshaping the Middle East, Boston, MA : Little, Brown, 2000 : Netty C. Gross, « Demolishing David »* , Jerusalem report, 11 september 2000, 40,6 ونادية أب والحاج، *Facts on the Ground : Archeological Practice and Territorial Self-fashioning in Israeli Society*, دار نشر جامعة شيكاغو، ٢٠٠١. ويعقوب لوزوويك، *Right to exist : A Moral Defense of Israel's Wars, New York, Doubleday, 2003, 23-41* وجون كويجلي، *The Case for Palestine : An International law Perspective*, طبعة محدثة ومنقحة، تحرير دورهام، N.C. لندن، دار نشر جامعة ديوك، ٢٠٠٥، الفصل ٨ وجاكوب لاسنر وس. إيلان توين، *Jews and Muslims in the Arab World : Haunted by Past, Real and Imagined, Lanham Roulder Rowman and Little field, 2007, The Bible and Zionism : Invented traditions, Archeology and Post-colonialism in Palestine-* ومن أجل *Israel, London/New York, Zed Books, 2007.* مشاكل المحاولات الأخيرة لإنشاء علاقة من خلال DNA، انظر Diana Muir, Applbaum *« The Gene wars »*, Azur 27 and Paul S. Appelbaum، شتاء ٢٠٠٧، دخول على الموقع <http://www.azure.org.il/Magazine/Magazine.asp?ID=347>، ٢١ مارس ٢٠٠٨

(٨) « History on the Line : Joseph Massad and Benny Morris Discuss the Middle East »

في : *Joseph A. Massad, The Persistence of the Palestinian Question* مقالات عن الصهيونية والفلسطينيين، لندن، Routledge، ٢٠٠٦، ١٦٣ - ٥.

(٩) انظر إيلي قدوري، « *Religion and Politics* » in the *Chatham House Version and other*

Middle Eastern Studies, London, Weidenfeld and Nicolson, 1970, 317-50.

(١٠) نجيب عزوري، *Le réveil de la nation Arabe dans l'Asie turque...Partie asiatique de la*

question d'Orient et programme de la Ligue de la Patrie Arabe, Paris, Plon, 1905, 5,

مقتبسة من Neville G. Mandel, *The Arabs and Zionism before World War I*, بيركلي،

دار نشر جامعة لوس أنجلوس، كاليفورنيا، ١٩٧٦، ٥٢.

(١١) وكعينة لبعض الدراسات الأساسية والكلاسيكية عن الصهيونية، انظر *The Zionist Idea* :

Arthur Hertzberg, Garden City: *A Historical Analysis and Reader*, تحرير وتقديم

Doubleday and Herzl Press, 1959, والتي أعيد طبعها في نيويورك: 1969, *Atheneum*,

والتر لاكير، *A history of Zionism*, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972

والتي أعيد إصدارها في نيويورك: 1989, *Schocken Books*, مع مقدمة جديدة للمؤلف:

شلوم واينبري، *The Making of Modern Zionism: Intellectual origins of the Jewish*

State, New York: Basic Books, 1981; Amnon Rubinstein, *From Herzl to Rabin: The*

Changing Image of Zionism, New York: Holmes and Meier, 2000. ومن أجل بعض

التحليلات الأخيرة والتفسيرات انظر: 42-9, *Lozowick, Right to Exist*

(١٢) "Mandel, *"Arabs and Zionism"*, الفصلان ٩-١٠، و *Chaplan, "Futile Diplomacy I"*

الفصل الأول، و "N.J. Mandel, *"Attempts at an Arab-Jewish Entente"*, ١٩١٤, *Middle*

Eastern Studies (١٩٦٤-١٩٥٦)، ص: ٢٣٨-٢٦٧.

(١٣) وضمن الأدبيات الثرية عن العلاقات العربية - اليهودية في الفترة الأخيرة العثمانية انظر

Palestine and وذلك في Amile Marmorstein, « *European Jews in Muslim Palestine*»

Ily Kidouri and Sylvia G. Haim, London: *Israel in 19th and 20th centuries*, تحرير

Frank Cass, 1982 1-14; Yaacovro'i, « The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914 »
Mandil, Arabs and Zionism ; Gerschon Shafir, ٥٩—١٥. وذلك في المرجع السابق.
Land, Labor and the Origins of the Israeli-Palestinian Conflict, 1882-1914,
كامبريدج/نيويورك: دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٨٩، تحرير محدث، بيركلي، لوس
أنجلوس، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٦، رشيد خالدي، *Palestinian Identity: The
Construction of Modern National Consciousness, New York :*
كولومبيا، ١٩٩٧، الفصل الخامس.

(١٤) Mandel, Arabs and Zionism, 76-92, 210-22 ; R. Khaledi, *Palestinian Identity*, الفصل ٦.

(١٥) Ahad Ha-Am (Asher Zvi Ginzberg), « Truth from Eretz Israel », *ha-melitz*, 19-30,
يونيو ١٨٩١، والمترجم في Alan M. Dowty, « Much ado about little : Ahad H'am's
Truth from Eretz Israel, Zionism and the Arabs » الدراسات الإسرائيلية، ٥:٢
(٢٠٠٠)، ٨١-١٥٤.

(١٦) Theodor Herzl to Youssuf Zia al khalidi, ١٩ مارس ١٨٩٩، مترجم وأعيد إنتاجه في
From Haven to Conquest, تحرير وليد خالدي، ٣-٩١، وانظر أيضا المناقشة المطولة
في R.Khalidi, *Palestinian Identity*, 69-84.

(١٧) Yaacov Ro'i, « The Zionist Attitude to the Arabs, 1908-1914 », (1968),
في Kduri and Haim 15-59 *Palestine and Israel in 19th and 20th Centuries*, تحرير
لكير، *History of Zionism*, الفصل ٥، Alan Dwty, *Israel/Palestine*, الطبعة الثانية،
Polyty Press, 2008, 40-4. بريطانيا، MA/Cambridge.

(١٨) انظر ضمن مئات من المنشورات الحديثة المجموعة المعنونة " *The Future of Palestine* "
and *Israel From Colonial Roots to Postcolonial Realities*, تحرير إسلام فاروق على،
Midrand جنوب إفريقيا: 2007، *Institute for Global Dialogue*,

(١٩) S.Han Troen, "De-judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the History of Palestine" *Israel Affairs*, 13:4 (2007), 872-84.

(٢٠) Jacob Talmon, *Israel Among the Nations*, London: Weidenfeld and Nicolson, 1970 ;

Jacob Tsur, *Zionism: The Saga of the National Liberation Movement*, New Brunswick, Ng: Transaction, 1977; Conor Cruise O. Brien, *The Siege: The Saga of Israel and Zionism*, New York: Simon and Schuster, 1986.

(٢١) Yoav Gelber, "The history of Zionist Historiography: From Apologetics to Denial", In *Making Israel*، تحرير بينى موريس آن أربور: دار نشر جامعة ميتجن، ٢٠٠٧، ٦٥.

(٢٢) Dan Bar-on and Sami Adwan, « The Psychology of Better Dialogue Between two Israelis and Palestinian Narratives of Separate but Interdependent Narratives » فى *conflict: History's double Helix*. تحرير روبرت روثريج، Bloomington, Indianapolis، دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ٢٠٥-٢٤.

(٢٣) جورج أنطونيوس، *The Arab Awakening*, London, Hamisch Hamilton, 1938, 361-412. ومن أجل نظرة نقدية انظر سيلفيا حايم، « *The Arab Awakening, A Source for the Historian ?* » *Die Welt des Islams, New Ser.*, 2 :4 (1953) 237-50 الذى ستم مناقشته فى الفصل الحادى عشر من هذا الكتاب.

(٢٤) Maxime Rodinson, « *Israel: Fait Colonial?* », *Les Temps Modernes*, 22 (1967) 253 Bis, 17-88 الذى أعيدت ترجمته مؤخرًا، *Israel : A Colonial Settler-State ?*، ترجمة

David Thorstad، تقديم Peter Buch, New York : Anchor foundation, 1973.

(٢٥) *From Haven To Conquest*

(٢٦) إدوارد سعيد، *The question of Palestine*, New York : Vintage, 1980, 56-114 الطبعة الثانية مع مقدمة جديدة وخاتمة، نيويورك، Vintage, 1992. وهناك تقديم أكثر فعالية وأكثر

حدثاً في التاريخ الفلسطيني تحت هذا الضوء يمكن أن نجده في رشيد خالدي، *The Iron*

Cage : The story of the Palestinian

Struggle for Statehood, Boston, MA, Bacon, 2006.

Massad, The Persistence of the Palestinian Question, 143, 152-3-161. (٢٧)

Troen, "De-Judizing the Homeland", 875. (٢٨)

Derek G. Penslar, Israel in History: The Jewish State in Comparative Perspective, (٢٩)

Gelber, The History of (الفصل ٥ عموماً)، *London/New York, Routledge, 2007, 91*

Gerschon Shafir, « Zionism and Zionist Historiography », 64-9.

The Israel/Palestine Question, Colonialism : A Comparative Approach » وذلك في

تحرير *Ilan Pappé, London/New York : routledge, 1999, 81-96.* وغالباً فإن شافير يتم

وضعه ضمن الاجتماعيين النقديين، وهو يتجه نحو تأييد النموذج الاستعماري ولكن مع

تحديدات معينة.

(٣٠) *Shared Histories : A Palestinian-Israeli Dialogue*, تحرير *Paul Sham* وليد سالم

وينيامين بوجروند، *Wallnotcreek, CA, Leftcoast press, 2005, 75-91.*

(٣١) انظر « *The Land Without A People* » (1) *The Ironic Juxtaposition of Maps* والتي

تظهر القرى الفلسطينية والمدن و (2) « *The People Without a Land* » والتي تظهر

المستعمرات الصهيونية الأولى في وليد خالدي، *From the Haven to Conquest, 94-5.*

(٣٢) انظر كمثال الدليل المقتبس في *Patai, The Seed of Abraham, 279-96.*

الفصل الرابع

العرب واليهود تحت الانتداب البريطاني

خندقة المواقع ١٩١٧-١٩٢٨

فى أواخر عام ١٩١٧، زحفت القوات البريطانية من قواعدها فى مصر مجتاحة مواقع الجيش التركى لتستولى على النصف الجنوبى من فلسطين إلى خط يقع شمالى القدس ويافا، وقد تمت السيطرة على الجزء المتبقى من الأراضى المتنازع عليها فى فلسطين (إيريتز إسرائيل) فى هجوم لاحق خلال عام، وعلى مدار الثلاثين عاما التالية بدأ ما أصطلح فيما بعد على تسميته بالصراع العربى-الإسرائيلى؛ يبرز ويتفاقم ويرسخ داخل فلسطين تحت الحكم البريطانى، فخلال فترة الانتداب بدأ الخلاف بين جماعتين قوميتين فى التبلور وازدادت حدته تدريجيا استنادا إلى تنافس وليد أشار إليه "تجيب عزورى" وغيره خلال فترة ما قبل الحرب.

جاء انعقاد مؤتمر السلام لعام ١٩١٩، فى فرساي، ليزيد من تعقيد الصراع الصهيونى-الفلسطينى ويساهم فى تشكيله فى آن واحد، ففى أعقاب الحرب العالمية الأولى حلت فى المناطق الشرقية من البحر المتوسط، بدلاً من ولايات الإمبراطورية العثمانية التى ناهزت من العمر أربعمئة عام أو خرجت مهزومة من الحرب، دول ذات السيادة ومناطق ممتعة بحكم شبه ذاتى تم وضعها من قبل عصبة الأمم الوليدة، تحت سلطة الانتداب للعديد من القوى المسيحية الأوروبية،

لتظير خريطة جديدة للشرق الأوسط تُبين الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان،
والبريطاني على العراق وفلسطين.

وسيركز هذا الفصل على دراسة آثار تسويات ما بعد الحرب، والحكم
البريطاني على الصراع وأطرافه، ومن خلال التعرض للصراع المتطور خلال
تلك الفترة سنعمل على بحث ثلاث مقولات جوهرية مثيرة للجدال أسهمت في
زيادة تعقيد الصراع واستعصائه على التسوية، وهي على وجه التحديد كما يلي:

(١) هل قام البريطانيون بخلق أو مفاقمة الصراع بين
الفلسطينيين العرب واليهود الصهاينة من خلال تفضيلهم
طرفاً على الآخر؟

(٢) هل مثلت احتجاجات ومطالبات القادة الفلسطينيين
تعبيراً شرعياً عن شعور قومي فلسطيني أصيل؟

(٣) هل حملت الصهيونية معها الضرر؛ أم المنفعة
للسكان المحليين الفلسطينيين وللإقليم؟

تعهدات وقت الحرب.. أرض فلسطين الموعودة لأكثر من طرف:

وللتناول الصحيح لفترة الانتداب البريطاني؛ قد يكون من الضروري العودة
قليلاً إلى الوراء لتتبع التعهدات والوعود التي قطعتها بريطانيا، وكان لها تأثير في
المطالب المتناقضة لكل من العرب والفلسطينيين والصهاينة لعقود مقبلة، فإزاء
تحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، سعت كل
من بريطانيا، فرنسا، روسيا لدعم عملياتها الحربية بشبكة تحالفات دبلوماسية بُغية

توسيع دائرة مصالحهم ومناطق نفوذهم في منطقة الشرق الأوسط، وكانت الإمبراطورية البريطانية سباقة في تقديم ثلاث مجموعات من التعهدات فيما يتصل بالأوضاع بعد أن تضع الحرب أوزارها، ولقد كُتب الكثير حول "المسألة الشرقية" أو "المسألة العربية" والدوافع والمناورات التي قام بها جميع اللاعبين، وما يلي هو تبسيط لبعض هذه الموضوعات المعقدة.

تاريخياً، يمتد التعهد الأول الذي تم تقديمه إلى المراسلات المتبادلة بين أمير مكة "الشريف حسين" (في الحجاز التي أضحت فيما بعد المملكة العربية السعودية) والسير "هنري مكماهون" المندوب السامي البريطاني في القاهرة، ففي الفترة الممتدة من يوليو ١٩١٥ حتى مارس ١٩١٦ تم تبادل اثنتي عشرة مذكرة وخطاباً بينهما، الأمر الذي أسهم في إعداد المسرح لإطلاق ثورة عربية مناهضة لتركيا بدأت في يوليو ١٩١٦ بزعامة "الشريف حسين" ونجليه "عبد الله" و"فيصل"، الذين توقعوا في المقابل المساندة البريطانية لحصول العرب على الاستقلال بعد هزيمة الأتراك العثمانيين^(١)، وخلال الفترة نفسها كان ممثلون من كل من بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية منشغلين بتقسيم الإقليم إلى مناطق نفوذ، سواء من خلال الحكم المباشر أو غير المباشر، بينهم. وتضمنت الخطط قيام "دولة عربية أو اتحاد كونفيدرالي بين دول عربية" تتقاسم فيه كل من فرنسا وبريطانيا النفوذ أو تطبيق نظام الحماية، ووفقاً لنصوص الاتفاقية المصنفة "سري للغاية" التي استمدت اسمها من موقعها البريطاني سير "مارك سيكس" والفرنسي "جورج بيكو" في مايو ١٩١٦؛ تم وضع فلسطين تحت "إدارة دولية"^(٢).

وقد جاء التعهد الثالث الذي تم تقديمه في وقت الحرب، وهو الأكثر اتصالاً بموضوعنا، في شكل تصريح بلفور الصادر في ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ والذي وعد

بمساندة بريطانيا لـ 'وطن قومي لليهود' في فلسطين، والذي يبرز ليس فقط الدور المهم الذي لعبته القوى الخارجية في هذا الصراع، وإنما أضحى واحدًا من الوثائق المثيرة للعديد من النقاش والجدال التي شكلت مستقبل فلسطين وإسرائيل، على الرغم من أنه كانا نصًا قصيرًا تضمن فقط ٦٧ كلمة:

تَنْظَرُ حُكُومَةُ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ بِعَيْنِ الْعُطْفِ لِإِنْشَاءِ وَطَنٍ
قَوْمِيٍّ لِلْيَهُودِ فِي فَلسطين، وَتُستَخدَمُ كُلُّ إمكانياتها لِتسهيل
تَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ، وَمِنَ الْمَفْهُومِ تَمَامًا أَنَّ شَيْئًا لَنْ يَتِمَّ
الإِقْدَامُ عَلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِ الْمَسَاسِ بِالْحَقُوقِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ
لِلْمُجْتَمَعَاتِ غَيْرِ الْيَهُودِيَّةِ فِي فَلسطين أَوْ الْحَقُوقِ وَالْوَضْعِ
السِّيَاسِيِّ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ الْيَهُودُ فِي أَيِّ دَوْلَةٍ أُخْرَى."

وقد تم توجيه هذا القرار الحكومي في شكل خطاب مقتضب من وزير الخارجية "آرثر بلفور" إلى اللورد "والتر روتشيلد" رئيس الاتحاد الصهيوني البريطاني.

تضافر خليط من اعتبارات السياسة الواقعية والمشاعر الدينية؛ لدفع أعضاء الحكومة البريطانية إلى التعاطف مع الجهود المتوالية والمبذولة من قبل جماعات الضغط المشكلة من القيادات الصهيونية، وتضمنت الاعتبارات السياسية الرغبة في الحصول على المساندة اليهودية الدولية سواء للعمليات الحربية البريطانية أثناء الحرب أو لمصالحها في أعقابها، وقد تشابك ذلك مع المعتقدات الدينية للعديد من الساسة ذوي النفوذ، التي ولدت لديهم قراءاتهم في نبوءات التوراة تعاطفًا مع تطلعات الشعب اليهودي المشتت للعودة إلى الحياة في بلاد أجداده. وكانت الصياغة النهائية لإعلان بلفور محل صياغات متعددة خلال الشهور الخمسة التي سبقت صدوره، وإذا ما نحينا جانبًا بعض مظاهر الشعور بالإحباط فيما يتصل باختيار

كلمة "إقامة" بدلاً من "إعادة بناء" (التي كان من شأنها الاعتراف بحق وجد مسبقاً لليهود للعودة)، نظر الصهاينة إلى إعلان التأييد الصادر عن قوة عظمى على أنه إنجاز كبير لحركتهم^(٣).

مثلت العبارات الغامضة التي كشفت عما أصبح يعرف فيما بعد على أنه "الالتزام المزدوج" من جانب بريطانيا، أكثر النقاط إثارة للجدال على المدى البعيد؛ فالالتزام الإيجابي للصهاينة كان مشروطاً بتوصية سلبية تتعلق بعدم الإضرار بالحقوق الدينية والمدنية لسكان فلسطين المحليين، وقد تضمنت هذه التركيبة تناقضات وعدم توازن داخلي، كان سبباً إضافياً من أسباب رفض الفلسطينيين والقوميين العرب للإعلان، ومن بينها الإشارة إلى السكان المحليين على أنهم "غير اليهود" وليس باعتبارهم "عرباً" أو "فلسطينيين"، فضلاً عن أن الحماية التي نص عليها الإعلان اقتصرَت على "حقوقهم المدنية والسياسية" ولم تشمل تلك السياسية والوطنية^(٤).

تناول العديد من الكتابات لشرح العلاقة بين هذه التعهدات الثلاثة إذا ما تم أخذها معاً، وعمّا إذا كانت تحظى بتناغم فيما بينها في هذه الحالة، كذلك طرحت التساؤلات حول ما إذا كانت بريطانيا تعتقد حقاً في قدرتها على الوفاء بكل هذه الوعود، وعلى حين تعامل معظم الكتاب مع التعهدات التي تم قطعها وقت الحرب باعتبارها الأساس وراء اعتبار أن فلسطين/إسرائيل جرى "الوعد بها مرتين" أو أنها الأرض التي "وعد بها كثيرًا"^(٥)، نفى بعض آخر أن تكون هذه التعهدات المتشابهة متعارضة بالضرورة، مشيرون إلى أنها كانت تطبيقاً للممارسات الدبلوماسية التقليدية القائمة على حسابات إمبريالية وقتية^(٦).

وقد كان من شأن هذا السلوك البريطاني الإسهام فى خلق مشاعر استياء من الإمبريالية بين العرب (بعد حالة من المساندة المبدئية) من جانب، وحالة من عدم الثقة والشك العميق بين اليهود من جانب آخر. فلقد دفع القوميون العرب بأن بريطانيا، على الرغم من تأكيداتها المتعاقبة، خانتهم لعدم قيامها بتنفيذ الوعود التى قطعها وفقاً لمراسلات مكماهون/حسين بالاعتراف باستقلال العرب فى مناطق محددة تشمل فلسطين؛ ومن جانبهم ادعى البريطانيون أن المنطقة التى صارت تحت الانتداب فى فلسطين قد تم استبعادها من الوعد الخاص بالاستقلال للعرب، وكانت المحاولات التى جرت لتقديم توضيح رسمى للالتزامات المتصلة بالأرض التى قدمها سير "مكماهون" (المائدة المستديرة التى عقدت فى قصر سان جيمس أوائل عام ١٩٣٩) غير مقنعة، بل إنه حتى اليوم ما زال الباحثون منقسمين حول وضعية هذه المراسلات وحقيقة الوعود (أو النفاق اللغوى) البريطانى للعرب^(٧)، إلا أن هناك شيئاً واحداً مؤكداً؛ أن هذه الوعود المتناقضة خلال الحرب قد أدت إلى خلق توقعات مبالغ فيها ومتناقضة لدى كل من العرب، الفلسطينيين، الصهاينة على السواء، الأمر الذى فاقم من التوترات القائمة والشكوك المتبادلة.

الالتزام البريطانى المزدوج:

سعت بريطانيا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الأولى مباشرة إلى تحقيق مصالحها فى الإقليم، مع إشباع الحد الأدنى من بعض مطالب حليفاتها فرنسا، وعمالها الجدد العرب والصهاينة، فخلال العام الذى شهد انعقاد مؤتمر باريس للسلام على سبيل المثال، أدى المسعى البريطانى لتحقيق التناغم بين هذه العناصر المتضاربة إلى خلق حالة من التوافق تم التوصل إليها عبر وساطة

شخصيات رسمية من قبيل الكولونيل "ت.آي.لورنس" (لورانس جزيرة العرب) بين كل من الأمير "فيصل" الذي اعتلى (مؤقتاً) عرش دمشق، والدكتور "حاييم وايزمان" ممثلاً للمنظمة الصهيونية العالمية، وقد تمخضت جهود التوفيق هذه عن توقيع اتفاقية مهمة، لكنها لم تر النور جزئياً نتيجة الإصرار الفرنسي على حكم دمشق وخلع الأمير فيصل إثر تنصيبه ملكاً على سوريا عام ١٩٢٠^(٨)، كذلك اتخذ اعتراف بريطانيا، وإن كان بشكل جزئي، بالتعهدات التي قطعها خلال الحرب للملك حسين، شكلاً إيجاد عروش لوليدته خلال عام ١٩٢١: فيصل (العراق)، وعبد الله (شرق الأردن).

وخلال هذه الفترة، تمسك العرب، والفلسطينيون، والصهاينة (كما هي الحال بالنسبة لمؤيديهم اليوم) بتفسيرات مختلفة لدور بريطانيا ومسؤوليتها، وكما سبق إيضاحه أدى عدم تحقيق آمال القوميين العرب بالحصول على الاستقلال بعد نهاية الحرب إلى حالة من المرارة بين صفوفهم؛ وبدأت لهم وضعية الانتدابات الجديدة وكأنها توسعات استعمارية مقنعة أو مجرد تعديلات شكلية على الحكم الاستعماري، وقد رفض معظم العرب شرعية إعلان بلفور وشروط الانتداب (انظر ما يلي) التي استندت إلى تعهدات بريطانية، فضلاً عن شعورهم بالإحباط وخيبة الأمل من عدم تحقق الاستقلال غداة الحرب. اعتبر القوميون العرب الدور البريطاني شائناً وضاراً بحقوقهم ومصالحهم، سواء فيما يتصل بأثره الاستعماري الواسع في حجب الاستقلال العربي أو في تطبيقه الخاص بفلسطين عبر بنود الانتداب التي تشجع إنشاء وطن قومي لليهود، وقد انعكس هذا التوجه في جميع التطلعات الرسمية، والمذكرات، والإعلانات التي صدرت عن الزعماء الفلسطينيين المعترف بهم - المؤتمر الفلسطيني العربي ولجنته التنفيذية العربية - في العشرينيات، واللجنة العربية العليا ابتداء من عام ١٩٣٦.

تضمنت كتابات المحللين والباحثين هذه النظرة النقدية للدور البريطاني، ومن أوائل الأمثلة على ذلك الدكتور جورج أنطونيوس في كتابه (بقطة العرب) الصادر عام ١٩٣٨، ولقد لخص منهج دراسي حديث تجريبي للمدرسة العليا للطلبة العرب والإسرائيليين في الرواية الفلسطينية التي تعكس هذه النظرة النقدية للدور البريطاني على النحو التالي:

"وجدت الإمبريالية البريطانية فى الصهيونية الأداة المثلى لتحقيق مصالحها فى المشرق العربى ذى الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للإمبراطورية، وبالمثل استغلت الصهيونية الطموحات الاستعمارية لبريطانيا لكسب تأييد دولى والحصول على موارد اقتصادية لتحقيق مشروعها الخاص بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقد نتج عن هذا التحالف للإمبريالية البريطانية والصهيونية... إعلان بلفور... وهو مثل صارخ للسياسة البريطانية القائمة على الاستيلاء على أرض وموارد أمة أخرى ومحو هويتها، إنها سياسة قائمة على العدوان والتوسع وقمع التطلعات للتحرر الوطنى... وبالنسبة للفلسطينيين؛ فإن عام ١٩١٧ كان الأول من بين العديد من الأعوام التى عمّتها الأحزان، والحروب، والكوارث، والقتل، والتدمير، والتشريد.^(١)"

ولا حاجة للقول بأن تقييم الصهاينة وإسرائيل للدور البريطانى كان مختلفاً، فقد عبر قادة الصهيونية آنذاك عن عرفانهم بالجميل لبريطانيا؛ باعتبارها أول القوى الكبرى التى تعترف بمطلب الشعب اليهودى بالعودة وإعادة بناء وطنه

القومى فى فلسطين، كما شعروا أكثر بالارتياح نتيجة الدعم الذى أبدته قوى غربية أخرى، سواء فرادى أو مجتمعين من خلال تبنى عصابة الأمم لشروط الانتداب على فلسطين، كما يوجز المنهج الدراسى التجريبي المشار إليه عاليه الرواية الصهيونية حول موضوع الإسهام البريطانى على النحو التالى:

"ولدت الحركة الصهيونية فى التجمعات الرئيسية للسكان اليهود فى أوروبا، وتمثل هدفها فى عودة الشعب اليهودى إلى أرضه، ووضع نهاية لوضعه غير العادى بين أمم العالم ... والمرة الأولى التى عبرت فيها دولة عن تأييدها للصهيونية كانت فى خطاب وجهه اللورد بلفور...تضمن تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومى لليهود على أرض إسرائيل"^(١٠).

وبلاحظ على هذه الرواية تركيزها على منح الدور الرئيسى لليهود أنفسهم، فى حين تم إسناد الدور الثانوى لبريطانيا، ويتمشى هذا مع التغيير الذى لحق بالسياسة والأطروحات للصهيانية فى الفترة التى تلت عام ١٩٢١ من خلال تقديم أنفسهم كطرف مضطهد كان عليه دائماً التعامل مع وعود بريطانية لم يتم الوفاء بها، ودعم فاتر على أرض الواقع، وميل ظاهر تجاه العرب فى السلوك البريطانى.

وقد مثل تأسيس إمارة شرق الأردن على أجزاء من الأراضى الفلسطينية شرق نهر الأردن منتصف عام ١٩٢١ (فى إطار عملية تأسيس عرش لعبد الله نجل حسين) نقطة تحول مهمة، فاستبعاد هذه المنطقة من تطبيق بنود الانتداب الخاصة بالوطن القومى اليهودى مثلاً، بالنسبة للكثيرين من الصهيانية، خيبة أمل عظمى، واعتبره أتباع الزعيم اليهودى "فلاديمير جابوتسكى" "خيانة" بريطانية، و"أول تقسيم" لوطنهم القومى المرتقب"^(١١).

وخلال السنوات التالية؛ أرسل ممثلو الصهيونية شكاواهم ومطالبهم إلى لندن وعصبة الأمم، متهمين الإدارة البريطانية في فلسطين بعدم الأمانة في تنفيذ السياسات التي يتوقعون لها الإسهام في نمو الوطن القومي لليهود، وقد تم التعبير عن هذا التوجه بطريقة معتدلة ومهذبة من قبل التيار الرئيسي في الحركة الصهيونية، إلا أن الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين شهدت ظهور تعبيرات أكثر راديكالية (أحياناً معادية للاستعمار) بل وأعمال عنف قامت بها الجماعات المنشقة من قبيل "أرجون زفاي لومي" (الأرجوان) وجماعة "سטרن" (لوهامي هروت إسرائيل)^(١٢)، وبرزت الانتقادات الصهيونية لبريطانيا بالخيانة في الكتابات والمذكرات^(١٣)، ومن الأمثلة على ذلك، مذكرات "مناحيم بيجين" (الثورة) اتهامات واسعة النطاق ومبالغ فيها - إذا ما تم التدقيق في التاريخ بدقة وعناية- من بينها العداء والنفاق البريطاني تجاه اليهود، ووجود "مخطط" أو "خطة رئيسية" للسيطرة على فلسطين:

"سيقوم العرب، إذا ما لزم الأمر، بالتمرد ضد "الغزو الأجنبي"؛ وسيظل اليهود إلى الأبد مجرد أقلية مهددة، وهو ما يعني أن كلا الطرفين سيحتاج للحماية العسكرية... وستكرر هذه الدائرة على الدوام، وقد تم تشجيع العرب، أحياناً بطريقة صريحة، على تنظيم هجمات على اليهود، الأمر الذي يعقبه وصول لجان تحقيق تقوم بإعداد تقارير، ويصدر في أعقابها كتاب أبيض يتم بموجبه وقف الهجرة أو تقييدها إلى مستوى لا قيمة له"^(١٤)

وحتى اليوم، يمكن للمرء أن يجد في المواقع الإلكترونية "العمل المسيحي لصالح إسرائيل" سلسلة من الأعمال الموجهة ضد اليهود خلال فترة الانتداب في

إطار مؤامرة تحريضية يتم نسبها إلى بريطانيا^(١٥). ومما سبق تظهر ملامح موقف لم تتجح فيه بريطانيا، التي أدت مساعيها لتنفيذ "التزامها المزدوج" وفقاً لشروط الانتداب إلى إشاعة الإحباط لدى طرف أو آخر، وغالباً كلاهما؛ فقد كان من المستحيل عليها أن تُرضى كلاً من مشاعر الخوف والاعتراض المتكررة ومظاهر المقاومة من قبل الأغلبية العربية من جانب، وشكاوى الصهاينة المتكررة من عدم وفائها بالوعود التي قطعتها لمساندة مشروعهم من جانب آخر. وقد تشابكت هذه الآراء المتناقضة حول الدور البريطاني مع أسانيد وحجج أخرى، من بينها على سبيل المثال التساؤل عما إذا كان الصهاينة عاندين إلى بلادهم أم غزاة لبلاد الآخرين؟ هل كانت الاعتراضات الفلسطينية أصيلة أم مصطنعة؟ وفي حين أن هذه المقولة الجوهرية الثالثة لا تبدو، مثل المقولتين السابقتين اللتين سبق تناولهما (انظر: الفصل الثالث)، صعبة على الفهم، فإن الرؤى المختلفة حول طبيعة الدور البريطاني أسهمت فقط في إضافة المزيد من الزيت على النار.

وفي الجزء الباقي من هذا الفصل؛ سنرى المزيد من الدلائل على كيفية انعكاس هذه الاختلافات على أنماط العلاقات الفلسطينية- اليهودية- البريطانية خلال فترة الانتداب، وهو ما سيقودنا إلى التعرض للمقولتين الجوهريتين الرابعة والخامسة: هل كانت معارضة القومية الفلسطينية للصهيونية أصيلة تستند إلى مظالم حقيقية، وهل جلبت الصهيونية معها الضرر أم النفع للسكان المحليين الأصليين؟

تطبيق الانتداب.. حلقات من الاحتجاجات ولجان التحقيق:

في الإطار الأوسع لخيبة الأمل العربية عموماً، إثر تسويات ما بعد الحرب التي شهدت تقسيم الشرق الأوسط لمناطق نفوذ فرنسية وبريطانية، تحت نظام الانتداب، قام عرب فلسطين الذين كانوا في السابق منخرطين في الجهود القومية الهادفة للحصول على الاستقلال، بتغيير محور تركيزهم في الفترة التالية مباشرة

للحرب ١٩١٨-١٩٢١؛ من الكفاح القومى العربى إلى نموذج محلى أكثر خصوصية للقومية الفلسطينية- العربية، فمع تلاشى الآمال فى تضمين فلسطين (باعتبارها سوريا الجنوبية) فى كونفدرالية عربية بقيادة الأمير "قيصل" فى دمشق، ركزت القيادة الفلسطينية على التصدى للبرنامج الصهيونى فى فلسطين ذاتها، وهو البرنامج الذى كان من شأن وضعه موضع التنفيذ أن يُغلق الباب نهائيا أمام إمكانية قيام دولة عربية مستقلة هناك^(١٦).

شأنه فى ذلك شأن الجماعة اليهودية المنافسة؛ عمل المجتمع الفلسطينى، بدءًا من عام ١٩٢٠، على تأسيس "دولة داخل الدولة"، وقد تشكل الجهاز السياسى الفلسطينى فى بداياته من مؤسستين رئيسيتين هما: مؤتمر فلسطين العربى المكون من الجمعيات المحلية الإسلامية والمسيحية، والمجلس الإسلامى الأعلى. وقام المؤتمر الفلسطينى العربى بانتخاب لجنة تنفيذية عُرفت باسم اللجنة العربية التنفيذية تم من خلالها تمثيل كل أطراف الروابط العائلية والإقليمية والدينية، وحتى منتصف الثلاثينيات كانت اللجنة بمثابة المدافع الرئيسى عن المصالح الفلسطينية فى اللقاءات مع المسؤولين البريطانيين، كما قامت بإرسال وفود إلى كل من لندن وجنيف لهذا الغرض^(١٧).

ومنذ عام ١٩٢٠؛ بدا كل من العرب والصهاينة منحصرين فى أنماط متكررة من الشكاوى لمسئولى المستعمرات البريطانية، سواء فى فلسطين و/أو لندن، من السلوك العدوانى أو غير المبرر للطرف الآخر، وكذلك من المعاملة غير العادلة التى يلقونها من السلطات مقارنة بما يحصل عليه الطرف الآخر، وحتى التطورات غير المهمة أو الرمزية سرعان من كان يتم إضفاء الصبغة القومية عليها فى ظل سعى كلا الطرفين لتثبيت موقعه تجاه الآخر، ومن قبيل ذلك القرار البريطانى بالاعتراف بالعبرية كأحدى لغات التعاملات الرسمية الثلاث فى البلاد، وفى سك العملة والطابع البريدية.

تم وضع فلسطين تحت الانتداب بوثيقة قانونية دولية تضم ٢٨ مادة؛ جرى التصديق عليها منتصف عام ١٩٢٢، دخلت حيز التنفيذ بعد عام، وقد تضمنت الوثيقة حالة الغموض والتناقض التي بُنى عليها تصريح بلفور؛ بل وتضمنت المقدمة والمواد ٦،٢،٤ فقرات أكثر انحيازاً للصهاينة مما ورد في التصريح ذاته، وبصفة خاصة اعتراف المقدمة بـ "الروابط التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين والأسس لإعادة بناء وطنهم القومي في هذه البلاد"، وقدمت الوثيقة للأطراف الثلاثة بشكل ما من أشكال "الدستور"، يُحدد التزامات ومسؤوليات بريطانيا، كسلطة انتداب، تجاه كل من اليهود والسكان المحليين، ومن ثم أضحت الوثيقة نقطة مرجعية للمسؤولين من قيادات الطرفين لتقديم شكاواهم الرسمية.

وطوال فترة الحكم البريطاني، رفض ممثلو الشعب الفلسطيني شرعية الانتداب ذاتها؛ باعتبارها خرقاً لأجزاء من المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم، كما أوضحوا أن أحكام الانتداب المتصلة بالوطن القومي اليهودي تتناقض مع مبادئ تقرير المصير والتعهدات التي وردت في تصريحات بريطانية أخرى، ومبادئ الرئيس "در وويلسون الأربعة عشرة" وتقرير لجنة كينج كرين في أغسطس ١٩١٩^(١٨). وعلى مدار الأعوام التالية؛ سعى الباحثون في القانون الدولي والمعلقون السياسيون بمهارة تحليلية للدفاع عن المواقف الفلسطينية أو الصهيونية، وكان الأمر يجرى في ساحة القضاء، سواء لإثبات أن تصريح بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين تنقذ إلى الشرعية أو أنها، على العكس من ذلك، مثلت ممارسات شرعية وفقاً للقانون الدولي (الأوروبي) والدبلوماسية الدولية^(١٩).

وعلى الرغم من الاحتجاجات الفلسطينية، فقد تم إقرار الانتداب ودخل حيز التنفيذ، وتولت بريطانيا بموجبه مهمة إدارة فلسطين، بشكل يقارب الوضع

لمستعمرة للتاج البريطاني، وإن كان ذلك وفقاً "لالتزام مزدوج": أن نشجع قيام الوطن القومي اليهودي، وفي الوقت ذاته إعداد سكان البلاد لوضعية الحكم الذاتي والاستقلال، وكان على بريطانيا تقديم تقارير سنوية للجنة الدائمة للانتداب في عصبة الأمم، والتي أضحت بدورها ملتقى للممثلين عن كل من الفلسطينيين العرب والصهيينة.

وطوال فترة الانتداب ظلت القضايا الخلافية ثابتة دون تغيير يذكر وعلى وجه التحديد: الهجرة اليهودية، بيع الأراضي لليهود، إنشاء مؤسسات للحكم الذاتي، وعلى حين طالب الممثلون العرب بتقييد أو إلغاء النقطتين الأولى والثانية، متمسكون بتطبيق الثالثة (وفقاً لما نصت عليه المادة ٢ من وثيقة الانتداب)، طالب ممثلو الصهيينة بتأييد تنفيذ النقطتين الأولى والثانية (كما تم إيضاحه في المادة الثانية وغيرها من نصوص الوثيقة) بدعوى أن ذلك سيحقق منافع وتقدماً للبلاد ولكل سكانها، وفي المقابل فإنهم سعوا للضغط في اتجاه معارض للخطوات التي من شأنها تقريب البلاد من الحكم الذاتي الديمقراطي، انطلاقاً من حقيقة أنه تلبية لرغبة السكان المحليين يجب ألا تبرز تجاوز الهدف المنصوص عليه والمتصل بإنشاء وطن قومي يهودي.

وبالنظر لفترة الانتداب إجمالاً؛ نلاحظ أن النمط التالي كرر نفسه باستمرار على فترات مختلفة:

- صدور إجراء إداري تنفيذياً لأحد أوجه البرنامج الصهيوني (على سبيل المثال تقديم جدول حكومي جديد للهجرة، أو لشراء الأراضي وبناء مستوطنة يهودية جديدة سواء من قبل السلطات أو شخص أو هيئة يهودية لستأذناً إلى ترخيص حكومي).
- تعبير الفلسطينيين عن عدم رضائهم عن هذه الإجراءات التي يرونها غير عادلة وتدعم المصالح الصهيونية على حسابهم.

- تحول هذه الشكاوى، مع تراكم الشعور بالإحباط وغيرها من الأحداث المثيرة، بشكل دورى إلى أعمال عنف ضد الصهاينة و/أو الإدارة البريطانية.
- لجوء البريطانيين لإجراءات بوليسية أو عسكرية لإعادة النظام واحترام القانون، ثم النظر فى اتخاذ خطوات سياسية (ضئيلة) للتعاطى مع شكاوى الفلسطينيين.
- تكليف لجنة تحقيق بجمع الأدلة وتقديم التوصيات (غالبا فى شكل كتاب أبيض) لاتخاذ خطوات مُسكّنة تهدف إلى حل الشكاوى الفلسطينية الأكثر إلحاحًا.
- تعبير الجانب الصهيونى عن تنمره من طريقة تعمل للبريطانيين مع لشكاوى الفلسطينية.
- شكوى الفلسطينيين من عدم مناسبة أو/والنفاق المتضمن فى الحلول البريطانية المقترحة، و/أو قدرة الطرف الصهيونى على الالتفاف عليها، أو التخطيط لتوصيات تمهد لتغييرات فى السياسة البريطانية فى فلسطين.

المصادمات والمواجهات خلال السنوات الأولى للانتداب:

يمكن رصد هذه الدائرة (احتجاج/ لجنة/ توصية) فى فترات اندلاع العنف فى أبريل ١٩٢٠، مايو ١٩٢١، أغسطس ١٩٢٩، أبريل ١٩٣٦.. وفى الحالة الأولى أسفرت ثلاثة أيام من الشغب الموجه ضد اليهود فى القدس خلال فترة تقاطعت فيها الاحتفالات الدينية بأعياد النبى موسى، القيامة، الفصح.. عن سقوط خمسة قتلى و٢١١ جريحا من اليهود، وأربعة قتلى عرب و٢٥ جريحا (معظمهم من الشرطة البريطانية). وقد أسهمت الأخبار الواردة آنذاك من سان ريم عن أنه سيتم إيكال مهمة الانتداب على فلسطين إلى بريطانيا، وكذلك الاحتجاجات التى تم خلالها رفع صورة "فيصل" باعتباره "ملك سوريا وفلسطين" فى تأجيج التوترات السياسية والدينية السائدة آنذاك؛ وتمثل رد فعل القيادات الصهيونية على ذلك فى تقديم

الأحداث على أنها "مذبحة"، وانتقاد "قلة من مثيرى الشغب العرب"، فضلاً عن توجيه اتهام صريح للإدارة البريطانية بالتواطؤ وتشجيع مثيرى الشغب من خلال عدم المبالاة وإظهار العداء تجاه اليهود، وقد أعقب ذلك تحقيق عسكرى (لجنة بالين) ركز على جوانب القصور من قبل الإدارة العسكرية البريطانية (التي استُبدلت بعد فترة قصيرة بأخرى مدنية) فى الحفاظ على الأمن والنظام^(٢٠).

وفيما يتصل بأعمال الشغب التى اندلعت فى القدس عام ١٩٢٠، وما تلاها من اعتقال "فلاديمير جابوتسكي" وغيره من اليهود المتورطين فى محاولة تشكيل عصابات دفاع يهودية مسلحة، فإنها مثلت نقطة تحول مهمة فى المناقشات الدائرة آنذاك بين القادة الصهاينة حول قضية تكوين ميليشيات لحماية اليهود من هجمات العرب، وفى ديسمبر من العام نفسه أقدم "الهستدروت" (الاتحاد العام للعمال اليهود فى فلسطين صاحب القوة والنفوذ) بوضع أسس تشكيل "الهجاناة" (الدفاع)، كقوة يهودية شبه عسكرية سرية تحولت عام ١٩٤٨ لتصبح قوات الدفاع الإسرائيلية، ولقد استعانت "الهجاناة" فى بنائها لنفسها بالخبرات السابقة وبكوارى منظمات المراقبة التى تم تشكيلها فى الفترة التى سبقت مرحلة عام ١٩١٤ لحماية المستوطنات اليهودية البعيدة، وخضع قادتها وتمويلها لمساعدة ورقابة القيادة السياسية للمستوطنات، كما أن عناصرها عملوا فى سكون وبموافقة بريطانية ضمنية^(٢١).

وفى مايو ١٩٢١، وفى ظل إدارة مدنية جديدة بقيادة السير "هربرت صمويل"، قام العرب بشن هجوم على اليهود فى يافا والمستوطنات فى المناطق المجاورة لها، وإثر مناوشات بين فصيلين فى استعراضات لاحتفالات شهر مايو فى ضواحي تل أبيب، وقعت أعمال سلب ونهب و"مطاردة لليهود فى يافا"، سرعان ما امتدت لأماكن أخرى وشملت فندقاً يأوى المهاجرين اليهود الجدد، وبلغت

حصيلة سنة أيام من الهجمات المنقطعة خمسين قتيلاً يهودياً و ١٥٠ جريحاً، وقد أعقب هذه الأحداث توجيه القادة الصهاينة انتقادات للتراخي البريطاني في حماية اليهود، كما أبدوا قلقهم العميق إزاء قرار المندوب السامي وقف الهجرة مؤقتاً، وهى الخطة التى كانوا يخشون أن تمثل سابقة سياسية تقود إلى تكريس فيتو عربى واقعى على جهود التقدم نحو تحقيق الوطن القومى اليهودى.

فى شهادتهم أمام لجنة التحقيق التى ترأسها كبير قضاة محكمة فلسطين العليا، السير توماس هاكرفت، ركز المتحدثون باسم الصهاينة وقاطنى المستوطنات على الدور الملىء بالضغينة الذى لعبه الدهماء العرب^(٢٢)، ومثيرو الشغب، والعملاء الأجانب.. وحقيقة الأمر؛ فإن الملخص الذى أعدته اللجنة لمضمون هذه الشهادات يستحق الاقتباس؛ حيث إنه يمثل خطأ للنقاش والجدال تم استخدامه مراراً طوال فترة الانتداب:

"لقد أفادنا الشهود اليهود بأنه لم تكن هناك بشكل رئيسى قضية خاصة بمعاداة اليهود فى ذلك الوقت (مايو ١٩٢١)، وإنما تم التخطيط لحركة مناهضة لليهود من قبل أشخاص، مدفوعين بالرغبة فى تشويه سمعة الحكومة البريطانية، عملوا على نشر السخط وإثارة الاضطرابات وزعزعة السلام، من خلال استئثار عامة الشعب ضد اليهود، وقد سعى الشهود إلى إيضاح أن مجمل المتاعب يرجع إلى الدعاية التى تمارسها قلة تأسف على رحيل النظام السابق، نتيجة لقيام الإدارة البريطانية بوضع نهاية للامتيازات وفرص الكسب التى تمتعوا بها فى السابق... ولقد جزم

الشهود بأن الصهيونية ليست لها أدنى صلة بالمشاعر
المعادية لليهود التي وقعت في يافا".

وفضلاً عن رفض "لجنة هاكرافت" لهذا التفسير، فإنها أوضحت أن
"المشاعر ضد اليهود أصيلة للغاية، ومنتشرة على نطاق واسع، وعميقة للغاية،
حيث لا يمكن الركون إلى التفسير السطحي المشار إليه عاليه".

ومن شأن هذه اللقطة السريعة أن تقدم مثلاً مبكراً على الحجة المتكررة
المتصلة بأصالة القومية الفلسطينية ومدى معارضتها للصهيونية، وهي من بين
المقولات الجوهرية الإحدى عشرة التي يتناولها هذا الكتاب، وتجعل من الصراع
موضع جدال شديد. فخلال فترة الانتداب ذاتها، وبعد ذلك في الكتابات الأكاديمية،
روج العديد من أنصار الصهيونية لفكرة أن العرب المقيمين في فلسطين لم يكونوا
حقاً معارضين لمجيء اليهود، سواء لعدم وجود رابطة بينهم وهذه البلاد، أو لأن
الجميع كان على دراية بأن الصهيونية ستعود بالنفع على السكان المحليين.

ردود فعل الصهيونية إزاء المعارضة العربية - الفلسطينية:

كما سنرى فيما بعد، كان من الصعب على أولئك الموجودين على الأرض
في فلسطين؛ ألا يلاحظوا المظاهر المتتالية للتعبير عن المعارضة الفلسطينية -
العربية للصهيونية، ولكن كيف تعامل قادة مظاهر القلق والاحتجاج بل والمقاومة
الفلسطينية؟ لقد ذهب بعض إلى القول بأن الرواد الصهاينة الأوائل، إما بسبب
التعجرف وإما السذاجة، لم يروا الذين كانوا غير مرتبين أو جزء محايد من المشهد
على أرض الواقع، وإذا كان من الممكن تصديق القول بأنه، في بعض النقاط،
كانت شكاوى الفلسطينيين "مسألة غير مرئية" للعديد من اليهود في المستوطنات،

فإن هناك دلائل قوية على أن عدم إثارتها في العلن كان نتاج قرار واعي ذي طابع تكتيكي. لذلك فإنه وراء الأبواب المغلقة، وعلى الرغم من الإدانات العلنية لمن أطلق عليهم مثيرو الشغب والتحدى لمصادقية المحتجين الفلسطينيين، انشغل اليهود والصهاينة، بشكل دوري، في عملية تفكير ذاتي ونقاشات داخلية حول كيفية التعامل مع الرفض العربي.

أفرزت عمليات التقييم مجموعة واسعة من التفسيرات ووسائل التعاطي مع المعاداة التي يواجهها الصهاينة^(٢٣)، وحقيقة الأمر فإن الأغلبية العظمى من اليهود والصهاينة - مدفوعون بالسعي والحاجة لوطن قومي في فلسطين ومتأثرون بإيمانهم بشرعية مطلبهم الذي يحظى في الوقت ذاته باعتراف دولي - لم يكونوا قادرين على، أو راغبين في قبول أو تفسير اضطرابات عامي ١٩٢٠، ١٩٢١ على أنها مظاهر حقيقية لمخاوف وقلق فلسطيني مشروع^(٢٤). وبالنظر إلى الوراثة؛ فإن المرء قد يميل إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الردود العلنية عكست نوعاً من الإنكار سواء لخدمة الذات أو حتى لخداعها. وفي المقابل، توصل عدد قليل من القادة الصهيونيين وقاطني المستوطنات إلى نتيجة مفادها أن المقاومة الفلسطينية للصهيونية كانت رد فعل طبيعي وحقيقي (وليس ظاهرة مصطنعة أو وقتية)، وقد دفع ذلك بعضاً منهم إلى استنتاج مؤلم مؤداه أنه لسوء الحظ أن هذا الرفض يتعارض مع، وربما يفضي إلى سد الطريق أمام تنفيذ البرنامج الصهيوني، الأمر الذي أفرز بدوره مجموعة من النتائج؛ حيث ذهبت أقلية داخل هذه الأقلية إلى أن الحلم الصهيوني لا يمكن تحقيقه ويجب التخلي عنه، وقد تحول هؤلاء الأشخاص الذين "تخلوا عن المهمة" ليصبحوا "غير صهيونيين" أو "معادين للصهاينة"؛ وكانت هناك إجابات أخرى، أكثر شيوعاً، فهناك من اعترفوا بواقعية وشرعية المعارضة الفلسطينية، ومن ثم بدعوا في البحث عن سبل أقلية عقيدتهم للخروج من الطريق

المسدود الذى وجدوا أنفسهم فيه. وفيما يتصل بموقف حركة الصهيونية الإصلاحية فقد هيمنت عليه الصفة الاستعمارية دون استحياء: الاستمرار فى جعل الوجود اليهودى حقيقة ثابتة لا يمكن إزالتها، من خلال استخدام القوة لتجاوز معارضة السكان المحليين، وإذا كانت هذه المعارضة، لسوء الحظ، حتمية وفقاً لهذا التحليل، فإن الرد يلزم أن يكون من خلال الاستمرار فى الهجرة، وتملك الأراضى، وتقوية المستوطنات عسكرياً ليتسنى إقامة الدولة اليهودية القادرة على الدفاع عن نفسها، وقد عرف هذا المقترح باسم "الجدار الحديدى" استناداً إلى ما ورد فى مقالين نشرهما فى نوفمبر ١٩٣٣ القائد التصحيحى "فلاديمير جابوتسكي"، وعلى الرغم من أن العديد من قادة الجناح اليسارى للصهيانية العماليين ربما لا يقررون بما قيل فى هذا الخصوص، فقد كان لديهم العزم نفسه على الاستمرار فى الهجرة وحياسة الأراضى والاستعداد العسكرى (من خلال الهجانة) ما دامت تطلبت الأمور ذلك^(٢٥).

وعلى الطرف النقيض، كرست منظمات مثل "عهد السلام" (برتسسالوم)، والوحدة (إيهود) وغيرهما، الجهود لتحقيق المصالحة العربية-الصهيونية، من خلال حد الصهيونية من مطالبها والتخلى عن هدف إقامة الدولة اليهودية، والبحث عن بدائل دستورية أخرى، من بينها خيار الدولة ذات القوميتين أو ذلك القائم على الترتيبات الفيدرالية التى تأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن العرب-الفلسطينيين، يجب أن يكون لهم الحق، على قدم المساواة مع اليهود، فى المشاركة فى حكم دولة مستقلة فى فلسطين^(٢٦). وفى هذا السياق يلزم التأكيد على حقيقة أن مثل هذا التقدير "لاحتياجات الآخر" كان مقتصرًا على قلة ضئيلة من الصيانية واليهود، فى حين استمرت الأغلبية فى الاعتقاد بشرعية حركتهم، وضرورتها التاريخية من أجل إنشاء الدولة اليهودية.

وبالنسبة للكثيرين، فإنه من الناحية النفسية يتضمن الاعتقاد فى جدية الصهيونية وضرورتها التاريخية منطقياً استبعاد إمكانية وجود مطالب فلسطينية منافسة يمكن أن تكون صحيحة كذلك، ومن هذا المنطلق كان من السهل الاعتقاد بأن الاحتجاج والمعارضة من قبل الفلسطينيين هى مجرد أمور وقتية ومصطنعة، وقد تم تطبيق هذا المقترّب ليس فقط للاستهلاك العام، كما كانت عليها الحال فى الشهادات التى تم الإدلاء بها أمام لجان التحقيق، ولكن أيضاً فى الاتصالات الداخلية؛ حيث سعى المسؤولون الصهاينة، عن إدراك أو بدونه، لإيجاد الأسباب والدلائل على أن الرفض الفلسطينى ليس من الصعب تجاوزه، وأنه يفتقر إلى مشاعر شعبية تحركه من قبيل الوطنية، وإنما هو مجرد تلاعب ناتج عن مصالح شخصية وذاتية (من قبل التجار، وملاك الأراضى والإنجليز المتآمرين لصالح العرب أو المخادعين المناهضين للبريطانيين).

ومن جانبهم، رأى الصهاينة الاشتراكيون، الذين مثلوا العمود الفقرى للموجة الثانية للهجرة ١٩٠٤-١٩١٤، أن هذا الصدام من منظورهم الأيديولوجى: المجتمع المحلى مجتمع إقطاعى يتطلع فيه الفلاح الفلسطينى والطبقة العاملة للتحرر- ويتصل الأمر هنا بالمدينة الفاضلة التى يمكن فقط تحقيقها بدعم من الهجرة اليهودية المكثفة، وبمساندة حركة عمالية يهودية قوية، فضلاً عن إقامة دولة يهودية. وبالرجوع إلى الوراء، كشف الباحثون عن زيف هذه الرؤية، باعتبارها ساذجة، فى أفضل الأحوال، ومناقضة، فى أسوأها، فضلاً عن أنها معبأة بالمغالطات من قبيل الإصرار على مفهوم الأغلبية اليهودية بما يعنيه ذلك من استبعاد أو تهميش وضع العمال العرب... وهكذا يمكن القول بأنه على الرغم من مثاليّتهم الأيديولوجية، أساء الصهاينة العماليون وأثاروا نفور السكان المحليين، بدلا من أن يكونوا منقذيهـم^(٢٧).

جعل الصحراء تزدهر:

ارتبطت المواقف والحجج الصهيونية السلبية التي لم تعترف بوجود رفض أو مقاومة فلسطينية، بمجموعة أخرى من البراهين الإيجابية مفادها أن الصهيونية، على عكس ما تتضمنه الشكاوى الفلسطينية، من قيامها بالاستيلاء على الممتلكات وحرمان الآخر من حقوقه، جلبت مكاسب اقتصادية واجتماعية للسكان جميعاً وللإقليم كافة، وقد عبر عن ذلك أحد الكتّاب الصهيونيين عام ١٩٤٥ على النحو التالي:

لقد راود اليهود، على الدوام، الأمل في أن الفوائد التي ستعود بها تميمتهم لفلسطين على العرب ستسفر، بشكل طبيعي، مع مرور الوقت عن أن يتقبل العرب تصريح بلفور، وعلى الرغم من الهجمات عليهم، التي لم يكن هناك ما يبررها، عامي ١٩٢٠-١٩٢١، قام اليهود ببذل كل الجهود حتى يتمكنوا من العيش في صداقة وود مع جيرانهم العرب؛ ولم يقتصر الأمر على التصريحات المهيبة في المؤتمرات الصهيونية وغيرها من المناسبات، التي تم التأكيد عليها في الوثائق الرسمية، بل إنهم سعوا إلى تطبيقها في مجالات مختلفة للحياة اليومية الاقتصادية واجتماعية وثقافية، وفضلاً عن آلاف العرب الذين تم توظيفهم في المستوطنات الزراعية اليهودية القديمة، وجد المئات منهم فرصاً للعمل في المنشآت الصناعية الجديدة، كذلك أثرى ملاك الأرض العرب من بيع الأرض لليهود، والفلاحين من بيع من منتجاتهم لهم، وملاك الأراضي من تأجير المساكن وغيرها من الممتلكات^(٢٨).

وحقيقة الأمر، ارتبط كل من هذه الحجج السلبية والإيجابية عضوياً في عقلية الكثير من الصهاينة، الذين توقعوا أن يتقبل السكان المقيمون في فلسطين المهاجرين اليهود بذات الروح التي تضمنتها رواية تيودور هرتزل الخيالية، عام ١٩٠٢، (الأرض القديمة الجديدة) على اعتبار ما يمكن أن يجري في فلسطين عام ١٩٢٣:

"انظر إلى هذا الحقل! (يتعجب القائد العربي رشيد بك) لقد كان مستقفاً خلال طفولتي! لقد اشترت الشركة الجديدة (يقصد بذلك الشركة الصهيونية لشراء الأراضي) هذه القطعة بثمان رخيص، ثم حولتها لأفضل أراضى البلاد، إنها تتبع هذه المستوطنة الجيدة أعلى التل، إنها قرية مسلمة - ويمكنك ملاحظة ذلك من المسجد، لقد صارت حياة قاطنيها أفضل من أى وقت مضى، إنهم يتعايشون مع بعضهم بشكل لائق، وأولادهم أفضل صحياً ويتعلمون، ولم يتدخل أحد في شئون دينهم أو عاداتهم القديمة، لقد أصبحوا أكثر رخاء... هذا كل شيء".

ويتعجب زائر، رفيع المقام، من أصل بروسى: "أنتم غريبو الأطوار أيها المسلمون، ألا تنظروا إلى أولئك اليهود على أنهم غزاة؟ وأجاب رشيد بك: إنك تتحدث بغرابة أيها المسيحي، هل يمكنك أن تطلق على شخص صفة السارق في حين أنه لم يأخذ منك شيئاً، بل قدم إليك شيئاً في المقابل؟ لقد أثارنا اليهود كيف نكون غاضبين عليهم؟ إنهم يعيشون بيننا كأخوة، فلماذا لا نحبههم؟"^(٢٩).

طوال فترة الانتداب، كان المسؤولون الصهاينة على دراية تامة بأن عليهم تبرير طلباتهم المتكررة لزيادة الهجرة اليهودية وللحصول على المزيد من فرص شراء الأراضي، من خلال إثبات أن أنشطتهم قد عادت بالفائدة على المستوى المحلي (للفلسطينيين) وأيضاً للخزانة البريطانية في شكل إيرادات، ما يجعل من فلسطين أقل عبئاً لدافع الضرائب الإنجليزية، وقد تطلب كل ذلك الكثير من الجهد لإعداد إحصاءات تثبت ما سبق؛ ومن جانبها، لم يكن أمام لجان التحقيق خلال فترة الانتداب إلا أن تعبر عن انبهارها إزاء المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية (على سبيل المثال النمو السكاني ومعدل وفيات الأطفال) التي أظهرت اختلافات صارخة بين المناطق الفلسطينية التي بها تواجد يهودي كبير، مقارنة بتلك التي يقل فيها عددهم، وأيضاً بين فلسطين ككل والدول المجاورة، وعلى سبيل المثال، أبدت لجنة بيل (انظر: الجزء ٥) انبهارها بما شاهدته عام ١٩٣٦:

”يظهر الأثر الإيجابي للهجرة اليهودية على رفاهية العرب من خلال الزيادة الملحوظة في نسبة السكان العرب بالمناطق الحضرية التي تأثرت بالتنمية اليهودية، وتوضح المقارنة بين إحصاءات السكان لعامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ زيادة في السكان في حيفا خلال ست سنوات كانت بنسبة ٨٦% وفي يافا ٦٢% والقدس ٣٧%، بينما كانت في المدن العربية الخالصة مثل نابلس والخليل بلغت نسبة الزيادة ٧% فقط، بل وانخفضت في غزة بنسبة ٢%“(٣٠).

ولقد كان من شأن الأعمال الأكاديمية والشعبية خلال هذه الفترة، التي حملت عناوين من قبيل: (فلسطين أرض الميعاد) و(الحصاد فى الصحراء)، أن تساعد فى تدعيم هذه الحجة لدى الرأى العام، خاصة خلال عقدى الثلاثينيات والأربعينيات^(٢١). ويلاحظ أن التركيز على معادلة (الصهيونية تعادل التقدم) قد رافقته ملاحظات تحط من قدر العرب المحليين على تنمية الاقتصاد وتحقيق التطور، ويربط المتحدثون باسم الصهيونية، بدءاً بـ "حاييم وايزمان" إلى ما دونه، عادة الصراع العربى - الصهيونى بصراع بين "قوى التدمير: قوى الصحراء" من جانب، و"قوى الحضارة والبناء" من جانب آخر^(٢٢)، وقد عهد ممثلو الصهاينة منذ عام ١٩٤٧ الضغط على الأمم المتحدة لتضمين صحراء النقب فى حدود التقسيم للدولة اليهودية استناداً إلى الحجة التالية:

"هذا الإقليم غير الآهل بالسكان والمهجور، يمكن تنميته فقط من خلال نظم للرى جسورة ومتكاملة والتي نحن فقط مستعدون وقادرون لعملها، فترك صحراء النقب للعرب يعنى تركها للإهمال الأبدى والخراب، وفقط اليهود الذين كانوا مستعدين لاستثمار كل طاقاتهم ومواردهم فى النقب دونما أغراض تجارية يمكن أن يستصلحوا هذه الأراضى الواسعة وأن يستغلوا مناجمها المطمورة فى باطن الأرض"^(٢٣).

ومن بين النتائج المثيرة التى صاحبت التركيز على أن الصهيونية هى من تحمل مهمة تحقيق الرخاء الاقتصادى، الدفع بأن الاقتصاد الفلسطينى الذى جرى تطويره خلال فترة الانتداب مثل قوة جذب لعدد لا بأس به من المهاجرين غير

المُسجلين أو الشرعيين من الدول المجاورة^(٣٤)، ولم يقتصر الأمر على استخدام هذا الوضع في تأييد الدعاوى الصهيونية بشكل عام، وإنما تم توظيفه، في الوقت ذاته، لتقويض مقولة وجود معارضة فلسطينية أصيلة، من خلال الإشارة إلى: (أ) أسهم العرب، شأنهم في ذلك شأن اليهود المهاجرين، في ازدهار وتناقص الأراضي داخل فلسطين. (ب) لا يوجد ثمة شيء ذو طابع خاص يميز الفلسطينيين عن العرب؛ حيث إن كل سكان الإقليم كانوا في حالة حركة دائمة دونما ارتباط خاص بإقليم معين، وقد عادت هذه الحجة- التي تهدف إلى التشكيك في وجود روابط خاصة بين العرب والأرض المتنازع عليها- لتطفو مجدداً على السطح، وإن كان بشكل مغاير، في الثمانينيات من القرن العشرين، عندما قام "جوان تيترز"- وهو أمريكي غير متخصص- بنشر دراسة مثيرة للجدال بعنوان "منذ زمن سحيق"، رأى فيها أحد الناقدين خدعة وقحة تستهدف الإبقاء على أسطورة "فلسطين التائهة"، وصورة الأرض الخالية من السكان التي تنتظر مجيء الصهاينة ليقوموا بنشر الحضارة فيها^(٣٥).

ومنذ نهاية العشرينيات بدأ الفلسطينيون وأنصارهم يعترضون على صحة مقولة "النعم الاقتصادية"؛ بعرض دلائل على معاناة الفلاح المستأجر الذي طُرد من الأرض وأجبر على الرحيل والعيش في ظروف قاسية أو المعاناة من البطالة في المناطق الحضرية، حتى إن كان بعض العرب قد حقق مكاسب من بيع الأراضي أو من إسهامات اليهودي في اقتصاد فلسطين تحت الانتداب، ولقد تلقت لجان التحقيق البريطانية والدولية طوال فترة الانتداب شكاوى واستمعت إلى شهادات قدمت وصفا للأوضاع الصعبة التي أفرزها التزايد السكاني والتغيير الاقتصادي عقب وصول المهاجرين، خاصة في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات^(٣٦).

وعلى المستوى السياسى، لاحظ المراقبون "انعدام الصلة" بين المنافع الاقتصادية والرضا السياسى، وعلى سبيل المثال فإن لجنة "بيل" وجدت أنه على الرغم من أن العرب استفادوا من تنمية البلاد بسبب الهجرة اليهودية؛ فإن ذلك لم يكن له ثمة أثر على التخفيف من عدائهم للصهيونية، ويعيد تقرير اللجنة صياغة شهادة عربية فى هذا الخصوص على النحو التالى:

" أنتم تقولون إن وضعنا أفضل، وأن منزلى أصبح أكثر ثراء بعد دخول الغرباء إليه! ولكنه منزلى، ولم أقم بدعوة الأجانب إليه أو طلبت منهم إثراءه وأنا لا يعنينى مدى فقره أو خلوه من الأثاث، طالما أنا السيد هناك" (٣٧).

ولقد كان على المسئولين الصهيونية أيضاً مواجهة حقيقة أن قلة قليلة، إن وجدت أصلاً، من قادة المجتمع الفلسطينى قد رحب بهم على النحو الذى تخيله "هرتزل" فى شخصية "رشيد بك". وكان "فلاديمير جابوتسكى" واحداً من الصهاينة الذين لم يندهشوا من ذلك؛ حيث إنه لم يشارك على الإطلاق وجهة النظر التى ذهبت إلى أن "المواطنين الأصليين" سيبيعون مقر ميلادهم مقابل منافع اقتصادية (٣٨)، وقد شاركه رأى، خلال الثلاثينيات، الزعيم العمالى المنتخب حديثاً رئيساً للوكالة التنفيذية اليهودية "ديفيد بن جوريون"، والذى أوضح لزملائه فى الوكالة: "لا توجد قيمة لدى القادة العرب للجانب الاقتصادى للتنمية، حتى إن أقروا- ولا يفعل ذلك جميعهم- بأن هجرتنا جلبت منافع مادية للبلاد، إنهم يقولون- ومن وجهة نظر عربية أعتقد صحة ذلك- لا لعسلكم، ولا للدعكم" (٣٩).

استمرت هذه الآراء المتضاربة، حول ما إذا كانت الصهيونية قد جلبت النفع أم الخراب والخسارة الاقتصادية لفلسطين، طوال فترة الانتداب، ومثلت جزءاً مهماً من المساعى والمحاولات للتأثير فى مواقف الأطراف الثلاثة ذات النفع، وكما هى الحال بالنسبة للمقولات الجوهرية الأخرى، بذلت، ولا تزال، جهوداً كثيرة لمحاولة تحديد أى من الطرفين على حق فيما يتصل بهذه النقطة الخلافية.

الهدوء المُخدع:

انطلاقاً من الرغبة في تهدئة التوترات التي أخلت بالهدوء في البلاد عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١، قام كل من وزير المستعمرات البريطاني "وينستون تشرشل"، والمندوب السامي في القدس "هربرت صمويل" بدراسة "تقرير هايكرفت" حول أعمال الشغب في يافا، بهدف رسم سياسة بريطانيا المستقبلية على أسس ثابتة، وقد كان يحدوهم الأمل في تحقيق ذلك من خلال اتخاذ خطوات لإقامة هيئات تمثيلية من جانب، وإصدار تصريحات رئيسية حول السياسة البريطانية من جانب آخر. وفي تطور سريع، تم تقديم مقترحات لإنشاء مجلس تشريعي، ومجلس استشاري، و"وكالة عربية" - إلا أن ذلك تم التخلي عنه نتيجة لمقاطعة الزعماء الفلسطينيين الذين رعوا في التحرك الجديد اعترافاً وحماية للوطن القومي اليهودي، فضلاً عن عدم إقراره بسيطرة الأغلبية العربية^(٤٠). وخلال الفصل الحادي عشر تحت عنوان "قرص ضائعة" سنقوم ببحث السؤال الخاص بما إذا كان رفض الفلسطينيين لهذه الأشكال المحدودة من الحكم الذاتي قد أفقدهم أداة كان من الممكن أن يكون بها بعض التأثير في الحد من تقدم الصهيونية.

مثل الكتاب الأبيض الذي أصدره "تشرشل" في يونيو ١٩٢٢ - الذي كان رداً جزئياً لإدارة أزمة الشغب في يافا في مايو ١٩٢٢ - محاولة مهمة لتوضيح والموازنة بين كل من جانبي التزام بلاده المزدوج، وكان من المفترض أنه سيبقي نافذاً خلال الخمسة عشر عاماً التالية باعتباره جازماً فيما يتصل بكيفية تخطيط بريطانيا لحكم فلسطيني. وفي حين أكد - بشكل مهيب - التزام حكومة جلالة الملكة بدعم تحقيق الوطن القومي اليهودي، أعلن "تشرشل" أنه سيتم تحديد الهجرة اليهودية وفقاً لـ "الطاقة الاستيعابية الاقتصادية للبلاد"، مشيراً إلى أنه لن يتم

السماح لها بالإضرار بالاقتصاد الفلسطيني، ولكن فقط بدعمه لتحقيق التقدم والرفاهية في البلاد. وفي مسعى إضافي لتهدئة المخاوف العربية، نفى الوزير البريطاني أن إعلان بلفور قد تضمن أن "كل فلسطين ستتحول إلى وطن قومي لليهود، وإنما أوضح ضرورة إنشاء هذا الوطن في فلسطين"، الأمر الذي مهد المسرح، سواء بشكل إرادي أو غير إرادي، لتقسيم فلسطين مستقبلاً، وكذلك في محاولة غير مباشرة لتوبيخ "حاييم وايزمان"، أكد "تشرشل" أن الحكومة البريطانية ليست لديها النية لجعل "فلسطين يهودية، كما هو الوضع بالنسبة لإنجلترا الإنجليزية"^(٤١).

وقد تميزت الأعوام الخمسة التي أعقبت صدور هذا الكتاب الأبيض، والتصديق على الانتداب، بعدم وقوع أحداث مهمة، بل إنها كانت فترة سلام، مما حدا بكل من البريطانيين وقادة الصهاينة للاعتقاد بأن مظاهر التعبير عن عدم الرضا الفلسطيني خلال عامي ١٩١٩-١٩٢١، قد أضحت ماضياً عبر عن ظاهرة وقتية عابرة وليست بالعمق والأصالة التي بدت عليه آنذاك، واستخلص الكثيرون أن هذه المعارضة ستتلاشى عندما يستمتع السكان بالمنافع الاقتصادية وغيرها، التي ستأتي في ركاب المهاجرين الصهاينة الأوروبيين، وإذا كان المسؤولون البريطانيون والصهاينة قد عملوا في ظل مثل هذه الفرضيات المتفائلة في منتصف العشرينيات^(٤٢)، فإنها سرعان ما تهاوت مع تجدد التوتر والعنف عام ١٩٢٨ و١٩٢٩.

الهوامش

- (١) بالنسبة للخرائط التي تشير إلى المناطق التي تم وعد العرب بها وتلك التي يشارك فيها الحلفاء حسب اتفاقية سايكس بيك وانظر Martin Gilbert, "The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Conflict", الطبعة السابعة، لندن، نيويورك، ٢٠٠٢، ص: ٥-٦.
- (٢) Grey to Cambon, ١٦ مايو ١٩١٦، والتي أعيد إنتاجها في: *The Arab Israeli Conflict: Readings and Documents*، تحرير نورتون مور، طبعة منقحة وملخصة برينستون، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٧٧، ٣٨٨٠.
- (٣) الدراسة الكلاسيكية للجذور والسياسات المحيطة والملابسة لوعد بلفور هي التي قام بها Leonard Stein, *The Balfour Declaration*, London: Valentine Mitchell, 1961. ومن أجل الدراسة القانونية *The balfour declaration* والنقدية ضد الصهيونية انظر "The Balfour Declaration: An appraisal of international law" في W.T. Mallison, *transformation of Palestine*, تحرير إبراهيم أبو اللغد، الطبعة الثانية، Evanston دار نشر جامعة نورثوسترن، ١٩٨٧، ٦١-١١١، W. Thomas Mallison and Sally V. Mallison, *The Palestine Problem in International Law and World Order*, Harlow, لوندجمن، ١٩٨٦، الفصل الأول.
- (٤) George Antonius, *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*, New York: G.P. Putnam's sons, 1946، الأصلية، Hamish Hamilton, 1938، وأعيد طبعها في نيويورك: Capricorn, 1956، ٣٩٤-٧، ٤٠٠-٢. رشيد خالدي، *Palestine Identity: The Construction of Modern National Consciousness*, New York, دار نشر جامعة كولومبيا، ١٩٩٧، ٢٢-٣، و *The Iron Cage: The Story of the Palestine Struggle for Statehood*, Boston, MA, Bacon, 2006, 32-3, 36.
- (٥) Aaron David Miller, *The Much too Promised Land: America's Illusive Search for Arab Israeli Peace*, New York, Random House, (Bantam Dell) 2008; Colin Chapman, *Who's Promised Land? The Continuing Crisis over Israel and Palestine*, Grand Rapids, MI: Baker Books, 2002.

(٦) انظر على سبيل المثال -*Ilie Kedourie in "the Anglo-Arab Labyrinth, the McMahon- Husayn Correspondence and Its Interpretations, 1914-1939, Cambridge, كمبريدج، ١٩٧٦، وأعيد طبعها في لندن: Frank Cass, 2000، و Julius Stone, Israel and Palestine: Assault on the Law of Nations, Baltimore, MD: هوبكينز، ١٩٨١، الفصل الأول، Isaiah Friedman, Palestine, A Twice-Promised Land? New Brunswick, NG. Transaction, 2000.*

(٧) أنطونيوس، *Arab Awakening*، الفصول ٨ و ٩ و ١٠ و ١٣، Robert John and Sami Hadawi, *The Palestine Diary*، المجلد الأول، تقديم أرنولد تويبى، نيويورك: New world press, 1970, 299-312; Kidouri, *In the Anglo Arab Labyrnith*; Asaiath Friedman, *The Question of Palestine 1914-1918: British -Jewish-Arab Relations*, London, Routledge and Kagan Paul, 1973, and *Palestine, A Twice-Promised Land?*; Charles D. Smith "The Invention of a Tradition: The Question of Arab Acceptance of the Zionist Right to Palestine During World War I", مجلة الدراسات الفلسطينية، ٢٢:٢ (شتاء ١٩٩٣)، ٤٨-٦١، قسم الحقوق الفلسطينية في الأمم المتحدة « *The Origins and Evolution of the Palestine Problem: 1917-1988- PART 1, 1917-1947* " Posted 30 يونيو و ١٩٩٠، وتم الدخول على الموقع ١٣ أبريل ٢٠٠٨.

(٨) <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561c6ec353d740ib8525607d00581829/aeac80e740c782e4852561150071fdb0>.

(٩) لقد صارت الاتفاقية الوليدة علامة فارقة وإن يكن بدون جدال في سجلات الجهود الدبلوماسية العربية الصهيونية. وانظر: Neil Caplan, *Futile Diplomacy*، المجلد ١: *Early Arab-Zionist Negotiation Attempts, 1913-1931*, London Frank Cass, 1938, 36-46 و "Faisal Ibn Husain and the Zionists : A Reexamination With Documents" , *International History Review*، المجلد: ٤ (نوفمبر ١٩٨٣)، ٥٦١-٦١٤.

"PRIME » project, ("Palestinians and Israelis Learn the Narrative Of the Other") في Dan Bar-on and Sami Adwan, « The Psychology of Better Dialogue Between Two Separate but Interdependent Narratives of Israelis and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix, Robert Roothberg, Bloomington, Indianapolis, دار نشر جامعة إنديانا، ٢٠٠٦، ٢١٩-٢٠.

(١٠) المرجع السابق، ٢١٩/٢١.

(١١) الخريطة ١-١. Bernard Wasserstein يرفض هذا التفسير باعتباره دعاية يمينية من جانب البريطانيين تتجه إلى تقليص الأرض التي وعد بها لليهود كوطن قومي. انظر كتابه *Israelis and Palestinians: Why Do They Fight? Can They Stop?* CT/London, دار نشر جامعة ييل/لندن: 2008, 102-6.

(١٢) حول المجموعة الأخيرة انظر، Joseph Heller, *The stern gang: Ideology, Politics and Terror, 1940-1949*, London/Portland, OR Frank Cass 1995.

(١٣) انظر على سبيل المثال : William B. Ziff, *The rape of Palestine*, New York/Toronto : Longmans. Green and Co., 1938 : Samuel Katz, *days of fire : The Secret Story of The Making of Israel*, Jerusalem: Steimsky's (London: W.H. Allen), 1968; Benjamin Netanyahu, *A durable peace: Israel and its place among the Nations*, طبعة منقحة، نيويورك، Warner Books, 2000، الفصل الثاني (The betrayal)

(١٤) مناحم بيغن، *The revolt (Story of the Irgun)*، تقديم الحاخام مئير كاهان، لوس أنجلوس: Nash publishing, 1971 (ORIG. New York : Schuman/London : W.H.Allen, 1948/1951)، وبالنسبة للاتهامات المفصلة لتشجيع بريطانيا والتلاعب بالمعارضة العربية للصهيونية، انظر. Netanyahu, *A durable peace*, 55-72.

(١٥) <http://christianactionforisrael.org/medigest/june97/backgrnd.html> دخول يوم ١٣ أبريل ٢٠٠٨.

(١٦) Yehoshya Porath, *The Emergence of the Palestine Arab National Movement, 1918-1929*, London: Frank Cass, 1947، الفصل الثاني، خالدي، *Palestinian Identity*، الفصل ٧.

(١٧) انظر مثلاً Porath, *Emergence* الفصول ٣ و ٧ و ٨. Ann Mosely Lesch, *Arab Politics in Palestine, 1917-1939: The Frustration of a National Movement*, ITHACA, NY/London, دار نشر جامعة كورنيل، ١٩٧٩، ٩٠-١٠١، ١٠٢-٧٠.

(١٨) على سبيل المثال : Porath, *Emergence*, 42-9؛ الوثائق الأساسية من ١٩١٨-١٩١٩، أعيد إنتاجها في *A Documentary History of the Arab Israeli Conflict*، تقديم تاريخي من جانب David Charles L.Geddes, New York, etc.: Praeger, 1991, 23-8, 39-78 وتوجد عينة في W. Lesch, *The Arab Israeli Conflict, A History*, New York/Oxford, دار نشر جامعة أوكسفورد، ٢٠٠٨، ٨٥-٩٠.

(١٩) بالنسبة للقضية العربية انظر ، W.F.Boustany, *The Palestine Mandate : Invalid and Impracticable : A Contribution of Arguments and Documents towards the Solution of the Palestine Problem*, Beirut, American Press, 1936; Henry Cattlan, *Palestine and International law: The Legal Aspects of the Arab-Israel Conflict*, الطبعة الثانية، تقديم W. Thomas ، الفصلان الثاني والثالث. W.T.Mallison, GR., London: Longmann, 1976 Mallison and Sally V. Mallison, *The Palestine Problem in International Law and world order*, Harlow, UK: Longman, 1986, الفصلان الأول والثاني. وبالنسبة للقضية الصهيونية، انظر Nathan feinferg, *Studies in International Law : With Special Reference to the Arab-Israel Conflict*, Jerusalem : Magness Press, ١٩٧٩، Alan Dershowitz, *The Case of Israel*, New York ; John Wiley, 2003، الفصل الرابع.

(٢٠) تقرير عن محكمة التحقيق...فيما يخص المظاهرات في القدس في أول يوليو ١٩٢٠، National Archive, Kew. England (وهو المكتب العام للمجلات السابق). FO 371-5121، File E 9379/85/44 : Neil Caplan, *Palestine, Jewry and the Arab Question, 1917-1925*, London: Frank Cass, 1978, 57-61

(٢١) Caplan, *Palestine Jewry*, 76-9: Anita Shapira, *Land and power: The Zionist Resort to Force, 1881-1948*، ترجمة وليم تيمبلر ، Stanford, CA، دار نشر جامعة سانفورد، ١٩٩٩، ٩٧—٨، ١٢٤ — ٥. Yaacov Lozwick, *Right to Exist : A Moral Defence of Israel's Wars*, New York, Etc: Doubleday, 2003, 70-1

(٢٢) Colonial office, *Palestine: Disturbances in May 1921, CMD.1540, October 1921* (تقرير هاى كرافت)، اقتباس من صفحة ٤٤، 94، 85-7، Caplan, *Palestine Jewry*,

(٢٣) عاموس إيلون، The Israelis : Founders and Sons, New York, Halt, Rinehart and Winston, 1971, 154, 158 ; Caplan, *Palestine Jewry*, 207, 199-203 : Anita Shapira, 357

(٢٤) من أجل الدراسة النفسية الكاملة لهذه الظاهرة، انظر Stanley Cohen, *States of denial, Knowing about atrocities and suffering*, Cambridge, UK/Maldine, MA: Polity/Blackwill, 2001

(٢٥) V.Jabotinsky, "The Iron Wall" (نشر أصلا في روسيا، O Zheleznoi Stene, in rassvyet, 4 November 1923 أعيد طبعها 26 in the Jewish Herald (South Africa), November 1937 وتتم الدخول على الموقع <http://www.information->

: Extract reproduced as doc. 11 in Israel in The clearinghouse.info/article14801.htm

Middle East: Documents and Readings on society, Politics, and Foreign Relations.

قبل ١٩٤٨ وحتى الآن، الطبعة الثانية. Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz، لبنان،
نشر جامعة برانديز / « To / University press of New England, 2008, 41-3 cf. Ian Lustick, « Build and To Be Built by : Israel and the Hidden Logic of The Iron Wall »
الدراسات الإسرائيلية ١:١ ربيع ١٩٩٦، ١٩٦—٢٣٢. Avi، Shapira, Land and Power, 154-63 : Shlain, The iron wall : Israel and the Arab World, London, Allen Lane/
بينجوين، ١١، ٢٠٠٠—١٦.

(٢٦) Dissenter in Zion : From the Writings of Judah L. Magnes، تحرير وتقديم أرثر جورين،
Cambridge, MA, Harvard University, 1982.

(٢٧) Gershon Shafir, Land, Labor and the origins of the Israeli Palestinian conflict, 1882-1914, Cambridge/New York
دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٨٩، طبعة محدثة، بيركلي.
لوس أنجلوس، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٦. ولوجيات نظر نقدية لسياسات حزب
العمل الصهيوني حول عمل العرب والتضامن الطبقي اليهودي العربي، انظر Michael
Shaliv, Labor and the Political Economy in Israel, Oxford,
أوكسفورد، ١٩٩٢. Zeev Sternhell, The Founding Myths of Israel : National, Socialism, and the Making of the Jewish State,
دار David Maisel, Princeton، نشر جامعة برينستون عام ١٩٩٨.

(٢٨) Israel Cohen, The Zionist Movement, London: بعنوان "Outrages, Inquires and Congresses":
١٨٢ الفصل ٧، ١٩٤٥،

(٢٩) Theodor Herzl, Old New Land, (Altneuland)، ترجمة عن الألمانية، (١٩٤١، ١٩٦٠)
وقامت بالترجمة Lottah Levensohn، مع مقدمة جديدة قام بها Jacques Kornberg, New York, Markos Werner and Herzl Press, 1987, 124, cf. different renderings in Ilon, The
Israelis, 161; وولتر لاكير، 133. Schocken, 1976, 133. A History of Zionism, New York:
(٣٠) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ١٢٩.

(٣١) Walter Clay Lowdermilk, Palestine, Land of Promise، الطبعة الثانية، نيويورك، لندن:
Harper and Bros., 1944 : Maurice Samuel, Harvest in the desert, Philadelphia,
النشر اليهودية، ١٩٤٤. ESCO Foundation for Palestine, Inc, Palestine A Study of Jewish, Arab, and British policies, New Haven, CT: 1947.

(٣٢) خطاب وايزمان لمؤتمر الفيزيائيين، القدس، *Palestine Post*, 24 April 1936. P.1 ; Cf.

A.W.Kayyali, *Palestine : A Modern History*, London : Croomhelm, 1978, 191.

(٣٣) Julian Meltzer, New York : Alfred A. David Horowitz, *State in the Making*, ترجمة

Knoph, 1953, 268

(٣٤) Fred M. Gottheil, "Arab Immigration into Pre-State Israel 1922-1933" in *Palestine*

and *Israel in the 19th and 20th centuries*, تحرير إيلي كيدوري وسيلفيا حايم، لندن،

Frank Cass, 1982, 143-52: Arieh L. Avneri, *The Claim of Disposition, Jewish Land-Settlement and the Arabs, 1878-1948*, New Brunswick, NG: Transaction books, 1984,

ترجمها عن العبرية جماعة ترجمة Kfar Blum, 30-7.

(٣٥) Joan Peters, *From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over*

Palestine, New York: Harper and Row, 1984, وبالنسبة للانتقادات المهمة لهذا العمل

انظر Norman G. Finkelstein, "Disinformation and the Palestine Question: The Not-

So-strange case of Joan Peters's, *From Time Immemorial*, in *Blaming The Victims:*

Spurious Scholarship and the Palestinian Question, تحرير إدوارد سعيد وكريستوفر

ميتشيزن، London: Verso, 2001, 33-69 and his image and Reality of the Israel-Palestine

Conflict, الطبعة الجديدة والمنقحة، نيويورك، W. Norton, (الطبعة الثانية لندن: Verso,

2003, الفصل ٢: "Mrs. Peters's Palestine", Yehoshua Porath, New York review of

books, 32:21-2, 16 January 1986, متاحة على موقع

; "Mrs. Peters's Palestine and Exchange <http://www.nybooks.com/articles/5249>

(Ronald Sanders, Danial Pieps, Yehoshua Porath), New York review of books, 35:5,

27 March 1986, متاح على موقع <http://www.nybooks.com/articles/5172>.

(٣٦) انظر مثلاً مذكرة اللجنة التنفيذية العربية حول الكتاب الأبيض في أكتوبر ١٩٣٠ والتي

أعدها عوني عبد الهادي، القدس، ديسمبر ١٩٣٠ والتي أعيد إنتاجها (بالإنجليزية) في وثائق

الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩: من كتابات وأوراق أكرم زعيتر (بالعربية)

تحرير Bayan Nuwayhid al-hout، بيروت، مركز الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩، 167،

صفحات ٣٤٢-٥٠. doc (الأرض)، ٢٠٣٥٠ (الهجرة)، 168 and doc (خطاب تقديم يوم

٥ يناير ١٩٣١)، ص. ٣٥٤: John Ruedy, « Dynamics of Kayyali, Palestine, 205 :

"In The Transformation of Palestine", تحرير إبراهيم أبو اللغد، Land Alienation, »

١٩٨١-٣٨. جانب أبو اللغد، "The Demographic Transformation of Palestine" في

المرجع السابق، ١٣٩-٦٣.

- (٣٧) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ١٣١. cf المرجع السابق، ١٢٥-٣٠.
- (٣٨) جابوتينسكي، «The Iron Wall» ٤ نوفمبر ١٩٢٣ وكذلك خطابه إلى F.Kisch، ٤ يوليو ١٩٢٥، مقتبس من Caplan, Palestine Jewry, 198-9، خالدى، Iron Cage, 72.
- (٣٩) ديفيد بنجوريون، My Talks with Arab Leaders، ترجمة أريا روبنشتاين وميشا لوفيش، تحرير ميشا لوفيش، القدس: Keter, 1972, 80, 15 (for Musa Alami's reported remark): "أنه يفضل أن تبقى الأرض فقيرة ومتروكة لمئات السنين الأخرى حتى يصبح العرب قادرين على تدميرها وازدهارها".
- (٤٠) "Porath, "Emergence", ص: ١٤٧-١٥٨ و ١٦٩-١٧٨. كذلك Lesch, "Arab Politics in Palestine" الفصل الثامن. وفيما يتصل برود الأفعال اليهودية على نفس المقترحات انظر: Caokab, "Palestine Jewry" الفصل الثامن.
- (٤١) Colonial Office: Correspondence with the Palestine Arab Delegation and the Zionist Organization, CMD. 1700، يونيو ١٩٢٢ (الكتاب الأبيض لتشيرشل). والمعاد إنتاجها فى الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لأكير وبارى روبين، Israel-Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, New York, Penguin Books, 2008, 25-9.
- (٤٢) وبالنسبة للقطعة من التفاوض والإدراكات البريطانية للهدوء انظر Colonial Office, Palestine : تقرير المندوب السامى حول إدارة فلسطين، ١٩٢٠ - ١٩٢٥، Colonial no. 15, 1925 ; Caplan, Palestine Jewry, 195-7.

الفصل الخامس

انهيار الانتداب

التمرد والتقسيم والكتاب الأبيض (١٩٢٩/١٩٣٩)

تحول السياسات الفلسطينية إلى الراديكالية:

نتيجة للارتفاع المفاجئ في مستوى التوتر ذى البعد الدينى- القومى، بدأ الهدوء المخادع فى الثلاثى مع حلول شهر سبتمبر ١٩٢٨، فبعد عام من الاستفزازات والمظاهرات حول الأماكن المقدسة الإسلامية واليهودية، خرج المصلون من صلاة الجمعة، أواخر أغسطس عام ١٩٢٩، لمهاجمة اليهود فى القدس، وترتب على الشائعات التى تم تناقلها عن مهاجمة اليهود للمسلمين إلى اندلاع حالات عنف فى مناطق أخرى، بما فى ذلك الهجوم بضرارة على مجتمعات يهودية - غير صهيونية- وأخرى يهودية شديدة التحفظ مقيمة منذ فترة طويلة فى الخليل وصفد، وقد أسفرت هذه المواجهات عن مقتل ١٣٣ يهودياً وجرح ٣٣٩ أغلبهم على يد العرب الذين قُتل منهم ١١٦ وجرح ٢٣٢، بشكل عام على يد قوات الشرطة والجيش البريطانى^(١).

ما زالت مذبحة الخليل، على وجه خاص، حاضرة فى ذاكرة اليهود باعتبارها أسوأ أحداث "عام تربات"، الاسم العبرى للعام المقابل لسنة ١٩٢٩^(٢)؛ حيث قُتل ٥٩ رجلاً وامرأة وطفلاً وجرح ستون، كما شهدت الأحداث الاغتصاب

والتمثيل ببعض الجثث من قبل الغوغاء، وعلى الرغم من هذا العدد من الضحايا، تمت حماية ما يقرب من ثلاثمئة شخص من يهود الخليل بفضل شجاعة عدد قليل من جيرانهم الفلسطينيين، وكان من شأن ترحيل ما تبقى من يهود الخليل إلى القدس أن يترك أثراً كبيراً لعقود من الزمان، وفي أعقاب عام ١٩٦٧ التي انتزعت خلالها إسرائيل السيطرة على المدينة من الحكم الأردني، سعى بعض اليهود إلى إعادة بناء مجتمعهم في الخليل التي يقطنها مئات الآلاف من الفلسطينيين^(٣).

دفعت اضطرابات ١٩٢٩، بريطانيا إلى إرسال "لجنة شو" للتحقيق بهدف التعرف على الأسباب الكامنة وراءها، وتقديم توصيات للحلول الممكنة، وخلال الفترة من ١٠/٢٤ حتى ١٩٢٩/١٢/٢٧ استمعت اللجنة إلى المسؤولين والشهود من البريطانيين، والصهاينة، والعرب. وخلال شهاداتهم، سعى المتحدثون باسم الصهاينة لتجريم مفتي القدس بالتحريض الديني المتعمد من جانب، والإدارة البريطانية لعدم جاهزيتها وتباطؤها في فرض الأمن والنظام، وبالنسبة للشهادات التي قدمها الفلسطينيون، فقد تضمنت عرضاً للمصاعب الناجمة عن الهجرة، وشراء الأراضي والمخاوف من هيمنة اليهود، وعلى الرغم من أن مثل هذه المخاوف لم يكن لها سند بالفعل آنذاك، نتيجة انخفاض عدد اليهود الوافدين لفلسطين، فإن الرأي العام الفلسطيني غلب عليه طابع الحذر والتحفز جراء التصريحات والتحريض خاصة من قبل أعضاء الحركة الصهيونية التصحيحية وغيرهم، المطالبة بالسيطرة على الحائط الغربي (حائط المبكى)، المقدس لدى المسلمين كذلك (حائط البراق) باعتباره الموقع الذي عرج منه النبي محمد إلى السماء^(٤).

شعر الصهاينة وقادة المستوطنات بخيبة أمل كبيرة؛ إثر نشر تقرير "لجنة شو" في ٣١ مارس عام ١٩٣٠، فقد أعطى مصداقية أكبر لمخاوف العرب وشكاوهم

أكثر من تلك الخاصة باليهود^(٥)، وأعقب ذلك على الفور صدور قرار بإرسال لجنة تقصى حقائق برئاسة السير "جون هوب سيمسون"، ركز تقريرها على الآثار الاقتصادية للهجرة اليهودية وشراء الأراضي على الفلاحين الفلسطينيين، وفي أعقاب تقييم هذه التقارير أصدر مجلس الوزراء البريطاني "كتاباً أبيض" جديداً في أكتوبر عام ١٩٣٠ يحمل اسم "اللورد باسفيلد" وزير المستعمرات، وفي الوقت ذاته أوصت لجنة قانونية مشكلة من قبل عصابة الأمم بعدة طرق لتهدئة الصراع، خاصة الديني، حول الأماكن المقدسة.

أوقع "الكتاب الأبيض" الصادر عن "اللورد باسفيلد" الكثير من الأسى في نفوس الصهاينة لتركيزه على معاناة العرب، إذ رأى ضرورة التعاطي معها من قيود يتم اقتراحها على بيع الأراضي والهجرة اليهودية، كما اقترح "الكتاب الأبيض" استئناف المحادثات المتعلقة بهدف إنشاء هيئات للحكم الذاتي في فلسطين^(٦)، إلا أن القيود محل البحث والمتصلة بالهجرة اليهودية وشراء الأراضي بدت كأنها تم إسقاطها من قبل رئيس الوزراء البريطاني "رمزي مكدونالد"، نتيجة للضغط الهائل التي مورست عليه على مدار شهور، والذي وجه خطاب تعهدات في هذا الخصوص لـ "حايم وايزمان" في فبراير ١٩٣١... وهكذا، فإن ما تم اعتباره في البداية أسوأ نكسة تتعرض لها الحركة الصهيونية وأكبر نصر يحصل عليه الفلسطينيون فيما يتصل بتأييد صانعي السياسة البريطانيون، سرعان ما انتهى إلى مأزق جديد؛ حيث لم يخرج أى من الطرفين من الأزمة بنقطة كافية في إمكانية ارتكابه إلى المساندة البريطانية لتحقيق مطالبه^(٧).

وفي واقع الأمر مثلت الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣١؛ نقطة تحول مهمة في العلاقات العربية-اليهودية-البريطانية على أرض فلسطين، استخلص خلالها كل

طرف عدداً من الدروس المهمة، فلقد أوضحت الأحداث الأخيرة أهمية وقدرة الرموز الدينية (التهديدات للأماكن المقدسة) على حشد كل من المجتمعين في مواجهات عنيفة تشوبها نبرة قومية مميزة، وعلى الرغم من أن توصيات لجنتي "شو" و"سيمسون" لم تنفذ كاملة، فإنها فتحت الباب لإعادة النظر في بعض أسس الانتداب وتطبيق نصوصه المتصلة بالوطن القومي اليهودي؛ وبدأت تطفو على السطح، في الدوائر الصهيونية، أفكار عن "المساواة" في الترتيبات الحكومية، والتقسيم إلى "كانتونات" وغيرها من الإجراءات الدستورية، في وقت بدأت فيه العلاقات تتطور بشكل إيجابي مع الأمير عبد الله عبر الأردن^(٨).

وقد تطلب الأمر بالنسبة للقادة الفلسطينيين بعض الوقت لاستيعاب الصدمة وخيبة الأمل اللتين أحدثتهما خطاب "ماكدونالد" إلى "وايزمان"، والذي نُظر إليه على أنه خيانة وتمت تسميته بـ "الخطاب الأسود"، وبدأ الجيل الشاب يتشكك في جدوى دبلوماسية التذلل للبريطانيين (القبعة في اليد) التي يتبناها المجلس التنفيذي العربي، داعياً إلى تبني أشكال أقوى من المقاومة^(٩). وإذا كانت تقارير مفوض التنمية "لويس فرنش" الصادرة في ديسمبر ١٩٣٠ وأبريل ١٩٣٢ حول التنمية الزراعية وتسوية مشكلة الأرض؛ لتؤكد صدقية العديد من الشكاوى الفلسطينية، فإنها تركت الباب لتبرئة الصهاينة إلى حد ما من خلال الإشارة إلى أن حجم مشكلة الأراضي أضحى أقل مما كان يتم الادعاء به من قبل^(١٠)، وانطلاقاً من الرغبة في تصحيح "الخطأ التكتيكي" المتصل برفضهم المقترحات البريطانية عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣، بدأ الناسة الفلسطينيون العرب التطلع إلى إعادة فتح باب المناقشة لإعادة إنشاء مجلس تشريعي منتخب ديمقراطياً.

فى نهاية أكتوبر ١٩٣٣؛ قام الفلسطينيون القوميون بالتنسيق الدقيق لتنظيم احتجاجات متزامنة فى حيفا ويافا وغيرهما من المدن فى تحد سافر موجه للبريطانيين أكثر منه لليهود أو الصهاينة، وقد أسفر تدخل الشرطة البريطانية لفض هذه المظاهرات غير المرخص بها عن ٢٥ قتيلًا و ٢٠٠ جريح^(١١)، وتكمن أهمية الأحداث (التي لا يتذكرها بعض جيدًا) فى أنها شكلت مقدمة للإضراب العام عام ١٩٣٦، وأيضًا فى إقناع عدد بدأ يتزايد من المسؤولين البريطانيين والقادة الصهاينة بأنهم أضحوا يتعاملون مع حركة قومية أصيلة، وليس مجرد عصابات من قطاع الطرق يعملون لخدمة مثيرى الشغب وذوى المصالح ممن يتلاعب بهم "الأفندية".

وفى واقع الأمر، بدت السياسات الفلسطينية- العربية خلال الثلاثينيات أكثر تنظيمًا وفعالية وموجهة من القاعدة؛ حيث اتسم الجيل الشاب بالثورية وسئم أسلوب وطريقة تعامل القادة الأكبر سنًا، ومن جانبها، أضحت "اللجنة التنفيذية العربية" محط انتقادات متزايدة بسبب اعتدالها وتعاونها مع البريطانيين، واحتجاجاتها غير المجدية على قيام سلطات الانتداب بتنفيذ سياسات الصهيونية، كما جرى تشكيل أحزاب سياسية جديدة لا تستند بشكل كامل إلى الولاءات الأسرية أو العشائرية^(١٢)، وشهدت المرتفعات الواقعة فى شمال البلاد انخراط الداعية الإسلامى "عز الدين القسام" فى عمليات حرب عصابات ضد الأهداف البريطانية والصهيونية حتى مقتله فى إحدى المعارك فى نوفمبر ١٩٣٥، وكان تشييع جثمانه الذى شاركت فيه أعداد غفيرة من الفلسطينيين؛ مناسبة لزيادة حدة التوتر السياسى الذى كان موجودًا بالفعل فى البلاد لأسباب أخرى، فقد كان رد لندن السلبي على الضغوط الفلسطينية لتأسيس مجلس تشريعى منتخب سببًا فى إضفاء الطابع الراديكالى على الفكر السياسى الفلسطينى، كذلك تزايدت المخاوف إزاء الزيادة الحادة فى الهجرة اليهودية فى عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٤، خاصة ١٩٣٥؛ حيث تم تسجيل أعلى معدل

(٦١٨٥٤ مهاجرًا) طوال فترة الانتداب. وتزايدت حالة التصعيد في التوتر السياسي مع الكشف عن النشاط اليهودي لتهريب السلاح، في حين أدت الضجة التي أحاطت بطرد فلاحين من الأرض، خاصة في وادي الحواريث، في أغسطس ١٩٣٣، إلى تكثيف حدة الانتقاد على بيع الأراضي لليهود ومن ثم المأسى. وفي الإجمال يمكن القول إن المشكلات والشكاوى التي كانت أساس اندلاع أحداث ١٩٢٩، لم يتم حلها سواء من خلال لجان تقصى الحقائق أو التحقيق، أو التصريحات السياسية أو التغيير في قواعد الانتداب وإدارته.

الإضراب العام والتمرد (١٩٣٦):

في أعقاب عدد من الاغتيالات وعمليات الهجوم والهجوم المضاد من قبل العرب واليهود في منتصف أبريل ١٩٣٦، فرض البريطانيون حظر التجوال وأعلنوا حالة الطوارئ، ومن جانبها أعلنت "اللجنة العربية العليا"، التي شكلت مؤخرًا كمظلة تضم فصائل سياسية فلسطينية، إضرابًا عامًا صاحبته انتفاضة مسلحة، فعلى الرغم من بدنه على شكل "قلاقل"؛ فإنه سرعان ما تطور إلى ما صار يعرف بـ "الثورة" العربية- الفلسطينية أو "التمرد"، متحدًا بشكل جدي الحكم البريطاني والسياسة الصهيونية في فلسطين خلال الفترة من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩. وعلى الرغم من الانتقادات التي تم توجيهها للإدارة المدنية البريطانية سواء فيما يتصل بعقم تعاملها مع العنف، والبطء في تعبئة قواتها العسكرية لملاحقة المتمردين، فإنه مما لا شك فيه أن كثيرًا من الإجراءات التي اتخذتها الشرطة والجيش (التفتيش، الغرامات الجماعية، حظر التجوال، هدم المنازل) كانت قاسية، وخلفت الكثير من المعاناة والمرارة في أوساط السكان الفلسطينيين^(١٣).

وبعد مرور أكثر من خمسة أشهر من أعمال الهجوم اليومي والتدمير وشلل الحياة جراء الإضراب العام والتمرد؛ أسفرت الدبلوماسية السرية في لندن وتمخضت عن صدور بيانات عامة، في أوائل أكتوبر ١٩٣٦، من قبل ثلاثة من الحكام العرب المجاورين (ابن سعود في الجزيرة العربية - عبد الله في شرق الأردن - الأمير غازي في العراق) تحث الفلسطينيين على العودة للحياة الطبيعية، والثقة في قدرة بريطانيا العظمى على إيجاد حل عادل لمعاناتهم، وكرد فعل (تم الترتيب له كذلك مسبقاً) نادى اللجنة العربية العليا بإنهاء الإضراب العام وبدأت حدة التمرد في التراجع، وتم التوصل إلى وقف إطلاق النار، ووضع سابقة مهمة في تاريخ الصراع تمثلت في الدعوة والسماح للقادة الإقليميين بالتدخل في الشأن الفلسطيني، ويشير المؤرخون، عموماً، إلى نقطة التحول تلك على أنها أضرت أكثر مما ساعدت الفلسطينيين^(١٤).

وفقاً للإحصاءات البريطانية، تمثلت حصيلة الشهور الستة التي سبقت وقف إطلاق النار، في "أكثر من ألف متمرّد عربي قتل"، معظمهم في صدامات مع الجيش والشرطة، بالإضافة إلى ٣١٤ شخصاً فقدوا أرواحهم (١٩٥ عربياً و ٨٠ يهودياً)، و١٣٣٧ جريحاً (٨٠٤ عرب و ٣٠٨ يهود)^(١٥)، وبكل المقاييس فإن الحماسة ودرجة التنظيم (في ظل لجان قومية مرتجلة وعشوائية) كانت مثيرة للدهشة، على الرغم من أنها كانت مصحوبة بدرجة من العنف والترهيب موجهة مباشرة للفلسطينيين الذين لم يبدووا الالتزام الكافي والولاء للإضراب و /أو التمرد المسلح^(١٦).

نقطة تحول.. لجنة "بيل" الملكية:

أثار اندلاع الإضراب شكوكاً حول ما إذا كان استمرار الانتداب ما زال ممكناً، وقد أسهمت مجموعة من المتغيرات المهمة خلال الثلاثينيات في تعزيز هذه الشكوك، خاصة تدهور أحوال اليهود الأوروبيين بعد صعود هتلر لسدة الحكم، والحركات الناجحة المطالبة بالاستقلال في الدول العربية المجاورة، وفضلاً عن ذلك بدا واضحاً للبعض عدم قدرة بريطانيا على الوفاء بالتزامها المزدوج وفقاً لنصوص الانتداب، خاصة مع تمزق البلاد بين مجتمعين متصارعين ينظر كل منهما إلى الآخر بمنطلقات قومية.

مهد الهدوء الذي ساد بعد وقف إطلاق النار، الطريق أمام الحكومة البريطانية لإرسال لجنة ملكية كانت على أهبة الاستعداد بتكليفات أكثر اتساعاً وشمولاً من أى لجنة أخرى سبقتها:

"الوقوف على الأسباب الكامنة للاضطرابات التي اندلعت في فلسطين منتصف أبريل، والبحث في الطريقة التي يتم بها تطبيق الانتداب خاصة فيما يتصل بالالتزامات تجاه كل من العرب واليهود، ومعرفة ما إذا كان لدى أى من العرب أو اليهود شكاوى مشروعة حول الطريقة التي جرى بها تطبيق الانتداب، وفي حالة اقتناع اللجنة بجدية أى من تلك الشكاوى تقوم بالتوصية بإزالة مصدرها ومنع تكرارها."^(١٧)

وصلت اللجنة التي عرفت بعد ذلك باسم رئيسها "بيل" إلى فلسطين في الحادى عشر من نوفمبر ١٩٣٦؛ لتبدأ عملها بجمع الأدلة وسماع الشهادات من المسؤولين البريطانيين وممثلى الصهاينة والعرب، وفي القدس استمعت اللجنة

لستين شاهداً في جلسات عامة و ٥٣ شاهداً في جلسات خاصة، وبعد مغادرتها إلى لندن في شهر يناير وقبل أن تعكف على صياغة تقريرها استتمعت اللجنة إلى شاهدين آخرين في جلسات عامة، وثمانية من خلال الاتصال بالكاميرات^(١٨).

صدر التقرير أوائل يوليو عام ١٩٣٧؛ في صيغة "كتاب أبيض" يتضمن ٤٠٤ صفحات، ويعتبر حتى اليوم دراسة شاملة للصراع بكل تعقيداته؛ وبأسلوب عميق بعيد عن العاطفة، أبدى كاتبو التقرير تقديرهم لنمو وديناميكية المستوطنات اليهودية، فيما أقرّوا بالتطلعات القومية والمعاناة التي دفعت كلاً من اليهود والعرب لرفض الآخر، وكذلك رفض استمرار الحكم البريطاني. ومن بين النتائج الجريئة التي توصلت إليها اللجنة تلك المتصلة بأن الانتداب لا يمكن العمل به، وفي واحد من أكثر الأسطر اقتباساً، أكد التقرير: "أن صراعاً يتعذر السيطرة عليه نشب بين مجموعتين قوميتين داخل حدود ضيقة لدولة صغيرة"، واستطرد التقرير قائلاً:

"ولا توجد ثمة أرضية مشتركة بينهما ... فالمجتمع العربي يغلب عليه الطابع الآسيوي، والمجتمع اليهودي في أغلبيته العظمى أوروبي، والمجتمعان يختلفان في الدين واللغة، كما أن حياتهما الثقافية والاجتماعية، وطرق سلوكهما وتفكيرهما غير متوافقة مثلها في ذلك مثل أهدافهما القومية، وهذه الأخيرة، هي أهم العقبات أمام السلام... إن الإصرار على أن المواطنة الفلسطينية ليس لها أساس معنوي، هو من قبيل العبث، وكلا من العرب واليهود ليس ليهما الشعور بخدمة دولة واحدة"^(١٩).

واقترح التقرير تقسيم البلاد المتنازع عليها، باعتباره الخيار الوحيد الذى يعطى شيئاً من الأمل فى التسوية:

"من الواضح أن المشكلة لا يمكن حلها بإعطاء إما العرب وإما اليهود كل ما يريدون، والإجابة عن سؤال أى منهما سيحكم فلسطين فى النهاية يجب أن تكون بالتأكيد "ليس أياً منهما"، ونعتقد أن أى سياسى متعقل يمكن أن يفترض ... أن على بريطانيا إما أن تسلم للعرب سلطة حكم أربعمئة ألف يهودى، سهلت حكومة بريطانيا دخول أغلبيهم إلى فلسطين بموافقة عصبة الأمم، وإما، فى حالة ما أصبح اليهود أغلبية، أن يتم تسليم حكم أغلبية تصل إلى مليون عربى لليهود، وإذا كان أى من الجنسين يمكنه أن يحكم فلسطين بكاملها، فإتانا لا نرى سبباً يمنع من أن يحكم كل منهما جزءاً منها".

وعلى الرغم من اعترافهم بأن فكرة تقسيم بلد صغير طُرحت من قبل وتم رفضها فى ضوء صعوبات متوقعة لا يرغبون فى التقليل من شأنها، فإن أعضاء اللجنة توصلوا إلى نتيجة مفادها: "إن هذه الصعوبات لا تبدو مستحيلة بالمقارنة بتلك الكامنة فى استمرار وضعية الانتداب أو أى ترتيبات بديلة... فالتقسيم يبدو أنه يوفر على الأقل فرصة لتحقيق السلام النهائى، وهو ما لا نراه ممكناً فى أى خطة أخرى" (٢٠).

وقد رافقت هذه التوصية المثيرة مقترحات بفرض قيود مؤقتة على بيع الأراضي ووضع سقف للهجرة يتم تحديده، للمرة الأولى، ليس على أساس "الطاقة

الاستيعابية لاقتصاد فلسطين" (كما جاء في كتاب تشرشل الأبيض عام ١٩٢٢)، وإنما وفقا للمناخ السياسى فى البلاد. ومن جانبها، رحبت حكومة بريطانيا بالتقرير وبدأت فى الاستعداد لاتخاذ خطوات نحو تنفيذ توصياته الأساسية.

أما فيما يخص ردود الفعل الفورية لمقترحات "بيل"؛ فقد كانت فى معظمها سلبية، فالمجتمع الفلسطينى كان متحدًا تحت راية اللجنة العربية العليا فى رفض المقترحات، وتجديد طلباته بإنهاء الانتداب، ووقف الهجرة اليهودية وشراء الأراضى، وإنشاء دولة عربية مستقلة، وما أثار سخط القيادة الفلسطينية اقتراض التقرير بأن "العرب ويهود فلسطين يقفان كطرفين متساويين ضد بعضهما بعض"، كذلك تم رفض الحل المقترح من جانب اللجنة؛ حيث بدا كأنه يتعامل مع "القضية اليهودية باعتبارها الموضوع الأساسى الذى يجب حله دونما إشارة للقضايا العربية على المحك"، هو ما تم اعتباره افتئاتا غير مقبول على الحقوق العربية، وقد تضمنت المذكرة التى وجهتها اللجنة العربية العليا إلى وزير المستعمرات البريطانى فى هذا الخصوص ما يلى:

"إن عرب فلسطين هم أصحاب البلاد وعاشوا فيها قبل الاحتلال البريطانى لمئات السنين، وما زالوا يمثلون فيها الأغلبية الساحقة، ومن جانب آخر يمثل اليهود أقلية من الغزاة الذين لم يكن لهم قبل الحرب وجود قوى فى البلاد التى انقطعت صلاتهم السياسية بها منذ ألفى عام، ومن الصعب أساسًا، سواء فى المنطق أو الأخلاق لتبرير محاولة استعادة هذه العلاقات المقطوعة بإنشاء الوطن القومى اليهودى المزعوم، هذه المحاولة ليست لها سابقة فى

التاريخ القديم أو المعاصر على السواء، ولا تستند إلى شيء سوى قوة السلاح البريطاني، والافتقار إلى الحس بالواقع السياسى لدى اليهود^(٢١).

فى هذا السياق عادت الثورة لتشتعل مجدداً - وإن كانت بقوة أكبر - خاصة بعد إقدام المتمردين على اغتيال المفوض البريطانى بالنيابة فى "نازاريت" أواخر سبتمبر ١٩٣٧، وما تبعه من إجراءات بريطانية أكثر قسوة وصرامة بما فى ذلك اعتبار رئيس اللجنة العربية العليا، مفتى فلسطين الحاج أمين الحسيني، خارجاً عن القانون، ما دفعه إلى الفرار إلى بيروت، ثم لبغداد، فطهران، فبرلين، واعتقال أعضاء آخرين فى اللجنة أو منعهم من الدخول للبلاد، الأمر الذى خلق فراغاً فى القيادة كانت له أثراً كارثية على الحركة الوطنية الفلسطينية خلال العقد التالى. وخلال مناقشتنا "الفرص الضائعة" فى الفصل الحادى عشر، سنتعرض للبحث فيما إذا كان قرار الفلسطينيين برفض مقترح لجنة "بيل" تقسيم البلاد حكيمًا، وهل كان من شأن قبولهم له المساعدة فى تقييد المزيد من النمو للوطن القومى اليهودى؟

كان لتقرير لجنة "بيل" وما أعقبه من تجدد التمرد أصداء إقليمية؛ فالأمير عبد الله، الذى كان فى موضع يؤهله للحصول على مكاسب إقليمية من مقترح لجنة "بيل" بضم الأجزاء العربية من فلسطين إلى مملكته فى شرق الأردن، رحب بتردد بتقرير اللجنة الملكية، لكن سرعان ما تراجع عندما توالى أصداء رفض قادة الدول المجاورة وإدانتهم لخطة التقسيم، وتم تشكيل لجان فى دمشق وبغداد وغيرهما لمساندة المتمردين الفلسطينيين والتضامن معهم، وقد بلغ الرفض ذروته بعقد مؤتمر عربى عام فى بلودان بسوريا، أوائل سبتمبر عام ١٩٣٧، حضره ٤٠٠ مندوب، ومن بين أبرز القرارات التى صدرت دعماً للفلسطينيين، قرار يشير إلى أن الدول

العربية قد تجد نفسها مدفوعة للتحالف بشكل أو ثقل مع أعداء بريطانيا الأوروبيين^(٢٢)، وكان من شأن ردود الأفعال تلك أن تقلق القادة البريطانيين؛ حيث هدد هدم الرضاء العربي فيما يخص فلسطين؛ الاستقرار الإمبراطورى فى الشرق الوسط، وأثار تعاطف المسلمين فى شبه القارة الهندية فى وقت تصاعدت فيه حدة التوترات مع قوى فاشية أوروبية.

وإزاء أول اقتراح صريح بإقامة "دولة" يهودية، وليس فقط "وطنًا قومياً"، وجد الصهيوونيون أنفسهم أمام خيارات صعبة انقسمت حولها الحركة ككل وأحزابها وفصائلها، وقد اعتمد المؤتمر الصهيونى المنعقد فى زيورخ، فى يوليو ١٩٣٧، قرارات معقدة، بأغلبية صوت أو صوتين، وافقت على مبدأ التقسيم وإن انتقدت بشدة كثيراً من تفاصيل الخطة، وفوضت الجهاز التنفيذى للتفاوض مع البريطانيين من أجل تقسيم أفضل^(٢٣)، وخلال ١٩٣٨ أعدت الوكالة اليهودية تقارير ودراسات بحثية تفصيلية عن سكان واقتصاد فلسطين قدمتها إلى "لجنة متابعة فنية" ترأسها اللورد "جون وودهيد". ومن جانبهم، قاطع العرب تلك اللجنة التى زارت فلسطين من أواخر أبريل إلى أوائل أغسطس ١٩٣٨، وأعدت تقريراً خلص إلى أن التقسيم غير عملى وكان من الصعب على اللجنة أن توصى بخطة بديلة بالإجماع^(٢٤).



الخريطة (٥-١) خطة تقسيم لجنة "بيل"، يوليو ١٩٣٧.

التراجع عن التقسيم:

نظرة صانعي السياسة في لندن إلى النتيجة غير المتوقعة وغير الحاسمة للجنة "وودهد"؛ تعني أن حكومة صاحبة الجلالة لم تعد متمسكة بحل التقسيم، وعوضاً عن ذلك فإنها ستقوم بدعوة وفود عربية وصهيونية إلى مؤتمر مائدة مستديرة^(٢٥)؛ وقد أثرت لعبت الحسابات الاستراتيجية المتصلة بولاء الدول العربية خلال المواجهة المتوقعة مع ألمانيا وإيطاليا في قرارات وسلوك بريطانيا آنذاك، ما وضع الصهاينة في موقف غير مريح في وقت جرت فيه الاستعدادات لعقد مؤتمر في قصر سان جيمس بلندن، وحذر فيه وزير المستعمرات "مالكوم ماكدونالد" من أنه في حالة فشل المؤتمر في التوصل إلى تسوية مُتفق عليها، ستأخذ حكومة صاحب الجلالة على عاتقها مهمة إعلان سياسة جديدة في فلسطين.

رفض المندوبون العرب والفلسطينيون في لندن لقاء نظرائهم الصهاينة، سواء كوفد أو فرادى، وعُقد ما يقرب من ٣٦ جلسة عربية-بريطانية، وصهيونية-بريطانية بالتوازي (وثلاث جلسات ثلاثية سرية) أوائل ١٩٣٩؛ لم تسفر جميعها عن شيء سوى الإحباط وعدم التوصل إلى اتفاق بشأن سياسة مستقبلية تجاه وإزاء هذه الأزمة، وأصدر "ماكدونالد" كتاباً أبيض في مايو ١٩٣٩ داعياً لوضع قيود جديدة على الهجرة اليهودية وبيع الأراضي، حيث لا يسمح خلال السنوات الخمس التالية إلا بدخول ٧٥ ألف يهودي، على أن تكون موافقة العرب بعد ذلك ضرورية، وفضلاً عن ذلك يخول المندوب السامي "سلطات عامة لمنع وتنظيم عملية انتقال الأراضي لليهود" بغية حماية المزارعين العرب^(٢٦). وفيما يتصل بفلسطين؛ فإنها ستصبح مستقلة خلال عشرة أعوام، وإن كان الاستقلال النهائي سيتم منحه بعد فترة انتقالية. رأى "ماكدونالد" أنها لا يمكن أن تنتهي "إلا

عندما يكون هناك تعاون على أرض الواقع بين العرب واليهود، أو على الأقل توافر ضمانات على أن هذا التعاون سيستمر^(٢٧).

قدم كل من "الكتاب الأبيض" الصادر عن وزير المستعمرات من جانب، وما دار في محادثات لندن من جانب آخر، أمثلة صارخة على عدم جدوى الجهود البريطانية للعب دور "الوسيط النزيه" بين العرب والصهيانية في صراعهم على فلسطين، وقد اشتكى الزعيم الفلسطيني "عوني عبد الهادي" في هذا الصدد قائلاً: "في المقام الأخير وضعت السياسة البريطانية العرب تحت رحمة التعاون مع اليهود؛ حيث إنهم يعلمون أن هؤلاء لن يسمحوا أبداً بقيام دولة مستقلة"، كذلك احتج مندوبون عرب آخرون في مؤتمر "سان جيمس" على أن الموقف يعنى وضع عراقيل مهينة لا يمكن التغلب عليها أمام حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم^(٢٨).

ومن جانبه، ذهب "ديفيد بن جوريون"، في خطاب وجهه إلى زوجته، إلى أن المقترحات البريطانية في "سان جيمس" تعادل "وضع اليهود تحت رحمة العرب"، وأنها "خطة غبية وشريرة وقصيرة النظر"^(٢٩). وفي أعقاب نشر "الكتاب الأبيض" بعد مرور شهرين نظم سكان المستوطنات حركة احتجاجات عنيفة، فيما أقسم "بن جوريون" على محاربة الكتاب الأبيض وكأنه لا توجد حرب ضد ألمانيا، والحرب إلى جانب بريطانيا ضد ألمانيا النازية وكأنه لا يوجد ثمة "كتاب أبيض"^(٣٠).

وجد كلا الطرفين أخطاء في السياسة البريطانية الجديدة، فقد أثار "الكتاب الأبيض" سخط الصهيانية بقيوده التي فرضها على الهجرة، وبافتراضه أن أسس وعود بلفور والانتداب قد تم الوفاء بهما، فضلاً عن ذلك بدت السياسات الجديدة لهم على أنها ليست أكثر من محاولة حمقاء لتهدئة العالم العربي. وفي حقيقة الأمر، خرج الفلسطينيون من مؤتمر سان جيمس ومع صدور "الكتاب الأبيض" بمكسبين سياسيين:

١) الاعتراف المبدئي من قبل سلطة الانتداب بحق فلسطين في الاستقلال، حتى إن كان ذلك مشروطاً ومؤجلاً.

٢) التسليم بحق الفلسطينيين في حماية وضعهم كأغلبية بمنع اليهود من تخطيطهم عددياً، ومنح الفلسطينيين أداة لممارسة هذا الحق (الاعتراض أو الفيتو على الهجرة بعد مضي خمس سنوات).

وعلى الرغم من ذلك، استمر مفتى فلسطين في منفاه، يؤازره عدد من القادة الفلسطينيين، في موقفه الصلب الرافض للسياسة البريطانية الجديدة التي لا ترضى المطالبة بالاستقلال الكامل والفوري لفلسطين^(٣١)، وبالعودة إلى الوراء، فإنه يمكننا أن نتساءل عما إذا كان الفلسطينيون قد فقدوا فرصة لاحتواء أو وقف التوسع المستقبلي للوطن القومي اليهودي في تلك اللحظة التاريخية الحاسمة من خلال عدم السعي لوضع المقترحات التي تضمنها "الكتاب الأبيض" الخاصة بدولة فلسطينية مستقلة موضع التنفيذ، وهي الدولة التي كان من الممكن أن ترى النور بعد مرور عشرة أعوام بأغلبية عربية واضحة نتيجة لوضع القيود على الهجرة اليهودية وشراء الأراضي (انظر: الفصل ١١).

اللجوء للقوة.. العنف والإرهاب والصراعات القومية:

وإذا كان يمكن وصف هذين المكسبين بأنهما ثمرة للتمرد، فإن كلفتها بدت عالية من حيث الضرر الذي لحق بقدرات الفلسطينيين كمجتمع قومي يسعى للحفاظ على أرضه في مواجهة أقلية يهودية تناضل من أجل إنشاء دولة لها، فخلال انتفاضتهم الأولى ضد الحكم البريطاني والبرنامج الصهيوني نجح المتمردون في

إحداث الكثير من الدمار، وتمكنوا في بعض اللحظات من السيطرة على مناطق واسعة في البلاد، وقد أحصت السجلات البريطانية الرسمية لعام ١٩٣٨، على سبيل المثال، ٥٧٠٨ حوادث عنف شملت ٩٨٦ هجومًا على الشرطة أو الجيش، و ٦٥١ هجومًا على المستوطنات أو الأحياء اليهودية، و ٣٣١ واقعة إلقاء للقنابل، و ٢١٥ عملية اختطاف، و ٧٢٠ هجومًا على مكاتب الاتصالات التلغرافية، و ٣٤١ حادثة تخريب للطرق والسكك الحديدية، و ١٠٤ اعتداءات على أنابيب البترول، و ٤٣٠ واقعة اغتيال أو محاولة للاغتيال. وفي المرحلة الثانية من الثورة التي أصابها الوهن منتصف ١٩٣٩، أشارت السجلات الرسمية إلى أن قوات الجيش والشرطة البريطانية قتلت ألف متمرّد آخرين، بينما صدرت أحكام بالإعدام على ٥٥ شخصًا، والحبس على ٣٣٠٠، وتوضّح الأرقام الرسمية للخسائر الأخرى "نتيجة الأعمال الإرهابية وأنشطة العصابات" في الفترة ١٩٣٧-١٩٣٩ أنها بلغت ١٥٠٠ قتيل، منهم ١١٥ بريطانيًا و ٣٥٠ يهوديًا و ٩٠٠ عربي، فضلًا عن الآلاف من الجرحى^(٣٢).

وبالتأكيد فإن هذه الأرقام البريطانية تقلّ من حجم الخسائر الحقيقية، خاصة في أوساط الفلسطينيين، فالعدد الأكبر من الضحايا الفلسطينيين - العرب كان نتاج الانشقاقات وأعمال القتل بين الفصائل^(٣٣) المتمرّدة المتنافسة، والمجموعات المؤيدة والمناهضة لمفتى القدس. يضاف إلى ذلك أعمال القمع العنيفة التي مارسها الجانب البريطاني، وقد دفع كل ذلك المؤرخ رشيد خالدي^(٣٤) إلى أن ينعي "التطور المأساوي الذي أدى لتضحيات ثورة أعوام ١٩٣٦-١٩٣٩، التي أدّى قمعها إلى بداية النهاية لفلسطين العربية"^(٣٤)، وحقيقة الأمر شكل الفراغ في القيادة الذي أعاق الفلسطينيين خلال فترة المنازلة الحاسمة خلال السنوات الأخيرة للحكم البريطاني، أكثر هذه الخسائر أهمية. (انظر: الفصل السادس).

وعلى الجانب اليهودي، أفرزت المرحلة الثانية من التمرد عاملاً جديداً تمثل في تزايد العمليات التي قامت بها الميليشيات المنشقة والتي لم تلتزم باستراتيجية القيادة الصهيونية الرسمية المتصلة بضبط النفس (هافالجا بالعبرية). وبحلول خريف ١٩٣٧، وإزاء استئناف وتصاعد أعمال التمرد، تضاعف مستوى الالتزام باستراتيجية ضبط النفس، خاصة بين منتسبي الأرجون (المعروفة حتى ذلك الوقت باسم الهاجاناة ب)، ففي يوليو ١٩٣٩ أسفر تفجيران كان وراءهما "الأرجون" عن مقتل ٧٤ وجرح ١٢٩ عربياً في سوق حيفا الرئيسية، مما أطلق أعمال هجوم انتقامية استهدفت اليهود والمدنيين العرب^(٣٥)، أما فيما يتصل بتنظيم "الهاجاناة" السري؛ فقد عدل من تكتيكات عملياته ضد الأهداف العربية من خلال تنظيم "تشكيلات ليلية خاصة" تولى عملية إرشادها "أورد تشارلز وينجيت" (مسيحي متشدد وصهيوني) الذي عمل لفترة بالجيش البريطاني في فلسطين^(٣٦)، وخلال العقد الذي تلى ذلك، التحق جناح آخر منشق وأشد راديكالية، متمثلاً في "عصابة سترن"، إلى ما أضحى يُعرف بـ "الثورة اليهودية" ضد الحكم البريطاني (انظر: الفصل السادس)^(٣٧).

وتمثل ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ ذروة مسيرة طويلة لعسكرة الصراع بين الفلسطينيين العرب واليهود، فمن المناوشات المحلية المبكرة بين الفلاحين الفلسطينيين والبدو والمستوطنين الصهاينة وتأسيس تنظيم الحراس اليهود خلال العصر العثماني، تصاعدت وتيرة ودور اللجوء للسلاح مع تحول الصراع بين كلا المجتمعين إلى صراع ذي صبغة قومية خلال فترة الانتداب، فكما سبق أن لاحظنا أخذت منظمة "الهاجاناة" شبه السرية، منذ ديسمبر ١٩٢٠، على عاتقها تسليح وتدريب اليهود الذين بدءوا نشاطاتهم الأولى في أحداث مايو ١٩٢١، ونوفمبر

١٩٢٢ وأغسطس ١٩٢٩، وهو الأمر الذي ينقلنا إلى مناقشة المقولة السادسة الجوهرية التي نبحثها: هل كان لجوء الفلسطينيين (العرب) والصهاينة (الإسرائيليين) للعنف مبرراً، أم مثل ذلك أمر تُلزم إدانته؟ وبشكل أو بآخر يمكن النظر إلى هذه النقطة على اعتبارها امتداداً للمقولة التي تناولت السؤال حول توصيف تحركات الصهاينة وما إذا كانت عودة إلى أراضيهم أم غزوا لأراضي الآخرين. وخلال عملية تقارع الحجج، سيسعى مؤيدو كل طرف لتقويض دعاوى الآخر من خلال التركيز على سلوكه ذي الطابع الشرير والعدواني العنيف، كما سيؤكد كل طرف في معرض دفاعه على أنه لم يبدأ بالعنف وإنما كان يقوم بالرد على عنف الطرف الآخر. وفي فترة ما بعد ١٩٤٨؛ فإن صيغاً متعاقبة لهذه المقولات الجوهرية تم تقديمها من خلال طرح صياغات أخرى للسؤال: من كان المعتدى، ومن كان يدافع عن نفسه؟ أى من الطرفين كان "الإرهابي"، وأيهما كان من "يحارب من أجل الحرية؟"

ومن وجهة نظر الفلسطينيين، شكل مجرد وصول مهاجرين يهود إلى ما يعتبرونه وطنهم القومي أمراً مرفوضاً بحد ذاته، خاصة عندما يُعلن القادمون الجدد بصراحة عن نيتهم التحول يوماً ما إلى أغلبية؛ ويؤسسون دولة يهودية ذات سيادة، يُجبر السكان الأصليون داخلها على احتلال مرتبة الأقلية، وهو ما يدفع بهؤلاء إلى التساؤل: ألا يعطيهم ذلك الحق في الاعتراض، بل وحمل السلاح عند الضرورة لمنع حدوث ذلك؟ فعلى الرغم من تأييد المجتمع الدولي (الأوروبي) لها، مثلت الصهيونية أمراً مفروضاً عليهم وتعدّ، بل وإنها تضمنت في جنباتها صفة العدوانية حتى إن كان الكثير من خطواتها الصغيرة تماشت مع حرفية ونصوص القانون أو تمت دون لجوء فعلى للقوة المادية.

ينحى بعض المعلقين ممن يناصرون قضية الفلسطينيين باللائمة مباشرة على بريطانيا؛ لتجاهلها وتخطيها لرغبات العرب وقيامها بتزويد الصهيونية بالحرب التي بدونها ما كان لهم أن يوطدوا وجودهم هناك، وعلى سبيل المثال كتب المؤرخ الشهير "أرنولد توينبي" عام ١٩٧٠:

"يتمثل السبب في وجود دولة إسرائيل اليوم إلى جانب مليون ونصف مليون لاجئ فلسطيني في أنه خلال ثلاثين عامًا تم فرض الهجرة اليهودية على الفلسطينيين العرب بالقوة العسكرية البريطانية إلى أن وصل عدد كبير من المهاجرين وتم تسليحهم بشكل جيد وأصبحوا قادرين على درء الخطر عن أنفسهم بدباباتهم وطائراتهم"^(٣٨).

وعودة للوراء في عام ١٩٣٨، لخص "جورج أنطونيوس"، المثقف الثرى الذى عاش فى القدس، والذي عرض المشكلات المستعصية التى تمت معاصرتها آنذاك حين أوقع عنف التمرد الدمار على جميع الأطراف فى أنحاء البلاد، ولخصها فى العبارات التالية:

"ليس هناك من أمل فى حل دائم للمشكلة فلسطين إذا ما لم يتم رفع الظلم، فالعنف، سواء المادى أو المعنوى، لن يقدم حلاً فهو ليس فقط أمراً يستحق الشجب ولكن أيضاً يجعل من إمكانية التوصل إلى تفاهم بين العرب والبريطانيين واليهود أمراً بعيد المنال، وحقيقة الأمر أنه من خلال لجونهم للعنف تمكن العرب من لفت الاهتمام إلى معاناتهم، وهو ما

أخفق في تحقيقه ممثلوهم في لندن والقدس وجنيف خلال
عشرين عاماً".

واستناداً إلى التمييز الذي أقامه بين كل من العنف "المادى" وذلك "المعنوى"
استرسل "أنطونيوس" قائلاً:

لكن العنف يضر بأهدافه، وما يحققه بشكل فوري تقل
أهميته نتيجة الضرر المترتب عليه حتماً، ولن يتمخض
العنف في فلسطين عن حل، وتتمثل الطريقة الحكيمة لوضع
نهاية له في إزالة الأسباب التى أدت لاندلاعه؛ حيث يلزم
مواجهة حقيقة أن عنف العرب كان نتاجاً طبيعياً للعنف
المعنوى الذى مَورس تجاههم، وأنه ليس من المرجح أن
يتوقف، أيا كانت شدة القمع، ما لم يتم إنهاء العنف المعنوى".

وفى معرض تناوله لما سماه "طريق العدالة والمنطق السليم"؛ وجه الكاتب
أصابع الاتهام إلى الصهيونية قائلاً:

"لا مجال لوطن آخر فى بلد يقطنه بالفعل شعب على درجة
كاملة من يقظة الوعى، ولا يمكن التغلب على عواطفه تجاه منازل
وربوع بلاده، ولا توجد إمكانيّة لتواجد أمة ثانية فى فلسطين إلا
من خلال الطرد أو التدمير النهائى للأمة التى تمتلكها"^(٣٩).

إن مثل هذا الشعور الذى برز مع بلوغ العنف ذروته فى فلسطين فى الفترة
١٩٣٦ - ١٩٣٩، ما زال جزءاً من مشاعر الفلسطينيين بالظلم إثر خسارتهم التامة
لوطنهم عام ١٩٤٨ لصالح الحركة الصهيونية المنافسة.

يتضح مما سبق كيفية وأسباب رؤية الفلسطينيين لأنفسهم خلال مئة وثلاثين عاماً من الصراع؛ باعتبارهم الطرف المضطهد الذي كان عليه أن يواجه عدواناً يهودياً وصهيونياً لا مبرر له. أما من وجهة النظر الصهيونية فتبدو الصورة مختلفة تماماً؛ حيث يرون العودة لما يعتبرونه وطنهم القومي، الذي كان آنذاك في حالة من التخلف وقلة السكان، أرض إسرائيل (فلسطين)، لا يبرره فقط الوعد الإلهي، وإنما تعترف به القوى العالمية وعصبة الأمم، ومن ثم مثل اتخاذ معارضة الفلسطينيين لوصولهم مظهر الهجوم المادي من وجهة نظر الصهاينة عملاً عدوانياً لا يمكن التسامح معه، بشكل لا يختلف عن الأعمال الوحشية التي تعرض لها اليهود في شرق أوروبا وغيرها، وقد كان من الطبيعي أن تتطلب هذه التهديدات من اليهود حماية أنفسهم خاصة في ضوء عدم اليقين من قدرة ورغبة السلطة الحاكمة (بريطانيا بعد ١٩١٧) في توفير الحماية الكافية.

ولا يتقبل كثير من الكتاب اليهود والإسرائيليين مقولة التوازي والمعاملة بالمثل أو التشابه بين العنف الذي مارسه كل من الجانبين، ففي معرض مراجعته للتاريخ، ذهب الكاتب الإسرائيلي "ياكوف لوزويك" إلى عدم وجود مسئولية مشتركة عن أي "دائرة" من دوائر العنف، وكل ما يراه هو صدام بين قوى متضادة للبناء (الصهاينة) والهدم (الفلسطينيين) خلال فترة الانتداب، ووفقاً له - وآخرين - فإن الرفض الفلسطيني لا مبرر له وغير عقلاني وحتى غير مشروع؛ نظراً لخصائصه وطابعه المتعطش للقتل (الإبادة الجماعية ومناهضة السامية)^(٤٠). وفي المقابل يعترض الكاتب الفلسطيني "رشيد خالدي" على وجهة النظر السالفة وينعتها بـ "الاتهام السخيف السائد بأن الفلسطينيين لم يحركهم سوى العداء للسامية"، بينما في الحقيقة يلزم النظر إليهم على أنهم "مجرد... شعب مُحتل يسعى للدفاع عن وضعه كأغلبية وتحقيق استقلاله داخل بلاده"^(٤١).

غير أن جميع الأطروحات للقضية الصهيونية؛ ليست بمثل الوضوح المتحيز الذى عبر عنه "لوزويك"، ويمكننا فى هذا الصدد الإشارة إلى التحليل الذى قدمته المؤرخة الإسرائيلية "أنيتا شابير" للجوء الصهاينة للقوة ما بين ١٨٨١ و ١٩٤٨؛ حيث بدأت دراستها المهمة "الأرض والقوة" بإعادة تشكيل النظرة العالمية للرواد الأوائل وذريتهم المولودة فى فلسطين واصفة إحساس العزلة واليأس الذى تلخصه فى جملة "لا يوجد ثمة خيار"، وبعبارة أخرى، لا خيار آخر سوى قتال العرب للسيطرة على البلاد، ووفقاً لها: "الوعى بوجود صراع فلسطينى- يهودى غير قابل للتوفيق يتضمن افتراضاً غير إرادى بالتعامل مع عقدة مستعصية للغاية ولا يمكن قطعها إلا بالسيف"^(٤٢).

وعلى خلاف "لوزويك"- وغيره من الكتاب- لا تجد "شابير" صعوبة فكرية أو معنوية فى الاعتراف وتفهم الأسباب التى دفعت الفلسطينيين لرفض الصهيونية، فمع النمو الاقتصادى والسكانى للمستوطنات خلال فترة الانتداب؛ حدثت تغييرات راديكالية فى رؤية اليهود ونظرتهم لأنفسهم؛ نقلتهم من الإحساس بالضعف وعدم القدرة على الدفاع عن النفس ويمكن تحويلهم إلى ضحايا بسهولة، إلى وضعية الطرف الذى يملك عزيمة قوية وثقة بالنفس والقادر على الدفاع عن نفسه، وقد أقرت "شابير" بأن هذه "الثقة المتزايدة" و"التأكيد الجديد للذات" نُظر إليهما من قبل الفلسطينيين باعتبارهما "نوعاً من الغطرسة"، وفقاً لها فإن الهجرة اليهودية المتزايدة وشراء الأراضى أثبتت للفلسطينيين أن المشروع الصهيونى "يتضمن فى طياته مكوناً عدوانياً"^(٤٣)، وبالفعل فإن الأدبيات الأيديولوجية للصهيونية الاشتراكية تضمنت جملة مثل "الفتح وانتزاع العمل".

ووفقاً لـ "شابير"؛ فإن النفسية الصهيونية تشكلت من معايير متضاربة تشمل حركة تحرير وطني وحركة استعمار أوروبي في بلد شرق أوسطى^(٤٤)، وبهذا الطرح تكون قد قبلت ودمجت بين وجهي المقولة الجوهرية التي ناقشناها سابقاً (الفصل الثالث) والمتصلة بالتساؤل حول ما إذا كانت الصهيونية ضرباً من الاستعمار أم القومية؟ وقد قادتها دراستها لتطور الاتجاهات الصهيونية نحو العرب واستخدام القوة إلى التمييز بين مقتربين: ففي الفترة من ١٨٨١ إلى ١٩٣٦ ذهبت إلى أن الفكر الصهيوني هيمنت عليه "الروح الدفاعية" التي جرى استبدالها بعد ١٩٣٦ بـ "الروح الهجومية"؛ وقد عكس هذا التحول التغيير في مقدراتها في مجال السياسة الدولية، وعلى الصعيد الإقليمي المتصل بالشئون العربية والفلسطينية، فـ "الروح الدفاعية" تأسست حول افتراضات تدريجية فيما يتصل بقدرة الصهيونية على الازدهار تحت حماية النظامين التركي والبريطاني بشكل يؤدي في النهاية إلى تحقيق أغلبية يهودية يمكنها السيطرة بطريقة سلمية على البلاد؛ استناداً إلى النقل العددي: تزايد أعداد المهاجرين، مشروعات البنية الاقتصادية التحتية، شراء الأراضي، بناء المستوطنات، الاستيطان الجماعي.

هذه الافتراضات المتفائلة بدأت في التلاشي مع بداية الثلاثينيات عندما تنبه الفلسطينيون إلى الخطورة التي تمثلها الإنجازات الصهيونية على تطلعاتهم لحق تقرير مصيرهم القومي على ذات الإقليم المتنازع عليه. ووفقاً لـ "شابير" مع حلول منتصف الثلاثينيات؛ كانت "الروح الدفاعية" قد تغيرت بالفعل وبدأت تعمل كـ "حضانة للعداء والإبعاد"؛ ما فتح الطريق أمام تأثير الثقافة السياسية للمستوطنات بالمكون "القومي" الذي بدأ في الانتشار بين الشباب على حساب المكون "الاشتراكي"^(٤٥)... وهكذا فإن الصورة المتصلة بالمستوطن الشجاع، العامل، والحارس التي مثلت الجوهر خلال فترة سيادة "الروح الدفاعية"، بدأت تتوارى ليتم

إحلالها بأخرى إبان فترة "الروح الهجومية" تدور حول المقاتل السرى أو المحارب الجسور: "الصورة الجديدة لليهودى المعتز بنفسه والشجاع المستعد للحرب"، وبدأ الشباب اليهود يعتقدون أن "الأرض هي أرضهم فقط، وصاحب هذا الشعور إحساس آخر شديد الضراوة بالملكية والتملك والسعادة بالقتال من أجلها"^(٤٦).

ومع بدء مرحلة التمرد العربى، وكذلك تدهور أوضاع المجتمعات اليهودية الأوروبية، أدركت أعداد متزايدة من ساكنى المستوطنات حالة من التشاؤم والشعور بأن الوقت بدأ ينفد بالنسبة للمشروع الصهيونى؛ حيث تزايد الوعى القومى لدى العرب فى فلسطين والبلاد المجاورة لها، فضلاً عن ذلك كان من الواضح لديهم المصلحة البريطانية فى إرضاء القوى القومية العربية، والرجوع عن الوعود المرفقة لصالح الصهاينة التى تضمنتها وثيقة الانتداب. وقد تضافرت كل هذه العوامل، التى برزت بشكل مؤلم وواضح إبان الثورة العربية ومؤتمر سان جيمس، لدفع ساكنى المستوطنات لمواجهة "المستقبل المخيف لحرب بلا نهاية فى الأفق"، وكان من بين النتائج التى تمخضت عن ذلك التغيير البطيء فى المفهوم لينتقل من "القوة العددية" إلى "القوة العسكرية الملموسة"^(٤٧). وعلى صعيد الصراع الداخلى بين الأجنحة اليمينية واليسارية، جرى تحريض الصهيونية العمالية التى دعمت سياسة ضبط النفس لتصبح، وفقاً لما ذكرته "شابيرا" من أنصار "دعوة الأرجون لتقديس العنف باعتباره المنهج السياسى الكلى"^(٤٨)، وقد تعلق الأمر بتحدى "وجودى" بالنسبة لأنصار 'مناحيم بيغن'، مؤسس "الأرجون" ورئيس وزراء إسرائيل فى المستقبل الذى حور دون خجل مقولة ديكرات المعروفة "أنا أفكر إذن أنا موجود"، فوفقاً له:

توجد أوقات فى تاريخ الشعوب لا يكفى فيها الفكر وحده لإثبات وجودهم، الشعب ربما يفكر ومع ذلك يتحول أبناؤهم، بأفكارهم وعلى الرغم منها، إلى قطيع من العبيد،

هناك أوقات يصرخ كل شيء فى داخل الإنسان.. إن احترامك لنفسك كبشر يكمن فى مقاومة الشر، إننا نقاتل إذن نحن موجودون»^(٤٩).

ولقد كان لهذا الفهم للذات من قبل الصهاينة والمتصل بطبيعة وهدف العنف قبل عام ١٩٤٨ أصداؤه على الصراع الأوسع، وعلى تطور اتجاهات موازية لدى الفلسطينيين خلال الخمسينيات وما بعدها، ومن بين هذه التطورات التحول التدريجى من البطولة الثورية إلى الرغبة فى التضحية بالذات لصالح الوطن؛ الاستعداد للموت أو القتل من أجل القضية؛ السعى الشخصى للشهادة، وهو الأمر الذى نجد تشابهاً له عند التدقيق فى المناقشات الفلسطينية الداخلية فى الستينيات وما تلاها حول دور الكفاح الثورى المسلح فى البحث، غير الناجح حتى ذلك الوقت، عن دولة فلسطينية. (انظر: الفصل ٨)^(٥٠).

وتمثل الاعتبار الثالث فيما سماه عالم السياسة "إيان لوستيك" الاستخدام "الأنانى" للرعب من كلا الجانبين سواء قبل أو بعد ١٩٤٨، وكما أثبت لوستيك بشكل مقنع تضمنت أهداف اللجوء للرعب ليس فقط استرعاء الانتباه لقضية، والإضرار بالعدو، ودفعه إلى الارتباك، بل إن هناك وظيفة مهمة للرعب تتمثل فى تحرير وتعزيز الصور الذاتية للطرف الذى يعد نفسه للمعركة^(٥١). إن هذه الآراء حول الحتمية والقوة التطهيرية للعنف يمكن النظر إليها باعتبارها العنصر المفسد للإدراك الذاتى لدى الطرفين، واعتقاد كل منهما عن حق بأنهما الضحية.

والواقع أن الاستخدام المفرط والتوظيف العاطفى لمصطلح "الرعب" و"الإرهاب" يمكن أن يخلق ستاراً من الدخان، يلزم على المحلل الدقيق تفاديته، وبالنسبة للبعض، بمن فيهم الصهاينة فى الثلاثينيات والأربعينيات^(٥٢)، عبرت كلمة "الإرهاب" عن شيء يلزم الفخر والاعتزاز، وبالنسبة لآخرين - بمن فيهم الإسرائيليون والأمريكان فى مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية بدءاً من

الستينيات- يتصل الأمر بمصطلح "حاطٍ من القدر" يُستخدم لتشويه سمعة ومصادقية الأعداء. ومنذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، جرى العمل على استخدام هذا المصطلح لتشويه سمعة الخصوم والمنقدين، حتى بات يفقد الكثير من فحواه.

ولقد استمر الأطراف فى اللجوء للعنف ليس فقط خلال فترة الانتداب وإنما حتى الآن، وإن كان بأشكال مختلفة، تتناسب مع تطور الصراع والتطور الملحوظ فى تكنولوجيا الحرب ووسائل القتل، كما استمرت الحجج التى يتم سوقها لتبريره أو تعظيمه ولم يتم التغلب عليها؛ حيث يلتزم مؤيدو كل طرف بنسق متوقع سلفاً؛ فمنذ البداية يقدمون عرضاً منمقاً لرغبتهم العميقة فى السلام، فى حين يقومون بتوثيق وشجب افتقار الطرف الآخر لمثل هذه الروح، ويعقب ذلك الادعاء بأن لجوءهم للعنف هو أمر مشروع من أجل الدفاع عن النفس ضد التهديدات والعنوان غير المبرر والمتعمد من قبل الجانب الآخر، وفى النهاية يقدمون أدلة لدحض دعاوى الطرف الآخر بأنه كان يتصرف هو الآخر دفاعاً عن النفس.. وهكذا فإنه نتيجة الاعتقاد العميق والكامن فى أعماق النفس بأحقية قضيته وصحة نواياه وسلوكه، يُصبح أنصار كل طرف منحصرين داخل دائرة مغلقة من الحجج حينما يستعرضون تاريخ اندلاع العنف، ويوجهون اللوم ببسر للطرف الآخر باعتباره المسئول عن العنف الذى ما زال قائماً حتى اليوم.

الهوامش

- (١) المملكة المتحدة، *A Survey of Palestine*، معد في ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق عام ١٩٤٦ وأعيد طبعه عام ١٩٩١ من جانب مركز الدراسات الفلسطينية- واشنطن العاصمة، المجلد الأول ص: ٢٤.
- (٢) وبالمشابهة فإن الصهاينة والإسرائيليين يتذكرون ويشيرون إلى إندلاع الأحداث عام ١٩٣٦ من خلال التقويم العبري، *Tartzah*.
- (٣) موشيه كوهين، (*Massacre Remembered*) و (*A Related to Thanks Giving*) *Post* *Jerusalem* تحرير الأسبوع المنتهى في ٢٦ أغسطس ١٩٨٩ ص: ٩-١٠؛ *Hibron Scroll* (تقرير شاهد عيان من أهارون ريوفين برينزويج، ٢ سبتمبر ١٩٢٩)، المرجع السابق ص: ١١؛ *Herb Keinon* (*Memories of a Massacre*) *Jerusalem Post* تحرير الأسبوع المنتهى ١٩٩٦ ص: ٨.
- (٤) المكتب الكولونيالي، اللجنة الفلسطينية حول اضطرابات أغسطس ١٩٢٩، شهادة تم سماعها في محفل مفتوح، الكولونيال رقم ٤٨، ١٩٣٠؛ *Porath, Emegence* الفصل السابع؛ مطر، مفتى فلسطين الفصل الثالث، كما يمكن رؤيته في الجدول (٢-١) أرقام مكتب الهجرة اليهودية لعام ١٩٢٧ و ١٩٢٨ كانت ٣٣٥٨ مهاجراً و ١٠ لكل واحد.
- (٥) المكتب الكولونيالي، فلسطين: تقرير للجنة عام ١٩٢٩ حول الاضطرابات شهر أبريل ١٩٣٠.
- (٦) المكتب الكولونيالي، فلسطين: تقرير اللجنة حول الهجرة والاستقرار في الأرض والتمتية الذي أعده السير جون هوب سيمسون، أكتوبر ١٩٣٠، مقتبس من *Haven to Conquest*: قراءات في الصهيونية والمشكلة الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ (تحرير). وجرى تقديمه بواسطة وليد خالد، بيروت ١٩٧١/ واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧ ص: ٣٠٣-٧؛ فلسطين: تصريح حول السياسة أكتوبر ١٩٣٠ (*Passfield white paper*) -

وأعيد إنتاجه في *A Documentary History of the Arab Israeli Conflict*، تحرير مع مقدمة تاريخية من تشارلز جينز، نيويورك دار نشر بريجر، ١٩٩١ ص: ١١٣-٤٠.

(٧) من رمزي مكدونالد إلى حاييم وايزمان في ١٣ فبراير عام ١٩٣١، وأعيد إنتاجها في *The Israel- Arab Reader*: تاريخ موثق لصراع الشرق الأوسط، الطبعة الرابعة، والتس لاكير وباري روبين - نيويورك دار نشر بينجوين ٢٠٠٨ ص: ٣٦-٤١؛ *Niel Caplan*، *Futile Diplomacy* المجلد الأول محاولات المفاوضات العربية - الإسرائيلية المبكرة، ١٩٣١-١٩١٣ لندن فرانك كاس ١٩٨٣ ص: ٨٤-٧.

(٨) *Neil Caplan*، *Futile Diplomacy* المجلد الثاني: المفاوضات العربية - الصهيونية وإنهاء الانتداب، لندن: فرانك كاس ١٩٨٦ الفصل الأول.

(٩) من أجل تقويم جيد لردود الأفعال العربية والصهيونية على أزمة ١٩٢٩-١٩٣١، انظر أفراهام سيل، *The Muslim World LXXXIV*: ١-٢ يناير-أبريل ١٩٩٤، ص: ٦٠-٩٤. وانظر أيضا مارتن كولنيسكي، *Low, Order and rights in Mandatory Palestine*، ١٩٢٨-٣٥ لندن دار نشر سان مارتن ١٩٩٣؛ ويلدون ماتيس، *Confronting an Empire*، تكوين أمة: القوميون العرب والسياسة الشعبية في فلسطين الانتداب، لندن/نيويورك: I.B. Tauris، ٢٠٠٦.

(١٠) مؤسسة ESCO لفلسطين، *Palestine a Study of Jewish, Arab, and British policies, New Haven* دار نشر جامعة يال ١٩٤٧ المجلد الثاني ص: ٧١٣-٢٢؛ *Kinnet W. Stein, The Land Question in Palestine, 1917-1939* دار نشر جامعة نورث كارولينا ١٩٨٤ الفصل الخامس؛ *Bernard Wasserstein, Israelis and Palestinians*: لماذا يتقاتلون؟ هل يمكن إيقافهم؟ الطبعة الثالثة دار نشر جامعة يال/لندن *Profile Books 2008* ص: ٥١-٣.

(١١) عصبة الأمم اللجنة الدائمة للانتداب، مضبطة الاجتماع الخامس والعشرون جنييف ٣٠ مايو وإلى ١٢ يونيو و ١٩٣٤، ١٤ أبريل ٢٠٠٨ www.dominio.un.org/unispeL.NSF/3d14c9e5cddaa296d85256cbf005aa3ev/eced90aa109c98d40525661600509168؛ كولنيسكي *Law Order and Wrights* ص: ١٧٢-٨١؛ ماتيس و *Confronting and Empire, Construction a Nation*، الفصل ٧.

(١٢) *Yihoshua Porath The Palestinian Arab National Movement, 1929/1939* من المظاهرات على التمرد، لندن: فرانك كاس ١٩٧٧ الجزء الثاني والخامس؛ *Ann Mosely*؛ *Lesch, Arab Politics in Palestine, 1917/1939* إحياءات الحركة القومية نيويورك-لندن دار نشر جامعة كورنيل ١٩٧٩ الجزء الخامس والتاسع؛ ماتيوس *Confronting and Empire*، بناء أمة الجزء الثاني؛ رشيد خالدي *The Iron Cage* قصة النضال الفلسطيني من أجل الدولة، بوسطن مساتشوستس دار نشر بيكون ٢٠٠٦ ص: ٨٢-٩٠.

(١٣) قارن مثلاً *John Marlowe, Rebellion in Palestine* لندن دار نشر *Cresset* ١٩٤٦، الفصول العاشر والثاني عشر والرابع عشر مع *A.W.Kayyali, Palestine a Modern History* لندن *Croom Helm* ١٩٧٨ الفصل السابع. ومن أجل دراسات معتمدة على الأرشيف انظر مايكل كوهين *Sir Arthur Wauchope, The Army and the Rebellion in Palestine* ١٩٣٦ دراسات الشرق الأوسط رقم ٩ (١٩٧٣، ص: ١٩-٣٤)؛ *Tom Bowdin, The Politics of the Arab Rebellion in Palestine 1936-1939*، دراسات الشرق الأوسط رقم ١١؛ ٢ (مايو ١٩٧٥) ص: ١٦٠-٩.

(١٤) *Marlowe, Rebellion in Palestine*، ص: ١٦٥؛ إيلي قدوري (*Great Britain and Palestine: the Turning Point*) وذلك في *Islam In The Modern World and Other Studies, New York* دار نشر *Holt Rineheart and Winston* ١٩٨٠، ٩٣-١٧٠؛ *G.C.Hurewitz, The Struggle Porath, New York* دار نشر نورتن ١٩٥٠، ٧١؛ *Palestinian Arab National Movement* ص: ٢١٤؛ كيالي، *Palestine: a Modern History* ، ١٩٨-٩؛ *Aaron S.Klieman (The Arab States And Palestine)* وذلك في ما حرره إيلي قدوري و *S.G.Haim* في كتاب الصهيونية والعروبة في فلسطين وإسرائيل، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٨٢، ص: ١١٨-٣٦؛ رشيد خالدي القفص الحديدي، ص: ١٢٤.

(١٥) *A Survey of Palestine* ، ١: ص: ٣٨. ومن أجل إعادة التقييم النقدي لهذه الأرقام انظر وليد خالدي (Note on Arab Casualties in the 1936-39 Rebellion) وذلك فى كتاب *From Heaven to Conquest* ، الملحق رقم ٤ صفحة: ٨٤٦-٩.

(١٦) *Marlowe, Rebellion*، الفصل العاشر؛ *Hurewitz, Struggle*، ص: ٦٧-٧٢؛ *Porath* (Palestinian Arab National Movements) الفصل السابع؛ *Lesch, Arab Politics in Palestine*، ص: ٢١٧-٢٧. *Tom Bowden*، وذلك لتقويم فاعلية الهجوم المضاد البريطانى ضد هذه الانتفاضة وهو يعطى انطباعا أقل عن الأساتذة الآخرين والمراقبين وذلك من حيث درجات تنظيم التمرد الفلسطينى وفاعليته التى يرى أنها (لصوصية من مستوى عال ومتقدم) ويضعها فى منتصف الطريق ما بين (قطع الطريق البدائي) و(الحرب الثورية الشعبية المتقدمة). *Bowden, The Politics of the Arab Rebellion in Palestine*، ١٩٣٦-٣٩، ص: ١٦٩.

(١٧) تقرير اللجنة الملكية، لندن، يوليو ١٩٣٧.

(١٨) مضبطة الشهادات والأدلة أمام اللجنة الملكية لفلسطين، لندن ١٩٣٧ رقم ١٣٤ التى أعيد إنتاجها فى المجلد رقم ٢٢ من *The Rise of Israel* تحت اسم اللجنة الملكية من أجل فلسطين تقديم *Aaron S. Klieman* نيويورك- لندن، دار نشر جارلاند، ١٩٨٧.

(١٩) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين، ص: ٣٧٠-١.

(٢٠) المرجع السابق، ص: ٣٧٥-١.

(٢١) مذكرة مقدمة من اللجنة العربية العليا إلى اللجنة الدائمة للانتخابات ووزير المستعمرات (القسم ٢٣ يوليو ١٩٣٧) الجزء الرابع الذى أعيد إنتاجه فى *The Rise of Israel* المجلد السابع عشر، *Arab-Jewish Relations*، ١٩٢١-١٩٣٧ تحرير وتقديم *Aaron S. Klieman*، لندن دار نشر جارلاند ١٩٨٧ ص: ٢١٨.

(٢٢) قرارات بلودان التى نوقشت واقتبسها كريستوفر سايكس، *Crossroads To Israel*، ١٩١٧-١٩٤٨ دار نشر بلومينجتون لندن دار نشر جامعة إنديانا ١٩٦٥ (*Midland Paper Back*) ١٩٧٧. ومن أجل الوثائق المهمة والأولية التى تبرز النشاطات اليومية انظر

«Despatches from Damascus: Gilbert Macereth and British Policy in the Levant ١٩٣٣-١٩٣٩ تحرير مايكل فراي وإيتامار رابينوفيتش، تل أبيب مركز دايان ١٩٨٥ ص: ١٧١-٩٥.

(٢٣) *Political Resolution of the Twentieth Zionist Congress* الخاص بتقرير اللجنة الملكية لفلسطين وأعيد إنتاجه في كتاب الذي حرره جون نورتون مور *The Arab Israeli Conflict* دار نشر جامعة برينستون ١٩٧٤ المجلد الثالث ص: ١٨٤-٦ وكذلك الذي تم اقتباسه في مؤسسة *Isco, Palestine* دراسة فالسياسات اليهودية والعربية والبريطانية رقم ٢ ص: ٨٥٤-٦ وآلان جيرسون (*Israel, The West Bank and International Law*) لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٧٨ ص: ٨٧-٨. ومن أجل معالجة تفصيلية حول هذه النقاشات انظر إسحاق جالنور، *The Partition of Palestine* القرارات المصرية في الحركة الصهيونية، الباني دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٥.

(٢٤) انظر أيضًا كاتز، *Partner to Partition* خطة تقسيم الوكالة اليهودية في عصر الانتداب، دار نشر فرانك كاس لندن ١٩٩٨.

(٢٥) *Cmd, 5893*.

(٢٦) *Palestine: Statement of Policy, Cmd. 6019* ، لندن *HMSO* ، مايو ١٩٣٩.

(٢٧) ماكdonald، مضبطة مؤتمر سان جيمس مع العرب واليهود، وكلاهما في ٦ مارس ١٩٣٩ وجرى اقتباسه من جانب كابلان، *Futile Diplomacy* رقم ٢ ص: ١١١.

(٢٨) مضبطة مؤتمر سان جيمس مع العرب. رقما ١ و١٧ ، مارس ١٩٣٩ وجرى اقتباسها في كابلان، *Futile Diplomacy* رقم ٢ ص: ١١٢.

(٢٩) مقتبس من كابلان *Futile Diplomacy* ٢:١١٢.

(٣٠) *Shabtai Tevet Ben Gurion: The Burning Ground* ، ١٨٨٦-١٩٤٨ بوسطون دار نشر *Houghton Mifflin* ، ١٩٨٧ ص: ٧١٨ والفصول من ٤٠-١.

(٣١) كابلان *Futile Diplomacy* ٢ : ١١٠-١٣؛ رشيد خالدي القمص الحديدي، ١١٤-١٦.

(٣٢) *A Survey of Palestine* ، ١ ص: ٤٣-٤٦-٤٩.

(٣٣) فى تقويمه النقدي لهذه الأرقام يقدر وليد خالدى العدد الكلى للعرب المقتولين بأكثر من ٥ آلاف والمجروحين أقل من ١٥ ألفا. وانظر وليد خالدى: مذكرة عن الضحايا العرب فى تمرد ١٩٣٦-١٩٣٩ والمنقولة من كتاب *From Heaven to Conquest* الملحق الرابع ص: ٨٤٩.

(٣٤) رشيد خالدى: القفص الحديدى ص: ٦٤، ٧-٦٦، ٨-١٠٧، ١١-١٢.

(٣٥) *A Survey of Palestine* ، ١ ص: ٤٥.

(٣٦) عن وينجيت انظر ليونارد موسلى (*Orde Wingate and Moshe Dayen*) ، *And David Ben Gurion (our friend: what Wingate did for us)* *Jewish Observer and Middle East Review* - ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣ ص: ١٥-١٦ وكلاهما أعيد إنتاجه فى الفصل ٣٩ من كتاب *From Heaven to Conquest* ص: ٢٧٥-٨٧؛ كريستوفر سايكس *Crossroads to Israel* ، ١٩١٧-١٩٤٨ دار نشر جامعة إنديانا ١٩٧٣ ص: ١٨٢-٣؛ *Edwin Samuel, A Life Time* in *Jerusalem* دار نشر الجامعات الإسرائيلية ١٩٧٠ ص: ١٦٩-٧١؛ صامويل كاتز *Days of Fire*؛ القصة السرية لإنشاء إسرائيل، القبس *Steinatsky's (London W.H.Allen)* ١٩٦٨، ص: ٣٤-٥.

(٣٧) *Yihoda Power (From Cooperation to Resistance)*: الهاجاناة ١٩٣٨-١٩٤٦ دراسات الشرق الوسط رقم ٢ (١٩٦٥-١٩٦٦) ص: ١٨٢-٢١٠؛ *G. Bowyer Bill, Terror Out of Zion*: أرجون تيزفاى ليومى *LEHI, and the Palestine Underground* ، ١٩٢٩-١٩٤٩ نيويورك دار نشر سان مارتين ١٩٧٧ (وأعيد إصداره باسم: *Terror Out of Zion*: الحرب من أجل استقلال إسرائيل، مع مقدمة جديدة للمؤلف وتقديم مشيه أرينز، دار نشر برونس ويك ١٩٩٦؛ بيجال إيلام (*Haganah, Irgun and Stern: Who did What?*) القدس الربع سنوية رقم ٢٣ ربيع ١٩٨٢ ص: ٧٠-٨.

(٣٨) *A.G. Toynbee, Forward to Robert John and Sami Hadawi, The Palestine Diary* (المجلد الأول نيويورك دار نشر نيو ورلد ١٩٧٠. P. xiv.

(٣٩) جورج أنطونيوس، *The Arab Awakening*، لندن دار نشر هاميش هاميلتون، ١٩٣٨
ص: ٤٠٩-١٢.

(٤٠) Yaacov Lozowick, *Right to Exist: دفاع أخلاقي عن الحروب الإسرائيلية - نيويورك دار نشر Doubleday* ٢٠٠٣ ص: ٦٣-٧٩ والفصل الثاني منه عنوانه (الابتدأ البريطاني: القرار بالإشياء والتدمير) والفصل الثالث بعنوان (١٩٤٨: القرارات حول إبادة الجنس).

(٤١) رشيد خالدي، القفص الحديدي ص: ١١٩.

(٤٢) أنيتا شابير، *Land and Power* اللجوء الصيوني للقوة، ١٨٨١-١٩٤٨ ترجمة ويليام تيمبلر دار نشر جامعة استنفورد ١٩٩٩ ص: ٢٨٣.

(٤٣) المرجع السابق، ص: ١٠٧، ١٣٩.

(٤٤) المرجع السابق ص: ٣٥٥.

(٤٥) المرجع السابق ص: ٢١٥، ٢٧٥.

(٤٦) المرجع السابق ص: ١٨٦، ٢٧٥.

(٤٧) المرجع السابق ص: ٢٢١-٢.

(٤٨) المرجع السابق ص: ٢٤٨.

(٤٩) التركيز الأصلي في منحيم بيغن، *The Revolt* (قصة الأرجون) مع تقديم الحاخام منير كاهانا، لوس أنجلوس دار نشر ناش ١٩٧٢ (والأصل نيويورك / دار نشر شومان لندن دار نشر و. هـ. ألن ١٩٥١/١٩٤٨)، ص: ٤٦.

(٥٠) انظر *Yezid Sayigh, Armed Struggle and the Search for State*، الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٩٣-١٩٤٩ دار نشر جامعة أوكسفورد واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.

(٥١) *Ian S. Lustick (Changing Rationales for Political Violence in the Arab-Israeli Conflict)* مجلة الدراسات الفلسطينية رقم ٢٠: ١ (خريف ١٩٩٠) ص: ٥٤-٧٩.

Terrorism in Arab Israeli Conflict: Targets and Audiences وذلك فى *context*، تحرير مارتا كرينشو، جامعة بارك دار نشر جامعة ولاية بنسلفانيا، ١٩٩٥ ص. ٥١٤-٥٢ وحول أفكار عن دور العنف فى الصراع انظر *Lisch, Arab Politics in Palestine*، الفصل التاسع (الاستخدام السياسى للعنف)؛ *Sheila H.Catz, Women and Gender in Early Jewish And Palestinian Nationalism* دار نشر جامعة فلوريدا، ٢٠٠٣ الفصل الخامس (*Politicizing Masculinities: Shahada and Haganah*).

(٥٢) انظر على سبيل المثال: *Geula Cohen, "Woman of Violence: Memories of a Young terrorist 1943-1948"* ترجمة هليل هالكين، نيويورك، دار نشر *Holt, Rinehart and Joseph Heller, "The Stern*، ١٩٦٦. وللاطلاع على دراسة تفصيلية أنظر: *Terror 1940-1949*، لندن- بورت لاند، فرانك كاس، ١٩٩٥.

الفصل السادس

المحرقة / الاستقلال / النكبة

خلال الحرب العالمية الثانية والأعوام الأخيرة لفترة الانتداب، حكم البريطانيون فلسطين بمقتضى "الكتاب الأبيض" لعام ١٩٣٩ والمتضمن تفسيراً مُعدلاً لالتزاماتهم تجاه المجتمعين (الفلسطيني واليهودي)، وهو التفسير الذى تم تحديده مراراً من قبل كلا الطرفين ومؤيديهما إقليمياً ودولياً، وظل السؤال الخاص بما إذا كانت بريطانيا فضلت طرفاً على الآخر فى هذه الحقبة من سياستها الفلسطينية، كما كانت عليها الحال فى فترات سابقة، من النقاط والمقولات الجوهرية التى لم يتم حسمها فى التواريخ المتضاربة لفلسطين وإسرائيل، وفى هذا الفصل سنركز على أثر المحرقة فى أوروبا فى الموقف فى فلسطين وإنشاء إسرائيل؛ حيث نلاحظ أنه على مدار هذا العقد، المهم والخطير، برزت عدة مقولات جوهرية مثيرة للخلاف بين الصهاينة (الذين سرعان ما تحولوا إلى إسرائيليين) والفلسطينيين والعرب؛ نظراً لأن الصدام بينهما اكتسب أبعاداً دراماتيكية ووصل لحدود الأزمة.

المحرقة والهجرة اليهودية إلى فلسطين:

خلال شهادته أمام أعضاء لجنة "بيل" بالقدس فى الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٣٦، استهل د.حاييم وايزمان كلمته بعرض تفصيلى لـ "المشكلة

اليهودية كما تبدو لنا اليوم"، واستنادًا إلى الأحداث الأخيرة والإشارات غير المتعاطفة أو المُعادية لليهود الصادرة عن قادة ألمانيا وبولندا، أسس رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مطالبه الخاصة بحاجة اليهود للهجرة لفلسطين؛ حيث أشار إلى العدد المتزايد من اليهود "الذين ينقسم العالم بالنسبة لهم حول أماكن لا يمكنهم العيش فيها، وأماكن لا يمكنهم دخولها"^(١)، وكان ذلك قبل سنتين كاملتين من المذبحة سيئة السمعة (ليلة الكريستال) في ألمانيا والنمسا، التي أعطت إنذارًا للعالم عن الخطط العنيفة التي يُعدها النظام النازي لليهود في أوروبا، وخلال سنوات قليلة خضع اليهود في الأراضي التي حكمها النازيون للحرمان من حق الاقتراع، والتجميع في أماكن محددة، والانغلاق في "الجيّتو"، والإبعاد، والقتل على يد عصابات، وأخيرًا التصفية الجماعية التي قضى فيها ثلثا عدد يهود أوروبا المُقدر بـ ٩ ملايين^(٢). وفي هذا الفصل نبحث عن الروابط التي تمت إقامتها بين:

(أ) المحرقة والصراع العربي- الصهيوني قبل ١٩٤٨.

(ب) المحرقة وإنشاء دولة إسرائيل (الاستقلال).

(ج) المحرقة اليهودية والنكبة الفلسطينية^(٣).

منذ الثلاثينيات وحتى اليوم، قام كل من اليهود والفلسطينيين والعرب باستخدام، أو إساءة الاستخدام، للمحرقة في حُججهم فيما يتصل بموضوع من تحققت حقوقه ومن حُرّم منها في إطار تنازعهم على فلسطين / إسرائيل، وبالنظر إلى هذه الحجج المتناقضة يبرز تعدد محاولات إقامة المقارنات والتوازي بين القضايا واستخلاص "الدروس" من هذا الحدث غير المسبوق في التاريخ الإنساني^(٤)، وفي تناولنا لهذا الموضوع سنحاول الابتعاد عن سوء الاستخدام والتوظيف لأغراض أخرى، فيما نسعى بدقة لعرض كيف أن الأطراف ذاتها كانوا، في بعض الأوقات، مُذنبين في هذا الخصوص^(٥).

سبق أن لاحظنا، في الفصل الخامس، كيف بدأت الأحداث في أوروبا تؤثر في المجتمعين اليهودي والعربي في فلسطين، خاصة مع الزيادة الحادة في الهجرة اليهودية غداة وصول هتلر لسدة الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٣؛ ولكن الخلاف ما زال مستمراً حول عدد من القضايا.. فكلا من العرب الفلسطينيين واليهود، لأسباب متباينة، يثيرون أسئلةً مُحيرة عن أسباب امتناع الدول الأخرى- خاصة الولايات المتحدة ودول الكومنولث قليلة السكان- عن إظهار المزيد من الكرم في زيادة حصص المهاجرين إليها، ورفع قيود منح تأشيرات الدخول، بل والترحيب باللاجئين اليهود، ويقدم الجدول (١-٦) مقارنة للهجرة اليهودية إلى كل من وإلى الولايات المتحدة وفلسطين خلال الفترة ١٩٣٣-١٩٤٤^(٦).

Year	Jewish immigrants to USA	Jewish immigrants to Palestine
1933	2372	30,327
1934	4134	42,359
1935	4837	61,854
1936	6252	29,727
1937	11,352	10,536
1938	19,736	12,868
1939	43,450	16,405
1940	36,915	4547
1941	23,737	3647
1942	10,608	2194
1943	4705	8507
1944	n.a.	14,464

الجدول (١-٦) الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى فلسطين:

ويختلف المراقبون والمؤرخون حول سؤال آخر يدور حول: هل يَلام قادة الحركة الصهيونية لعدم إعطائهم الأولوية للقيمة الإنسانية لحماية الأرواح خلال فترة النازي، على المميزات السياسية التي يوفرها توظيف مأساة اللاجئين اليهود

كحجة لدعم دعوى الصهيونية والمستوطنات في فلسطين بإقامة دولة هناك؟ وعلى الرغم من أن هذه الموضوعات تستحق البحث والتقصي العميق أخلاقياً وتاريخياً، فإنها تخرج، في واقع الأمر، عن إطار الدراسة الحالية^(٧)، وستتناول الصفحات التالية انعكاسات أزمة اليهود الأوروبيين على الموقف في فلسطين؛ حيث بلغ التنافس القومي طوراً أكثر حدة؛ وكان الأثر الفوري لصعود النازية في أوروبا جلياً. وفضلاً عن الافتقار المتزايد للأمن للمجتمعات اليهودية في مختلف الدول الأوروبية، كان هناك شعور متعاظم بخيبة الأمل في ضوء قلة عدد الدول التي أبدت استعداداً للتدخل لحماية الأقليات المُستهدَفة أو لاستقبال اللاجئين منهم، وكان ذلك واضحاً بعد النتائج المُحزنة لمؤتمر "إيفيان" في يوليو ١٩٣٨ الذي تم تنظيمه لتعبئة الموارد لاستقبال اليهود الراغبين في الهجرة من أوروبا، ومنذ تلك اللحظة تم إطلاق العنان لقادة اليهود في العالم لاعتبار فلسطين الملجأ الأساسي، إن لم يكن الوحيد لإنقاذ أو لخلاص اليهود^(٨).

ولم يكن مستغرباً أن تثير الزيادة الضخمة في أعداد السكان اليهود مخاوف العرب الفلسطينيين من أن تجتاحهم موجات المهاجرين اليهود، وقد كانت هذه المخاوف - كما رأينا في الفصل الخامس - عاملاً أسهم في اندلاع التمرد عام ١٩٣٦؛ بالإضافة إلى تنامي مشاعر الإعجاب بالحركات والأيديولوجيات الفاشية والنازية بين القوميين العرب الذين رعوأ في القوة الاستعمارية البريطانية والفرنسية والحركة الصهيونية في فلسطين أعداءهم الرئيسيين، وخلال سنوات قليلة سعى مفتى القدس، الحاج أمين الحسيني القائد المنفى للحركة القومية العربية الفلسطينية، لإقامة تحالف مع الرايخ الثالث^(٩)، وبدوره أسفر التجمع للقوى المُعادية عن زيادة الشعور بين يهود فلسطين بالخطر وهشاشة مصيرهم^(١٠).

وخلال الشهور والسنوات التالية لإصدار إعلان "ماكدونالد" عن السياسة البريطانية، فى مايو ١٩٣٩، سعى ممثلو الصهاينة ومؤيدوهم لممارسة ضغوط مكثفة ومتزايدة على السياسيين والدبلوماسيين الأوروبيين من أجل إلغاء قيود الكتاب الأبيض على الهجرة اليهودية حتى تكون فلسطين ملجأ لأولئك الذين يسعون للفرار من جحيم النازية الأوروبية. وفى مايو ١٩٤٢، أصدر مؤتمر صيوني طارئ، عُقد فى فندق بلتيمور بمدينة نيويورك، قرارات تدعو إلى الهجرة الجماعية إلى أرض "إيريتز إسرائيل" (إسرائيل) وإقامة كومنولث يهودى (بمعنى الدولة) فى أعقاب الحرب فى فلسطين غير المقسمة^(١١). وقد ذهبت قرارات "مؤتمر بلتيمور" إلى ما هو أبعد من تكرار رفض الصهاينة الرسمى لسياسة الكتاب الأبيض، لتشكل أول طلب صهيونى صريح وكامل لإقامة دولة وليس مجرد وطن قومى، وليس على جزء من فلسطين المقسمة.. وهكذا كانت المحرقة التى كانت فى طريقها لدخول أخطر أعوامها بالنسبة لقتل اليهود، كانت حاضرة فى عقول وقلوب الوفود المجتمعة فى المؤتمر الصهيونى الطارئ؛ وكما ذكر آنذاك القائد الصهيونى الأمريكى سيلفر أباهيليل:

"لن نتمكن حقاً من إتقاذ يهود أوروبا ما لم تكن هناك هجرة حرة لفلسطين، ولن نحصل على هجرة حرة لفلسطين ما لم يتم الاعتراف بحقوقنا السياسية هناك، ولن يُعترف بحقوقنا ما لم يتم الاعتراف بصلتنا التاريخية بهذا البلد وتأكد حقنا فى إعادة بناء وطننا القومى، وكل هذه السلسلة سينفرد عقدها إذا فُقدت حلقة واحدة منها"^(١٢).

ويقدم هذا المنطق مثلاً معبراً بوضوح عن المقولة السابعة الأساسية
المُختلف عليها والمتصلة بالتساؤل عن الرابطة، أيًا كانت، التي يلزم إقامتها بين
تصفية الشعب اليهودي في أوروبا خلال المحرقة والقضية الخاصة بمن يجب أن
يحكم فلسطين / إسرائيل؟

وعلى خلاف الموقف الصهيوني الموضح عاليه، سعى رد الفعل العربي إلى
الفصل، بقدر الإمكان، بين الصراع على فلسطين عن المسألة اليهودية الأوروبية.
وفي الصفحات الختامية من كتابه "قطعة العرب" الذي أعده "جورج أنطونيوس"
أواخر ١٩٣٧ وأوائل ١٩٣٨، بدأ المؤلف على وعي تام بالأثر الذي يمكن أن
تمارسه المأساة اليهودية على الصراع في فلسطين:

"إن التخفيف من مأساة اليهود يجب البحث عنه في
مكان آخر غير فلسطين؛ حيث إن الدولة صغيرة جداً لتحمل
زيادة أكبر في سكانها، وقد تحملت بالفعل أكثر من نصيبها،
ويقع على كاهل بريطانيا، التي قادت هذا العمل الخيري على
حساب العرب، أن تستثمر الموارد الضخمة لإمبراطوريتها
وأن تمارس هناك بعضاً من مظاهر العمل الخيري الذي
تحض عليه..."

وفقاً لرأى "أنطونيوس"، كانت المعاملة التي شهدتها يهود ألمانيا وغيرها من
الدول الأوروبية "عملاً شائناً لمن اقترفوه وللحضارة الحديثة"، ولكن:

"وضع العبء الأكبر على كاهل فلسطين العربية كان
تهرباً تعسفاً من الواجب الذي يقع على كل العالم المتحضر،
كما أنه عمل شائن أخلاقياً ولا توجد مدونة للأخلاق تُبرر

اضطهاد شعب من أجل محاولة التخفيف من اضطهاد آخر؛
إن علاج طرد اليهود لم يكن له أن يتم من خلال السعى لطرد
العرب من وطنهم القومي، كذلك بالنسبة لتخفيف محنة
اليهود، التى لم يكن لها أن تتم إلا من خلال إحداث محنة
شعب برىء ومسالمة^(١٣).

بعد مرور سبعة أعوام وفى نهاية ١٩٤٤، كرر "مؤتمر الإسكندرية" بمصر،
الذى أرسى أسس جامعة الدول العربية وأصدر قرارات بدعم فلسطين، المطالبات
العربية السابقة بـ "وقف الهجرة اليهودية، والمحافظة على الأراضى العربية،
وتحقيق استقلال فلسطين". وعلى حين؛ عبرت الوفود فى المؤتمر عن "الأسف
للفظائع التى وقعت على يهود أوروبا من جانب دولها الديكتاتورية"، ردوا دفع
"أنطونيوس" بأن "قضية أولئك اليهود لا يجب مزجها مع الصهيونية؛ حيث إنه لن
يكون هناك أكثر ظلماً وعدوانية من حل مشكلة اليهود من خلال القيام بظلم آخر،
بمعنى إيقاع الظلم على عرب فلسطين"^(١٤). وفى لقاء على بارجة عسكرية أمريكية
فى البحر الأحمر أوائل عام ١٩٤٥ حاول ممثل الرئيس الأمريكى - دون جدوى -
إقناع "ابن سعود" ملك السعودية بفتح أبواب فلسطين من أجل اليهود اللاجئين
الناجين من أوروبا، وأصر الملك العربى بشدة على أن مأساة يهود أوروبا يجب
أن تحلها دول أوروبا المسيحية^(١٥).

وفى أعقاب هزيمة النازية فى ألمانيا، ألقى مصير اليهود الناجين من
المحرقة الذين تم تجميع الكثير منهم فى معسكرات، بظلاله على كل الجهود لتسوية
الصراع الحاد بين الفلسطينيين العرب ويهود المستوطنات، وخلال السنوات الثلاث
المتبقية من الانتداب البريطانى لجأ العديد من الجماعات اليهودية الناشطة، الذى

شعر بالإحباط، إلى أعمال إرهاب متزايدة ضد بريطانيا و ضد العرب معلناً ثورة اليهود " ضد الحكم البريطاني، وتعاون مع "الهجاناة" لتشكيل حركة مقاومة يهودية موحدة، وإن كانت مؤقتة^(١٦)، كذلك نظم بعض الجماعات الصهيونية عمليات سرية لنقل اللاجئين اليهود الناجين بالقوارب إلى سواحل فلسطين اختراقاً للحصار البريطاني، وعلى حين نجح عدد محدود من القوارب في خرق الحصار، وتم الإمساك بالعديد من اليهود اللاجئين وإيداعهم معسكرات بريطانية في جزيرة قبرص المجاورة، وحظيت الأحداث بتغطية إعلامية فعالة ومؤثرة على الرأى العام في أوروبا وأمريكا، خاصة ما تعلق منها بسفينة "Exodus" عام ١٩٤٧ التى تمت إعادة ركابها إلى الأراضي الأوروبية^(١٧).

وفى الوقت الذى أيد بعض، بإخلاص وتعاطف، وجهة النظر القائلة بأن إنقاذ يهود أوروبا اللاجئين يتم من خلال فتح أبواب فلسطين لهم. استمر العرب والفلسطينيون فى الدفع بأن المحرقة هى مشكلة مسيحية- أوروبية، وقضية عامة تتطلب حلاً عالمياً، تتحملة بشكل رئيسى القوى الأوروبية وحلفاؤها، ومع ذلك لم يتمكن العرب من إنشاء أغلب الدوائر الغربية عن تأييدها للحل الصهيونى عبر فلسطين للناجين من المحرقة، ولم يلق الاعتراض الفلسطينى، القائل بأن حل مشكلة الناجين من أوروبا بإرسالهم إلى فلسطين يشكل ظلماً، أداناً صاغية؛ حيث فوض الرئيس الأمريكى ممثله فى اللجنة الحكومية للاجئين، "إرل هاريسون" بزيارة معسكرات اللاجئين وكتابة تقرير عن الموقف والرغبات التى يتم التعبير عنها، وقد أثر هذا التقرير الذى تضمن بشكل متوقع أن جميع اللاجئين يريدون الذهاب لفلسطين، فى قرار "ترومان" بالضغط بشكل علنى من أجل القبول الفورى بهجرة مئة ألف لاجئ يهودى إلى فلسطين^(١٨).

اللجنة البريطانية- الأمريكية للتحقيق:

استجابة للنقد المتزايد لسياستهم في فلسطين والمتصلة باللاجئين اليهود، الذي تزامن مع تدخل أمريكي متزايد ومباشر في التعامل مع تبعات الحرب في أوروبا، وافق صانعو السياسة البريطانيون، في أكتوبر ١٩٤٥، على إنشاء لجنة بريطانية- أمريكية، تحت رئاسة القاضي "جوزيف هاتشيسون" والسير "جوم سينجلتون" وعضوية ٦ من الأمريكيين و٦ من البريطانيين، لزيارة أوروبا (بما في ذلك معسكرات الأفراد المشردين) وفلسطين أوائل ١٩٤٦، وقامت اللجنة بالاستماع للشهادات، وتسلم الطلبات من البريطانيين والعرب وممثلي اليهود^(١٩)، ونظراً لتجاوز الأحداث لها من جانب وصدور تقرير للأمم المتحدة بعد ١٦ شهراً من جانب آخر، فإن تقرير اللجنة البريطانية- الأمريكية لا يجرى تذكره حالياً، إلا أن توصياتها- التي أدت آنذاك إلى خلاف رسمي أمريكي- بريطاني حول كيفية التعامل مع قضيتي اللاجئين وفلسطين- تستوجب تناولها بالبحث؛ حيث إنها تلقى ضوءاً مهماً على مواقف الأطراف المتنافسة التي قادت إلى طريق مسدود خلال عامي ١٩٤٥-١٩٤٦ خاصة تحت ضغط الموقف في أوروبا بعد الحرب^(٢٠).

وعلى غير ما يشتهى المتحدثون الرسميون باسم العرب والفلسطينيين، ربطت اللجنة- بشكل متعمد وواضح- موضوعات الناجين من المحرقة ومستقبل فلسطين بدلاً من الفصل بينهما، واقترح التقرير، على وجه التحديد، السماح بالدخول الفوري لمئة ألف من الناجين اليهود كبادرة إنسانية وسياسية، وفيما يخص الترتيبات الدستورية، نحت اللجنة جانباً كلاً من التقسيم (كما اقترحت لجنة بيل قبل ٩ سنوات) والدولة الموحدة (التي طالما طالب بها المتحدثون الرسميون باسم

العرب) وأوصت بأن تكون حكومة فلسطين مستقبلاً مؤسسة على مبدئى عدم الهيمنة و"القومية الثنائية":

(أ) إن اليهود لم يهيمنوا على العرب، والعرب لن يهيمنوا على اليهود فى فلسطين.

(ب) إن فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية... فلسطين يجب أن تؤسس كدولة يتم فيها التوفيق بين الطموحات القومية لكل من العرب واليهود، دونما خوف من هيمنة طرف على الآخر، وفى رأينا هذا لا يمكن إجراؤه تحت أى شكل دستورى تكون فيه مجرد وجود الأغلبية العديدة هو أمر حاسم، خاصة أن الصراع من أجل الأغلبية العديدة هو الذى أفسد العلاقات العربية- اليهودية^(٢١).

مثل هذه التوصية الراديكالية تبرز الأثر الذى مارسه على أعضاء اللجنة مجموعة صغيرة، وإن كانت محورية، ومن المتقنين اليهود ضمت الفيلسوف الشهير "مارتن بوبر"، ورئيس الجامعة العبرية "د/جودة ماجنيس" (عضواً "جمعية الوحدة" التى خلقت مجموعة ميثاق السلام" التى نشطت فى العشرينيات وأوائل الثلاثينيات)، والمناقشات الدائرة اليوم حول خيار الدولة الواحدة فى مواجهة حل الدولتين للإسرائيليين والفلسطينيين يمكنها الرجوع إلى تقرير اللجنة باعتباره الإنجاز الأعظم لمؤيدى ما سُمى آنئذ "حل الدولة الواحدة ذات القوميتين"، على الرغم من أن بعض المصطلحات قد تغير بمرور الوقت.

وكما سنرى فيما بعد؛ فإن مقترحات اللجنة قد تم تجاوزها من قبل الأحداث التى أسفرت عن مقترحات أخرى أكثر استساعة بالنسبة للقوى الكبرى.

لجنة الأمم المتحدة الخاصة لفلسطين وإنشاء إسرائيل:

حتى قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، ساعد وصول هتلر لسدة الحكم فى ألمانيا فى إقناع الكثيرين من الذين كانوا قبل ذلك غير صهيانية أو مناهضين لهم، بتأييد، إن لم يكن تبنياً، الخيار الصهيونى باعتباره حيويًا من أجل نجاةهم ماديًا، وبالنسبة لقادة الصهيونية ومنظريها؛ فإن هتلر والمحركة قدما البرهان الدامغ على صحة نظرية "هيرتزل" والحاجة الماسة لدولة يهودية فى فلسطين، وعلى الرغم من أن العديد أحسوا بشيء من الراحة من هذا التأكيد على القضية الصهيونية، فقد سيطر عليهم الحزن بنهاية الحرب لإدراكهم أنه بالنسبة للملايين الذين قتلوا بالفعل سوف تأتى الدولة متأخرة للغاية. ومن ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨، لم يكن هناك شيء يشغل قادة المجتمع اليهودى سوى التعبئة لصالح ما اعتبروه حملة الحياة أو الموت للعودة إلى فلسطين فى دولة يهودية يمكنها أن تستقبل أولئك الناجين من جحيم الحرب.

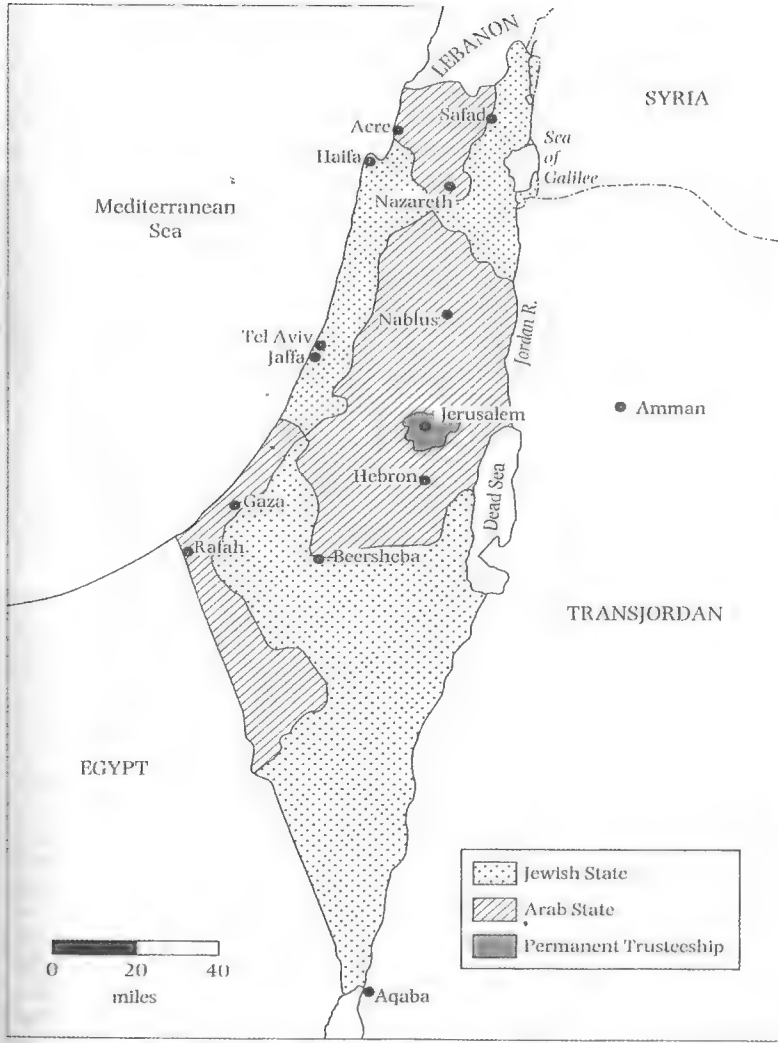
وخلال فترة ما بعد الحرب، أصبح الربط بين قضايا اليهود المشردين فى أوروبا من جانب، ومستقبل فلسطين المتنازع عليها من جانب آخر، محور التركيز الأساسى فى المناقشات العامة؛ مما وفر للحركة الصهيونية ميزة غير مسبقة لتحظى بتعاطف العالم معها فى صراع كان لا يمكن للفلسطينيين العرب أن يكسبوه، وفى فبراير ١٩٤٧ أعاد البريطانيون قضية فلسطين إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التى شرعت فى مايو تشكيل آخر لجان التفتيش فى هذه الفترة، والمكونة من أحد عشر عضوًا تحت اسم "لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين".

على غرار النموذج المعتاد للجان السابقة، قامت اللجنة بجمع الدلائل (كان بعضها مجرد تحديث للعناصر التى سبق تقديمها منذ عام للجنة البريطانية الأمريكية)، كما استمعت للشهادات من منتصف يونيو حتى آخر يوليو ١٩٤٧،

وجاءت زيارة اللجنة لفلسطين فى الوقت المناسب ليتابع أعضاؤها بأنفسهم عملية وصول ثم ترحيل الناجين اليهود الذين كانوا على متن السفينة "Exodus" ١٩٤٧^(٢٢)، ونتيجة للمقاطعة المعلنة من قبل القادة الفلسطينيين؛ استمعت اللجنة فقط لشهادات من غير ممثلى الفلسطينيين العرب فى بيروت وعمان، وعلى الرغم من أنه كان مقرراً مسبقاً ألا تزور اللجنة المعسكرات فى أوروبا (على خلاف ما قامت به اللجنة البريطانية- الأمريكية)، قام عدد من أعضائها بتنظيم زيارات غير رسمية إلى "أندروز دورف"، و"هاهنى" وغيرهما من معسكرات المشردين، فيما اتخذت اللجنة لنفسها مقراً فى جنيف لكتابة تقريرها^(٢٣).

تضمن تقرير الأغلبية من أعضاء اللجنة المقدم فى الحادى والثلاثين من أغسطس ١٩٤٧؛ التوصية بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين يهودية وعربية، مع وضع منفصل للقدس تحت الإدارة الدولية، على أن يتم الربط بينهما باتحاد اقتصادى^(٢٤)، ومما لا شك فيه أن أعضاء اللجنة تأثروا كما كانت عليها الحال بالنسبة لأعضاء اللجنة البريطانية- الأمريكية بمعاناة اليهود الأوروبيين الناجين من المحرقة، كما أن تحديد الأرض والإقليم المفروض تخصيصه للدولة اليهودية تأثر ليس فقط بالقدرات والطاقات التى يتفاخر بها اليهود عن "جعل الصحراء تزدهر"؛ ولكن كذلك بالحاجة لاستيعاب آلاف الناجين من المحرقة، وفى النهاية وعقب مناقشات وتعديلات طفيفة، تضمنت حدود الدولة اليهودية المقترحة ٥٥% من مسطح منطقة الانتداب فى فلسطين بما فيها صحراء النقب قليلة السكان، وشمل سكانها ٥٠٠ ألف يهودى و ٤٠٠ ألف عربى، بما يعنيه ذلك من وجود أقلية عربية كبيرة بكل المقاييس.

خلال الشهور الثلاثة التالية من عام ١٩٤٧؛ تتابعت مناقشات واجتماعات لجان الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك لبحث كل النواحي الفنية والمبادئ، وقد واكب ذلك ضغوط اللوبي اليهودي المكثفة من وراء الستار وفي أروقة المنظمة الدولية على وزراء الخارجية وحكومات الدول الأعضاء، وقد كان التناقض كبيراً بين روايات مؤيدى الفلسطينيين وأولئك المساندين للصهاينة فيما يتصل بهذه الشهور المصيرية؛ فالموالون للعرب استعرضوا تكتيكات الذراع الطويلة التي استخدمها الصهاينة وأنصارهم الأقوياء (أغلبهم من الأمريكيين) بكل قسوة بهدف دفع الدول الضعيفة أو المترددة للتصويت من أجل التقسيم^(٢٥)، أما مناصرو الصهيونية؛ فقد قدموا العملية برمتها على أنها حملة قام بها "شعب صغير ضعيف" دونما سيادة أو نفوذ" يحارب في مواجهة قوة ساحقة للحصول على دولة من خلال ثلثي الأصوات في الجمعية العامة^(٢٦)، وحقيقة الأمر أنه حتى بعد استبعاد المزايدات الدعائية والمغالية، تظل الفجوة واسعة بين الروايات المتضاربة حول كيفية الموافقة على التقسيم؛ فالفلسطينيون ومؤيدوهم يعتقدون أنها لعبة قذرة، فيما يروى الصهاينة والإسرائيليون ما تحقق على أنه نتيجة لصعود شجاع إلى أعلى التل على الرغم من وجود عقبات جمة، وهناك سؤال آخر ما زالت الإجابات عنه متفاوتة ويتصل بمعرفة إلى أى مدى كان الشعور الغربى بالذنب لما وقع لليهود في المحرقة عاملاً مؤثراً في النتيجة النهائية لتصويت الدول الأعضاء على قرارات الأمم المتحدة^(٢٧).



Map 6.1 United Nations Partition Plan, 1947

خريطة (٦-١): خطة الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧.

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧، تم إقرار مقترحات اللجنة الخاصة بفلسطين مع إدخال تعديلات طفيفة، بموجب قرار الجمعية العامة رقم (١٨١) بأغلبية ٣٣ صوتاً مؤيذاً، و١٣ معارضا وامتناع ١٠ عن التصويت^(٢٨). وعلى حين ابتهج الصهاينة بالنتيجة شعر الفلسطينيون والعرب بالحق، وأقسموا على الدفاع عن فلسطين العربية ما اعتبروه إجحاماً ظالماً لدولة إسرائيل هناك.. فضلاً عن عدم العدالة وتفاصيل الخطة والخريطة المقترحة؛ رفض الفلسطينيون من حيث المبدأ أن يقوم كيان خارجى (الأمم المتحدة) بفرض مطالبات الأقلية ضد رغبات الأغلبية المحلية الأصلية، الأمر الذى يقودنا لبحث المقولة الثامنة ضمن المقولات الجوهرية التى تناولها فى هذا الكتاب ومفادها: هل كان القرار ١٨١ (للتقسيم) هو ممارسة شرعية لسلطة الأمم المتحدة فى القانون الدولى، وهل كان من الحكمة رفضه من قبل الدول العربية والفلسطينيين؟

وكما كانت عليها الحال بالنسبة إلى المسائل الأخرى التى لم يتم حلها من قبيل شرعية الانتداب على فلسطين للمقولات والنزاع الأخير المتعلق بنشاط إسرائيل الاستيطانى فى الأرضى التى احتلتها عام ١٩٦٧، يتمثل المختصمون الرئيسيون فى الجزء الأول من النقاش فى الخبراء فى القانون الدولى، وأى فرد يحاول المغامرة بالدخول فى الأحكام القانونية والمبادئ اللاتينية التى يطرحها هؤلاء قد لا يشعر بالدهشة من اكتشافه؛ لحقيقة أن الكثيرون من بين هؤلاء المحامين هم بشر ويمكن أن يكونوا مؤيدين لطرف يرون القليل من المناطق الرمادية بين المواقف المتنافسة، ومن هذا المنطلق، يردد المناصرون للفلسطينيين الحجج التى ساققتها الأقلية خلال مناقشات الأمم المتحدة أواخر ١٩٤٧، ويتحدون شرعية قيام المنظمة بفرض حل يتعارض مع الرغبات التى عبرت عنها غالبية السكان، فمن وجهة نظرهم تفتقد الجمعية العامة للسلطة (التي يملكها مجلس الأمن)

لفرض قراراتها من خلال تطبيق عقوبات؛ حيث تقتصر سلطتها فقط على التوصية^(٢٩). وإذا ما أخذنا الموقف القانوني الآخر يدفع الخبراء المؤيدون لإسرائيل بأن القرار كان شرعيا وعادلا، ويسجلون انتقادا مضادا للدول العربية التي تحدث إرادة الأمم المتحدة المُعبر عنها عندما اختاروا مهاجمة إسرائيل في مايو ١٩٤٨^(٣٠)، وقد شكل غياب أى عقوبات ضد الدول العربية على غزوها لفلسطين، بالنسبة لإسرائيل ومؤيديها، أول مثل فى سلسلة من الانتقادات لما يدعون كونه تحيزاً ضد إسرائيل من جانب المنظمة الدولية، مما يخفف من بهجتهم بالتصويت التاريخي فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الذى اعترف بحق اليهود فى دولة ذات سيادة على جزء من فلسطين^(٣١).

وتتبع من هذا الجدل القانوني حجج أخرى ذات طابع أكثر سياسى وتاريخي، فالإسرائيليون ومؤيدوهم ينتقدون الفلسطينيين والدول العربية بتصوير رفضهم لخطة التقسيم كدليل على السلوك العدواني ونوايا الحرب، والنتيجة الطبيعية أنه برفضهم دولة عربية مقسمة على جزء من فلسطين الانتداب، ومحاولتهم إعاقة إنشاء دولة إسرائيل كما اقترحه القرار ١٨١، يلزم لوم العرب والفلسطينيين أنفسهم على حرب عام ١٩٤٨ وتحملهم كامل المسؤولية على كل نتائجها السلبية - من قبيل خسارة أراضٍ لصالح إسرائيل، وخسارة الفرصة لإقامة دولة فلسطين، ومصير اللاجئين الفلسطينيين، وسنناقش هذا فيما يلي وأيضاً مرة ثانية فى الفصل الثانى عشر تحت عنوان "الفرص الضائعة".

حرب الاستقلال والنكبة:

يمكن إرجاع اندلاع الحرب، التى يسميها الإسرائيليون بحرب الاستقلال ويطلق عليها الفلسطينيون وصف الكارثة أو النكبة. إلى الثلاثين من نوفمبر ١٩٤٧

(اليوم التالي لصدور القرار ١٨١) أو الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ (حين أعلنت حكومة إسرائيل المؤقتة استقلال الدولة في يوم مغادرة البريطانيين)؛ الأمر الذي عجل من هجوم القوات المصرية، والسورية، والأردنية، وقد استمر القتال بشكل متقطع حتى أوائل ١٩٤٩، وتمخضت الحرب عن مقتل ٦٠٠٠ إسرائيلي (وهي نسبة عالية من السكان)، و١٣ إلى ١٦ ألف فلسطيني وما بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ عربي آخر، بالإضافة إلى الآلاف من الجرحى^(٣٢).

لقد صور الإسرائيليون ومؤيدوهم عبور هذه الجيوش لحدود الانتداب السابق على فلسطين بأنه ليس فقط انتهاكاً للقرار ١٨١، ولكنه شن لحرب إبادة مع حملة دعائية دموية محورها "إلقاء إسرائيل في البحر". ومن منظور الفلسطينيين والدول العربية؛ كان هذا التدخل العسكري الخارجي مسعى لإنقاذ الأجزاء العربية من فلسطين حتى لا تقتحمها القوات الصهيونية المتفوقة^(٣٣)، وقد شارك الفلسطينيون أنفسهم في القتال، كأعضاء في الميليشيات المحلية دونما تنسيق عسكري أو سياسي مركزي، ومما أضاف المزيد من الارتباك إرسال قوات تحت رعاية الجامعة العربية (جيش التحرير العربي بقيادة فوزي القاوقجي) ومجموعات جندتها وجمعتها جماعة الإخوان المسلمين في مصر، فضلاً عن جيوش من لبنان والعراق شاركت في القتال على جبهات محدودة، فيما أرسلت اليمن والسعودية فرقاً رمزية.

لقد كان التضارب في المدركات العميقة والنظرة للذات من قبل كل من الفلسطينيين والعرب والإسرائيليين في هذه الحرب صارخاً للغاية، وإن كان قد جرى في كثير من الحالات تبسيطه بشكل كبير، فطبقاً للروايات الإسرائيلية لحرب الاستقلال؛ فإن القلة المحاصرة ضعيفة التسليح انتصرت على الكثرة المسلحة تسليحاً جيداً ولديها المعدات تماماً؛ كما حدث للملك "داود" الذي استطاع بشجاعة أن

يتحدى ويقتل "جوليات" القوى، وطبقاً لهذه الروايات تمكن الإسرائيليون الجدد من النجاة بأعجوبة من الإبادة، فقط بجهودهم الشجاعة^(٣٤).

ومن جانبها؛ تبرز الروايات الفلسطينية والعربية للحرب أنهم واجهوا ميليشيات صهيونية معبأة أيديولوجياً وأكثر تنظيمًا تدربت وتسلحت سرًا على مدار أعوام استعدادًا لهذا اليوم، في حين أنهم كانوا غير مستعدين وتحت قيادة ضعيفة وغير منظمين، وأيضًا تحت رحمة جيوش عربية لم تكن دوافعها ومناوراتها، بخلاف البيانات الرسمية، مكرسة لإنقاذ فلسطين من أجل الفلسطينيين، ووفقًا للمؤرخ "رشيد الخالدي" لم يكن الأداء العسكري الكارثي خلال حرب ١٩٤٧/١٩٤٩ "أكثر من خاتمة مأساوية للهزيمة النكراء لأعوام ١٩٣٦/١٩٣٩"، وقد اتبع سلوك الدول العربية خلال صراع ١٩٤٧/١٩٤٩ من أجل فلسطين النموذج الذي تم إرساؤه في الثلاثينيات عندما أمسكت الدول العربية زمام المبادرة السياسية والمسئولية عن القضية الفلسطينية، في حين "اتبعت كل دولة عربية... الخط الخاص بها، وسعت لتحقيق مصالحها الخاصة، التي كانت لها، بشكل عام، آثار غير مواتية للفلسطينيين"^(٣٥).

سعت الأبحاث الحديثة للمؤرخين اختراق الدعايات المتنافسة والنظرة للذات، لتقديم تقديرات أكثر دقة وواقعية لتوازن القوى خلال مختلف مراحل الحرب العربية-الإسرائيلية عامي ١٩٤٧/١٩٤٩، ويميل معظم المؤرخين حاليًا إلى التشكيك في مصداقية أسطورة أن الإسرائيليين كانوا قلة قليلة في مواجهة الكثيرين في هذه الحرب، فعلى الرغم من أن العالم العربي يبدو، بكثافته السكانية وامتداده الجغرافي، ضخمًا إذا قورن مع المستوطنات بعدد سكانها الذي تراوح بين ٦٠٠ و ٦٥٠ ألفًا عام ١٩٤٧، فإنه بالنظر إلى القوات الفاعلة قتاليًا في الميدان كان

الوضع يميل أكثر إلى الجانب الصهيوني، وعلى سبيل المثال خلال المرحلة الأولى للحرب (التي يطلق عليها أحياناً الحرب الأهلية) التي سبقت تدخل الجيوش العربية النظامية، حققت "الهاجانة" وغيرها من الميليشيات الصهيونية بعض الانتصارات الاستراتيجية الحاسمة على المقاتلين الفلسطينيين المحليين والفيلق العربي مستفيدة من تعبئة وتنسيق أفضل تحت قيادة مركزية، فضلاً عن التفوق في عدد المقاتلين الذي قارب الخمسين ألف يهودي (بمن فيهم الاحتياطي) في مواجهة أقل من عشرة آلاف عربي^(٣٦)، ومع ذلك فإنه خلال الأسابيع الأولى للقتال؛ لم تكن القوات الصهيونية على الدرجة نفسها من التجهيز مقارنة بتلك التي أرسلتها الدول العربية إلى ساحة القتال.

وهناك جدال آخر حول مسار الحرب يأخذنا خطوة إلى الأمام بالنسبة للمقولة الجوهرية المتصلة بالدور البريطاني الذي سبق أن تناولناه في الفصل الرابع، فمن وجهة النظر الصهيونية-الإسرائيلية، استمرت بريطانيا بعد ١٩٤٧ في تقديم الغطاء الدبلوماسي للدول العربية الرئيسية المتعاملة معها وهي: الأردن والعراق، ومن ثم تشجيعهم في طموحاتهم العسكرية لشن هجومهم النهائي على الدولة اليهودية الوليدة، وفي مواجهة هذا الطرح لم يتم رصد على الجانب الفلسطيني أى مؤشرات على اعتراف الفلسطينيين بالجميل تجاه البريطانيين لمساعدتهم كحلفاء بأى شكل، بل يطرح الفلسطينيون السؤال التالي: ألم تكن الحراب البريطانية هي التي قدمت، خلال ثلاثة عقود، المساعدة لينمو الوطن القومي اليهودي ويصبح قادراً عسكرياً على السيطرة على البلاد؟ وينحى الفلسطينيون كذلك باللائمة على الحاكم البريطاني في حيفا والذي تعاون مع قادة المستوطنات وضباط "الهاجانة" وساعدهم في السيطرة على هذه المدينة المختلطة في أبريل ١٩٤٨^(٣٧)، وهناك إدانة أكثر خطورة لتواطؤ البريطانيين مع ملك

الأردن عبد الله (وبطريقة غير مباشرة مع الصهيانية) بإعطاء مباركة حكومة صاحب الجلالة لخطته لضم أجزاء من الضفة الغربية؛ ومن ثم منع قيام دولة فلسطينية ربما تولى قيادتها المفتى (الذى كان آنذاك بالمنفى بالقاهرة) أو حلفاؤه^(٣٨). وفضلاً عن ذلك انتقد العرب أطرافاً خارجية أخرى لمساعدتها فى نجاح الصهيونية فى الحرب: الولايات المتحدة خاصة، والاتحاد السوفيتى بدرجة أقل، بالإضافة إلى العملاء الصهيانية المنتشرين فى كلا الدولتين الذين وفروا الأيدي العاملة وهربوا الأسلحة التى ساعدت ومكنت الميليشيات الصهيونية من السيطرة على الأراضى فيما وراء الحدود التى أوصت بها الأمم المتحدة فى قرار التقسيم^(٣٩).

لقد تمخضت الحرب العربية-الإسرائيلية الأولى عن إنشاء دولة إسرائيل ذات السيادة والتى تم قبولها كعضو فى الأمم المتحدة فى مايو ١٩٤٩، ومع التوقيع على أربعة اتفاقات للهدنة مع مصر والأردن وسوريا ولبنان عام ١٩٤٩، امتدت حدود دولة إسرائيل الجديدة إلى ما هو أبعد مما تضمنته خطة التقسيم للأمم المتحدة لتغطى ٧٨% من أراضى الانتداب السابق على فلسطين.

إن الإقليم الذى كان مفترضاً أن يصبح الدولة العربية الفلسطينية، وفقاً للخطة حسب خطة الأمم المتحدة للتقسيم، يوجد الآن فى شكل مناطق مبعثرة، وعلى الرغم من إشارة المسؤولين البريطانيين والأمريكان ومن الأمم المتحدة فى وثائقهم وخطاباتهم إلى كيان اسمه فلسطين، فإنه فى منتصف عام ١٩٤٩؛ فإن البلد الذى كان يعرف بهذا الاسم تم تقطيعه بين دولة إسرائيل الجديدة والأردن (الضفة الغربية ضمت ١٩٥٠) ومصر (قطاع غزة)^(٤٠).

لقد ترتبت على النكبة خسارة الفلسطينيين لوطنهم القومي، وتدمير مجتمعيهم، وتشريد ونفى وطرد أكثر من نصف السكان العرب (بين ٦٥٠ و ٧٥٠ ألفاً)،

وأضحى هؤلاء الفلسطينيون إما لاجئين وإما بلا دولة وفقاً للغة وكالة جديدة للأمم المتحدة تحت اسم "الأونوروا"^(٤١)، وخلال العقدين بعد ذلك عرفوا دولياً بـ "اللاجئين العرب" مع التخلي عن مصطلح "الفلسطينيين"، وعلى الرغم من اعتراف المادة (١١) من قرار الأمم المتحدة (١٩٤) فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨^(٤٢) بحق اللاجئين فى العودة لبيوتهم أو تعويضهم؛ فإنه للعديد من الأسباب المعقدة التى نلخصها فيما بعد، ظل اللاجئون الفلسطينيون وأبنائهم موجودين حتى اليوم دون تمكينهم من حقوقهم وفقاً لهذا القرار.

دارت واحدة من أكثر المقولات الجوهرية إثارة للجدال التى برزت خلال الحرب العربية- الإسرائيلية الأولى حول السؤال التالى: كيف أصبح الفلسطينيون لاجئين فى عام ١٩٤٨- ١٩٤٩؟ ولماذا بقوا لاجئين لمدة طويلة كهذه؟ لقد بذل السياسيون ورجال الدعاية والمؤرخون جهوداً كبيرة على مدار سنوات؛ محاولين توضيح حقيقة ما جرى، هل أصبح الفلسطينيون لاجئين نتيجة الهروب الاختيارى، كنتاج ثانوى للحرب، أم كان ذلك بسبب الطرد المتعمد على يد الصهاينة وقوات إسرائيل المسلحة؟ وحتى اليوم ما زالت الآراء منقسمة بحدّة؛ حيث يتم التشكيك فى وسائل ودوافع الباحثين مثلهم فى ذلك مثل الحقائق التاريخية والحجج ذاتها.

وفى هذا الشأن، ذهبت الروايات الإسرائيلية، الرسمية وغير الرسمية، لسنوات إلى أن معظم الفلسطينيين غادروا منازلهم بإرادتهم أو بأوامر من القادة العسكريين العرب لترك أماكنهم مؤقتاً وليعودوا بعد هزيمة اليهود، الأمر الذى تم دحضه فى الستينيات من جانب صحفى أيرلندى بيئة الإذاعة البريطانية التى تتابع البث بالعربية، وتلاه فى ذلك الباحثون الذين انكبوا على دراسة الملفات التى باتت مفتوحة فى الثمانينيات^(٤٣)، كذلك تشير الروايات الموالية للصهاينة أحياناً إلى

حالات قام اليهود خلالها بمناشدة العرب بالبقاء، خاصة فى عمليات الإخلاء للمجتمعات العربية فى المدن المختلطة (حيفا وطبرية فى أبريل ١٩٤٨)، وهو ما يعنى أن تلك المناشدات بالبقاء كانت نموذجًا فى حين أنها تمت فى ظروف خاصة، وما زالت صدقيتها وإخلاصها موضع خلاف حتى اليوم^(٤٤)، وتميل الدراسات الحديثة التى تعتمد على الشهادات الشفوية إلى التقليل من هذا الاتهام الشامل للقيادة العربية بل وتأييد الرواية المضادة التى تذهب إلى أنه فى كثير من الحالات حض قادة العرب والفلسطينيون السكان على البقاء فى أماكنهم^(٤٥).

والمدافعون عن المواقف فى كلا الطرفين، الذين يسعون لإثبات أو نفى المسؤولية السياسية والمعنوية للعرب أو الصهيونية / إسرائيل عن هروب أو طرد السكان الفلسطينيين، سيعمدون إلى تقديم أجزاء من الأدلة المتاحة، وفى الوقت ذاته يتجاهلون أو يكذبون ما يناقض أو يتعارض مع حجّتهم، وعلى سبيل المثال فإن "إفريم كارش" قام بدراسة حرب عام ١٩٤٨ بعد سنتين سنة، وقام بالاختيار من كم هائل من الوثائق الجديدة بما فيها الملفات السرية لـ "الهجاناة" وأرشيف جيش الدفاع ليصل إلى الدفع بأن "لم يَقم اليهود بإرغام أحد من بين الـ ١٧٠ ألفًا إلى ١٨٠ ألف عربى الذين فروا من التجمعات الحضرية، وفقط حفنة من بين ١٣٠ ألفًا إلى ١٦٠ ألف قروى تركوا منازلهم قد جرى إرغامهم على ذلك من جانب اليهود قبل ١٤ مايو ١٩٤٨"^(٤٦).

مثل هذه النتائج ليست خالية من العاطفة، بل إنها على الأرجح تهدف إلى الإسهام فى الجدل الذى لم يحسم بعد؛ حول إثبات أو نفى وجهة النظر السائدة بأن الميليشيات الصهيونية والقوات الإسرائيلية تعمدت - بشكل منهجى طرد السكان الفلسطينيين، ويشير منتقدو إسرائيل إلى خطة سرية (الخطة دى الاحتياطية)

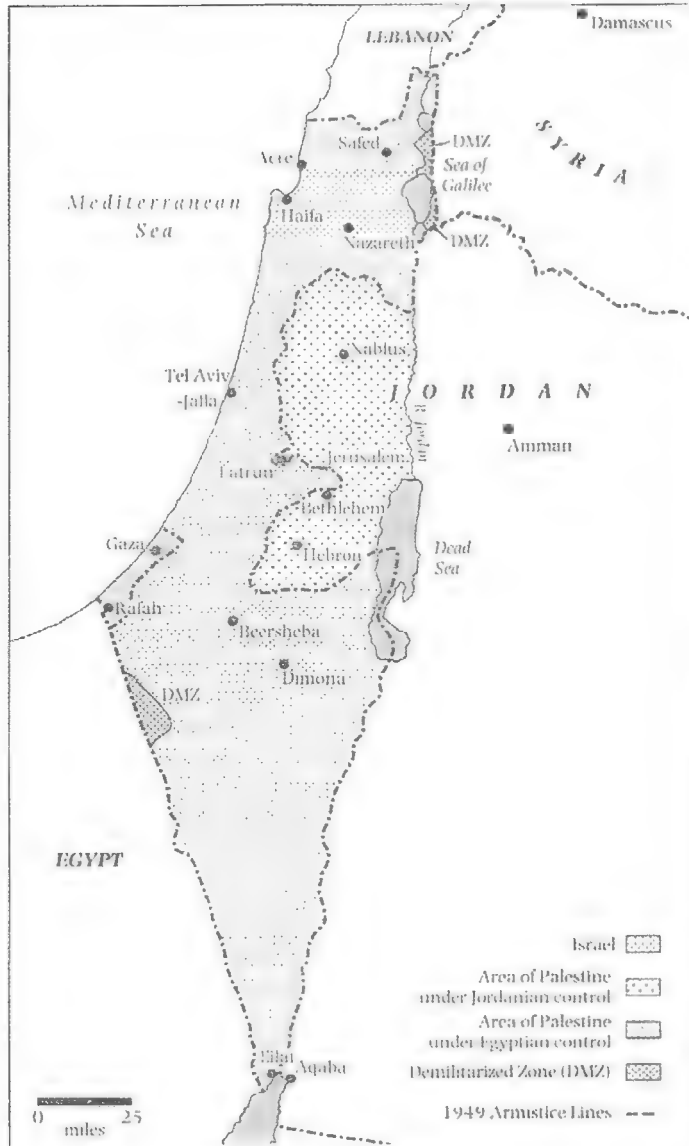
للهاجانة) تتضمن أوامر عسكرية شاملة ومنظمة للاستيلاء على المناطق المأهولة بالعرب، ويرى بعض في هذه الخطة الاحتياطية دليلاً على النية الصهيونية في القيام بعملية "التطهير العرقي" في الأراضي التي تم الاستيلاء عليها من السكان الفلسطينيين (انظر كذلك: الفصل ١١)^(٤٧)، ويذهب بعض المراقبين إلى أن هذه النية لطرد الفلسطينيين خلال الحرب تتصل اتصالاً وثيقاً بالآمال والخطط التي ترجع لـ "هرتزل" وكانت موضع مناقشة داخل المجال السياسي الصهيوني كله لإزالة أو "تقل" العرب المحليين من أجل إيجاد مكان لإنشاء وطن قومي بأغلبية من السكان اليهود^(٤٨).

ومن بين أكثر الدراسات شمولاً ودقة وتوازناً في تناول قضية اللاجئين تلك التي نشرها المؤرخ الإسرائيلي "بيني موريس" (وهو من المؤرخين الجدد) تحت عنوان "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين" عام ١٩٧٨ وتم تنقيحها عام ٢٠٠٤^(٤٩) (انظر الفصل ١١)، وتضمنت الدراسة الكشف عن أعمال لم تعرف من قبل كالمذابح، الاغتصاب، الطرد، النهب قامت بها القوات الإسرائيلية، الأمر الذي كان بمثابة صدمة للإسرائيليين للقراء المؤيدين لإسرائيل، وحقق للباحث شهرة مرموقة لدى كلا الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني؛ ومع ذلك فإن هذا البحث الشاق لم يمكن صاحبه من تأييد مقولة إن الفلسطينيين صاروا لاجئين نتيجة خطة صهيونية شاملة لـ "التطهير العرقي" للسكان الفلسطينيين العرب، وخلال مناقشات تالية على ذلك، انتقد "نور مصالحة" وغيره من الباحثين "موريس" لفشله في عدم السير وراء دليله الذي يقود إلى ما يعتبرونه نتيجته المنطقية^(٥٠). وفي ضوء دفعه دراسة النتائج التي توصل إليها؛ أقر "موريس" عام ٢٠٠٤، في إجاباته عن الانتقادات السالفة عام ٢٠٠٤، بأن التأييد لفكرة "النقل" (ترانسفير) كانت قبل ١٩٤٨ أكثر اتساعاً مما

قدمه، مضيفاً: "إن العلاقة بين هذا التأييد وما حدث فعلاً خلال الحرب هو أكثر ضعفاً؛ مما قد يذهب إليه مسئولو الدعاية العرب"^(٥١).

وإزاء هذه التفسيرات المتصارعة التي قد يظل بعضها مستعصياً على التفسير، ربما قد يكون من الممكن أن نستخلص أنه في الفترة بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ تحول ما يقارب ثلاثة أرباع مليون فلسطيني ليصبحوا لاجئين نتيجة لمجموعة من الأسباب، مع درجات مختلفة من المسؤولية المشتركة للفاعلين والمتحاربين المختلفين:

- فر الكثيرون لتجنب المعاناة وضراوة الحرب.
- في بعض المواقع ساعد التعاون والتواطؤ البريطاني- اليهودي في قسر الفلسطينيين على الرحيل.



الخريطة (٢-٦): إسرائيل وجيرانها (١٩٤٩-١٩٦٧).

- فر الكثيرون نتيجة للذعر الشديد خاصة جراء التقارير، المبالغ فيها التى انتشرت بشكل واسع، حول الأحوال والفظائع التى ارتكبتها عناصر "الأرجون" وغيرهم فى قرية دير ياسين أوائل أبريل ١٩٤٨^(٥٢).
- فى بعض القطاعات قامت الميليشيات الصهيونية ووحدات جيش الدفاع الإسرائيلى بإخلاء القرى وطرد الآلاف من ساكنيها.
- ترك كثير من الفلسطينيين العرب منازلهم بسبب الفوضى وتدنى الروح المعنوية الناجم عن غياب القيادة الفعالة والانتظام داخل مجتمعهم.

وفيما يتعلّق بالسؤال الإضافي: لماذا بقى الفلسطينيون لاجئين لمدة طويلة كهذه؟ لا يزال الأمر كذلك موضع خلاف؛ حيث ينحى كل طرف باللائمة على الآخرين، وفى حين أن الكثير من قضايا اللاجئين فى فترة ما بعد الحروب فى القرن العشرين قد تم حله أو التخفيف من حدته من خلال خليط من الإغاثة الإنسانية الدولية والترتيبات السياسية. ما زالت الحالة الفلسطينية شاذة وتبدو تسويتها اليوم أكثر صعوبة مما كانت عليه من قبل، وعلى الرغم من أن الهيئات الدولية والفاعلين بحثوا من وقت لآخر صيغة للتعويض، والعودة، أو إعادة التوطين، فإنه لم يتم تحقيق أى إنجاز للخروج من المأزق^(٥٣).

يلقى الإسرائيليون ومؤيدوهم باللوم القاطع على الدول العربية لعدم حل هذه المشكلة أساساً؛ بسبب رفضهم توقيع اتفاقيات سلام كاملة (انظر: الفصل ٧ فيما بعد). ووفقاً للرؤية الإسرائيلية، فإنه لو قام العرب باتباع الخطوات المتوقعة لتحقيق السلام والتطبيع، فإنه كان من الممكن للموقعين على اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ تسوية القضايا المتعلقة بما فيها الحدود واللاجئين؛ كذلك ترى إسرائيل أن تمسك

الدول العربية باستمرار حالة الحرب وإصرارهم على عدم الاعتراف بها أو التعامل معها؛ شكل عقبة كأداء أمام إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

وخلال عملية تبادل الاتهامات، يلوم الإسرائيليون ومؤيدوهم الطرف العربي، والذي حظى بتستر من قبل الأونوروا، "ملاذ للبيروقراطية، وبيئة للكرهية وأفكار التحريرية"^(٥٤) على إبقائه المتعمد على أحوال اللاجئين من أجل ما يلي:

• تجنب أى مسئولية سياسية أو إنسانية لإعادة توطين الفلسطينيين أو استيعابهم بين سكانهم العرب.

• الإبقاء على مرارة اللاجئين ورغبتهم فى الانتقام لإعدادهم للعودة يوماً ما (إذا ما اتفق على ذلك) كـ "طابور خامس" يزعزع الدولة اليهودية، أو (فى حالة عدم الاتفاق على العودة) كمخربين أو فدائيين (كوماندوز) لمهاجمة إسرائيل.

• استخدامهم كأداة دعائية (إذا لم يتم قبول العودة) فى حرب العرب التى لم تكتمل ضد إسرائيل^(٥٥).

ومن جانبهم، يتهم العرب والفلسطينيون إسرائيل بأنها لم تتعمد فقط طرد أعداد كبيرة من الفلسطينيين، وإنما رفضت بقسوة الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين (المقرر به دولياً وفقاً للقرار ١٩٤) فى العودة لديارهم أو الحصول على تعويض، ويبرر الإسرائيليون، جزئياً، امتناعهم عن تطبيق هذه الفقرة من قرار الأمم المتحدة بالإشارة (كما فعل العرب لدى رفضهم القرار ١٨١ الخاص بالتقسيم) إلى أن الجمعية العامة لديها فقط سلطة للتوصية وليس الفرض.

إلا أنه وراء هذا الموقف القانونى الإسرائيلى، نجد ما هو أكثر من مجرد المماحكة أو تكتيكات المساومة، وبنفس القوة والافتتاع لدى الفلسطينيين المبعدين بأن لهم حقاً لا يمكن إنكاره فى العودة^(٥٦) إلى ديارهم، اتخذت القيادة الإسرائيلية الجديدة فى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ موقفاً محدداً بوضوح ضد عودتهم، وفى رفضه للنداء الشخصى الذى وجهه وسيط الأمم المتحدة لإسرائيل، أواخر يوليو ١٩٤٨، للقيام ببادرة للتخفيف من المصاعب التى تواجهها الموجات الأولى من اللاجئين الفلسطينيين، كتب وزير خارجية إسرائيل الجديد "موشى شيرتوك" (فيما بعد شاريت) للكونت "فولك برنادوت" شارحاً حجج بلاده فيما يخص مسئولية الدول العربية عن الحرب ومصير اللاجئين الفلسطينيين:

"الهروب العربى الجماعى من إسرائيل وأراضى إسرائيل المحتلة كان نتيجة مباشرة لعدوان العرب من الخارج... فالحكومات العربية، والقوى الكبرى (فى إشارة لبريطانيا) التى أيدت قضيتهم، لا يمكن أن تتمتع بالحقوق فى الاتجاهين: القيام بكل ما يمكنهم القيام به من أجل تدمير دولة إسرائيل، وعندما يفشلون فى ذلك، يطلبون إلى إسرائيل تحمل المسئولية عن نتائج عملهم المتهور... إن الحكومة المؤقتة لإسرائيل ليست فى موقف، ما دامت استمرت حالة الحرب قائمة، أن تعيد قبول العرب الذين غادروا بيوتهم على أى مستوى كبير".

وتابع "شاريت"، الذى كان له مقترَب دبلوماسى معتدل فى تعامل إسرائيل مع العرب والفلسطينيين، عرضه للأسباب العميقة وراء ما أصبح فيما بعد الموقف الرسمى الثابت للحكومات الإسرائيلية ضد عودة اللاجئين الفلسطينيين:

"إن الهجرة الجماعية للفلسطينيين العرب عام ١٩٤٨ هى واحدة من الظواهر العنيفة التى، وفقاً لخبرة الدول الأخرى، غيرت مجرى التاريخ، إنه من المبكر جداً القول بدقة كيف وإلى أى مدى سيؤثر هذا الخروج فى مستقبل إسرائيل والدول المجاورة، وعندما تكون الدول العربية مستعدة لعقد اتفاقات سلام مع إسرائيل فإن هذه القضية ستصل لتسوية إيجابية كجزء من التسوية الشاملة، مع الأخذ فى الاعتبار مطالبنا المضادة والمتصلة بتدمير الحياة اليهودية والممتلكات. إن المصالح طويلة المدى للشعوب اليهودية والعربية، واستقرار دولة إسرائيل، ودوام أسس السلام بينها وبين جيرانها، والموقف الفعلى ومصير المجتمعات اليهودية فى الدول العربية، ومسئولية الحكومات العربية عن حروبهم العدوانية وعن التعويض، (كل هذه النقاط) ستكون وثيقة الصلة بالسؤال الخاص بهل وإلى أى مدى وتحت أى ظروف يمكن السماح للسكان العرب السابقين فى إقليم إسرائيل بالعودة، إن حكومة إسرائيل المؤقتة مستعدة دائماً لمثل هذا السلام الشامل والدائم، ولكنها تتمسك بأنه ليس من العدل أن يطلب منها أن تقوم بشكل منفرد وتدرجى بإجراءات سلام فيما الجانب الآخر لا يزال يميل إلى الحرب"^(٥٧).

وعلى الرغم من صدور قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤)، والقرارات التالية المؤيدة له خلال الأعوام التالية، رفضت إسرائيل بشكل ثابت أى عودة جماعية للاجئين العرب الفلسطينيين^(٥٨)، ومنذ وقت مبكر تمثل موقفها فى أنها ستنظر فقط فى خطط لإعادة التوطين (خارج إسرائيل) أو/وتعويض اللاجئين، فقط فى سياق تحركات عربية تجاه وقف الحرب (من قبيل إنهاء المقاطعة العربية والحصار على إسرائيل) والسلام الشامل الحقيقى، وقد عرضت إسرائيل النظر فى إعادة محدودة لجمع شمل العائلات كقضية إنسانية، ولكنها استبعدت أى عودة ضخمة استناداً إلى الحق.

إن استمرار قضية اللاجئين الفلسطينيين دون حل على مدار أجيال متعددة قد خلق عقبة كأداء أمام أى محاولة لتسوية الصراعات العربية-الإسرائيلية و/أو الإسرائيلية-الفلسطينية. ومنذ الاختراق الذى حدث فى أوصلو وبداية مفاوضات مباشرة إسرائيلية-فلسطينية عام ١٩٩٣؛ لا يزال حق اللاجئين فى العودة من بين العقبات التى تهدد التوصل إلى تسوية شاملة ودائمة كأحد الموضوعات الشائكة التى لم يتم حلها فى الدبلوماسية الفلسطينية-الإسرائيلية (انظر أيضاً: الفصل ١٠).

النكبة.. ضحايا فى مواجهة ضحايا:

وكما لو كانت قضية اللاجئين الفلسطينيين غير مستعصية على الحل بمفردها، فإنها تزداد تعقيداً عندما يتم ربطها بالحجج الخاصة بالعلاقة بين المحرقة والصراع على فلسطين (من قبيل التشابك بين مآسى اليهود واللاجئين العرب الفلسطينيين)^(٥٩)، فبين ١٩٤٧ و ١٩٤٩، أثناء وعقب القتال، لم تحدث هجرة واحدة فقط وإنما هجرتان قسريتان أفرزتا تعقيدات ستستمر ربما لأجيال، مئات الآلاف

من العرب الفلسطينيين هربوا أو طردوا تاركين وراءهم منازلهم وممتلكاتهم التى قامت دولة إسرائيل، بمحاولة التخفيف من حدة مشكلة نقص المساكن، بتسليمها لمئات الآلاف من اللاجئين اليهود الأوروبيين، وأيضاً لليهود الذين فروا من منازلهم وتركوا ممتلكاتهم فى الدول العربية والإسلامية فى الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٥١^(١٠).

راود الكثير من الإسرائيليين فى ذلك الوقت الأمل فى أن يتم التعامل مع هذه الظاهرة كـ "تبادل سكانى" (كما حدث بين اليونان وتركيا مثلاً بعد الحرب العالمية الأولى)؛ ومن ثم تحل مشكلة اللاجئين بسرعة، وفى المقابل، رفضت الدول العربية والفلسطينيون رؤية مشكلة اللاجئين (وحلها المقترح) بهذا المنطق^(١١)، فقد تم النظر لهذه المشكلة من جانبهم (كما سبق ملاحظته) من منطلق أن الفلسطينيين الأبرياء يتحملون، بشكل غير عادل، عبء المحرقة وخطايا الدول الأوروبية.

وحتى اليوم، ما زال الخلاف قائماً بين الإسرائيليين والصهاينة من جانب، والفلسطينيين والعرب من جانب آخر، حول المدى الذى يمكن أن يصل إليه الربط بين مأساة ومعاناة اليهود الأوروبيين خلال الأربعينيات، والخطوة الصهيونية للسيطرة على فلسطين (وهى المقولة الجوهرية السابعة التى عرضنا لها آنفاً)، وقليل من المثقفين والأكاديميين تمكنوا من الابتعاد عن التوافق الذى تم التوصل إليه فى مجتمعاتهم حول هذا الموضوع العاطفى^(١٢)، أما بالنسبة للأغلبية الساحقة فإن الموقف حول العلاقة بين الموضوعين غير منفتح أو متقبل للوقائع أو الإقناع المنطقى.

ومنذ ١٩٤٩؛ أضحت هذه الحقائق والمدرجات جزءاً من القصص والروايات القومية المتضاربة للطرفين، وشعورهم المتبادل بأن كلا منهما هو الضحية، لقد جلب نصر إسرائيل العسكرى لليهود الانعتاق والتحرر فى ذروة

التضحية بهم؛ فالمحرقة، والاستقلال والدولة اليهودية جعلت من هؤلاء اليهود والصهاينة الإسرائيليين الأوائل^(٦٣)، فيما هزيمة العرب في المعركة جاءت لهم بالنكبة: خسارة أرض فلسطين، وخسارة إمكانية إقامة دولة قومية، وخلق مشكلة ضخمة تتصل باللاجئين المبعثرين في الإقليم وخارجه.

إن الشعور بوضعية "الضحية" المظلومة، منحصر بين المحرقة وحرب فلسطين الأولى، ظل عميقاً لدى كثير من الفلسطينيين ولا يتقبل أى محاولة للتفسير أو الطرح المضاد، وبعض الفلسطينيين يدينون بشدة ما يعتبرونه تلاعباً صهيونياً ويهودياً بعقدة الذنب والتعاطف (بعد المحرقة)^(٦٤) في سعيهم لتهميش دعاوى الفلسطينيين ومخاوفهم، وحتى عند مخاطبتهم اليهود الإسرائيليين بطريقة بعيدة عن المواجهة، وبعد مرور أربعين عاماً على الأحداث، يصف الكاتب الفلسطيني-الإسرائيلي "إميل حبيبي" بأسلوب قاطع المحرقة بأنها "الذنب الأول الذى مكن الحركة الصهيونية من إقناع ملايين اليهود بصحة طريقها"، وينهى مقاله بالجملة التالية: "إن لم يكن من أجل محرقتكم (ولكل الإنسانية)، فإن الكارثة التى ما زالت من نصيب شعبى لم تكن لتحدث"^(٦٥).

ولا يستطيع معظم الإسرائيليين أن يروا فى إنقاذ إسرائيل لجزء من اليهود الأوروبيين المعرضين للخطر كسبب لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ووفقاً لكلمات "دويتشر" عن الرجل الذى يقفز من مبنى يحترق (الفصل الثانى)؛ فإنهم قد يجيبون بأن الهجرة اليهودية قبل ١٩٤٨ قد أفادت السكان المحليين العرب أكثر من أن "تهاجمهم" أو "تضرهم"؛ وأن العربى الذى "عانى" قام بأشياء قاتلة أكثر من مجرد "التوعد بالانتقام"؛ مما أوجج دورة العنف التى ميزت الصراع، ونتيجة لعقود من الرفض العربى لإسرائيل وتهديد وجودها بالإضافة لظهور العداء للسامية بشكل

دورى فى مناطق مختلفة من العالم، باتت إسرائيل تنظر للمحرقة بشكل آخر: فبالنسبة لهم ما زالت جرحاً مفتوحاً لم يندمل^(٦٦).

إن مثل هذه الحجج كان ليا تأثير محدود أو منعدم فى كسب تعاطف العرب أو التخفيف من استيائهم، وكان إصدار قانون إسرائيل للعودة عام ١٩٥٠^(٦٧)، الذى يضىف الجنسية الإسرائيلية أوتوماتيكياً على أى يهودى يطلبها، بمثابة إجابة متأخرة إلى عالم معاد أو غير مهتم لم يعط مرفأً أمان لليهود الفارين لينجوا بحياتهم، أما بالنسبة للفلسطينيين فقد أكد هذا القانون توجهات إسرائيل لمنع الفلسطينيين فى المنفى من العودة إلى وطنهم قبل ١٩٤٨، الأمر الذى أضحى متداخلاً مع سلة المأسى والمعاناة التى زادت من مرارة العرب، وبالنظر إلى ذلك القانون إلى جانب رفض إسرائيل لقرار الأمم المتحدة رقم (١٩٤)، يتهم العرب ومؤيدوهم حكومة إسرائيل بالتصرف بشكل عنصري تمييزى وفى تحدٍ للمجتمع الدولى.

من جانبهم، اعتبر علماء النفس الاجتماعى، بحق، هذه المشاعر المتوازية للإحساس بكون الطرف ضحية فيما يتصل بهذين الموضوعين كعقبات رئيسية فى وجه التفاهم المتبادل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وفى هذا الخصوص كتب "دان بار أون" و"صليبا سارسار":

"بشكل عام يندب كلا الطرفين الجائحة التى صنعها كلاهما لنفسه كل على حدة، ويوجد خطر كامن بأن الاعتراف بمأساة "الآخر" سيكون مبرراً لإحساسه بالتفوق المعنوى ويتضمن القبول بسبب وجوده، فبالنسبة للفلسطينيين الاعتراف بالآلام اليهود حول المحرقة يعنى قبولاً للأساس المعنوى لإنشاء دولة إسرائيل، وبالنسبة ليهود إسرائيل فإن

قبول آلام اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ يعنى المشاركة
فى المسؤولية عن مأساتهم وحققهم فى العودة^(١٨).

واعترافاً بهذا الحاجز النفسى الثانى والعميق أمام المصالحة الإسرائيلية-
الفلسطينية، قام بعض ناشطى السلام بأنشطة تستهدف التوصل إلى أن يشعر كل
من الإسرائيليين والفلسطينيين بالآلام والمخاوف الرئيسية لدى الطرف الآخر، ومن
قبيل ذلك تنظيم برامج خاصة عن المحرقة ورحلات لمعسكرات الاحتجاز السابقة
بهدف تعليم المواطنين الإسرائيليين- العرب ليس فقط عن واقع المحرقة، وإنما عن
الأثر الذى ما زال يمارسه هذا الحدث على أقرانهم اليهود على الرغم من تعاقب
الأجيال (انظر: الفصل ٧)^(١٩)، وفى الوقت ذاته، تسعى بعض المنظمات من قبيل
"أنهم يتذكرون" إلى مخاطبة عقول وقلوب اليهود الإسرائيليين للاعتراف بالخسائر
والمعاناة التى ما زال يشعر بها الفلسطينيون إثر النكبة^(٢٠)، إن الاعتراف المتبادل
بالآلم كل طرف يشكل خطوة أولى (انظر أيضاً: الفصل ١٢) وربما أكثر صعوبة
من ذلك الاتفاق على مدى المطالبات التى يؤهل لها هذا الألم.

الهوامش

- (١) حايم وايزمان، "The Jewish Case"، ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦، خطابات وأوراق حايم وايزمان، سلسلة بـ (الأوراق)، ديسمبر ١٩٣١ — أبريل ١٩٥٢، تحرير Barnett Litvinoff, Rutgers من Transaction Books القدس، دار نشر الجامعات الإسرائيلية، ١٩٨٤، الورقة رقم ٢٢، ص: ١٠٠-١٠٢.
- (٢) حول مذابح Kristallnacht في نوفمبر عام (ليلة الكريستال) ١٩٣٨ ومنزاه كنقطة تحول في المحرقة، انظر Lucy S. Dawibowicz، *The War against the Jews, 1933-1945, New York: Bantam Books, 1986*، صفحات: ٩٩ — ١٠٦.
- (٣) أجزاء من هذا الفصل مأخوذة من مقالتى حول "The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict"، وذلك في كتاب رونالد هيدلاند "So Others Will Remember: Holocaust History and Survival Testimony: Montreal, Vehicule Press"، ص: ٨٢-٩٧.
- (٤) استخدمت مصطلح "Unprecedented" كما فعل الأستاذ Yahuda Vauer لتفادى المشكلات والجدال حول "Unique versus Universal" والمناقشات حول المحرقة. وانظر Yahuda Vauer, *Rethinking the Holocaust, New Haven, London* : دار نشر جامعة يال، ٢٠٠١.
- (٥) ومن أجل إسهام أخير لهذه المناقشة انظر Leonard Grob و John K. Roth، المحررين *Anguished Hope : Holocaust Scholars Confront the Palestinian-Israeli Conflict, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008*
- (٦) وليد خالدى، *From Haven to Conquest: قراءات الصهيونية والمشكلة الصهيونية حتى عام ١٩٤٨*، بيروت ١٩٧١، والطبعة الثانية فى واشنطن ١٩٨٧، Appendix 6, 855.
- (٧) من أجل عينات من الخلافات الأخيرة انظر المرجع السابق، مقدمة IVIII-IVIX ٨٥٣—٥. كريستوفر سايكس، *Crossroads to Israel, ١٩١٧—١٩٤٨*، Bloomington, London، دار نشر جامعة أنديانا، ١٩٦٥. (Midland paperbac, 1973)، ١٨٧—٩، ٣٧٧—٨٠، Tomsegev, *The Seventh million ; The Israelis and the Holocaust, New York, Harcourt*

Brace, 1966 ; Dinaporat, the blue and the yellow stars of David ; The Zionist leadership in Palestine and the Holocaust, 1939-1945, دار نشر جامعة هارفارد، ١٩٩٠، Idith Zertal, From Catastrophe to Power ; Holocaust Survivors and the Emergence of Israel, Berekly, Idith Zertal, ١٩٩٨، Israelis' Holocaust and the Politics of Nationhood, Cambridge, كمبريدج ٢٠٠٥.

(٨) Sykes, Crossroads to Israel, 183-9.

(٩) Yehoshua Porath, The Palestine Arab National Movement, 1929-1939: From Rights to Rebellion, London: Frank Cass 1977, 76, 119; Francis R. Nicosia, The Third Reich and the Palestine question, Austin, Mufti of Jerusalem : الحاج أمين الحسيني والحركة القومية الفلسطينية، دار نشر جامعة كولومبيا المنقحة عام ١٩٩٢، Ch. 8; Zvi elteleg، الحاج أمين الحسيني مؤسس الحركة الوطنية الفلسطينية، ترجمة ديفيد هارفي، دار نشر Shmuel Himelstein, London, Abraham Sela, "Arab Nationalists and Nazi Germany", 1939- Frankcass, 1993, Ch.2 1945 في So Others Will Remember، طبعة هيدلاند، ٧٠-٨١.

(١٠) على سبيل المثال، الشاعر العبري حايم ناهمان باليك كتب فقرات مثل "The entire world is my gallows" في كتاباته حول الثورة العربية عام ١٩٣٦، Anita Chakira, Land and Power، The Zionist Resort to Force, 1881-1948، ترجمة وليم تمبلر، دار نشر جامعة ستانفورد، ١٩٩٩، ٢٢٥.

(١١) برنامج بلتيمور ١١ مايو ١٩٤٢ الذي أعيد إنتاجه في A The Israeli Arab Reader : Documentary History of the Middle East conflict، الطبعة المنقحة السابعة، تحرير والتر لاكير وباري روبين، نيويورك، بينجوين ٢٠٠٨، ٥٥-٧. Youhonda Bauer, From Diplomacy to Resistance, A History of Jewish Palestine 1939-1945، فيلاديلفيا، الجمعية اليهودية للنشر عام ١٩٧٠، الفصل رقم ٦.

(١٢) سيلفر أباهليل، Toward American Jewish Unity، وذلك في تحرير آرثر هرتسبيرج، سيلفر أباهليل، in The Zionist Idea : A Historical Analysis and Reader" New York، ١٩٦٩-٥٧٩. وهناك عرض كلاسيكي على هذه القضية جرى عمله في الوقت

نفسه للرأى العام الأمريكى من جانب الدكتور حايم وايزمان (Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem,) مجلة الشؤون الخارجية، ٢٠: ٢، ١٩٤٢، ٣٢٤-٣٨ وأعيد طبعها فى A Middle East Reader, Pegasus, 1969, 311-25 تحرير إيرين جندزايير، أنديانابوليس، نيويورك.

(١٣) جورج أنطونيوس " The Arab Awakening : The Story of the Arab National Movement, " (New York, Putnam's sons , 1946, 411.) والكتاب الأصلي نشر فى لندن، دار نشر هانيش هاميلتون، (١٩٣٨) انظر فى نفس الموضوعات وليد خالدى From Haven to Conquest, IV-IVH

(١٤) Robert W. McDonald, The League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization, برينستون، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٦٥، ٣١٧ - ١٨. Cf. Jeoffrey Furlonge, Palestine is my country : The Story of Musa Alami, New York, John Murray, 1969, 130-7 ; Neil Caplan, Futile diplomacy, العربية الصهيونية وانهاء الانتداب، لندن، Frank Cass ١٩٨٦، ١٧٦، ١٣١-٧، ٢٦٤-٧، ٣٣٣، ٣٢٦.

(١٥) William Eddy, FDR Meets Ibn Saud, New York, American Friends of the Middle East, 1954 مقتبسة فى خالدى، From Haven to Conquest, ١١-٥١٠.

(١٦) بريطانيا العظمى، اللجنة الإنجليزية- الأمريكية للتحقيق بشأن مشكلات اليهود الأوروبيين وفلسطين، التقرير عام ١٩٤٦، لوزان، ٢٠ أبريل ١٩٤٦، مقتبس عن المنظمات العسكرية الصهيونية فى كتاب خالدى From Haven to Conquest ، ٥٩٥-٦٠٠، بريطانيا العظمى، المكتب الكولونيالى، فلسطين: بيان معلوماتى متصل بأحداث العنف، يوليو ١٩٤٦، أعيد إنتاجه من Haven to Conquest ، ٦٠١-١٢ ; مناحم بيغن، (The Revolt (story of the Irgun), وقدم لها الحاخام مينيير كاهان، لوس أنجلوس، Nash Publishing، ١٩٧٢، (الأصل، نيويورك: G. Bower Bill, Terror out of Zion ; Schuman/London W. H. Allen 1948/1951) : New York : Irgun Zvai Leumi, LEHI, and the Palestine underground, 1929-1949, New Terror out of Zion : The Fight for Israeli Independance, مع مقامة من المؤلف وتقديم موسى أرينز، New Brunswick, Bauer, From Diplomacy to Resistance ; Yigal Elam 'Haganah, ; Transaction, 1996.

Irgun and Stern : Who Did What ?, Jerusalem Quarterly, ربيع ١٩٨٢، ٧٠-٨٠،
Michael G. Cohen, Palestine and the Great Powers, 1948 دار نشر جامعة برينستون عام
١٩٨٢ الفصل رقم ٤.

(١٧) هذه الأحداث تخلدت في الرواية ذائعة الصيت لليون أوريس والمسماة Exodus (الخروج)،
وفي فيلم الخروج كذلك الذى حاز على الأوسكار Ottopreminger. وحول شهادة شاهد عيان
لعملية تهريب اللاجئين انظر Ephraim Dekl, Briha : Flight to the homeland, ترجمتها
من العبرية دينا انتجر تحرير Gertrude Hirschler نيويورك، دار نشر هيرتزل، ١٩٧٣؛
Ehud Avriel, Open the Gates : The Dramatic Personnal Story of Illegal Immigration to
I.F.Stone Underground to ; Athenium, 1975، نيويورك،
Palestine and Reflections 30 years later (معاد طبعه من الأصل عن طبعة ١٩٤٦)،
نيويورك، Yoram kaniuk, Commander of the Exodus, 1978 ; Panthion، ترجمة سيمور
سيمكن، نيويورك، To survive sovivor, Dov Freiderg, 1999 ; Grove Press، ترجمة
Barbara Duron، القدس/ نيويورك، Gefen, 2007, 559-99.

(١٨) التقرير الأولى للرئيس ترومان عن الأشخاص المشردين فى ألمانيا والنمسا أغسطس ١٩٤٥،
Department of State Bulletin 13 (30 September 1945), 456-63, وأعيد إنتاجه فى
Hureiitz, Diplomacy of the Near and Middle East, تقرير موثق ١٩٣٥ - ١٩٥٦، دار
نشر كامبريدج ١٩٨٧؛ 62 ; 56-8, Cohen, Palestine and the great Powers. وحول وجهة
النظر البريطانية للدعاية الصهيونية انظر A Lieut.General Sir Frederick Morgan, 'A
Displaced Person in Post-War Germany' 1945-1946, مقتبس من
Soldier's Life, London, Hodder and Stoughton, 1961 فى خالدى،
Conquest, 1987, 527-48.

(١٩) من أجل تقدير أولى لنشاطات اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق، انظر: Bartley Crum, Behind
the silken Curtain, تقدير شخصى للدبلوماسية الأنجلو أمريكية فى فلسطين والشرق
الأوسط، نيويورك، Simon and Schuster, 1947 ; Richard Crossman, Palestine Mission
David Horoviitz, State in the Making, ; Herard and Bros، نيويورك،
ترجمة جوليان ميلتزر، نيويورك، Alfred A. Knopf, ١٩٥٣. والشهادات الرسمية للجنة

الأنجلو أمريكية للتحقيق يمكن إيجادها في المملكة المتحدة، *A Survey of Palestine* المُعد في ديسمبر ١٩٤٥ ويناير ١٩٤٦ لمعلومية اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق، ١٩٤٦ وأعيد طباعته ١٩٩١ من جانب معهد الدراسات الفلسطينية، واشنطن، *57-62 Laqueur and Rubin, The Israel-Arab Reader, 'The Case Qgainst Jewish State in Palestine'*، بين ألبرت حوراني للجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق ١٩٤٦، مجلة الدراسات الفلسطينية، ٣٥:١، خريف ٢٠٠٥، ٨٠-٩٠. وأنظر أيضًا *G.C. Hureiitz, The struggle for Palestine, New York, Norton, 1950*، الفصلان ١٧-١٨. *Cohen, Palestine and the great Powers, 60-7*، والفصل الخامس.

(٢٠) اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق: التوصيات والتعليقات، ١ مايو ١٩٤٦، وأعيد إنتاجها في *Laqueur and Rubin, The Israeli Arab Reader, 62-5*.

(٢١) التوصية رقم ٣ في المرجع السابق، ٦٣-٤.

(٢٢) *Gorge Garcia Granados, The Birth of Israel*، الدراما كما رأيتها، نيويورك، *Knopf*، ١٩٤٧، ١٧٢-٨٢؛ *Hrowitz, State in the making, 178-9*؛ *Abba Eban*، سيرة ذاتية، نيويورك، *Random House, 1977, 79-80*.

(٢٣) *Garcia-Grandos, The birth of Israel, 216-33*، *Evan M. Wilson, A Calculated Risk: قرار الولايات المتحدة الاعتراف بإسرائيل*، تقديم وليم كوانت، دار نشر جامعة أوهايو ٢٠٠٨.

(٢٤) اللجنة الخاصة للأمم المتحدة لفلسطين، تقرير ملخص رقم ٣١، أغسطس ١٩١٧، في *Laqueur and Rubin, The Israeli Arab Reader, 65-9*، ومن أجل تقدير شخصي للجنة

الخاصة للأمم المتحدة لفلسطين، انظر: *Danial ; Garcia-Granados, The Birth of Israel*؛ *Mandel, H.V. Evatt and the Establishment of Israel : The Undercover Zionist, London, Frank Cass, 2004*؛ *Horowitz, State in the making; Wilson, a calculated risk, 218-24*.

(٢٥) من أجل عينات، انظر السير محمد ظفر الله خان، *"Thanksgiving Day at Lake Success, November 27, 1947"*، في خالد، *From Haven to Conquest, 702-22*؛ *General Carlos*؛ *P. Romulo, "The Philippines Changes its Vote"* في المرجع السابق، ص: ٦ - ٧٢٣؛ *Kermit Roosevelt, "The Partition of Palestine: A lesson in Pressure Politics"*، في المرجع السابق، ص: ٩ - ٧٢٧؛ *Wilson, A Calculated Risk, 224-47*.

- (٢٦) Horowitz, *State in the Making*, 237. ، وكعينة لروايات أشخاص شاهدوا مثل هذه المناقشات والضغط على التصويت حول مقترحات لجنة اليونسكوب (اللجنة الخاصة للأمم المتحدة حول فلسطين)، انظر المرجع السابق ص: ٣٠٤ - ٢٣٩ ; Abba Eban, "Tragedy and Triumph" في حاييم وايزمان، *A Biography by Several Hands*، تحرير Meyer W. Weisgal و Joel Carmichael، الكلمة الافتتاحية كتبها ديفيد بن جوريون، *Atheneum*, 1963، New York 299-303.
- Abba Eban, *Personal Witness: Israel Through My Eyes*, New York: G.P. Putnam's Sons, 1992، الفصل الخامس.
- (٢٧) انظر David Arnow, "The Holocaust and the Birth of Israel : Reassessing the Causal Relationship", *Journal of Israeli History* 15:3 خريف ١٩٩٤، ص: ٨١ - ٢٥٧.
- (٢٨) الجمعية العامة للأمم المتحدة، قرار حول مستقبل الحكومة في فلسطين (١٨١)، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، في Laqueur and Rubin, *The Israel-Arab Reader*, 69-77
- (٢٩) Henry Cattan, *Palestine and International Law: The Legal Aspects of the Arab-Israeli conflict*، الطبعة الثانية، London, Longman, 1986، الفصل الثالث ; وليد خالدي، *Journal*، *Revisiting the UNGA Partition Resolution* of *Palestine Studies* 27:1 خريف ١٩٩٧، ٢١ - ٥ ; John Quigley, *The case for Palestine: An International law perspective* ; نسخة مراجعة ومحدثة ، London: Duke University Press, 2005، الفصل السادس. وقد اعترف السفير أبا إيان بأن "العرب كانوا على أرضية أقوى مما كنا عليه" كما جاء في Eban, *Personal Witness*، ص: ١٢٨-١٣١.
- (٣٠) Nathan Feinberg, "The Question of Sovereignty Over Palestine" من *On an Arab Jurist's Approach to Zionism and the State of Israel*، أعيد إنتاجه في: *Readings and The Arab-Israeli Conflict documents*، تحرير John Norton Moore, Princeton، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٧٧، ص: ٦٣-٥.
- (٣١) انظر Neil Caplan, "Oom-Shmoom Revisited: Israeli Attitudes towards the UN and the Great Powers, 1948-1960" في *Global Politics : Essays in Honor of David Vital*، تحرير Abraham Ben-Zvi and Aharon Klieman، لندن، فرانك كاس، ٢٠٠١، ص: ١٦٧-

١٩٩٠، كذلك بنى موريس، "1948: A History of the First Arab-Israeli War"، جامعة ييل،
٢٠٠٨، ص: ٤٠٢-٤٠٤.

(٣٢) "al-Nakba"، فيليب مطر، Morris, 1948: A History of the first Arab-Israeli war
Encyclopedia of the Palestinians، في محرر فيليب مطر، New York: Facts on File،
٢٠٠٥، ص: ٣٢٨-٣٣٠.

(٣٣) من أجل خلاصة مثيرة للاهتمام عن الحرب من منظورات مختلفة، انظر: The War for
Palestine: Rewriting The History of 1948, Eugene L. Rogan and Avi Shlaim
(محررين)، كمبريدج، دار نشر جامعة كمبريدج، ٢٠٠١.

(٣٤) كاتيتياس لكتابه "1948: The First Arab-Israeli War"، Benny Morris يعيد إنتاج قصيدة
"David" التي كتبتها الكاتبة الصحفية الأمريكية - الصهيونية ماري سيركين Marie Syrkin
داعية فيه القارئ إلى "افتراض أن جالوت هذه المرة لا يمكن أن يفشل" أي أن العرب كسبوا
الحرب في ١٩٤٨.

(٣٥) رشيد خالدى، The iron Cage: The story of the Palestinian Struggle for Statehood,
Boston, MA: Beacon Press, 2006, 123-4

(٣٦) وليد خالدى، Simha Flapan, The birth of Israel: ; From Haven to Conquest, 858-71
Myths and Realities, New York, Pantheon, 1987, 9-10, 187-99; Ilan Pappé, The
Making of the Arab-Israeli Conflict, 1947-51, London: I. B. Tauris / New York: St.
Benny Morris, Righteous Victims: A History of الفصل الثانى. Martin's Press, 1992
the Zionist Arab Conflict, 1881-1999, New York, Alfred A. Knopf, 1999 / London: John
Murray, 2000, 191-6, 215-18; Morris, 1948: A History of the First Arab-Israeli War,
81-93, 199-207, 398-402; R. Khalidi, Iron Cage, 131-5.

(٣٧) وليد خالدى، "The fall of Haifa"، Middle East Forum 35:10، ديسمبر ١٩٥٩، ٣٢-٣٢،
أعيد إنتاجها في 37:3 Journal of Palestine Studies، "The fall of Haifa Revisited"، خريف
٢٠٠٨، ٥٨-٣٠.

(٣٨) Avi Shlaim, Collusion across the Jordan: King Abdullah, The Zionist Movement, and
the Partition of Palestine, Oxford: Clarendon Press, 1988; R. Khalidi, Iron Cage, 127-9.

(٣٩) Ilan Pappé, Britain and the Arab-Israeli Conflict, 1848-51, London: Macmillan Press
/ St. Anthony's College, 1988.

(٤٠) لاحظ الميول المثيرة للجدال في النسختين الأخريين من الخريطة: "The Frontiers of the State of Israel 1949-1967", in Martin Gilbert, *The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Conflict*, الطبعة السابعة، لندن/نيويورك، 2002، 50، (والتي لا تذكر "فلسطين" على الإطلاق) والأراضي العربية المستولى عليها من إسرائيل عام ١٩٤٨ و١٩٤٩ بما فيه من خرق لخطة الأمم المتحدة للتقسيم، انظر

http://www.passia.org/palestine_facts/MAAPS/Arab_territories_seized_by_Israel_in_194849.htm

(٤١) وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأنروا UNRWA) والتي تم تأسيسها في ٨ ديسمبر عام ١٩٤٩ طبقاً لقرار رقم ٣٠٢ من الجمعية العامة للأمم المتحدة. الموقع الرسمي للوكالة: www.un.org/unrwa/. انظر: Edward H. Buehrig, *The UN and the Palestinian Refugees: A Study in Nonterritorial Administration*, Bloomington دار نشر جامعة إنديانا، ١٩٧١. Milton Viorst, *Reaching for the Olive Branch: UNRWA and Peace in the Middle East*, Wasington, DC, Middle East Institute, 1989.

(٤٢) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (III)، ١١ ديسمبر ١٩٤٨، أعيد إنتاجه في *United Nations Resolutions*. Laqueur and Rubin, *Israel-Arab Reader*, 85.

George J. Tomeh *on Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, vol.I: 1947-1974 (محرر)، Washington, DC : Institute for Palestine Studies, 1988, 16.

المادة ١١ تنص على: "تقرر وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات التي يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب، وفقاً لمبادئ القانون الدولي والإنصاف، أن يعرض عن ذلك فقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة."

(٤٣) Erskine B. Childers, "The Other Exodus", *The Spectator* (London) ١٢٠ مايو ١٩٦١، *From Haven to Conquest*, 795-806 ; Flapan, *Birth of Israel*، أعيد إنتاجه في وليد خالدي، *Blaming the Victims: Suprious* 81-118 ; Christopher Hitchens, "Broadcasts" Scholarship and the Palestinian Question, Edward Said and Christopher Hitchens (محررين)، London : Verso, 2001, 73-83.

- W. Khalidi, "The Fall of Haifa"; Efraim Karsh, "Nakbat Haifa: The Collapse and (٤٤) Dispersion of a Major Palestinian Community", *Middle Eastern Studies* 37:4 أكتوبر ٢٠٠١، ٧٠—٢٥ ; Mustafà Abbasi, "The End of Arab Tiberias: The 1948 Battle for the City", *Journal of Palestinian Studies* 37:3 خريف ٢٠٠٨، ٢٩—٦ ; Morris, 1948، 140-7
- Saleh Abdel-Jawad, "The Arab and Palestinian Narratives of the 1948 War", in (٤٥) *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, Robert I. Rotberg (محرر)، Bloomington/Indianapolis، دار نشر جامعة أنديانا، ٢٠٠٦، ١١٤ — ٧٢.
- Efraim Karsh, "1948, Israel and the Palestinians: Annotated Text", *Commentary* May (٤٦) 2008، تم الإطلاع عليها في يونيو و ٢٠٠٨ على الرابط التالي:
- <http://www.commentarymagazine.com/viewarticle.cfm/1948-israel-and-the-palestinians-annotated-text-11373>.
- (٤٧) وليد خالدي، "Plan Dalet Revisited: Master Plan for the Conquest of Palestine"، *Journal of Palestine Studies* 18:1 خريف ١٩٨٨، ٣٧—٣ ; وليد خالدي، *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and depopulated by Israel in 1948*, Washington, D.C: Institute for Palestine Studies, 1992; Pappé, *Making, Chapter 3*; Ilan Pappé, *The Ethnic Cleansing of Palestine*
- Erskine B. Childers, "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees" in The (٤٨) *Transformation of Palestine*، إبراهيم أبو لغد (محرر)، الطبعة الثانية، Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 165-202; Chaim Simons, *International Proposals to Transfer Arabs From Palestine, 1895-1947: A Historical Survey*, Hoboken, NJ: Ktav Publishing, 1988; Nur Masalha, *Expulsion of the Palestinians: The Concept of "Transfer" in Zionist political Thought, 1882-1948*, Washington DC: Institute for Palestine Studies, 1992; Pappé, *Ethnic Cleansing*, ch. 2; Rashid Khalidi, *Iron Cage*, 126.
- Benny Moris, *The Birth of Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*, Cambridge (٤٩) دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٨٧، و *The birth of the Palestinian Refugee Problem*، Revisited، كامبريدج، المملكة المتحدة / نيويورك: دار نشر جامعة كامبريدج، ٢٠٠٤.
- Nur Masalha, "A critique of Benny Moris"، *Journal of Palestine Studies* 21:1 (٥٠) خريف ١٩٩١، ٧—٩٠ ; Benny Moris, "Response to Finkelstein and Masalha"، *Journal of Palestine Studies* 21:1 خريف ١٩٩١، ١١٤—٩٨ ; essays by Shlaim, Morris and

Masalha in The Israel/Palestine Question, Ilan Pappé (ed.), London/New York: Routledge, 1999, 171-220; comments by Edward Said and by Abdo al-Asadi, quoted in Mustafa Kabha, "A Palestinian look at the New Historians and Post-Zionism in Israel", في Making Israel، تحرير Benny Moris, Ann Arbor، دار نشر جامعة ميتشيجن، ٢٠٠٧، ٣٠٩ ; Norman G. Finkelstein, Image and Reality of The Israel-Palestine Conflict, New York: W.W. Norton, 2003, ch.3 ; Roane Carey, "Dr. Benny and Mr. Morris: The Historian and The Twisted Politics of Expulsion", Counter Punch 19-20 July 2008، تم الاطلاع عليها في ٢٣ يوليو ٢٠٠٨ على الرابط التالي: <http://www.counterpunch.org/carey07192008.html>

(٥١) وفي الوقت ذاته، قام Morris بالرد على الانتقادات الإسرائيلية من جانب Shabati Teveth و Anita Shapira الذين زعموا أنه "لا توجد صلة بين الدعاية المناسبة لمسألة التنازل وما حدث في ١٩٤٧ و ١٩٤٨. إلا أنه اختار ألا يرد على الانتقادات الفاضحة بعدم الأمانة العلمية والفكرية التي أثارها Efraim Karsh في كتابه *Fabricating Israeli History : The "New Historians"*, 2nd rev. ed., London: Frank Cass, 2000, Ch.2.

(٥٢) رشيد خالدي، *The Iron Cage*، ص: ١٣٣.

(٥٣) على سبيل المثال، المهمة الخاصة للدكتور جوزيف جونسون *Dr. Joseph E. Johnson* رئيس مؤسسة كارنيجي إلى المنطقة عام ١٩٦١ تحت حماية اللجنة التوفيقية للأمم المتحدة من أجل فلسطين. انظر: *David P. Forsythe, United Nations Peacemaking : The Conciliation Commission for Palestine, Baltimore, MD/London*، دار نشر جامعة جونز هوبكينز، ١٩٧٢، الفصل الخامس ; مقتطف من تقريره المنشور على موقع وزارة الخارجية

- الإسرائيلية على الإنترنت، تم الاطلاع عليه في ٣ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط التالي:
<http://www.mfa.gov.il/MFA/Foreign%20Relations/Israels%20Foreign%20Relations%20since%201947/1947-1974/16%20Palestine%20Conciliation%20Commission-%20Nineteenth%20P>
- (٥٤) Alvin Z. Rubinstein, "Transformation: External Determinants" in *The Arab Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, 82.
- (٥٥) Marie Syrkin, *The State of the Jews*, Washington, DC: New Republic Books / Herzl Press, 1980, 119-46; Marie Syrkin, "The Palestinian Refugees: Resettlement, Repartition or Restoration?" from the *Commentary Magazine* 41:1 (1966), in *Israel, The Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman, New York: Bantam, 1972, 157-85; Jonathan Spyer, "UNRWA: Barrier to Peace," *BESA Perspectives Papers* No. 44, 27 May 2008 تم الاطلاع عليها في ٢٧ مايو ٢٠٠٨ على الرابط التالي :
- <http://www.biu.ac.il/SOC/besa/perspectives44.html>.
- (٥٦) Benny Morris, "The Crystallization of Israeli Policy against a Return of the Arab Refugees: April-December, 1948," *Studies in Zionism* 6:1 ١١٨-٥٨.
- (٥٧) M. Shertok to Count Folke Bernadotte, 1 August 1948, *Documents on the Foreign Policy of Israel*, vol.4, May-December 1949, ed.
- (٥٨) انظر أيضا ؛ Morris, *Birth of the Palestinian Refugee Problem*, ch. 4 كلمة أبا إيان Abba Eban في الأمم المتحدة، *Documents on Foreign Policy of Israel*, vol.4 (May-december 1949), Yemima Rosenthal القدس، أرشيفات دولة إسرائيل، ١٩٨٦، ١٦-١٤، المستند رقم ٥.

(٥٩) من أجل تجميع مدروس للدراسات عن تلك المسائل المتشابهة، انظر : *Exile and Return*

، *Predicaments of Palestinians and Jews*, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick

فيلاديلفيا، دار نشر جامعة بنسلفانيا، ٢٠٠٥.

(٦٠) انظر : *Tom Segev, 1949 : The First Israelis, New York : Free Press, 1986*، الفصلان ٥

و٦. إن مأساة القصص المتشابهة للعائلات اليهودية والفلسطينية عن الضياع والتشرد قد

نقلت بطريقة مؤثرة في صورة أدبية. انظر مثلاً: *Ghassan Kanafani, "returning to Haifa"*

، ترجمتها *Barbara* in *Palestine's Children: Returning to Haifa and Other Stories*

harlow and Karen E. Riley, Boulder, CO: Lynne Reinner, 2000, 149-96; Yehuda Yaari,

"The Judgment of Solomon" in Modern Jewish Stories, ed. Gerda Charles, London:

Faber and Faber, 1963, 21-43. إن رواية كنفاني بعد الحصول على موافقة عائلته تحولت

إلى مسرحية بالعبرية كتبها الكاتب المسرحي *Boaz gaon* وأخرجها *Sinai Peter*، على

مسرح بتل أبيب في ٢٠٠٨. انظر عرض *Etty Diamant* في *"Return To Haifa Confronts"*

Holocaust Victims with Palestinian Refugees", *Palestine-Israel Journal of Politics*,

Economic and Culture 15:1-2 (2008), 210-12. انظر أيضاً: الفصل الثامن أدناه.

(٦١) من أجل نقد لنهج تبادل الشعوب، انظر *Yehouda Shenhav, "Arab Jews, Population*

Exchange, and the Palestinian Right to Return", in *Exile and Return*, eds *Lesch and*

Lustick, 225-45

(٦٢) من أجل أمثلة لإسرائيليين، انظر *Boaz Evron, "The Holocaust: Learning the Wrong*

Lessons" Journal of Palestine Studies 10:3 Spring 1981, 16-25; A. B. Yehoshua, "The

Holocaust as Junction", in *Between Right and Right*, New York: Doubleday, 1981, 1-

19; Avraham Burg, The Holocaust is Over: We Must Rise from Its Ashes, London:

Macmillan, 2008

- (٦٣) Segev, 1949, *The First Israelis*.
- (٦٤) Joseph Massad, "Palestinians and Jewish History: Recognition or Submission?" *Journal of Palestine Studies* 30:1, Autumn 2000, 52-67. Cf. Yaov gelber, page 48.
- (٦٥) Emil Habibi, "Your Holocaust, Our Catastrophe", *The Tel Aviv Review* 1:1, 1988, 332-6.
- (٦٦) Amos Elon, *The Israelis: Founders and Sons*, New York: Holt, Reinehart and Winston, 1971, ch.8.
- (٦٧) Laqueur and Rubin, *Israel-Arab* أعيد إنتاجها في *Israel, law of Return*, 5 July 1950 (٦٧) Reader, 87.
- (٦٨) Dan Bar-On and Saliba Sarsar, "Bridging the Unbridgeable: The Holocaust and al-Nakba" *Palestine-Israel Journal* 11:1, 2004, 63-70
- (٦٩) حول زيارة غير عادية قام بها ٢٥٠ إسرائيليًا يهوديًا وعربيًا إلى أوشفيتز في ربيع ٢٠٠٣، انظر: Yaov Peck, "When They learn Our Past", *Jerusalem Report* 7 April 2003, 54; Eatta Prince-Gibson, "Arabic in Auchwitz" *Jerusalem Post* 20 June 2003, 15-16.
- (٧٠) انظر على سبيل المثال Eitan Bronstein, "The Nakba in Hebrew: Israeli-Jewish Awareness of the Palestinian Catastrophe and Internal Refugees" in *Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said, ed. Nur Masalha, London / New York: Zed Books, 2005, 214-41* ; أيضًا انظر: موقع الموقع الإلكتروني التالي: <http://www.nakbainhebrew.org>; "Healing *Israel's Birth Scar*", ٩ أبريل ٢٠٠٨، تم الاطلاع عليه على الرابط التالي: <http://tonykaron.com/2008/04/09/healing-israelis-birth-scar/>.

الفصل السابع

إسرائيل والدول العربية

١٩٤٩-١٩٧٣

كان الصراع الذي تجلّى أمامنا فى الفصول السابقة صراعا بين الصهاينة والفلسطينيين للسيطرة على فلسطين/أرض إسرائيل. وبعد ١٩٤٩، وفى أعقاب الضعف الذى بدأ مع قمع ثورتهم (١٩٣٦-١٩٣٩)؛ أصبح الفلسطينيون منهوكى القوى، متفرقين، بلا قيادة، ويعيش العديد منهم كلاجئين دون أرض، وقد مكن اختفاؤهم من على المسرح كلاعب سياسى مستقل؛ أغلبية شعب إسرائيل، من التركيز على الدول العربية بعد الحرب التى وضعت أوزارها، وفى المستقبل المنظور تجمعت قائمة من القضايا والمظالم - بعضها قائم منذ فترة طويلة، وبعض آخر ظهر حديثا - ليشكل صراعا عربيا- إسرائيليا أكثر منه إسرائيلى- فلسطينى.

وعلى مدار العقدين التاليين؛ تراجعت القضايا الفلسطينية الخاصة للوراء، وبدأ التعامل معها كأمر ثانوى بالمقارنة بالصراع الجديد بين الدول الذى شمل بشكل رئيسى: إسرائيل وسوريا والأردن ومصر؛ وفى الحقيقة، اعتقد بعض أنه ما دام لم يعد هناك شعب فلسطينى منظم فى حركة قومية تسعى لإقامة دولة عربية مستقلة؛ فإنه لا توجد ثمة مشكلة أو قضية فلسطينية. وبالنسبة للإسرائيليين فإن الحسابات السياسية والاستراتيجية / العسكرية وغيرها من الحسابات صار يتم التعامل معها فى سياق العلاقات الثنائية أو تلك متعددة الأطراف بين دول ذات

سيادة، في حين ظل التصارع بين الصيانية/الإسرائيليين والفلسطينيين/العرب- وهما التجمعان القوميان المتناقسان اللذان كانا يسعيان حتى ١٩٤٨ للسيادة على الإقليم ذاته- في حالة ثبات خلال هذه الفترة ليستيقظ مجدداً في الأعوام التي تلت ١٩٦٧ (انظر: الفصل ٨).

وفي هذا الفصل سنتعرض بالبحث للتغيير الهيكلي وديناميات هذا الصراع العربي/الإسرائيلي على مدار ربع قرن (بين ١٩٤٩ و١٩٧٣)، وهي فترة تخللها ثلاثة حروب بين دول: أكتوبر ١٩٥٦ (إسرائيل ومصر)، ويونيو ١٩٦٧ (إسرائيل ومصر والأردن وسوريا) وأكتوبر ١٩٧٣ (إسرائيل ومصر وسوريا)، وتغيرت خلالها الأبعاد الدولية للصراع، فقبل ١٩٤٨ نافس المتصارعون بعضهم بعضاً تحت مظلة سلطة الانتداب البريطاني التي لا يتحداها طرف آخر، في حين ظلت الدول الأوروبية والولايات المتحدة في الخلفية، أما بعد الحرب العالمية فكانت هناك مناورات قام بها البريطانيون والفرنسيون والأمريكان والروس لتأمين وتوسيع نفوذهم في الإقليم، وفي الحقيقة فإن فترة ما بعد ١٩٤٩ قد شهدت منافسة متصاعدة بين القوى الكبرى خلال حقبة الحرب الباردة؛ حيث استهدفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الدول والشعوب لإقامة التحالفات في منطقة الشرق الأوسط الاستراتيجية، وكما كانت عليها الحال في مناطق أخرى من العالم، كان على الدول الصغيرة أن تتخذ قرارات حول كيفية التوفيق بين اعتبارات السيادة الاسمية مع وضعية الدول التابعة للسادة من الأمريكان أو الروس من خلال حصولها على المساعدة الدبلوماسية والاقتصادية و/أو العسكرية... وهكذا فرض بُعد جديد عالمي وفقاً لنماذج أيديولوجية نفسه؛ على المنافسات والصراعات الموجودة في الإقليم (التي لم يكن الصراع العربي - الإسرائيلي إلا واحداً فقط منها) وسعت

القوى الخارجية لتحقيق مصالحها بطرق تجاوزت بل وغطت على مصالح الأطراف المحلية.

القضية الفلسطينية بعد ١٩٤٩:

كما سبق أن رأينا، ترتب على تدخل الدول العربية في الشؤون الفلسطينية-الذي بدأ مع التمرد عام ١٩٣٦- سلسلة من الآثار السلبية المتصاعدة على الفلسطينيين بشكل تضمن الأداء الدبلوماسي غير الفعال في الأمم المتحدة عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨، وهزيمة الجيوش العربية (مع الميليشيات الفلسطينية) ١٩٤٨-١٩٤٩، ولقد تركت النجاحات الدبلوماسية والعسكرية التي حققتها الدولة-اليهودية الوليدة، وخسارة فلسطين العربية، عالماً عربياً اتسم- بعد ١٩٤٨- بعدم الاستقرار السياسي، والشعور بالهوان وأيضاً ببعض النقد الذاتي^(١)، وقد تمثلت أهم ملامح التبعات المرئية في خسارة الأرض، والفرصة الضائعة لإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة، والأكثر إيلاًما الوجود المستمر للاجئين الفلسطينيين في لبنان وسوريا والأردن وغزة أساساً في معسكرات تديرها منظمة الأمم المتحدة للإغاثة الأنثروا.

وعلى المستوى الدولي؛ تراجعت "المسألة الفلسطينية" بشكل شبه تام من على الأجندة ليحل محلها الموضوع الإنساني والإغاثي باسم "اللاجئين العرب"، وفي الجمعية العامة أضحى المناقشات حول تقارير الأنثروا السنوية والتصويت على تخصيص تمويل جديد لميزانيات إغاثة اللاجئين والخدمات التعليمية، المناسبات والمنابر الرئيسية لبحث الموضوعات الفلسطينية، وباستثناء اللجان المحلية والإقليمية التي شكلت لتمثيل اللاجئين الفلسطينيين والضغط من أجل

عودتهم؛ العودة (أو لم شمل العائلات) واستعادة أرصدتهم (المشروعات، والأرصدة المجمدة في البنوك وغيرها) أو التعويض عن ديارهم المهجورة أو التي تم تدميرها، كان الفلسطينيون - كمجتمع - دون قيادة معترفاً بهم أو ذوى فاعلية.

وعلى الرغم من وجود محاولتين للتعبير عن التوافق الوطني الفلسطيني وإنشاء مؤسسات وطنية، فإنهما لم تستمرا طويلاً؛ مما عكس الاعتماد شبه الكلى والتبعية من قبل الفلسطينيين للنظم العربية القائمة، ففي نهاية سبتمبر ١٩٤٨ أعلن المفتى (المنفى) وبقايا لجنته العربية العليا تأسيس "حكومة عموم فلسطين" في غزة، الذى سرعان ما تم نقلها إلى القاهرة^(١)، ولم يكد يمر عدة أشهر حتى عقد المؤتمر الفلسطيني في أريحا للتعبير عن مطلب شعبي - قام بالتنسيق له مؤيدو الملك عبد الله - من أجل ضم الضفة الغربية للمملكة الهاشمية (وهو ما تم عام ١٩٥٠)^(٢).

ولقد تركزت المسؤولية الحقيقية والقدرة على المبادرة الحقيقية في المجالين السياسى والدبلوماسى في أيدي قادة الدول العربية، وهو ما عنى بالنسبة للفلسطينيين "وصاية عربية" وفقاً للمؤرخ الفلسطينى - الأمريكى رُشيد خالدى "في الوكالة الخاسرة":

"إذا ما تم الحديث عنهم على الإطلاق؛ فإن ذلك كان يتم من قبل الدول العربية، وكل واحدة منها كان لها اعتباراتها وحساباتها، وكلها كانت ضعيفة... وحتى جهود الفلسطينيين المحدودة، التى حدثت، للتعبير عن أنفسهم دولياً اعتمدت بشكل تام على تأييد الدول العربية"^(٣).

وبناء عليه وقعت قضايا استعادة فلسطين وعودة اللاجئين في شرك السياسات بين الدول العربية داخل الإقليم - "الحرب الباردة العربية"؛ كما وصفها

المؤرخ مالكوم كير^(٤) - فالسياسيون والنظم العربية استخدموا الموضوع الفلسطيني كمقياس اختبار لمدى قومية ووطنية مواقفهم، أو في مساعيهم لتحقيق طموحاتهم في زعامة الإقليم، وعادة ما أسفر ذلك عن محاولة كل طرف "المزايدة" على الآخرين بانتهاج خط متشدد ضد إسرائيل، ما خلق ضغوطاً جديدة لإضفاء طابع أكثر راديكالية على مواقفهم السياسية^(٥).

في فترة ما بعد ١٩٤٩؛ حمل مصطلح "قضية فلسطين" مدلولات إيجابية وأخرى سلبية؛ فمن ناحية، شكلت خسارة الدول العربية للحرب ضد اليهود ١٩٤٨-١٩٤٩ شاهداً على العار القومي للنظم القديمة - التي سرعان ما تم تغيير العديد منها- ومن ناحية أخرى، عكس هذا المصطلح تعيداً من قبل الدول العربية باستعادة الحقوق الفلسطينية وإعادة الفلسطينيين لأراضيهم (ولربما) طرد اليهود، وبشكل عام محو الظلم الذي وقع عام ١٩٤٨.

وقد تمت ترجمة هذا الحديث الثوري إلى أعمال ملموسة ومحددة؛ تمثل أحدها في الحفاظ على تحريم أى تصرفات أو اتصالات تتضمن اعترافاً بشرعية إسرائيل كدولة ذات سيادة، وبهذه الروح أنشأت الجامعة العربية مكتباً في دمشق لدعم وإدارة المقاطعة الاقتصادية للدولة اليهودية التي أقرتها الجامعة في ديسمبر ١٩٤٥^(٦)، وفي أوائل الخمسينيات قدمت الدول العربية تأييداً محدوداً لغارات عبر الحدود قام بها المبعدون الفلسطينيون الذين يعيشون على أراضيهم، ما أسفر عن قتل وجرح إسرائيليين وتخريب للمنشآت، وأدى إلى عمليات انتقامية من جانب القوات الإسرائيلية ضد القرى والمنشآت العسكرية للدول المضيفة، وقد وضع كل ذلك كرم وضيافة الدول العربية المضيفة على المحك، وقد مثلت هذه العلاقات المتأرجحة والمتوترة غالباً التي نشأت بين حكومات مصر والأردن وسوريا وهؤلاء الفلسطينيين غير المنظمين خلال الخمسينيات^(٧)؛ مقدمة لعلاقات مستقبلية

أكثر تعقيداً بين المجموعات الفدائية التي شكلت في العقود التالية منظمة التحرير الفلسطينية، كذلك كان التصاعد في وتيرة هذه العمليات عبر الحدود خلال ١٩٥٤-١٩٥٦ عاملاً مساهماً في اندلاع الحرب الثانية العربية-الإسرائيلية أواخر عام ١٩٥٦.

من الهدنة إلى حالة "اللا سلم":

في الرابع والعشرين من فبراير ١٩٤٩ بجزيرة رودس اليونانية، وقعت مصر وإسرائيل ما صار يعرف بأول اتفاقات الهدنة الأربعة؛ تحكم فصل القوات بين الدول المتحاربة، وعلى الرغم من أن كل من كان على صلة بوضع اتفاقات الهدنة قد توقع، آنذاك، أنها لن تبقى بمدة طويلة^(١)، فقد مرت شهور بل وسنوات دون أن يحدث التطور المتوقع نحو اتفاقات سلام، وإنما ذهبت الأطراف المحبطة إلى التصارع حول تفسير اتفاقات الهدنة التي وقعوها، واتسم الكثير من الحجج بالطابع القانوني؛ حيث إن نص الاتفاقات تضمن من الغموض ما يكفى لتوصل الأطراف إلى تفسيرات متعارضة بشكل تام^(١٠)، وقد عكس عدم القدرة على تحويل اتفاقات الهدنة لعام ١٩٤٩ إلى اتفاقات سلام (وهو أحد مشتقات المسار العادي للانتقال من وقف إطلاق النار إلى الهدنة ثم السلام)؛ ملمحاً خاصاً بالصراع العربي-الإسرائيلي الجديد، ما جعل التعامل معه أكثر صعوبة من النزاعات الدولية المشابهة.

هيمنت ستة موضوعات على العلاقات المتوترة بين إسرائيل والدول العربية في فترة "اللا سلم" فيما بعد ١٩٤٩:

(١) الاعتراف والشرعية.

٢) الحدود والأرض.

٣) اللاجئين.

٤) القدس.

٥) حرية المرور عبر قناة السويس.

٦) المياه.

وفى ضوء عناد الأطراف بعد التوقيع على اتفاقات الهدنة، اتسمت مواقف إسرائيل والعرب بالتشدد حول هذه الموضوعات الستة مما ترك الفلسطينيين، المفتقدين إلى قيادة، مُمهّشين واللاجئين دونما أمل فى تسوية سريعة. وفى الفترة من بداية ١٩٤٩ حتى أواخر ١٩٥١، قدمت الأمم المتحدة عدة آليات تمت دعوة الأطراف للعمل تحت مظلتها لمحاولة تسوية خلافاتهم، لكن الجهود المبذولة من قبل "لجنة التوفيق من أجل فلسطين" التى تم إنشاؤها بموجب قرار الجمعية العامة رقم (١٩٤) فى ديسمبر عام ١٩٤٨ تعثرت.

لماذا لم تكن الأطراف المتحاربة قادرة على تحويل اتفاقات الهدنة لاتفاقات سلام؟ وهل يمكن لوم أى طرف عن "الفرص الضائعة" وعدم تحويل اتفاقات الهدنة إلى اتفاقات سلام أكثر استقراراً؟ سنتعرض للسؤال الثانى فى الفصل ١١، ونقتصر هنا على تناول الأول.

فى ظل غياب أى تقدم نحو توقيع اتفاقات سلام، أخذت الأمم المتحدة على عاتقها مسئولية متابعة الموقف غير المستقر على طول الحدود؛ من خلال إنشاء منظمة مراقبة الهدنة للأمم المتحدة التى كانت بمثابة وكالة للإشراف على اللجان المشتركة للهدنة التى تعمل وفقاً لنصوص كل من الاتفاقات، وقد وقعت مناقشات

وأحداث على طول الحدود، خاصة في المناطق المتنازع عليها أو تلك التي تم توصيفها على أنها "منزوعة السلاح"، مما حدا بإسرائيل ومصر والأردن وسوريا بتقديم العديد من الشكاوى إلى اللجان المشتركة المعنية التي أضحت مثقلة بالتحقيقات وإصدار القرارات^(١١)، إلا أن الاعتبارات السياسية، أكثر من تلك القانونية أو العسكرية، هي التي كانت أكثر بروزاً في توصيف طبيعة الصراع العربي- الإسرائيلي الجديد، وفي تفسير عدم قدرة الأطراف على التحرك من الهدنة للسلام. وكما هو متوقع؛ فإن الحكومات العربية وإسرائيل تبنت مواقف متشددة فيما يتعلق بقضايا الحدود واللاجئين والقدس والاعتراف، خلال مؤتمرات لوزان (١٩٤٩) وجنيف (١٩٥٠) وباريس (١٩٥٠) للجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة، لكن كل جهود الأمم المتحدة الدبلوماسية الخاصة بالشرق الأوسط بدت محكوماً عليها بالفشل في ضوء عقبة الشروط المسبقة التي يضعها كل طرف:

- اعتبر العرب توقيعهم على اتفاقات الهدنة اعترافاً منهم بأن الحرب انتهت، ولكنهم دفعوا بأن على إسرائيل الانسحاب من الأراضي التي استولت عليها خلال قتال ١٩٤٨/١٩٤٩، والتي تتجاوز ما ورد بخريطة خطة التقسيم للأمم المتحدة لعام ١٩٤٧؛ كذلك السماح بعودة اللاجئين أو تعويضهم قبل أن يقوموا بالنظر في التحرك نحو السلام والاعتراف بدولة إسرائيل الجديدة.
- في المقابل، رأى الإسرائيليون أن توقيعهم على اتفاقات الهدنة لا يعني فقط وقفاً للقتال، ولكن يتطلب أيضاً الخطوة التالية وهي التفاوض بين الأطراف على اتفاقية سلام شامل، و فقط في هذا الإطار يمكن لإسرائيل الموافقة على النظر في تعديلات أرضية، وتعويضات الحرب، ومسألة اللاجئين.

كان ذلك هو الشكل الذى أخذته المعضلة التى قوضت كل جهود التفاوض وصنع السلام بعد ١٩٤٩؛ وقد عني ذلك بالنسبة للأمم المتحدة أن ممثلى العرب ربما يتعاونون مع لجنة التوفيق ويحضرون المؤتمرات التى تعقدها، ولكنهم كانوا يرفضون الجلوس على مائدة واحدة، أو يضعون توقيعهم على الوثيقة نفسها مع الوفد الإسرائيلى^(١٢). وخلال هذه الاختبارات المبكرة، تمثل النجاح الوحيد الذى تمكنت لجنة التوفيق من تحقيقه فى مجال عملها الفنى المتصل بالإعداد لملف التعويض عن ممتلكات اللاجئين، وتسهيل بعض عمليات جمع شمل العائلات، والتوصل إلى اتفاقية لرفع تجميد أرصدة الحسابات البنكية الفلسطينية^(١٣).

سعت إسرائيل للبناء على اتفاقات الهدنة وقبول عضويتها فى الأمم المتحدة فى مايو ١٩٤٩؛ أمله فى أن يؤدي ذلك للاعتراف بها من جانب أغلبية الدول وتطبيع علاقاتها مع العالم. وبنهاية ١٩٤٩؛ فإن ٤٧ دولة (من أصل ٥٨) اعترفت بها و/ أو أقامت معها علاقات دبلوماسية^(١٤)، وأشار قادة إسرائيل إلى اتفاقات الهدنة، من بين أشياء أخرى، باعتبارها تشرع فعلياً "De facto"، مطالبينها بالأراضى التى استولت عليها خلال الحرب، وكتبرير لإدانة تصرفات العرب التى تعنى ضمناً استمرار حالة الحرب. ومن جانبهم، أكد المتحدثون الرسميون باسم العرب على الطابع العسكرى المحدود للوثائق وأبدوا حسرتهم على الاختلال فى توازن القوى الذى أسفر عن اتفاقات مهيبة أو غير مرضية^(١٥). وفيما يتصل بمحاولات جس النبض الدبلوماسى خلال الخمسينيات؛ فإنها أوضحت أن كل الانفتاحات من قبل مفاوضين عرب محتملين قد تجاهلت اتفاقات الهدنة وركزت على خطة التقسيم لعام ١٩٤٧، أو الخطة التى قدمها وسيط الأمم المتحدة الكونت "فولك برنادوت" قبيل اغتياله مباشرة فى سبتمبر ١٩٤٨^(١٦). أما الإسرائيليون، فقد

رفضوا كل هذه المقترحات كنقاط بداية؛ مصرين على أن أى مفاوضات يجب أن تؤخذ فى الاعتبار كنقطة انطلاق الأمر الواقع "Status quo"، كما تضمنته اتفاقات الهدنة^(١٧).

وظلت قائمة الموضوعات الخلافية بعد عام ١٩٤٩، والمنضمنة القضايا الست السالف الإشارة إليها، كجرح متقيح لعقود دون التوصل لأى تسوية مرضية. وعلى قمة هذه القائمة كانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التى أضحت بمثابة "كرة قدم سياسية" بامتياز، واستمرت أوضاعهم، بالتوازي مع رسم الحدود النهائية المعترف بها، مهمشة؛ حيث بقيت المشاحنات بين إسرائيل والدول العربية وتعذر جمعها معاً للتفاوض على سلام شامل. كذلك ظل وضع القدس موضع خلاف، فلم تحظ التوصية التى قدمتها اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة التوفيق فى سبتمبر ١٩٤٩ بالتدويل ونزع السلاح بالموافقة نتيجة لتعارضها مع مصالح كل من إسرائيل والأردن؛ وهما الدولتان اللتان سيطرتا بالفعل على المدينة المقدسة المقسمة، وفضلت كلتا الدولتين تجاهل هذه التوصية، ومن جانبها رفضت مصر حرية المرور عبر قناة السويس للسفن المتجهة لإسرائيل أو الخارجة منها. وعلى الرغم من قيام مجلس الأمن بإصدار قرار فى سبتمبر ١٩٥١ يؤيد تفسير إسرائيل لحقوقها فى الملاحة الحرة عبر الممرات المائية الدولية، فإن القرار (رقم ٩٥) لم يتم فرضه على المصريين الذين أصروا على أن الهدنة لم تنته حالة الحرب بينهم والإسرائيليين، ولكنها فقط "علقت" الحرب^(١٨)، ولقد حاولت إسرائيل عدة مرات، دونما نجاح، اختبار الحصار المصرى من خلال تكليف سفينة بالمرور عبر القناة، وفى مناسبات أخرى سعت للضغط على القوى الخارجية لرفع الملف إلى مجلس الأمن، إلا أن هذه القوى لم تبد حماسة لذلك.

وهناك نجاح واحد أمكن تسجيله خلال هذه الفترة، فقد تم التوصل إلى اتفاق سرى وضمنى لتحديد الأنصبه في مياه نهر الأردن، من خلال جهود معقدة قام بها فريق أمريكي رأسه "إريك جونسون"، المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي "دوايت أيزنهاور" الذي تنقل بين عواصم مختلفة في الشرق الأوسط ما بين ١٩٥٣ و١٩٥٦، وقد تم الاحتفاظ بهذا الاتفاق طي الكتمان وتحت المراقبة السياسية خلال فترة التوتر التي أفرزت الحرب العربية- الإسرائيلية الثانية^(١٩).

حرب الحدود ذات الوتيرة المنخفضة (١٩٤٩-١٩٥٦):

ومع انحصار إسرائيل والدول العربية في مازق دبلوماسي شبه دائم، تصاعدت حدة الاحتكاكات على الحدود والخطابات التي تميل إلى الحرب من سنة لأخرى، وبدأ كل طرف متمسكاً لا يشعر بأنه مضطر للدخول في أي مفاوضات سلام، وموجلاً ذلك حتى يحين وقت تتجه فيه القوى الكبرى أو الأمم المتحدة إلى محاولة تملق الأطراف المعنية أو قسرهم على النظر في اللجوء إلى الدبلوماسية، كما انتظر بعض تبلور موقف جديد أكثر مواتاة، ويتم خلقه في أعقاب الحرب المقبلة، الذي كان متأكداً من اندلاعها عاجلاً أم آجلاً.

وفي خلفية الأحداث في الفترة ١٩٤٩-١٩٥٦، ظهر نموذج لتسلل الحدود من جانب الفلسطينيين وغارات للفدائيين (الذين يضحون بأنفسهم) خاصة من غزة الخاضعة للسيطرة المصرية، وهو ما استتبعته عمليات انتقامية إسرائيلية تصاعدت حدتها، وقد شملت هذه الأعمال أهدافاً عسكرية بل ومدنية تم استهدافها أحياناً بشكل مقصود، وأحياناً أخرى بطريقة تكميلية، وتكبد كل من العرب والإسرائيليين خسائر

بين المدنيين والممتلكات، وكانت التكتيكات والأسلحة المستخدمة خلال الغارات عبر الحدود مرعبة ونادرًا ببساطة تلك المتبعة في الحروب التقليدية بين الجيوش^(٢٠).

في كل عام تم رصد آلاف الحوادث مع عشرات القتلى والجرحى إثر غارات الحدود^(٢١)، وتتوعدت الدوافع وراء التسلات العربية داخل إسرائيل بين تلك الاقتصادية (لجنى المحاصيل في أراض عائلية صارت في الجانب الإسرائيلي من خطوط الهدنة) أو للقيام بتخريب أنابيب المياه أو خطوط الكهرباء (بهدف سياسى يسعى لزعزعة استقرار الدولة اليهودية) أو السلب والنهب الإجرامى، أو قتل المدنيين (تارة للانتقام، وتارة أخرى لإشاعة الترهيب). إن نموذج الهجمات الإرهابية منخفضة المستوى وإن كانت مستمرة عبر الحدود أدى إلى زيادة مستوى الخوف وعدم الأمان لدى الرأى العام الإسرائيلى، الأمر الذى قوى من الاتجاهات الموجودة بالفعل والتى تنظر للعرب على أنهم ذوو مزاج يميل للقتل، ويلزم مواجهة أعمالهم العدوانية بإجراءات شديدة، ومن بين الأعمال الهجومية الرهيبة ضد المدنيين الإسرائيليين ما حدث في مارس ١٩٥٤ في كمين تم نصبه في "معالي أكرابيم" لحافلة متجهة من تل أبيب إلى إيلات؛ حيث جرى إعدام المسافرين واحدًا تلو الآخر، وكذلك الهجوم بالقنابل، العام التالى، على حفل زواج في مستوطنة "باتيش".

وداخل دائرة القيادة السياسية والعسكرية الإسرائيلية؛ بدأت تتبلور سياسة انتقامية من بين عناصرها العقاب والانتقام والردع وفقًا لمقترح "العين بالعين"، لتصبح أحدث تجسيد لنموذج العنف الذى شاهدناه خلال تعرضنا للثورة العربية في

الثلاثينيات في الفصل ٥؛ حيث تناولنا المقولة الجوهرية المثيرة للجدال: هل كان لجوء الصهاينة/الإسرائيليين والعرب/الفلسطينيين للعنف مبرراً أم إنه نجب إدانته؟ وكانت هناك سلسلة من العمليات الإسرائيلية الكبيرة التي ثبت أنها خطوات حاسمة في العد التنازلي لحرب السويس/سیناء عام ١٩٥٦، "قضيبيّة" (أكتوبر ١٩٥٣)، "تهالين" (مارس ١٩٥٤)، "غزة" (فبراير ١٩٥٥)، "السبّهة" (نوفمبر ١٩٥٥)، المواقع السورية على ساحل الجليلي (ديسمبر ١٩٥٥)، و"قلقيلية" (أكتوبر ١٩٥٦)^(٢٢)، وكل منها كانت رد فعل لاستفزاز (بمعنى هجوم داخل إسرائيل) وعكس تصاعداً كبيراً من حيث عدد القتلى وحجم القوة المستخدمة ومستوى التعقيد العسكري.

وتُقدّم غارة "قبيبة" - وإن كانت غير معروفة بشكل واسع على الرغم من كونها نقطة تحول رئيسية- تصويراً جيداً لمعضلات الأمن وعدم استقرار وضعيّة "اللا سلم واللا حرب" التي ميزت علاقات إسرائيل مع العرب في الخمسينيات^(٢٣)، ففي رد فعل على هجوم إرهابي قتل خلاله أم وطفلان في قرية "كفر ياهو" الإسرائيلية، قامت القوة ١٠١- وهي قوة خاصة تحت قيادة الكابتن "أرييل شارون" بهجوم انتقامي على قرية "قبيبة" في الضفة الغربية التي ساد الاعتقاد بأن المتسللين جاءوا منها. وفي ليلة ١٤-١٥ أكتوبر ١٩٥٣ قتل المغيرون الإسرائيليون ما بين ٥٠ و ٦٠ من أبناء القرية، وجرحوا ١٥، واختلّفت التقارير حول ما إذا كان معظم الضحايا ماتوا وهم مختبئون في منازلهم (التي قصّفاها الإسرائيليون اعتقاداً منهم أنها خالية)، أم إنهم قتلوا عن عمد بالمدافع والقنابل ثم تم تفجير منازلهم فيما بعد.

وعلى الصعيد الدولي، أدى مستوى العنف ووحشية المذبحة إلى إدانات غير مسبقة لإسرائيل؛ وعلى الرغم من أن السفير "أبا إيبان" قد استخدم كل مهاراته اللغوية ليدافع عن سلوك بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، فإنه أقر في

اتصالاته الخاصة بأنه يعتبر "قبيبة" أسوأ ضربة وجهت لموقف إسرائيل أمام الرأي العام الدولي منذ إنشاء الدولة، وأنها تسببت في وصمة خطيرة على سمعة إسرائيل أكثر من مذبحة دير ياسين^(٢٤) ضد العرب وبيد إرهابيين يهود قبل إنشاء الدولة، ولكن قطاعاً آخر من الرأي العام في إسرائيل لم يكن منتقداً إلى هذا الحد لغارة "عن قبيبة"، فعلى الرغم من إدائه الأسف على خسارة أرواح بريئة، برر "ديفيد بن جوريون" الحادث في تصريح وزارى أذاعه راديو إسرائيل؛ حيث وصف رئيس وزراء إسرائيل، ووزير دفاعها الذى كان على وشك بداية مرحلة التقاعد، الغارة بأنها رد مشروع يأمل أن ينهى أربع سنوات من التسللات المسلحة والمتكررة التى كانت بطبيعتها اليومية تحصد الأرواح دون أن تحظى باهتمام جاد من قبل فى العواصم الدولية^(٢٥).

كذلك أضحت غارة "قبيبة" موضع جدال داخلى شديد، وهددت بأزمة داخل الطبقة السياسية فى إسرائيل، ووضعت رئيس الوزراء "بن جوريون" فى مواجهة مع وزير خارجيته "موسى شاريت" الذى سرعان ما ترك منصبه، وخلال تهنئته لـ "أرييل شارون" عبر "بن جوريون" عن شعوره بأنه لا يكثر كثيراً لما يقال عن "قبيبة" فى العالم، "فالشىء الأهم هو كيف سيتم النظر إليها هنا فى الإقليم"، كما نقل عنه قوله: "إن الغارة ستعطينا إمكانية للعيش هنا"^(٢٦)، أما "شاريت" الذى كان يفضل الدبلوماسية والحفاظ على التعاطف العالمى على أسلوب "الضربة مقابل عن ضربة"، فإنه كان يعتقد أن قرارات الانتقام يجب النظر إليها فى إطار أوسع: "مسألة السلام... فعلينا أن نكبح ردود أفعالنا، وبظل السؤال مطروحاً: هل ثبت فعلاً أن العمليات الانتقامية تحقق الأمن الذى تم التخطيط من أجله؟"، وكان تفضيل "شاريت" يذهب إلى الرد المحسوب بدلاً من الانتقام المغالى فيه الذى سيؤدى فقط إلى مزيد من العطش والرغبة فى الانتقام وتصاعد العنف^(٢٧).

وفى قاعات الأمم المتحدة، كانت الغارة الإسرائيلية على "قببية" موضوعاً لخطابات مشوبة بالعواطف ومسودات قرارات، وهو النموذج الذى سلكته مناوشات أخرى، فمع تسلم تقارير عن شكاوى من لجنة مراقبة الهدنة يتحول مجلس الأمن لمسرح سياسى يستمع للشكاوى والخطب، والاتهامات، والانتهاكات المضادة، وتعقب ذلك صياغة مسودات قرارات^(٢٨) ومشاورات بين الأعضاء، التى تسفر أحياناً عن تصويت يلوم أحد أو كلا الطرفين لقيامه بخرق الهدنة، وبشكل لا يتغير اتخذت الأمم المتحدة مواقف تنتقد ردود إسرائيل الانتقامية، فيما هى حثت جيرانها على المزيد من إحكام السيطرة على الحدود ومنع التسلات، ولم يكن من شأن هذه المحاولات والحياد أن يحظى بإعجاب الكثير من الإسرائيليين الذين صاروا على قناعة بأن المنظمة الدولية تتحاز ضدهم وتأخذ جانب العرب.

ولقد ظلت فاعلية سياسة الانتقام، باعتبارها رادعاً، موضوعاً للنقاش المتكرر بين صناع القرار فى إسرائيل، وبين المدافعين عنها والذين ينتقدونها فى الخارج، وكذلك بين علماء الاجتماع^(٢٩)، فعلى الرغم من الهدوء الظاهر القصير المدى على طول الحدود بعد عمل ما، فإن الأثر على المدى البعيد كان ما يفاقم الصراع، ومن وجهة نظر إسرائيلية داخلية، تمثل إحدى المنافع القليلة فى أن هذه الأعمال الانتقامية تسهم فى تسكين الشعور بالسخط فى الشارع الإسرائيلى "بأخذ الثمن من العرب لإراقتهم دماء اليهود"، وبطبيعة الحال كان من شأن هذه النتيجة فقط أن تساهم فى دورة الانتقام وفى تعميق العداوة المتبادلة^(٣٠).

منذ بداية الخمسينيات وحتى اليوم، أصبح هناك نمط ثابت للصراع العربى-الإسرائيلى بالنسبة لصناع القرار السياسى والعسكرى فى إسرائيل، أن يواجهوا خيارات متكررة للرد على المغيرين- سواء تم وصفهم "المدافعين عن الحرية" أو

"الاستشهاديين" أو "الإرهابيين" - المتسللين عبر الحدود، والمناقشات حول التكتيكات والأخلاقيات في دورات العنف المتكررة أصبحت ملمحاً مستمراً للصراعات العربية- الإسرائيلية والإسرائيلية- الفلسطينية، فكل غارة عبر الحدود أو قصف أو هجوم كان يعنى ردًا من الضحية، كما يقدم أدوات لمن يسعون لإثبات من هو الطرف المعتدى وذلك الذى يدافع عن نفسه ضد عدوان الآخرين.

من الحرب إلى الحرب (١) .. ١٩٤٩-١٩٥٦:

أسهم العديد من العوامل الأخرى فى اندلاع الحرب العربية- الإسرائيلية الثانية أواخر أكتوبر ١٩٥٦، بعضه خارجى عن المنطقة أو على صلة ضئيلة بالصراع الجوهري على فلسطين/ إسرائيل، فلقد حدث تغيير حاسم فى موازين القوى فى المنطقة فى صيف ١٩٥٢ عندما أسقطت ثورة الضباط الأحرار البيضاء النظام الملكى الفاسد، وبقيادة اللواء محمد نجيب والضباطين جمال عبد الناصر وأنور السادات، بدأ نظام شعبى جديد بتجربة فى الاشتراكية العربية والإصلاح الزراعى والتحالف بعيدًا عن الغرب، وبعد الرفض من قبل الأمريكان والبريطانيين (الذين بدعوا الانسحاب من قواعدهم فى منطقة قناة السويس) أصبح ناصر المتحدث الرسمى باسم مجموعة عدم الانحياز بين الدول النامية التى تريد ألا يتم تخييرها بين الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى.

ولقد وفر تغيير النظام فى مصر نافذة للأمل، سرعان ما توارت، من خلال محاولة لجس النبض من أجل السلام جرت سرًا بين عبد الناصر ووزير خارجية إسرائيل موسى شاريت عن طريق مبعوثين لهما فى باريس، ولكن بمنتهى عام ١٩٥٤ توترت العلاقات المصرية- الإسرائيلية بشدة إثر اكتشاف خلية تجسس فى

الإسكندرية والقاهرة؛ حيث حاول عملاء إسرائيليون سريون ويهود مصريون تخريب العلاقات المصرية- البريطانية والأمريكية، وإثر ما تمخض عن تعرض القوات المسلحة المصرية للإهانة في غزة من خلال رد إسرائيل الانتقامي في فبراير ١٩٥٥، بدا أن كلا البلدين في طريقهما للصدام الذي يقود إلى الحرب، وكان بناء القوات المسلحة المصرية وتسليحها بسلاح روسي (عبر تشيكوسلوفاكيا) خلال ١٩٥٥ و ١٩٥٦، مصدر قلق شديد لإسرائيل التي ناشدت القوى الغربية تزويدها بأسلحة دفاعية للمواجهة، وكذلك بعقد اتفاقية أمن^(٣١).

وقد تمكنت إسرائيل فقط مع فرنسا من إبرام تعاون سري في مجال الحصول على السلاح وتبادل المعلومات والتطور النووي، فيما قام البريطانيون والأمريكان بكل ما يمكن لتأخير إجاباتهم السلبية غير المعتادة عن طلبات إسرائيل من السلاح أو اتفاقية الأمن، محاولين بكل الطرق تجنب سباق تسلح يقوم فيه الاتحاد السوفيتي بتأييد العالم العربي المتحالف ضدهم وضد إسرائيل، إلا أن محاولاتهم السرية لتنظيم لقاء بين القيادتين المصرية والإسرائيلية لمناقشة بنود خطة سلام بريطانية- أمريكية سُميت "مشروع ألفا" خلال عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦، قد باءت بالفشل؛ حيث تجنب "عبد الناصر" و"بن جوريون" و"شاريت" بنجاح تقديم التزامات، كل لأسبابه^(٣٢).

لم يكن أي من "ناصر" أو "بن جوريون" يرغب في أن يراه المجتمع الدولي سبباً في اندلاع حرب جديدة، لكن كليهما فعل كل ما يمكن على الحدود المشتركة لاستثارة الطرف الآخر لبدء حرب على نطاق واسع، ومن موقع إسرائيل، كان من شأن استمرار مسلسل التسلل والانتقام- وفي غياب ضمان أسلحة كافية أو ضمانات أمن من القوى الغربية الثلاثة- أن يؤيد من الضغوط الداخلية من ضباط الجيش الناشطين والسياسيين للنظر في ضربة استباقية لمصر قبل استكمال عملية استيعاب

الأسلحة السوفيتية الجديدة استعدادا للهجوم على إسرائيل. وحتى مع مقاومة بن جوريون - رئيس الوزراء ووزير الدفاع - لهذه الضغوط؛ سعى رئيس الأركان "موشى ديان" وغيره للبحث عن طرق لاستثارة مصر من أجل الهجوم، على أمل استدراج الأردنيين أيضا حتى تكون لجيش الدفاع الإسرائيلي فرصة لـ "تقوية" حدود الضفة الغربية منذ ١٩٤٩ والذي وجد في أن بعض مناطقها لا يمكن الدفاع عنها^(٢٣).

وفي سياق المنافسات العربية بين نظم العراق وسوريا ومصر، والتي لعبت على عدم الرضا الفلسطيني، وخلال عام ١٩٥٦ كان الانجراف نحو الحرب أمرا واضحا ويمكن رؤيته بسهولة، فمؤيدو "ناصر" ووكلاؤه أثاروا المشاعر القومية العربية وخلقوا الاضطراب بين اللاجئين الفلسطينيين في الأردن؛ ما أدى إلى قيام الملك حسين الشاب بطرد الجنرال "جلوب" (مؤسس وقائد الفيلق العربي) وتعريب الجيش؛ حيث طرد تقريرا كل ضباطه الإنجليز^(٢٤). وفي يناير وأبريل ١٩٥٦؛ قام سكرتير عام الأمم المتحدة "داج همرشلد" بزيارات شخصية للإقليم بغية استعادة الطرفين لاحترام اتفاقات الهدنة ووقف الاندفاع نحو الحرب.

وأثناء ذلك، وردا على التأميم المفاجئ لشركة قناة السويس من جانب "ناصر" في يوليو، ظهرت أزمة دولية مع تشكيل الدول البحرية تحالفا (مؤتمر مستخدمي قناة السويس) لمحاولة الضغط، دونما نجاح، على القائد المصري للرجوع عن سلوكه المتحدى. هذا التطور الخارجى كان بمثابة البشير للقيادة العليا الإسرائيلية؛ إذ ذهب المؤرخ "بيني موريس" إلى القول بأنها كانت قد رسمت طريقها من أجل الحرب، "مدفوعة بالمضايقات المستمرة من قبل المتسللين، والرأى العام المستثار، والضباط المائلين للقتال، واحتمالية التهديد المصري (مع العالم العربى) بجولة ثانية، وضغط فرنسا"^(٢٥)، وخلال لقاء سرى رفيع المستوى فى

"سيفر" خارج باريس في ٢٢-٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ انضمت بريطانيا إلى إسرائيل وفرنسا في مؤامرة ثلاثية لاستعادة قناة السويس وإسقاط "ناصر"^(٣٦).

في التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٥٦، جرى إنزال قوات مظلات إسرائيلية في ممر "ملا" في عمق جزيرة سيناء المصرية على مسافة تسمح بضرب قناة السويس، ما وفر الجزء الأول من الذريعة المعدة سلفاً للتدخل البريطاني - الفرنسي، فتحت غطاء حماية قناة السويس من المتحاربين تدخلت بريطانيا وفرنسا عسكرياً؛ حيث تم تدمير كل القوات الجوية المصرية تقريباً، وإنزال قوات المظلات في بورسعيد، ولكن بسرعة فإن القوات الغازية كان عليها وقف الغزو لمنطقة قناة السويس إثر قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار^(٣٧).

وخلال ذلك الوقت، كان التحالف الثلاثي قد صار سرّاً مذاعاً، وتلقفه الاتحاد السوفيتي ليطلق رئيس وزرائه تهديدات شديدة في خطابات إلى قادة الأمريكان والفرنسيين والبريطانيين والإسرائيليين، وعمت مشاعر الغضب ضد الاستعمار في مصر والشرق الأوسط ودول العالم النامي؛ ما وجه ضربة لجهود إسرائيل الساعية للحصول على ترحيب الدول غير المنحازة التي صار معظمها يوضع إسرائيل ضمن سلة الدول والقوى الاستعمارية. وقد سببت حرب سيناء/السويس فتوراً في التحالف البريطاني-الفرنسي-الأمريكي؛ حيث فوجئت إدارة "أيزنهاور" وشعرت بالخيانة جراء هذا السلوك العدواني لحلفائها عبر الأطلنطي.

انتهت المواجهات العسكرية بين القوات المصرية والإسرائيلية في سيناء في الخامس من نوفمبر بعد موافقة الطرفين على وقف إطلاق النار الذي تم التوصل إليه بوساطة الأمم المتحدة، وبعد سبعة أيام من القتال تبين قتل عدة آلاف من المصريين و ٥٠٠ فلسطيني (معظمهم مدنيون في قطاع غزة) و ١٩٠ إسرائيليًا

وجرح ٨٠٠ عسكري إسرائيلي، وأسرت إسرائيل ٤٠٠٠ مصري^(٢٨). وأسفرت الجهود الدبلوماسية النشطة التي قام بها أمين عام الأمم المتحدة "داج همرشيلد" وزير خارجية كندا "ليستر بيرسون" عن قيام الأمم المتحدة بإرسال قوات حفظ السلام لتأخذ مواقعها على الحدود المصرية- الإسرائيلية، وبعد ضغوط قوية من الولايات المتحدة والمنظمة الدولية انسحبت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي أوائل مارس ١٩٥٧ وسلمت قوات حفظ السلام آخر مواقعها في قطاع غزة وشرم الشيخ، وبعد محاولات للحصول على ضمانات قوية لم تجد إسرائيل أمامها خياراً سوى الثقة في قدرات قوات حفظ السلام لمراقبة تسلات الفدائيين لإسرائيل من غزة، ولمراقبة خطوط الملاحة في مضائق "تيران" والاعتماد على وعود الولايات المتحدة في مساعدة إسرائيل لضمان حرية الملاحة.

من الحرب إلى الحرب (٢) .. ١٩٥٧-١٩٦٧:

تمشياً مع النمط المعتاد، فإن كل حلقة من الحروب العربية- الإسرائيلية منذ ١٩٤٨-١٩٤٩ خلفت وراءها مجموعة من التبعات والعمل غير المكتمل، مما حمل معه بذوراً للحرب المقبلة^(٢٩)، فبعض القضايا لم تجر تسويتها من خلال الحرب، وغيرها كانت موضعاً للأخذ والرد والاختلاف أو سببت مضايقات إثر حالة الحرب.

وطوال فترة السنوات الثماني التي أعقبت حرب السويس ١٩٥٦؛ تضاعلت التسلات عبر الحدود، ما حقق على المدى القصير أحد الأهداف الرئيسية منها، وخلال الفترة بعد ١٩٥٦ عكفت إسرائيل على تنمية وتوسيع نطاق علاقاتها مع الدول النامية في إفريقيا وآسيا؛ فضلاً عن تعميق علاقاتها مع تركيا وإيران وإثيوبيا، ولكن لم يتم إلا أقل القليل على صعيد الوفاق والسلام بين الدول العربية

وإسرائيل، وكما لاحظ المؤرخ "بيني موريس" فإن العكس هو الذى حدث؛ "حيث إن المحصلة السياسية لحرب ١٩٥٦ كانت هى أن الصراع قد صار أكثر راديكالية"^(٤٠).

على الرغم من المهانة التى عانى منها على يد القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية، حظى "ناصر" بالترحيب فى مصر والعالم العربى باعتباره سجل نصرًا معنويًا وسياسيًا على إسرائيل والإمبريالية^(٤١)، وتمخض ذلك عن ارتفاع شعبيته فى العالم العربى؛ حيث ظهر بمظهر من أعاد الفخر للعرب؛ ما كان دافعًا وسببًا لدوره الجديد باعتباره بطلاً فى مواجهة الاستعمار^(٤٢)؛ وتسبب فى حدوث انقلابات عسكرية وتغييرات ثورية فى عدد من الدول العربية.. فيما أن النظم فى لبنان والأردن الموالية للغرب التى وجدت نفسها مهددة؛ طلبت التدخل العسكرى الأمريكى والبريطانى عام ١٩٥٨، وقامت العناصر الناصرية فى سوريا والعراق والأردن بحشد الحماس الشعبى من أجل الوحدة العربية وحدثت عدة محاولات قصيرة الأمد للتوحيد والكونفدرالية. وعلى الرغم من تعاون "ناصر" مع الأمم المتحدة لوقف استئناف تسلل الفدائيين من غزة لأراضى إسرائيل؛ فإن حماسه من أجل هزيمة إسرائيل فى "جولة الثالثة" من الحرب بدأت تتم وبقوة خاصة مع شعوره بأنه قد تولى مهمة المنقذ العربى، وقد استندت ثقته الجديدة، جزئيًا، إلى مساعدة السوفييت فى إعادة بناء وتسليح وتدريب قواته المسلحة بجانب تزويده بالمساعدة الاقتصادية بما فى ذلك المشروع الكبير لسد أسوان من أجل دعم التصنيع فى مصر.

على الحدود بين سوريا وإسرائيل؛ استمرت المناوشات وفقًا لنمط قبل ١٩٥٦ بل وزادت فى وتيرتها وخطورتها، يضاف إلى ذلك أن النزاعات التى لم

تتم تسويتها واحتكاكات صغيرة حول الحقوق على بحر الجليل واستخدام المناطق منزوعة السلاح على طول الحدود؛ انفجرت بشكل دوري وبشكل عنيف تضمن تبادلاً لنيران المدفعية وقذائف الهاون. وكان من شأن القرار الإسرائيلي الخاص بالبداية في مشروعها القومي لنقل المياه، خاصة تحويل المياه من بحر الجليل (المعروف ببحيرة كينيريت أو بحيرة طبريا) عبر وسط إسرائيل لرى المزارع في صحراء النقب، أن يفجر معارضة الجامعة العربية وأن يكون سبباً لـ "حرب صغيرة على المياه" بين إسرائيل وسوريا ولبنان؛ حيث شرعت سوريا في الإعداد لخطط لتحويل مجرى نهر الأردن إلى نهري الحصيانى وبنياس، وبدأت التهديدات بالعنف تلوح في الأفق، فيما أعلن كلا الطرفين أن مشروعات المياه المقترحة من جانب الطرف الآخر ستعتبر "تهديداً للسلام"^(٤٣).

وقد استعاد النشاط الفلسطيني بروزه خلال هذه الفترة بعد غياب دام عقداً من الزمان؛ حيث وجد طريقه إلى أجندة السياسات العربية، فقدم كل نظام سياسى عربى غالباً التأييد الشفوى وبعض التأييد المادى للقضية الفلسطينية كقضية وحدة عربية، بهدف حماية مصالحه وحرية في الحركة، ومثل إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة في يناير ١٩٦٤ في القمة العربية خطوة مهمة من أجل عودة الفلسطينيين إلى دور أكثر أهمية إن لم يكن دوراً مركزياً فى الشؤون الإقليمية. وعقد المجلس الوطنى الفلسطينى (البرلمان) لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعه الأول فى القدس فى مايو ١٩٦٤؛ حيث تبنى ميثاقاً وطنياً يدعو إلى إزالة إسرائيل واستعادة فلسطين للفلسطينيين^(٤٤)، وفى الأول من يناير ١٩٦٥ نفذت حركة "فتح" -وهى أكبر مجموعة داخل منظمة التحرير- أول غارة ضمن سلسلة غارات عبر الحدود لتخريب خط نقل المياه للمشروع الإسرائيلى الذى جرى افتتاحه مؤخراً. وعلى مدار السنتين ونصف السنة التاليتين؛ فإن "فتح" وغيرها من

التنظيمات قامت بـ ١٢٢ غارة داخل إسرائيل، ولعدم وجود مكان للولوج إليها من مصر، فقد صارت تعمل أساساً من قواعد في لبنان والأردن وسوريا^(٤٥).

في أعقاب مقتل ثلاثة من المظليين الإسرائيليين بلغم قرب الحدود مع الأردن في نوفمبر ١٩٦٦، قامت القوات الإسرائيلية بغارة انتقامية على قرية "السموع"، وهو العمل الذي كان له أثره في إشاعة عدم الاستقرار في المملكة الأردنية الهاشمية التي ضمت الكثير من السكان الفلسطينيين، وأسهم في تصاعد الدعوات بين العرب للقيام بشيء ضد إسرائيل^(٤٦)، وإلى جانب هذه الأحداث المحلية التي أضافت إلى مشاعر عدم الأمن لدى إسرائيل وأدت إلى تدخلات عبر الحدود، جاءت عوامل إقليمية ودولية لتساهم معاً في اندلاع الحرب العربية-الإسرائيلية الثالثة، فقد بدأ سباق تسلح يتطور بين الدول الموالية لروسيا -مصر وسوريا- من جانب، وإسرائيل- باعتبارها بشكل عام وكيلاً لفرنسا، وإن تحولت لتصبح وكيلاً موالياً لأمريكا- من جانب آخر، وفي السياق العربي المتصل بإظهار الدعم للقضية الفلسطينية، وجدت مصر نفسها موضعاً للسخرية؛ حيث تتخفى وراء قوات حفظ السلام الدولي فيما يقوم النظام المنافس في سوريا بأخذ موقع ثوري نضالي. وأسفر القصف السوري للمستوطنات شمال إسرائيل وللمدن انطلاقاً من نقاط حصينة في أعلى مرتفعات الجولان عن قيام إسرائيل بأعمال رد انتقامية وضربات جوية. ودارت معارك جوية في أوائل أبريل ١٩٦٧ أسقط خلالها الطيارون الإسرائيليون ست طائرات سورية ميج ٢١ بما فيها اثنتان فوق دمشق^(٤٧).

تصاعدت حدة التوتر والتهديد والوعيد، وعلى الرغم من أن العسكرية الإسرائيلية كانت واثقة من تفوقها؛ فقد ساد شعور بقلق الرأي العام، وكما ذكر "أبا إيبان": "فإن الكثيرين اعتراهم الخوف من أن مذبحة كبرى على وشك الحدوث،

وفى أماكن كثيرة فى إسرائيل تردد الحديث عن معسكرات أوشويتز وميدانك^(٤٨). وخلال مايو ١٩٦٧؛ قامت إسرائيل ومصر وسوريا بتعبئة ونشرت قواتها، وبدأت بوادر الحرب تلوح فى الأفق فى انتظار قيام طرف بإطلاق الرصاصة الأولى. وجاءت تقارير الاستخبارات السوفيتية التى تم نقلها إلى كل من مصر وسوريا؛ مشيرة إلى قيام إسرائيل بحشد قواتها على الحدود السورية بهدف غزوها وإسقاط حكام البعث الراديكاليين فى دمشق. وفى الحقيقة فإن هذا الحشد لم يتم. وفى محاولة من جانب مصر لتهديد إسرائيل من الجبهة الجنوبية لتخفيف الضغط على سوريا؛ حرك "ناصر" قواته إلى داخل سيناء، ثم جاء طلبه اللاحق لسحب مراقبى الأمم المتحدة من الحدود مع إسرائيل والاستجابة والتنفيذ السريع من جانب سكرتير عام الأمم المتحدة "يوتانت" ليثير الدهشة والمفاجأة لكثير من المراقبين، وحتى للرئيس المصرى نفسه.

اعتبرت إسرائيل قيام "ناصر" بإغلاق مضائق "تيران" أمام السفن الإسرائيلية بمثابة إعلان لحالة الحرب، وأسهم الخطاب الصادر عن العواصم العربية المشير إلى القتال والانتقام فى تضخيم الشعور بالحصار والتشاؤم بين الإسرائيليين، فى وقت عجز فيه رئيس وزرائهم ووزير الدفاع "ليفى أشكول" الذى افتقد إلى الشخصية الكاريزمية عن تهدئة رأى العام. كما فشلت المساعي الأخيرة والجهود الدولية لمنع اندلاع الحرب سواء على المستوى السياسى أو العسكرى من خلال إرسال أسطول صغير متعدد القوميات إلى ميناء "إيلات" الإسرائيلى^(٤٩).

فى هجوم مفاجئ صباح ٥ يونيو ١٩٦٧؛ ضربت الطائرات الإسرائيلية القواعد الجوية المصرية؛ حيث دمرت معظم الطائرات على الأرض، فيما تقدمت قوات جيش الدفاع صوب غزة وشبه جزيرة سيناء. وفى ضوء التزامها باتفاقية

دفاع مشترك تم توقيعها مؤخراً مع مصر، ووضع قواتها المسلحة (على الأقل على الورق) تحت القيادة العسكرية المصرية، فتحت الأردن النار على المواقع الإسرائيلية في القدس وحولها؛ ما حفز الإسرائيليين على توسيع قتالهم على جبهتين. وبسرعة الضوء دمر الإسرائيليون المتبقى من القوات الجوية في سوريا والأردن وحققوا نصراً بعد نصر ضد القوات البرية المصرية والأردنية. وفي التاسع من يونيو تلقت القوات الإسرائيلية الأوامر بالبداية في هجوم كثيف للسيطرة على مرتفعات الجولان، وبعد ستة أيام من القتال كانت الخسائر الإسرائيلية نحو ٧٨٠ قتيلًا و ٢٥٠٠ جريح، وخسرت مصر ما بين ١٠ آلاف إلى ١٥ ألف قتيل و ٥ آلاف أسير، وخسرت الأردن ٨٠٠ قتيل وأكثر من ٦٠٠ أسير وخسرت سوريا ٥٠٠ قتيل و ٢٥٠٠ جريح وما يقارب ٦٠٠ أسير^(٥٠).

ما زال المؤرخون للحروب العربية- الإسرائيلية يناقشون عدة أسئلة متصلة بحرب ١٩٦٧ أحدها: هل أعطى الأمريكان ضوءاً أخضر (أو ضوءاً أصفر) لقوات الدفاع الإسرائيلية بمهاجمة مصر خلال المحادثات رفيعة المستوى بين ممثلي إسرائيل وإدارة جونسون أو آخر مايو؟ كما طرح سؤال آخر: هل (ولماذا) قدم السوفييت، وهم يعلمون ذلك، معلومات خاطئة للسوريين والمصريين، مساهمين، بذلك أو بدونه، في زيادة العداء من جانب الدول العربية التي انتهت باستفزاز إسرائيل للقيام بالضربة الوقائية^(٥١).

وأكثر أهمية من هذا؛ هو بعض آثار ونتائج الانتصار الإسرائيلي، الذي غير من التوازن الجيو بوليتيكي وخريطة الشرق الأوسط، فقد أسفر احتلال إسرائيل لشبه جزيرة سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان عن إضافة ٤٣٠ ألف كيلو متر مربع لإقليم إسرائيل، هي منطقة أكبر من إسرائيل ذاتها ثلاث

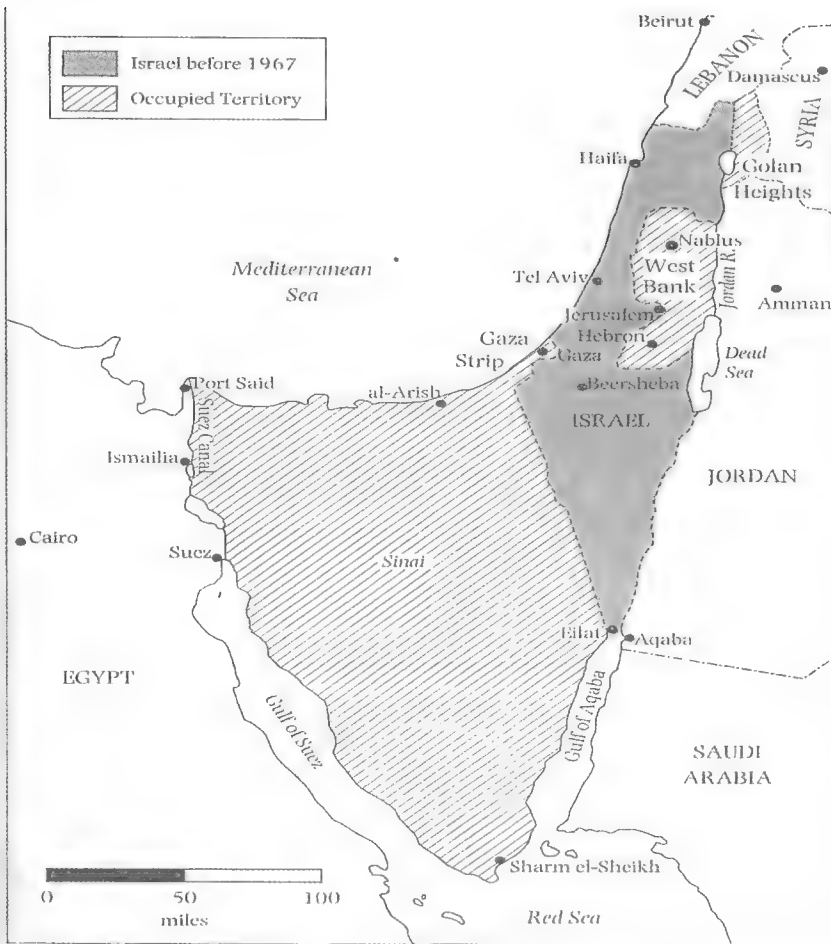
مرات ونصف المرة، كما غيرت الحرب شكل الصراع في عدة نواح؛ حيث أزلت الخريطة الجديدة وصاية مصر والأردن على الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية، وأعدت توحيد كل مكونات فلسطين تحت الانتداب تحت سيطرة إسرائيل.

وبعد أسابيع من الحرب والغموض والخوف؛ فإن الرأي العام الإسرائيلي ذاق طعم النصر وحلاوته. وبالنسبة للبعض؛ فإن النصر الإسرائيلي الحاسم كان "هو المحرقة التي لم تتم وتحدث أساساً لأنه في هذا الوقت فإن الإسرائيلي اليهودي القوى اختار ألا يتصرف بسلبية مثل أولاد أعمامه في المنفى"^(٥٢)، وتعجب بعض بتفاؤل: هل جاءت الفرصة لخطّة تقسيم جديدة للمشاركة أو لإعادة تقسيم الأرض المتنازع عليها بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟ وهذا الفتح الجديد أو الباب ثبت أنه وهمي وسريع الزوال^(٥٣).

وبعد أسابيع من التشاؤم الكارثة، تذوق الرأي العام الإسرائيلي طعم النصر، ورأى الكثير من اليهود المتدينين في النصر معجزة والاستيلاء على الأماكن المقدسة داخل أسوار القدس القديمة؛ علامة على التدخل والموافقة الإلهية على تحرير أرض إسرائيل داخل كل حدودها التوراتية، وكما لاحظ المؤرخ الإسرائيلي "بيلي موريس": "سرت رياح مسيحية توسعية في البلاد، وحتى الأفراد العلمانيين جرفتهم هذه الموجة"^(٥٤). وبعد مرور عدة سنوات تم إنشاء "جوش أمونيم" (كتلة المؤمنين)، وهي حركة أصولية كرست نفسها لإعادة توطين اليهود في جميع الأراضي التي جرى الحصول عليها، والتي اعتبرتها "أرض إسرائيل الكاملة" أو "إسرائيل الكبرى".

وبالنسبة لأولئك في العالم العربي، وغيرهم ممن اعتبروا إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨ نتاجاً غير شرعي للغزو العنيف والتطهير العرقي، مثل نصر الإسرائيليين

وبروز إسرائيل الكبرى الموسعة وفقاً لخريطة ١٩٦٧ الجديدة دليلاً على العدوانية والتوسعية الصهيونية المتأصلة، فعدد يتراوح بين ٢٠٠ ألف و ٢٥٠ ألف فلسطيني، تقريباً ربع سكان الضفة الغربية، جرى تشريد بعضهم خلال الحرب والأغلبية من خلال الطرد، فيما بعدها، وصار كثير منهم لاجئين للمرة الثانية منذ عام ١٩٤٨^(٥٥)، أما هؤلاء الذين بقوا في منازلهم فقد أصبحوا تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي العسكري الذي ثبت أنه أكثر من مؤقت، واستمر المأزق مجدداً بين المتحاربين في الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل.



Map 7.1 Israel and Occupied Territories, 1967

خريطة ٧، ١: إسرائيل والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧.

إسرائيل قبل ١٩٦٧. ■

الأراضي المحتلة. ▨

خلق غزو إسرائيل لسيناء المصرية والضفة الغربية للأردن ومرتفعات الجولان السورية مواقف ثنائية للمساومة المحتملة، ما روج لصيغة "الأرض مقابل السلام"، وأدى ذلك لرفعها لمرتبة المبدأ المقدس باعتباره النقطة المطلوبة لبداية البحث عن وسائل إنهاء الصراع العربي-الإسرائيلي، كذلك فإن النزاع في شكله المعدل أظهر إسرائيل باعتبارها القوة العظمى الإقليمية التي تنتظر، واثقة من نفسها، اتصالاً هائلياً من "ناصر" بالقاهرة و"حسين" بعمان و/أو "صلاح جديد" بدمشق، يطلبون نصوص السلام. وعلى الصعيد الدولي، فإن مصر وسوريا (مدعومتين من الاتحاد السوفيتي)، وإسرائيل (تدعمها أمريكا) سعت كل على حدة لدفع الأمم المتحدة للضغط على الطرف الآخر.

بعد شهر من المناقشات العامة والمفاوضات في الغرف المغلقة بالأمم المتحدة، تبنى مجلس الأمن في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ القرار رقم (٢٤٢) استناداً إلى توافق بين من صاغوه على ما اعتبره سيساعد في بعض التحركات تجاه السلام، وهذا القرار المبني على فكرة "الأرض مقابل السلام" سيصبح مرشداً أساسياً لجميع الجهود المستقبلية لتسوية الصراع. وفي الشهور والسنوات التالية بعد نوفمبر ١٩٦٧، بذل مسئولو الأمم المتحدة والحكومة الأمريكية والاتحاد السوفيتي جهوداً دبلوماسية لجعل كل الأطراف يعلن موافقته على القرار وتوصياته^(٥٦).

من الحرب إلى الحرب (٣) .. ١٩٦٧-١٩٧٣:

غالباً ما تتم الإشارة للقرار (٢٤٢) الصادر عن مجلس الأمن باعتباره رائعة الغموض الدبلوماسية؛ فقد دعا إلى "انسحاب قوات إسرائيل المسلحة من أراض

احتلت في الصراع الأخير" لكنه، كما يدفع بعض، ليس "انسحاب إسرائيل من كل الأراضي التي احتلت في الصراع الأخير"، وهذا الحذف لأداة التعريف "كل" منح الإسرائيليين إمكانات ضخمة للمساومة؛ حيث لا يرون أنفسهم مضطرين للانسحاب من كل بوصة من الأراضي التي استولوا عليها خلال الحرب. وفي المقابل، تركز التفسيرات العربية على تأكيد القرار القوي على مبدأ عدم قبول الاستيلاء على الأراضي من خلال الحرب، وفي ضوء اعتبارهم أنه لا نقاش حول أن إسرائيل هي المعتدي في يونيو ١٩٦٧، ذهبوا إلى أن انسحابها من "كل" الأراضي المحتلة يجب أن يكون غير مشروط، ولا صلة له بدبلوماسية المبادلة، ولم يوجد أي زعيم عربي، خاصة بعد مهانتهم في ميادين القتال، كان على استعداد لرفع الهاتف لدعوة نل أبيب إلى بدء محادثات للسلام، وحمل كل ذلك مؤشرات على المزيد من سنوات المقاطعة وعدم الاعتراف والجمود الدبلوماسي وربما الحروب في المستقبل.

وقد أكد القرار (٢٤٢) كذلك على ضرورة تناول ثلاث نقاط حساسة وقديمة الأزل وهي: أ) حرية المرور (بما يدعم شكاوى إسرائيل منذ ١٩٤٩ من رفض مصر منح سفنها حق المرور في قناة السويس).

ب) تحقيق تسوية عادلة لقضية اللاجئين.

ج) ضمان "السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة. مدعوماً بهذا القرار، قبول الدبلوماسية السويدية "جونار يارنج" تولى مهمة الممثل الخاص للأمم المتحدة محاولاً تحريك المتحاربين السابقين إلى طريق السلام، وفي ضوء الموقف المتشدد للدول العربية المعارض لمنح أي شيء قبل إلزام إسرائيل نفسها بالانسحاب التام من الأراضي المحتلة في حرب يونيو ١٩٦٧^(٥٧)، بات "جونار

يارينج" غير قادر على دفع الأطراف للجلوس وجهاً لوجه، وأخذت مهمته شكل التنقل بين العواصم في الشرق الأوسط، وأخفقت في النهاية تمامًا، كما كانت الحال بالنسبة لوزير الخارجية الأمريكي "وليام روجرز"^(٥٨).

وقد وجدت مصر وإسرائيل نفسيهما ابتداء من ديسمبر ١٩٦٨ في تبادل متصاعد لنيران المدفعية بطول قناة السويس، وشنت الطائرات الإسرائيلية الكثير من الغارات الجوية أحياناً في عمق الإقليم المصري؛ مما حدا بمصر لنشر بطاريات صواريخ سوفيتية على طول قناة السويس والاستعانة بطيارين سوفيت لدعم الدفاع الجوي المصري، وبين مارس ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ أبقى هذا النوع، ذي المستوى المنخفض، من حرب الاستنزاف على حالة الغليان في وقت جرى فيه الكثير من مفاوضات لوقف إطلاق النار، الذي سرعان ما تم خرقه، وفي النهاية فإن هذه "الحرب الصغيرة" أسفرت عن فقد آلاف الأرواح من المصريين (عسكريين ومدنيين) و٣٦٧ عسكرياً إسرائيلياً، وأثبتت عدم رضاء العرب عن الوضع الراهن، كما أبقت على حدة التوتر عالية ليس فقط بين المتحاربين على الأرض ولكن أيضاً بين مسانديهم من الكبار (السوفييت والأمريكان)^(٥٩)، كذلك أدت إلى تموضع مصر وإسرائيل لحرب كبرى أخرى حتى تتضح الشروط اللازمة لاتفاقات سلام خلال العقد التالي.

وقد خلق عدم تسوية معضلة الجمود الدبلوماسي بعد ١٩٦٧ والغموض القانوني حول وضع الأراضي التي احتلتها إسرائيل؛ تربة خصبة لتطوير المقولة العاشرة من المقولات الجوهرية الأساسية التي صارت جزءاً من الصراع العربي - الإسرائيلي حتى اليوم وهي: هل الأراضي التي غزتها إسرائيل في الضفة

الغربية للأردن تعتبر "أرضاً محتلة"، وهل لإسرائيل الحق فى بناء مستعمرات يهودية فيها؟

بالنسبة للصهاينة المتدينين كانت الإجابة واضحة: الأراضى موضع التساؤل هى بالنسبة لهم جزء لا يتجزأ من "إيريتز إسرائيل" أو أرض إسرائيل الموعودة فى التوراة، ووجود سكان غير يهود فيها لقرون أو آلاف السنين يعتبر بمثابة "احتلال مؤقت"، صححته دولة إسرائيل "بتحرير" هذه الأراضى وإعادتها لملاكها الحقيقيين اليهود، وقد بدأت "جوش إيمونيم" وغيرها من تنظيمات المستوطنين؛ الاستيطان فى تنفيذ "عودتهم إلى صهيون" بالتحرك نحو هذه الأراضى والضغط من أجل الحصول على الدعم الحكومى النشط لما اعتبروه عملاً مقدساً أمر به الرب، وادعت هذه المجموعات أنها تمثل استمرارية للعمل الريادى الصهيونى الذى بدأ بالهجرة الأولى والثانية ولكن توقف فجأة وبشكل مصطنع عند حدود ١٩٤٩؛ هذا الموقف الأيديولوجى صادم القبول من بعض وانتقده بعض آخر^(٦٠)، فالحكومات الإسرائيلية لها منطقها العلمانى فى السماح وتشجيع المشروع الاستيطانى، أساساً بالضغط على الأردن للتحرك بشكل أسرع نحو النظر فى مبادلة الأرض بالسلام^(٦١).

والناطقون الرسميون باسم العرب الفلسطينيين وغيرهم؛ يتحدثون النشاط الاستيطانى الإسرائيلى من خلال الدفع باتفاقية جنيف الرابعة التى تنص مادتها ٤٩ على: "أن قوات الاحتلال لا يمكنها ترحيل أو نقل أى جزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى احتلتها"، ومعظم دول العالم تؤيد هذه القراءة الواضحة للموقف وللاتفاقية الدولية وتقبل بأن الأرض موضع التساؤل "محتلة" من قبل إسرائيل نتيجة حرب ١٩٦٧ ويلزم التعامل معها طبقاً لذلك^(٦٢). لكن التفسير الرسمى الإسرائيلى

استند إلى فهم مختلف للوضع القانوني للضفة الغربية باعتبارها أرضاً "متنازعا" عليها" وليست "محتلة"، وينبع السبب وراء ذلك الموقف من وضع الأراضي الذي تطور منذ انتهاء الانتداب البريطاني، مع النظر لإسرائيل باعتبارها الدولة الوحيدة التي تراث السيادة على "معظم" هذه الأراضي في عام ١٩٤٩؛ كذلك فإن سلطة السيادة على الضفة الغربية وغزة أقل وضوحاً من وجهة النظر القانونية بسبب:

(أ) إن ضم الأردن للضفة الغربية عام ١٩٥٠؛ لم يتم الاعتراف به دولياً إلا من جانب دولتين هما بريطانيا وباكستان.

(ب) إن مصر لم تدع أو تمارس السيادة على قطاع غزة؛ لكنها اختارت فقط إدارة المنطقة^(٦٣).

استناداً إلى هذا التفسير، سمحت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بالاستحواذ على هذه الأراضي وبناء مستوطنات جديدة عليها مبدئياً على أساس اعتباراتها الداخلية الاقتصادية والسياسية، وغالباً لضرورات أمنية موضع مناقشة. وبشكل نسبي تم إعطاء اهتمام محدود بأثر توسع المستوطنات في السكان المحليين الفلسطينيين والدول المجاورة أو حتى الرأي العام الدولي (أو الأمريكي). وفي البداية فإن "الحمائم" في القيادة الإسرائيلية لم يعترضوا على إنشاء مستوطنات جديدة ورعوا فيها كروتاً وأوراقاً للمساومة يمكنهم الضغط بها على العرب للموافقة على التفاوض، لكن مع استمرار الاحتلال وعدم وجود اتفاق في الأفق استمر نمو المستوطنات في الأراضي المحتلة بشكل سريع، حاملاً معه ليس فقط انتهاكات لحقوق الإنسان - انظر (الفصل ٩) - ولكن أيضاً بنية تحتية ضرورية تشير إلى صفة الاستمرارية أكثر من الوقيعية للاحتلال: شبكات طرق، خطوط كهرباء، مرافق للمياه، وأمن وحماية مناسبين.

فضلاً عن حالة عدم الوضوح والتوتر الدولي والإقليمي والمحلي، شهدت فترة ما بعد فترة ١٩٦٧، تغيير القيادات في إسرائيل؛ حيث خلفت "جولدا مائير" (من معسكر الصقور) "ليفى أشكول" (من الحمام)، وفي مصر، جاء "أنور السادات" (البرجماتي) بدلاً من "عبد الناصر" (الأيديولوجي الكاريزما)، وفي سوريا حل "حافظ الأسد" (الرجل العسكري القوي) محل "نور الدين الأتاسي" (البعثي الموظف)، كما وقع نوع من التغيير الداخلي عام ١٩٦٧ داخل منظمة التحرير حديثة الإنشاء؛ حيث انتخب قائد حركة "فتح" ياسر عرفات رئيساً ليضع نهاية عملية تلاعب مصر بالمنظمة، فهذا التغيير شهد تعاظم محورية واستقلالية الفلسطينيين كلاعب في العلاقات العربية، وتلك العربية-الإسرائيلية (وهو اتجاه سنناقشه في الفصل ٨).

كانت معركة "الكرامة" بالأردن، في مارس ١٩٦٨، حدثاً مهماً تمكن خلاله المقاتلون الفلسطينيون، بمساندة الجيش الأردني، من الصمود أمام وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي، الأمر الذي تمخض عن ثقة جديدة بالنفس أسهمت بدورها في إضفاء المزيد من راديكالية وعسكرة الصراع. وقد قاد الشعور الزائد بالثقة في النفس من قبل الفلسطينيين إلى وقوع أحداث "سبتمبر الأسود" عام ١٩٧٠، فقد ذهبت بعض المجموعات الراديكالية الفلسطينية بعيداً في تحدى سلطة النظام الأردني؛ ما استفز الجيش الملكي وأدى لمواجهات قتل خلالها ما بين ٣ آلاف و ٥ آلاف فلسطيني (من بينهم فقط ألف مقاتل). كما جرح وطُرد الكثيرون.. وفي الأعوام التالية وجدت فصائل منظمة التحرير نفسها مضطرة إلى تغيير مواقعها وممارسة عملياتها ضد إسرائيل من قواعد في لبنان^(١٤).

وقد عاش العرب فى مصر وسوريا والأردن وغيرها حالة من اليأس فى أعقاب الحرب؛ نتيجة لعدم القدرة على التمسك بأراضيهم فى مواجهة الإسرائيليين^(٦٤)، وعقب وفاة "عبد الناصر" عام ١٩٧٠ اتجه أنور السادات لإنهاء اعتماد بلاده على الاتحاد السوفيتى والتأسيس لعلاقة جديدة مع الأمريكان، إذ اعتقد أنهم ربما، من بين أشياء أخرى، يمارسون الضغط الدبلوماسى على إسرائيل لإعادة سيناء المحتلة إلى مصر. وبعد عدد من محاولات جس النبض التى لم تلق استجابة، عامى ١٩٧٠ و ١٩٧١ بدأ السادات والسوريون الاستعداد لكسر حالة الجمود من خلال الوسائل العسكرية، ونجحت قواتهما- فى البداية- فى شن هجوم مفاجئ فى يوم يهودى مقدس، "يوم كيبور" (صادف يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣) ضد خطوط إسرائيل على جبهة قناة السويس التى ضمت أعدادا قليلة من الجنود، وعلى مرتفعات الجولان، دافعين قوات جيش الدفاع الإسرائيلى إلى الوراء ومستعبدين بعض الأراضي التى احتلتها إسرائيل فى الحرب السابقة.

وكانت عمليات إعادة التزويد بالسلاح خلال الحرب من السوفييت والأمريكان حاسمة للأطراف الثلاثة المتحاربة، فيما العرب الآخرون استخدموا، لفترة، نفوذهم الاقتصادى الجديد لإعلان حظر بيع البترول عن الولايات المتحدة وغيرها من الدول حسب مساندتها لإسرائيل، وبعد مرور ثلاثة أسابيع من الحرب استعادت إسرائيل أرضها وتم التوصل إلى وقف إطلاق النار بتدخل أمريكا والاتحاد السوفيتى؛ حيث لم يرغب أى منهما فى أن يرى أيا من حلفائه فى المنطقة تجرى إهانته وهزيمته بطريقة حاسمة. وفيما يخص الخسائر المادية والبشرية الناجمة عن الحرب فقد كانت مرتفعة فى كلا الجانبين؛ حيث تم قتل أكثر من ٢٨٠٠ إسرائيلى، وجرح ما يناهز ٩ آلاف آخرين، بينما خسر العرب ٨٥٠٠ قتيل وأصيب ٢٠ ألف شخص^(٦٦).

تكللت جهود الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الدبلوماسية بصدور قرار مجلس الأمن (٣٣٨) الذي أكد القرار (٢٤٢)، لكنه دعا بالإضافة إلى ذلك إلى "مفاوضات... بين الأطراف تحت إشراف مناسب، بغية التوصل إلى سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط..

أدت الصدمة التي ولدها الإحساس بأنه تمت مباغتتهم إلى المزيد من البحث في الذات في إسرائيل، خاصة أن النجاح الأولي والمبكر لقوات مصر وسوريا ولد إحساساً متجدداً لديهم بالفخر والنصر، ما خلق بيئة نفسية جديدة للجهود الدبلوماسية بعد الحرب^(٦٧)، كذلك مثل الحظر البترولي مؤشراً على عامل جديد يدعم من التعاون العربي ويضفي على العرب موقفاً تفاوضياً أفضل، كما أن إعلان الولايات المتحدة حالة الاستنفار النووي شرق البحر المتوسط خلال القتال قد أرسل رسالة شديدة ليس فقط للاتحاد السوفيتي ولكن أيضاً للأطراف المحلية، وكان تحذيراً لجميع الأطراف المعنية من السماح للحرب الإقليمية بالتطور إلى وضعية أكثر شمولاً.

المواضع

- (١) من أجل نقد ذاتي فلسطيني أولى انظر موسى علمي (درس فلسطين) مجلة الشرق الأوسط ٣: ٤ (أكتوبر ١٩٤٩) ص: ٣٧٣-٤٠٥. وفيما يخص إعادة التقييم المهمة، وقد نشرت في بيروت عن طريق الأستاذ قنسطنطين زريق تحت اسم: معنى الكارثة، وقامت بترجمته بايلي ويندر، بيروت دار نشر Khayat's، ١٩٥٦ وشارل مالك الدبلوماسي اللبناني (الشرق الأدنى: البحث عن الحقيقة) في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عدد يناير ١٩٥٢، وأعيد طباعته في تحرير كتاب القومية العربية تقديم سلفيا حاييم دار نشر جامعة كاليفورنيا ١٩٦٢ ص: ١٨٩-٢٢٤، خاصة ص: ٢٠٠-٥.
- (٢) أفي شلايم *The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza* مجلة الدراسات الفلسطينية ٢٠: ١ (خريف ١٩٩٠) ص: ٣٧-٥٣. رشيد خالدي (القصاص الحديدي: قصة النضال الفلسطيني من أجل الدولة) بوسطن دار نشر بيكون ٢٠٠٦ ص: ١٣٥-٦.
- (٣) *Avy Plaskov, The Palestinian Refugees in Jordan* ١٩٤٨-١٩٥٧، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٨١. *Mary Wilson, King Abdullah* بريطانيا وإنشاء دولة الأردن، كامبريدج بريطانيا/ نيويورك دار نشر جامعة كامبريدج ١٩٨٧ ص: ١٨١-٤. *Joseph Nivo, King Abdullah and Palestine* طموح إقليمي، لندن نيويورك دار نشر ماكميلان (سلسلة سانت أنطونيو)، ١٩٩٦ ص: ١٦٦-٧١. عنان أب وعودة *Jordanians, Palestinians and the Hashemite Kingdom in the Middle East Peace Process* واشنطن معهد الولايات المتحدة للسلام، ١٩٩٩، ص: ٤٥.
- (٤) خالدي، القصاص الحديدي ص: ١٢٥-٦، ١٣٦.

(٥) مالكوم كير ، *The Arab Cold: Gamal Abdunnasser and his Rivals* ، ١٩٧٠-١٩٥٨ ، الطبعة الثالثة لندن/ نيويورك لحساب المعهد الملكي للشئون الدولية، دار نشر جامعة أوكسفورد ١٩٧١.

(٦) إيتامار راينوفيتش، *The Road not Taken* المفاوضات العربية- الإسرائيلية المبكرة، نيويورك/ دار نشر جامعة أوكسفورد ، ١٩٩١ ، ص: ٨٢.

(٧) روبرت ماكdonald، جامعة الدول العربية: دراسة فى ديناميكيات التنظيم الإقليمي، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٦٥ ص: ١١٨-٢٣. أهارون كوهين، إسرائيل والعالم العربي، نيويورك دار نشر *Funk and Wagnalls*، ١٩٧٠ ص: ٣٤٨-٩، ٤٨٤-٦. دان شيل: المقاطعة العربية لإسرائيل: العدوان الإقتصادي ورد الفعل العالمي، نيويورك دار نشر بريجر، ١٩٧٦. والتر هنرى نيلسون وتيرانس س.ف. بريتي، الحرب الاقتصادية ضد اليهود، نيويورك دار نشر راندوم هاوس، ١٩٧٧. سامى حدادى، المقاطعة العربية لإسرائيل: السلمية، الدفاعية والبناءة، أوتاوا مركز إعلام الجامعة العربية ١٩٧٧.

(٨) انظر رشيد خالدى، القفص الحديدي ص: ١٣٦-٨ ، ١٤١.

(٩) انظر ناتان بلوكوفيتش، الهدنة الطويلة: عملية الأمم المتحدة لحفظ السلام والصراع العربى-الإسرائيلى، ١٩٤٨-١٩٦٠ تقديم صامويل لويس. بولدر كو، سان فرانسيسكو/ أوكسفورد *Westview Press* ، ١٩٩٣ ص: ٤٠-٣.

(١٠) انظر: *Shabtai Rosenne* إتفاقات الهدنة الإسرائيلية مع الدول العربية: تفسير قانونى، تل أبيب دار نشر *Blumstein's* (من أجل جمعية القانون الدولى، الفرع الإسرائيلى) ١٩٥١ مقالات هنرى كاتان، ناتان فيمبيرج، وندوة القانونيين العرب التى أعيد إنتاجها فى كتاب *Moore* الصراع العربى- الإسرائيلى الجزء الأول ص: ٢٢١، ٢٤٦ ف، ٩٣٩.

(١١) من أجل تقييم ودراسة نظام الهدنة انظر *E.H. Hutchison, Violent Truth* مراقب عسكرى ينظر إلى الصراع العربى- الإسرائيلى، ١٩٥١-١٩٥٥، نيويورك: *Devin-Adair* ١٩٥٦. *E. L. M. Burns, Between Arab and Israeli* ، نيويورك: إيفان أوبولينسكى، ١٩٦٣. *Carl*

The Von Horn, Solidaring for Peace لندن دار نشر كاسيل، ١٩٦٦. إيرل برجر
Covenant and the Sword العلاقات العربية- الإسرائيلية، ١٩٤٨-٥٦، تورونت ودار نشر
 جامعة تورنت و(لندن: *Routledge and Kegan Paul*) ، ١٩٦٥. *N. Bar-Yaacov* ، مشاكل
 الهدنة السورية- الإسرائيلية: إشكالات التنفيذ ، ١٩٤٩-١٩٦٦ القدس دار نشر *Magness*
 (الجامعة العبرية ١٩٦٧). *Aryeh Shalev* نظام الهدنة السورية- الإسرائيلية، ١٩٤٩-١٩٥٥
 القس *Westview Press*: الجيروزايم بوست مركز جافى للدراسات الاستراتيجية، دراسة رقم
 ٢١، ١٩٩٣. بيلكوفيتش، الهدنة الطويلة. نيل كابلان *Futile Diplomacy*، المجلد الثالث:
 الأمم المتحدة، القوة الكبرى وصنع السلام فى الشرق الأوسط، ١٩٤٨-١٩٥٤، لندن دار
 نشر فرانك كاس ١٩٩٧ الجزء الثامن.

(١٢) حول دبلوماسية الأمم المتحدة غير الناجحة فى هذه الفترة انظر نيل كابلان *A Tailof Two*
Cities مؤتمرات روديس ولوازان، ١٩٤٩ مجلة الدراسات الفلسطينية رقم ٢١: ٣ (ربيع
 ١٩٩٢) ص: ٥-٣٤. كابلان، *Futile Diplomacy*، الثالث، الجزء الثالث- الجزء السابع
 والجزعين التاسع- العاشر.

(١٣) انظر: *David P. Forsythi* ، عملية الأمم المتحدة لحفظ السلام، لجنة التوفيق لفلسطين،
 بلتيمور ، *MD* / لندن دار نشر جامعة جون هوبكينز ١٩٧٢.

(١٤) <http://www.mfa.gov.il/MFA/Heb/General+info/about+us/foreignrelation.htm.fm.cf.a>
arons.klieman، إسرائيل والعالم بعد ٤٠ سنة، ولشنتن *Pergamon-Brassiy's* ، ١٩٩٠ ص: ٨
 وهو الذى أعطى ربما عددا غير صحيح لأربعة وخمسين دولة قدمت اعترافها فى
 مايو ١٩٤٩.

(١٥) انظر: كابلان *Futile Diplomacy* الثالث: ص: ٥٤-٥٠. جيلكوفيتش، الهدنة الطويلة ،
 ص. ٤٢. الذى *John Quigly, The Case for Palestine: An International Law Prespective*
 جرى تنقيحه فيما حرره *Durham* لندن دار نشر جامعة *Duke* ٢٠٠٥ ص: ٩٠-٣.

- الأرشيف الإسرائيلي وثائق حول السياسة الخارجية لإسرائيل، المجلد السادس ١٩٥١،
 تحرير يميما روزنتال (القدس: ١٩٩١) ، ص:٦٦ ف، ٢٠١.
- (١٦) خطة برنادوت، في *Futile Diplomacy* الثالث: ص: ٢٨-٣٣، ٢٧٩-٨٣ وانظر أيضا
 أميتسور إيلان، برنادوت في فلسطين: *-A Study in Contemporary Humanitarian Knight- Errantry* ،
 نيويورك دار نشر سان مارتن ، ١٩٨٩ ص: ١٧٧-٩١، ٢٤٢-٧.
- (١٧) انظر خطاب شاريت في نادي الصحافة القومي، واشنطن ٢١ نوفمبر ١٩٥٥ والذي اقتبسه
 كابلان في كتاب *Futile Diplomacy* الثالث ص: ٥٥.
- (١٨) قرار مجلس الأمن رقم ٩٥ في أول سبتمبر في ١٩٥١ الذي أعيد إنتاجه في تاريخ وثائق
 الصراع في الشرق الأوسط *The Israel-Arab Reader* الجزء السابع. والتر لاكير وباري
 روبين نيويورك دار نشر بينجوين ٢٠٠٨- ص: ٨٨-٩ (الذي أشار إليه بالخطأ أنه القرار
 ٦١٩). وبالنسبة لرد الفعل المصري انظر مايكل أورين، *-Origins of the Second Arab- Israel War*
 مصر وإسرائيل والقوى الكبرى: ١٩٥٢-٥٦ لندن دار نشر فرانك كاس،
 ١٩٩٢ ص: ٣٩-٤٢. كابلان *Futile Diplomacy* الثالث ص: ٥٤.
- (١٩) حول مهمة جون ستون انظر سمير صليبة، *The Jordan River Dispute, The Hague: Martinus Nijhoff* ١٩٦٨ ص: ٨٩-١٠٧. مايكل بريشر
Decisions in Israel's Foreign Policy، دار نشر جامعة يال ١٩٧٥ ص: ١٩٢-٧. ماريام لوى *Water and Power*: سياسة
 الموارد النادرة في حوض نهر الأردن، نيويورك دار نشر جامعة كامبريدج، ١٩٩٣ ص:
 ٨٦-٩١. أرنون صوفير، أنهار النار: الصراع حول المياه في الشرق الأوسط، ترجمة
 موراي روسوفيسكي ونينا كوباكين، دار نشر لانهام، *MD:Rowman and Little Field*
 ١٩٩٩ ص: ١٥٨-٦١.
- (٢٠) بيني موريس، حروب الحدود الإسرائيلية، ١٩٤٩-١٩٥٦: الاختراق العربي، الانتقام
 الإسرائيلي والعد التنازلي إلى حرب السويس، أوكسفورد دار نشر كلاريندون، ١٩٩٣
 الفصلان ٤-٥.

(٢١) المرجع السابق ص: ٩٧-٩٠.

(٢٢) القتال في قلقيلية أدى إلى مقتل ٧٠ عربياً و ١٧ إسرائيلياً ووصفه بار أون باعتباره أكبر

معركة دموية منذ انتهاء حرب ١٩٤٨. ومن أجل تفاصيل القتال وما تلاه سياسياً وعسكرياً

انظر موردخاي بار أون، أبواب غزة: طريق إسرائيل إلى السويس وبالعكس، ١٩٥٥-

١٩٥٧ ترجمة روث روسينج نيويورك دار نشر سان مارتن ١٩٩٤ ص: ٢١٣-١٨. موشيه

دايان *Diary of the Sinai Campaign*، نيويورك دار نشر هاربر ورو، ١٩٦٦ ص: ٥٢-٧.

موريس، حروب الحدود الإسرائيلية ص: ٣٩٧-٤٠٢.

(٢٣) *Morris*، حروب الحدود الإسرائيلية، الفصل ٨. كابلان *Futile Diplomacy* الثالث:

ص: ٢٢٠-٩ (غارة قبية عام ١٩٥٣ زيارة جديدة: مقتطفات من مذكرات موسى شاريت)

وثيقة خاصة قدم لها وليد خالدى واقتبس منها نيل كابلان، مجلة الدراسات الفلسطينية عدد

٣١: ٤ (صيف ٢٠٠٢) ص: ٧٧-٩٨.

(٢٤) من إيبان إلى شاريت، ٢٦ نوفمبر ١٩٥٣، أرشيف الدولة الإسرائيلية، وثنائق عن سياسة

إسرائيل الخارجية، المجلد ٨ (١٩٥٣) تحرير يميما روزنثال القدس: ١٩٩٥ ص: ٩٠٦-٧

(*doc.539*). *CF*. أبا إيبان السيرة الذاتية، نيويورك دار نشر راندوم هاوس، ١٩٧٧ ص: ١٧٣.

إيبان، شهادة شخصية، إسرائيل من خلال أعينى، نيويورك دار نشر *Putnam's Sons*،

١٩٩٢، ص: ٢٣٦. جدعون رافائيل *Destination Peace* ثلاثة عقود من سياسة إسرائيل

الخارجية: مذكرات شخصية، نيويورك دار نشر *Stein and Day*، ١٩٨١ ص: ٣٤. كابلان،

Futile Diplomacy الثالث ص: ٢٢٢-٤.

(٢٥) *ISA* مضابط مجلس الوزراء ١٩ أكتوبر ١٩٥٣ المعاد طبعتها في صحيفة دافار ٢٠ أكتوبر

١٩٥٣ ترجمة إلى الإنجليزية في كتاب ليفيا روكاتش، إرهاب إسرائيل المقدس: دراسة على

أساس المذكرات الشخصية لموسى شاريت ووثائق أخرى، *Belmont* جمعية خريجي

الجامعات الأمريكية العرب عام ١٩٨٠، ٦١ ف. كابلان *Futile Diplomacy* الثالث

ص: ٢٢٤. موريس، حروب الحدود الإسرائيلية ص: ٢٥٢-٨.

- (٢٦) انظر كابلان *Futile Diplomacy* الثالث ص: ٢٢٤ والمصادر مقتبسة هناك.
- (٢٧) نيل كابلان (الخيار الشاريتي، زيارة ثانية) وذلك في كتاب العلاقات العربية- اليهودية من الصراع إلى التسوية؟ مقالات على شرف البروفيسور موشيه ماعوز تحرير إيلى أوديه وهاتير كوفمان، دار نشر *Sussex Academy* ٢٠٠٥ ص: ٦٩، ٧٣ (٦). وعن وجهتي النظر المتعارضتين ومقاربات بنجوريون وشاريت، انظر مايكل بريشر: نظام السياسة الخارجية الإسرائيلية عملية إنشاء التصورات ، لندن/ تورنتو/ ملبورن: دار نشر جامعة أوكسفورد ١٩٧٢ الفصل ١٢.
- (٢٨) وفي النهاية فإن قرار مجلس الأمن رقم ١٠١ عام ١٩٥٣ الذي يدين إسرائيل قد جرى تبنيه بتسعة أصوات ودون معارضة وغياب صوتين يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٥٣. انظر قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين والصراع العربي- الإسرائيلي المجلد الأول ١٩٤٧-١٩٧٤ طبعة منقحة، جورج طعمة واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٨٨ ص: ١٣٥-٦.
- (٢٩) انظر *G.B. Globb* العنف على الحدود الإسرائيلية - الأردنية: وجهة نظر الأردن ، مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية رقم ٣٢: ٤ (يوليو ١٩٥٤)، ص: ٥٥٢-٦٢. موشيه دايمان (الحدود الإسرائيلية ومشاكل الأمن) مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية ٣٣: ٢ (يناير ١٩٥٥) ص: ٢٥٠-٦٧. فريد خوري (سياسة الانتقام في العلاقات العربية- الإسرائيلية) مجلة الشرق الأوسط ٢٠: ٤ (خريف ١٩٦٦)، ص: ٤٣٥-٥٥. بارى بليشمان (أثر الإنتقام الإسرائيلي على سلوك الدول العربية المجاورة لإسرائيل) مجلة تسوية الصراع ١٦: ٢ يونيو ١٩٧٢، ص: ١٥٥-٨١. جوناتان شيمشوني، إسرائيل والردع التقليدي: حرب الحدود من ١٩٥٣ إلى ١٩٧٠ دار نشر *Ithaca* نيويورك/ لندن دار نشر جامعة كورنيل، ١٩٨٨ ، ص: ٤٨-٥١، ٦٥-٨. مورييس، حرب الحدود الإسرائيلية، الفصلان ٥-٦.
- (٣٠) فريد خوري (التحرش والصراع على الجبهة الإسرائيلية- السورية) مجلة دراسات للشرق الأوسط، ١٧: ١-٢ (شتاء - ربيع ١٩٦٣، ٢٤: خوري ص: ٢٤). خوري (سياسة الانتقام ص: ٤٣٨).

(٣١) حول هذه الفترة انظر مايكل كورين (مبادرات السلام السرية المصرية- الإسرائيلية قبل حملة السويس) مجلة دراسات الشرق الأوسط ٢٦: ٣ (يوليو ١٩٩٠) ص: ٣٥١-٧٠ وأصول الحرب العربية الإسرائيلية الثانية. *M. Bar-on*، بوابات غزة. نيل كابلان *Futile Diplomacy* المجلد الرابع: العملية ألفا وفشل دبلوماسية القمع الأنجلو أمريكية في الصراع العربي- الإسرائيلي، ١٩٥٤-١٩٥٦، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٩٧. أفي شلايم، الجدار الحديدي: إسرائيل والعالم العربي، لندن دار نشر بنجوين، ٢٠٠٠ الفصلان ٣-٤.

(٣٢) شيمون شامير (انهيار مشروع ألفا) في كتاب السويس ١٩٥٦: الأزمة وأثارها تحرير *W.m. Roger Louis and Roger Owen* أوكسفورد دار نشر كلارين دون ١٩٨٩ ص: ٧٣-١٠٠. كابلان *Futile Diplomacy* المجلد الرابع.

(٣٣) حول التصعيد نحو الحرب انظر تحليل *M.Bar-on* بوابات غزة. موريس، حروب الحدود الإسرائيلية. مونتجولاني، إسرائيل والبحث عن حرب: حملة سيناء، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ دار نشر *Sussex Academic*، ١٩٩٨. ومودخاي بارفون، وبينى موريس ومونتجولاني، (إعادة تقويم طريق إسرائيل نحو سيناء/ السويس، ١٩٥٦: *A Trialogue*) وذلك في *Traditions and Transitions in Israel Studies*: كتب عن إسرائيل المجلد السادس تحرير لورا زتريان إيزنبرج، نيل كابلان، ناعومي سوكولوف، ومحمد أبو نمر، *Albany* دار نشر جامعة نيويورك، ٢٠٠٢ ص: ٣-٤١.

(٣٤) أوريل دان (طرد جلوب وما بعده) وذلك في *U. Dann*، الملك حسين والتحدى الراديكالي العربي: الأردن ١٩٥٥-١٩٦٧، دار نشر جامعة أوكسفورد.

(٣٥) بينى موريس، *Righteous Victims*: تاريخ الصراع الصهيوني- العربي، ١٨٨١-١٩٩٩، نيويورك دار نشر ألفريد كنوف ١٩٩٩/ لندن دار نشر جون موراي عام ٢٠٠٠، ص: ٢٨٨-٩. انظر أيضا جولامي، إسرائيل والبحث عن الحرب.

(٣٦) *M.Bar-on, Gates of Gaza* الفصل ١٥. *S.Han Toren* (بروتوكول سيفر: التأمير الثلاثي البريطاني- الفرنسي- الإسرائيلي ضد مصر، ١٩٥٦). الدراسات الإسرائيلية ١: ٢ (نهاية

١٩٩٦) ص: ١٢٢- ٣٩. أفي شلايم (تحليل بروتوكول سيفر حول مؤامرة الحرب) وذلك في حرب ١٩٥٦: التحالف والصراع في الشرق الأوسط، تحرير دافيد تال، لندن دار نشر فرانك كاس (Comings Center Series)، ٢٠٠١ ص: ١١٩ - ٤٤. موردخاي فار أون (ثلاثة أيام في سيفر، أكتوبر ١٩٥٦) مجلة ورشة العمل التاريخية ٦٢ (٢٠٠٦) ص: ١٧٢-٨٦.

(٣٧) وضمن الدراسات الكثيرة التي تم تكريسها لحرب سيناء/ السويس عام ١٩٥٦ توصي بقراءة: كينيث لوف، السويس: الحرب التي جرت مرتين، نيويورك/ تورنت ودار نشر ماكجروهيل ١٩٦٩. Wm. Roger Louis and Roger Owen، تحرير، السويس ١٩٥٦: الأزمة وأثارها. Selwyn Han Toren and Moshe Shemesh، تحرير، أزمة السويس-سيناء ١٩٥٦: Retrospective and Reappraisal، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٩٠. Keith Kyle، السويس نهاية الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط، نيويورك: J.B. Teuris، ٢٠٠٣ (الأصل ١٩٩١). دافيد تال، تحرير، حرب ١٩٥٦.

(٣٨) Morris Righteous Victims ص: ٢٩٥-٦.

(٣٩) انظر إيتامار رايبينوفيتش (الحروب السبعة واتفاقية السلام الواحدة) وذلك في The Arab Israeli Conflict: Prespectives، الطبعة الثانية، تحرير Alvin Z. Rubinstein، نيويورك دار نشر هاربر كولينز، ١٩٩١ الفصل الثاني.

(٤٠) Morris, Righteous Victims، ص: ٣٠١.

(٤١) li Podelh (Regaining Lost Pride) أثر عملية السويس في مصر والعالم العربي، وذلك في حرب ١٩٥٦، تحرير، تال ص: ٢٢١.

(٤٢) يورام ميئيتال (Egyptian Prespectives on the Swez War) وذلك في حرب ١٩٥٦، تحرير، تال، ص: ١٩٥-٢٠٧. Podelh, (Regaining Lost Pride) مرجع سابق ص: ٢٠٩-٢٤.

(٤٣) انظر خوري (Friction and Conflict on the Israeli-Syrian Front) ص: ١٤-٣٤. مورييس Righteous Victims، ص: ٣٠٣-٤. Ami Gloska (الحرب حول المياه خلال الستينيات)

وذلك في كتاب الصراع الذي لا ينتهي: مرشد إلى التاريخ العسكري الإسرائيلي، تحرير،
موردخاي بارنون ، West Port, CT / لندن : Praeger ، ٢٠٠٤ ص: ١٠٩-٣١.

(٤٤) الميثاق الوطني الفلسطيني: قرارات المجلس الوطني الفلسطيني ١٧-١ يوليو ١٩٦٨ والذي
جرى الدخول عليه في ٢٣ مارس ٢٠٠٨ على موقع

<http://www.yal.edu/lawweb/avalon/mideast/plocov.htm>

(٤٥) صايغ ، النضال المسلح ، ص: ١٠٤-٨. موريس *Righteous Victims* ، ص: ٣٠٣.

(٤٦) مايكل أورين، حرب الستة أيام: يونيو ١٩٦٧ وإنشاء الشرق الأوسط الحديث، دار نشر
جامعة أوكسفورد ، ٢٠٠٢ ص: ٣٣-٨. موريس *Righteous Victims* ، ٣٠٣.

(٤٧) موريس المرجع السابق ص: ٣٠٤.

(٤٨) أبا إيبان، السيرة الذاتية، نيويورك ١٩٧٧ ، ص: ٤٠٠.

(٤٩) موريس *Righteous Victims* ، ٣٠٤-١١. ريتشارد باركر ، سياسة سوء التقدير في الشرق
الأوسط بلومينجتون دار نشر جامعة إنديانا ، ١٩٩٣ الفصل الرابع.

(٥٠) موريس *Righteous Victims* ، ص: ٣١١-٢٩. حرب الستة أيام ، تحرير ريتشارد باركر
دار نشر جامعة فلوريدا ١٩٩٦. أورين حرب الستة أيام ص: ٣٠٥.

(٥١) موريس *Righteous Victims* ، ص: ٣٠٥-١٠. باركر ، سياسة سوء التقدير ، الفصول ١-٢-

٥. زينيف شيف (*The Green Light*) السياسة الخارجية ٥٠ (ربيع ١٩٨٣) ص: ٧٣-٨٥.

أفتر كوهين، إسرائيل والقنبلة، نيويورك، دار نشر جامعة كولومبيا ١٩٩٨ ، الفصل ١٤.
رولاند بوب (*Stumbling Decidedly Into the Six-Day War*) مجلة الشرق الأوسط ٦٠: ٢

(ربيع ٢٠٠٦ ص: ٢٨١-٣٠٩). إيزابيلا جينور (*The Cold War's Longest Cover-up*)

(*How and Why the USSR Instigated the 1967 war*) دار النشر MERIA ، ٧: ٣ (سبتمبر

٢٠٠٣). إيزابيلا جينور وجيدوين رينيز (*The Spy Master, The Communist and Fox Bats*)

(*Over Dimona: The USSR's Motive for Investigating the Six Day War*) الدراسات

الإسرائيلية ١١: ٢ (صيف ٢٠٠٦) ص: ٨٨-١٣٠. إيزابيلا جينور وجيدوين رينيز (*The*

دار نشر (Six-Day War as a Soviet Initiative: New Evidence and Methodological Issues)

MERIA ١٢: ٣ (سبتمبر ٢٠٠٨).

(٥٢) Jay Y. Gonen، سيكولوجية الصيوانية، نيويورك Mason-Sharter، ١٩٧٥ ص: ١٦٦-٧.
Simon N. Herman، الإسرائيليون- واليهود: استمرارية الجوية، فيلادلفيا جمعية النشر
اليهودية، ١٩٧١ ص: ٢١١-١٢. والمجلة الربع سنوية للقدس رقم ٣ (في ظل المحرقة)
ربيع ١٩٧٧، ص: ٨٩-٩٠.

(٥٣) انظر أبا إيبان (بعض التفكير غير المنظم عن الصراع العربي - الإسرائيلي) وذلك في
الكتاب الذي حرره جابريل شيفر تحت عنوان (في ديناميكية الصراع: إعادة بحث الصراع
العربي- الإسرائيلي) دار نشر الإنسانيات Atlantic High Lands، ١٩٧٥ ص: ٣٦١-٢.
برنارد وسارستين، "الإسرائيليون والفلسطينيون: لماذا يتحاربون؟" لندن: Profile Books،
٢٠٠٨، ص: ١٢٢-٥.

(٥٤) موريس Righteous Victims، ص: ٣٢٩-٣٦.

(٥٥) وبعض عمليات الطرد مثل التي حدثت في تلك القرى فور تدميرها مثل إمواس ويال
ووبيت نوبا ودير أيوب في منطقة اللاترون قد شهدت عنصراً من الانتقام إثر ما جرى عام
١٩٤٨. موريس Righteous Victims ص: ٣٢٨.

(٥٦) ضمن المناقشات الكثيرة حول هذا القرار المهم انظر مطبوعات معهد واشنطن، وقرار الأمم
المتحدة رقم ٢٤٢: باعتباره عماداً في بناء عملية حفظ السلام ويمكن الاطلاع عليها في
موقع: www.washingtoninstitute.org/templateCO4.php?CID=151. تعليق من جانب
يوسيبيلين وداود خطاب ورائنا صباغ- غاربور وعبد المنعم سعيد على. وانظر
Betterlemons.org middle east round table، ٢٢: ٦ و ٥ يونيو ٢٠٠٨، (صيغة الأرض
مقابل السلام زيارة جديدة) وجرى الدخول عليها يوم ٣٠ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع
www.betterlemons.org www.palestinefacts.org/1948to1967/un/242.php

وزارة الخارجية الإسرائيلية على موقع:

(٥٧) قرار قمة الخرطوم في ١ سبتمبر ١٩٦٧ والنص أعيد إنتاجه في *The Israeli Palestinian conflict*: السجل الوثائقي، ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهوذا لوكاش، دار نشر جامعة كامبريدج ١٩٩٢، ص: ٤٥٤-٥.

(٥٨) حول يارينج (UN) وروجرز (US) وفترات الوساطة انظر سعدية توفال ، وسطاء السلام: الوسطاء في الصراع العربي- الإسرائيلي-١٩٤٨/١٩٧٩، دار نشر جامعة برينستون ١٩٨٢ الفصلان ٦ و٧. نورمان ج. فينكلشتاين، الصورة والحقيقة للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، طبعة جديدة ومنقحة نيويورك دار نشر W.W. Norton الطبعة الثانية لندن: Verso ٢٠٠٣ الفصل السادس.

(٥٩) حول حرب الاستنزاف انظر: ياكوف بارسيان توف، حرب الاستنزاف المصرية-الإسرائيلية، ١٩٦٩-١٩٧٠ نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا، ١٩٨٠. دافيد كورن *Stalemate*: حرب الاستنزاف ودبلوماسية الدول الكبرى في الشرق الأوسط، ١٩٦٧-١٩٧٠، دار نشر بولدر، Co: Westview press ١٩٩٢. موريس، *Righteous Victims* ص: ٢٤٧-٦٣. باركر، سياسة سوء التقدير، الفصلان ٦-٧. دان شيفوتان (حرب الاستنزاف الإسرائيلية- المصرية ١٩٦٩-١٩٧٠ وذلك في كتاب الصراع الذي لا ينتهي تحرير بار أون، ص: ١٤٧-٥٩. إيزابيلا جينور (تحت القبة الصفراء العربية عيون روسية براقية: عملية القوقاز وحرب الاستنزاف) *Cold war history* ٣: ١ (أكتوبر ٢٠٠٢) ص: ١٢٩-٥٦. زئيف ماعوز، الدفاع عن الأرض المقدسة: تحليل نقدي للأمن الإسرائيلي والسياسة الخارجية، Ann Arbor: دار نشر جامعة ميتشيجن، ٢٠٠٦ الفصل الرابع.

(٦٠) جيرشون شافير، (الصهيونية والاستعمار الاستيطاني: مقارنة مقارنة) وذلك في كتاب المسألة الإسرائيلية- الفلسطينية، تحرير إيلان بابيه، لندن نيويورك روتليدج، ١٩٩٩ ص: ٩١-٥. جيوفري أرونسون، خلق الحقائق: إسرائيل، والفلسطينيين والصفة الغربية.

واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧. إيان لوستيك، من أجل الأرض والله: الأصولية اليهودية في إسرائيل، نيويورك: مجلس العلاقات الخارجية، ١٩٨٨. روبرت فريدمان، المتحمسون لصهيون: من داخل حركة الاستيطان في الضفة الغربية المحتلة، نيويورك دار نشر راندوم هاوس ١٩٩٢. جيرشوم جرونبرج، *The accidental empire*: إسرائيل وولادة المستوطنات، ١٩٦٧-١٩٧٧ نيويورك *Times books*.

(٦١) انظر وازرشتاين مرجع سابق، الإسرائيليون والفلسطينيون، ص: ١٢٥-٨.

(٦٢) تم تقديم الحجج القانونية من جانب الأستاذ *W. Thomas Malison* و *Sally Malison*، المشكلة الفلسطينية في القانون الدولي والنظام العالمي بريطانيا دار نشر لونجمان، ١٩٨٦ الفصل السادس، وجون كويجلي، قضية فلسطين: *An International Law Perspective*، طبعة منقحة ومزودة لندن دار نشر جامعة ديوك ٢٠٠٥ الفصلان ٢٣-٤.

(٦٣) ألان جيرسون، إسرائيل والضفة الغربية في القانون الدولي، لندن دار نشر فرانك كاس ١٩٧٨ ص: ٧٦-٨٢ والفصل الرابع. يوليوس ستون، إسرائيل وفلسطين: العدوان على قانون الأمم، بالتيمور دار نشر جامعة جونز هوبكينز ١٩٨١ ص: ٥١-٦، ١١٨-٢٠.

(٦٤) يازيد صايغ، الصراع المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٤٩-١٩٩٣ دار نشر جامعة أوكسفورد/ واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص: ٢٦٢-٨١، ٣١٢-١٧. عدنان أبو عودة- الأردنيون والفلسطينيون والمملكة الهاشمية في عملية سلام الشرق الأوسط، واشنطن *US Instate of Peace Process*، ١٩٩٩ الفصل ٨. موريس، *Righteous Victims* ص: ٣٧٣-٥. ريكس برنين، *Sanctuary and survival*: منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، دار نشر *Westview* (لندن: *Pinter publishers*) ١٩٩٠.

(٦٥) وأدت الهزيمة إلى اندلاع دورة جديدة من النقاش الأكاديمي والنقد الذاتي. انظر مرجع سابق قنسنطين زريق (اليوم وأمس- وجهان رئيسيان للمعنى الجديد للكارثة)، *Middle east forum XLIII*: ٢-٣ (١٩٦٧)، ١٣-٢٠. نسيم ريجوان، العرب المنادون بالتغريب، *New*

outlook ١٥ (أكتوبر ١٩٧٢) ص: ٢٧-٣٤. سيسيل أ. حوراني (لحظة الحقيقة: نحو حوار في الشرق الأوسط) Encounter ٢٩: ٥ (١٩٦٧، ص: ٣-١٤)، وأعيد إنتاجها في كتاب A middle east reader تحرير إرين ل. جندزير، إنديانا بوليس/ نيويورك دار نشر بيجاسوس ١٩٦٩، ص: ٣٨٤-٤٠٥.

(٦٦) أرقام الضحايا في كتاب إيان ج. بيكرتون وكارلا ل. كلاوزنر، تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، الطبعة الخامسة، Prince hall، ٢٠٠٧ ص: ١٧٠، اقتبسها تريفور ن. ديوبوي، النصر المتهوم: الحروب العربية-الإسرائيلية، ١٩٤٧-١٩٧٤، نيويورك دار نشر هاربار ورو، ١٩٧٨ ص: ٦٠٩. وعن حرب ١٩٧٣ انظر محمد حسنين هيكل، الطريق إلى رمضان، نيويورك دار نشر كواندراجل، ١٩٧٥. مورييس Righteous Victims الفصل التاسع. حاييم هرتزوج The War of Atonement : القصة الداخلية لحرب يوم كيبور، لندن Greenhill books، ٢٠٠٣. أبراهام راينوفيتش، حرب يوم كيبور: The Epic Encounter that Transformed the Middle East، لنويويورك دار نشر Schocken، ٢٠٠٥.

(٦٧) من أجل تفسير ثقافي تاريخي نفسي للانفتاح العربي الجديد على المفاوضات مع إسرائيل انظر: رافائيل باتاي، بذرة إبراهيم: اليهود والعرب في اتصالاتهم وصراعاتهم، دار نشر جامعة يوتا، ١٩٩٦، ص: ٣٣٦.

الباب الثالث

نحو مناقشة مفيدة

للصراع العربي-الإسرائيلي

الفصل الثامن

عودة إلى الجوهر.. إسرائيل والفلسطينيون

مخاوف رئيسية وثورية جديدة:

تركت عقود اللا سلم واللا حرب التي تلت عام ١٩٤٩ الإسرائيليّين والفلسطينيين؛ يشعرون بالمرارة والقلق والإحباط العاطفي. الشعور بالانسحاق، وعدم حل مشكلة اللاجئين أسهم في شعور الفلسطينيين بالمزيد من الاكتئاب واليأس؛ حيث ولدت الجيلين الثاني والثالث في ظل عدم وجود الدولة ودون قيادة سياسية فعالة وأصيلة، تخضع لمكايد سياسيين متشائمين أو يجيدون الكلام الرنان، وقد ذهب الغضب الفلسطيني في اتجاهات ثلاثة: الإسرائيليون الذين اتهموهم بطردهم ١٩٤٧-١٩٤٩، الحكومات العربية المضيفة لقلّة إكرامهم وضالّة تأييدهم، المجتمع الدولي لعدم اهتمامه بمأساتهم فيما عدا الأمم المتحدة بمساعدتها الخيرية السنوية^(١). وقد تمّ تناقل ذكريات ما قبل ١٩٤٨ عن البلاد والأرض والمنازل من الآباء إلى الأبناء، في حين أثار الشعر والتعليم أحلام "العودة" بقوة تشبه آمال وعشق الصهاينة في المهجر سابقاً لأرض إسرائيل، والسؤال الذي تمّ طرحه: لماذا يتوقع العالم من اللاجئين الفلسطينيين نسيان في عدة عقود ما فشل اليهود في نسيانه في ألفى عام؟^(٢)

هذه المشاعر العميقة من الإحساس بالعجز؛ سرعان ما فتحت الطريق أمام جيل جديد من الفلسطينيين مستعد للتضحية بنفسه في مسعى لإنهاء حالة المهجر ووضعية اللاجئين بالعودة لبلادهم من خلال جهودهم الذاتية، ويمكننا أن نجد شعورًا حيًا لهذا التغيير الجلي في نظرة الفلسطينيين لأنفسهم خلال هذه الفترة عبر الرواية الخيالية لـ "غسان كنفاني" (العودة لحيفا) المنشورة عام ١٩٦٩: سعيد وزوجته اللذان أجبرا على الهرب في أبريل عام ١٩٤٨ يعودان لمنزل الأسرة الذي تقطنه عائلة إسرائيلية (ممن نجوا من المحرقة كما يحدث عادة)، ومقارنا نفسه بابنه الذي يوشك على اللحاق بالفدائيين، وصل سعيد لنهاية زيارته المليئة بالعواطف لحيفا:

في هذه اللحظة شعر بعمق لهفته وعشقه لابنه
(خالد) وتمنى أن يطير إليه في رام الله؛ حيث هو يقبله
ويبكي على كتفه، عاكسًا أدوار الأب وابنه بطريقة فريدة
وغير عادية، وقال لنفسه وهو يبتسم: "هذا هو الوطن، ثم
يرفع صوته محدثًا زوجته صفة:

"إنني أبحث عن فلسطين الحقيقية، فلسطين التي هي
أكثر من الذكريات... إنني كنت أسأل نفسي ما هي فلسطين
بالنسبة لخالد؟ هو لا يعرف القارورة ولا الصورة ولا المسلم
ولا الهاليسا أو خلدون (في حيفا التي عاد لها بعد ١٩ سنة
حيث ولد خالد في المهجر ولم يرها) وعلى الرغم من هذا
بالنسبة إلينا؛ فإن فلسطين تستحق أن يحمل لها السلاح
ويموت من أجلها، وبالنسبة إلينا، أنت وأنا، إنها شيء تم

دفنه فى تراب الذكريات، إننا كنا مخطئين عندما اعتقدنا أن الوطن هو الماضى، بالنسبة لخالد، الوطن هو المستقبل هكذا نختلف، هذا هو السبب فى أننا مختلفون وأن خالد يريد حمل السلاح؛ عشرات الألوف مثل خالد لن توقفهم دموع الرجال الذين يبحثون وسط هزيمتهم عن بقايا الزهور المحطمة، رجال مثل خالد ينظرون للمستقبل، لهذا هم يمكنهم تصحيح أخطائنا وأخطاء العالم كله" (٣).

فى الوقت ذاته، تعمقت القسوة والعدوانية بين الإسرائيليين وهو ما سيصبح عقبة دائمة أمام محاولات منع تصاعد الصراع، وعلى الرغم من نجاحات الجيل البطولى الذى انتصر عام ١٩٤٨؛ فإن الخوف من التدمير أضحي العنصر الرئيسى فى الصورة الذاتية للإسرائيليين باعتبارهم الضحايا الضعاف ولكن على الحق، ففى النفسية الإسرائيلية يكمن "الاعتقاد الذى يتوارى تارة ويبرز تارة أخرى بأن العالم كله ضدنا"، فضلاً عن ذلك "مزيج غريب من الإحساس بالقوة مصحوب بالرغبة والإرادة فى تحدى كل العالم مع إحساس بالضعف والخوف" (٤). وخلال الخمسينيات والستينيات، نظر كثير من اليهود للوراء على المحرقة ورءوا ازدواجا بين: ما كان سابقا كـ "الخراف" الضعاف فى المهجر والمفترض أن ذلك قد ساقهم إلى مذبحهم دون مقاومة؛ و"السابرا" المولود فى إسرائيل الفخور والذى قامت حوله أسطورة القوة النضالية (٥)، وقد تم النظر إلى العلاقات مع الفلسطينيين من خلال هذا المنظور الذى كان، بطرق عديدة، غطاء لعدم الأمن الجوهري، وبعيداً عن اعتباره فصلاً منسياً من التاريخ فإن المحرقة، كما لاحظ الصحفي المخضرم "عاموس إيلون" عام ١٩٧١، استمرت تساعد فى شرح "المخاوف والأذى، العواطف الجياشة، الآلام، والمفاخر التى نسجت خريطة الحياة العامة (فى

إسرائيل) وستستمر في التأثير على الأمة لمدة أطول مقبلة. إن الذاكرة الباقية في الخلفية للمحرقة تجعل تهديد العرب بالإبادة يبدو شيئاً ممكناً، ذكرى المحرقة "هي السبب في الإحساس السائد بالوحدة، وهو طابع أساسي للمزاج الإسرائيلي منذ الاستقلال، إنها تفسر الشك المسيطر والحاجة الماسة للاعتماد على الذات مهما كان الثمن في عالم سمح للكارثة بأن تحدث"^(٦).

وكما ذكرها سابقاً، كان النصر الإسرائيلي عام ١٩٦٧ بالنسبة للعديد من اليهود والإسرائيليين "المحرقة التي لم تحدث" بفضل مبادرة الإسرائيليين الجدد وتأكيد الذات، وهي فيما يعتقدون الميزات التي كان يفقدها اليهود في أوروبا في الجيل السابق^(٧)، وسواء قبل أو حتى بعد هذا النصر اللامع استمرت إسرائيل في أنها ترى وتقدم نفسها باعتبارها "داود" الصغير في مواجهة العملاق العربي "جوليات"، وهي الصورة الثابتة الكاريكاتورية في التعارض مع التفوق الذي أثبتته الجيش الإسرائيلي وقواته الجوية في ساحة المعركة وسمواتها.. وهكذا فإن حقيقة ما بعد ١٩٦٧ من قوة إسرائيل تمكنت من أن تتعايش، وإن كان بشكل متعارض، مع هذه الصورة الذاتية المستمرة كضحية محاصرة ومهددة.

وفي العالم العربي، فإن الهزيمة المهيينة وغير المتوقعة لعام ١٩٦٧، بعد عقد من التنمية والتحديث والمساعدات السوفيتية أدت إلى تطورين، مشاعر متزايدة بالمرارة ضد المغتصبين الأجانب لفلسطين، وأيضاً سبر أغوار الذات والبحث عن الأمراض المجتمعية الكامنة والعميقة التي أظهرتها هذه النكبة الثانية^(٨)، وفقط فإن النجاح النسبي للقوات المصرية والسورية في أكتوبر عام ١٩٧٣ بدا كأنه وفر مناخاً جديداً من احترام الذات الذي قد يثبت أنه يقود أكثر إلى مفاوضات مثمرة بين إسرائيل والدول العربية.

عودة بروز الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ١٩٦٧:

تلقى بروز الحركة الوطنية الفلسطينية زخمًا جديدًا مع هزيمة العرب عام ١٩٦٧؛ حيث تمكنت منظمة التحرير الفلسطينية المنشأة حديثًا من توجيه وإعطاء صوت جديد للأحزان والاستياء المتراكم لشعب مبعثر، كان قبل عام ١٩٤٨ يشكل أغلبية سكان فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وقبل ذلك ضمن ولايات الإمبراطورية العثمانية المسلمة. وقد تغذت موجة من الوعي بالذات وروح النضال من التضامن مع حركات التحرر الكبرى عبر العالم، ومن خلال استثمارها لأسطورة الكفاح الثوري المسلح مع مناضليها من أجل الحرية، ولدت الكوفية والعقال للفدائي الفلسطيني.. ولدت الحماسة التي تغلبت على اليأس والمرارة للهزيمة العسكرية الأخيرة لثلاثة جيوش عربية.

ولفترة قصيرة بعد يونيو ١٩٦٧؛ حاولت منظمة التحرير الفلسطينية إنشاء خلايا للمقاتلين لمهاجمة الأهداف الإسرائيلية من قواعد متقدمة في الضفة الغربية التي تم احتلالها مؤخرًا من قبل إسرائيل، إلا أن فشل هذا المسعى^(٩) أجبر الفلسطينيين على العودة لنمطهم السابق في شن الهجوم من قواعد خارجية اعتمدت على استضافة الدول العربية من أجل المساندة اللوجستكية والسياسية.

وشهد عقد السبعينيات تغييرات في شكل الصراع العربي-الإسرائيلي وإعادة التركيز على خصوصيته الجوهرية الفلسطينية-الإسرائيلية؛ فالقضايا العاجلة على جدول الأعمال تمثلت في الانسحاب الإسرائيلي إلى خطوط يونيو ١٩٦٧، والاعتراف العربي والسلام مع الدولة اليهودية؛ كما تمت المطالبة به في صيغة الأرض مقابل السلام التي تضمنها قرار مجلس الأمن (٢٤٢) لعام

١٩٦٧، وأعيد التأكيد عليه في القرار (٣٣٨) لعام ١٩٧٣، ومع ذلك فإنه على الرغم من حقيقة أن أيا من هذه الوثائق الدولية لم يذكر الفلسطينيين بالاسم، فإنهم استطاعوا خلال السبعينيات وضع قضية الاعتراف بحقوقهم في تقرير المصير بشكل واضح في دائرة اهتمام العالم؛ مستخدمين في ذلك كلاً من العنف والوسائل السياسية.

لقد بدأ هذا العقد بعدة حوادث إرهابية^(٩) دولية ضد أهداف إسرائيلية ويهودية؛ قامت بها فصائل داخل وخارج منظمة التحرير الفلسطينية، وكان خطف الطائرات السلاح المفضل في جعبة المجموعات الفلسطينية التي تحاول ضرب الأهداف الإسرائيلية وجذب الانتباه العالمي لقضيتها. وكما كانت الحال بالنسبة للأشكال المبكرة للعنف من كلا الطرفين، فإن إرهاب السبعينيات أدى كذلك وظائف حيوية موجهة للداخل، ما خلق نوعاً من الوحدة بين الفصائل المتنافسة، وفوق كل ذلك استعادة الروح المعنوية واحترام الذات من جانب الفلسطينيين بالمنفى في كل مكان^(١٠). وفي سبتمبر ١٩٧٠؛ قام أعضاء بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخطف ثلاث طائرات تجارية غربية في وقت واحد (تابعة لشركات تى دبلى وإيه، وسويس إير، وبانام الأمريكية)، وتوجهوا باثنتين منها لمطار غير مستخدم خارج عمان بالأردن؛ حيث تم تحرير معظم الرهائن ثم تفجير الطائرتين، وبين ١٩٦٨ و١٩٧٧؛ خطفت المجموعات الفلسطينية أو حاولت خطف ٢٩ طائرة^(١١).



(٩) أثرنا بقاء التعبير الأصلي للمؤلف (إرهابيين) ومشتقاته في هذه الفقرة وكل الفقرات التالية؛ للوقوف على وجهة النظر الغربية بدقة في مثل هذه الحوادث، على الرغم من إيماننا الراسخ بأن الصفة الأدق هي (الفدائيون) .. (التحرير).

شهد شهر مايو ١٩٧٢؛ هجومين جريئين على مطار اللد الإسرائيلي، أحدهما بطائرة اختطفت (وتم اقتحامها والاستيلاء عليها بأقل الخسائر البشرية). والثاني في شكل حمام دم قام به إرهابي والجيش الأحمر الياباني، نيابة عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ضد مسافرين (معظمهم حجاج مسيحيون) في صالة الوصول. وكان أكبر وأكثر الهجمات تعقيدًا وحرفية في تلك الفترة هو الذى استهدف اللاعبين الرياضيين الإسرائيليين فى شقتهم فى دورة للألعاب الأولمبية فى سبتمبر من العام نفسه فى ميونخ بألمانيا الغربية. وقد أسفرت عملية الإنقاذ غير المتقنة - التى حاولتها الشرطة الألمانية- عن مقتل كل الإسرائيليين وخمسة من الخاطفين.

وعلى الرغم من أن الأهداف الدولية كانت عادة أكثر "ليونة" مما هى داخل إسرائيل، استطاع إرهابيون، عبر حدود لبنان، اختراق الدفاعات الإسرائيلية بشكل دورى وإلحاق الدمار وبث الذعر والارتباك داخل إسرائيل، وعلى سبيل المثال، قام مهاجمون ينتمون إلى الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، فى مايو ١٩٧٤، باقتحام حضانة فى كيبوتز "معالوت" الشمالى واحتجزوا تسعين طفلًا رهينة، وقد تم إنهاء العملية بتبادل إطلاق نار أسفر عن قتل الإرهابيين وعشرين من الرهائن.

من بين الأسباب التى أسهمت فى تصاعد تجنيد المقاتلين وعمليات هذه الجماعات الإرهابية/العصابات، حقيقة أن كثيرًا من الفلسطينيين قد أصابهم اليأس، مع مرور الوقت، من الحصول على تحقيق مطالبهم وإنهاء معاناتهم عبر الطرق التقليدية للدبلوماسية؛ حيث كانت هذه القنوات ذاتها المسؤولة عن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ (بطريقة غير شرعية كما يعتقدون)، إذ أعقبه قيام الأمم

المتحدة بالتعامل بتحول الفلسطينيين إلى وضعية "عرب" لاجئين يستحقون الشفقة، دون أن يكون لهم أى صفة كمشاركين أساسيين فى الشئون الدولية. وتابعت منظمة التحرير الفلسطينية المنشأة حديثاً أعضاء مجلس الأمن وهم يضعون مسودات ويصدرون القرار (٢٤٢) الذى شأنه فى ذلك شأن وعد بلفور تماماً منذ خمسين عاماً- لم يشر على الإطلاق للوجود القومى للفلسطينيين أو حقوقهم الوطنية، ومشيراً إليهم فقط وبطريقة غير مباشرة فى الفقرة الخاصة بتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

وفى ذلك الوقت، تمحورت المناقشات داخل المؤسسات الفلسطينية حول قضايا تتصل بشبكة العلاقات الدقيقة للفلسطينيين مع مختلف الدول العربية؛ الوسائل مقابل الغايات؛ التكتيكات مقابل الاستراتيجيات؛ النضال السياسى فى مواجهة النضال العسكرى الثورى؛ شرعية مواجهة إسرائيل والمدنيين اليهود أو الأفراد المسلحين داخل أو خارج فلسطين/ إسرائيل؛ المعنى الحقيقى وكيفية تطبيق مختلف مواد الميثاق الوطنى. ومن جانبها، أعطت المجموعات المنشقة، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الماركسية تحت قيادة "جورج حبش"، والجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين تحت قيادة "نايف حواتمة"، الأولوية للنضال المسلح على السياسة وتضامنت مع حركات التحرر الثورية الأخرى فى العالم التى فضلت تكتيكات الخطف والتفجيرات واحتجاز لطائرات مدنية. وقام الناشطون بمناقشة: الأيديولوجية، التكتيك، الاستراتيجية، دور الكفاح المسلح داخل فصائلهم وتحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية، بنفس الكثافة والشغف والطريقة التى قامت بها الجماعات المنشقة عن الصهيونية فى علاقتها مع التيار العام (الهاجاناة) فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وقد رفض بعضهم، أحياناً، المواقف التى

تميل للحلول الوسط التي تتبناها في بعض الأوقات قيادات "فتح"؛ ما أسفر عن تفرق الصفوف، فضلاً عن "المزايدات" التنافسية التي أدت فقط إلى تكثيف نمط العنف والإرهاب^(١٢).

رفض الكثير من الفلسطينيين، بالطبع، وصف "الإرهاب" لشعورهم بالحق في اللجوء للصراع المسلح بالطريقة نفسها التي لجأت إليها، وما زالت، حركات التحرير الأخرى. لقد رعوا في العنف أداة شرعية تماماً لمقاومة الاحتلال للأرض التي فقدوها عام ١٩٤٨، وعام ١٩٦٧، وكذلك لجذب انتباه العالم بشكل عاجل لقضيتهم المهمة، حتى إن كانت فرص التدمير المادي للدولة الصهيونية المحتلة يبدو أمراً بعيد المنال^(١٣). وباختيار هذا الطريق فإن الراديكاليين والرافضين تماشوا مع نصوص الميثاق الوطني الفلسطيني، الذي دعا لـ "محو الصهيونية في فلسطين" بـ "الكفاح المسلح" باعتباره الوسيلة الوحيدة ("استراتيجية" وليس "تكتيكاً") لإعادة فلسطين كدولة عربية لسكانها الأصليين الفلسطينيين، باستخدام "العمل الفدائي" باعتباره "تواة للحرب الشعبية الفلسطينية للتحرير". (المواد ٩، ١٠، ١٥).

وخلال هذه الفترة، ركز الإسرائيليون ومؤيدوهم على الطبيعة العنيفة وما سماه بعض السياسية لمنظمة التحرير وميثاقها الوطني، مدينين ورافضين التعامل مع "منظمة إرهابية"، وبالإضافة إلى تصريحات الشجب والإدانة. شملت الردود الإسرائيلية عمليات انتقامية، وعمليات خاصة بما فيها اغتيال المشكوك في ارتباطه بالإرهاب، ومهاجمة المكاتب والمقار الرئيسية للجماعات المسلحة، وقصف معسكرات اللاجئين (غالباً في لبنان) التي قيل إن الإرهابيين يختبئون فيها ويعملون من داخلها^(١٤)، وليس من المستغرب أن الإجراءات الإسرائيلية المضادة للعمل

المسلح، والهجمات الجوية زادت من درجة تصميم الفلسطينيين وتعطشهم للانتقام، وكان أثرها محدودًا كإجراءات تستهدف الردع.

ودورات العنف في السبعينيات والثمانينيات أطلقت نسخة محدثة للمقولة الجوهرية الأساسية التي لم تحل، والتي بحثناها لدى تناولنا للتمرد العربي عام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ وكذلك الأعمال الانتقامية الإسرائيلية في الخمسينيات، وهي الخاصة بالجوء للقوة: آثاره ومبرراته. والمؤرخ لجيش الدفاع الإسرائيلي "تيانيل لورش"، يدين عنف منظمة التحرير باعتباره مجرد استمرار للعوانية العربية القائمة على "مبادئ تم وضعها منذ عدة عقود"، فيما ردود الفعل الصهيونية والإسرائيلية، في رأيه، لم يكونا متماثلين:

"منذ البداية (المنظمة الصهيونية العسكرية) جاءت كرد فعل للجوء العرب للعنف، كدفاع عن النفس ضد الهجمات من كلا القوات العسكرية وغير النظامي، ومجرد أسماء المنظمات المتعاقبة "هاشومير" (المراقب)، و"الهاجانة" (الدفاع)، وجيش الدفاع" (قوات الدفاع الإسرائيلية) توضح مهامهم الأساسية، وقد يكون من التناقض أن حركة، دولة فيما بعد، لم تنظر في العنف كأداة لتحقيق أهدافها قد انخرطت تقريبًا باستمرار في صراع عنيف"^(١٥).

وفي العقود التالية لحرب ١٩٦٧، أيد الأمريكان بشكل عام موقف إسرائيل بأن منظمة التحرير يجب إخراجها من العملية الدبلوماسية حتى تقبل بالقرار (٢٤٢) وتعترف بإسرائيل وحققها في الوجود، وتبذد الإرهاب صراحة^(١٦). ونتيجة إبعاد منظمة التحرير الفلسطينية المتورطة في العديد من الأعمال البشعة، حاول

الإسرائيليون والأمريكيون، خلال الأعوام التالية، التشجيع والتعامل مع فلسطينيين من "خارج المنظمة" كجزء من حملة لإفقاد الأخيرة مصداقية إدعائها بأنها المتحدث الشرعي باسم الشعب الفلسطيني، وفي هذه الأثناء رفض الفلسطينيون الإشارة لنضالهم كـ "إرهاب"، وبدأت الشروط المسبقة الأمريكي/ الإسرائيلي لنبذ غير عادلة. وكما لاحظ "وليد خالدي" بسخرية "كان على الفلسطينيين حسبما ترى الولايات المتحدة وإسرائيل أن يوقفوا مقاومتهم للاحتلال غير الشرعي كشرط مسبق للسماح لهم بالتفاوض لإنهاء هذا الاحتلال"^(١٧). وخلال العقد ونصف العقد الذي تلا؛ استمرت منظمة التحرير على موقفها الحازم الراض للقرار (٢٤٢) لعدم تناوله للمطالب الفلسطينية والحد الأدنى من متطلبات السلام العادل والدائم^(١٨). ونظرًا لعناد الإسرائيليين والأمريكيين واستمرارهم في إبقاء المنظمة بعيدة عن اللعبة الدبلوماسية، وضعت المنظمة خطأ أحمر واضحًا حتى ١٩٨٨ ضد أي تسوية أو قبول للقرار ٢٤٢، وبدأت ملتزمة لاستعادة فلسطين فقط من خلال الكفاح المسلح.

شهدت بداية السبعينيات ظهور مؤشرات ضعيفة على أن منظمة التحرير قد تتخلى عن رفضها القاطع لإسرائيل الكامن في ميثاقها الوطني وتتحرك، وفقًا لبعض المحللين، "تدريجياً للقبول... بحل الدولتين"^(١٩)، ومع ذلك يعترف 'رشيد خالدي' بأن هذا التحول كان إما غير ملحوظ للولايات المتحدة وإسرائيل وإما أنهما رآياه بطريقة مختلفة؛ حيث إنهما ركزا على دليل آخر - استمرار الكفاح المسلح على الأرض، والعبارات القتالية في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني - وتوصلا إلى استخلاصات سلبية حول النوايا الفلسطينية، وهذا ينقلنا إلى البحث في آخر نقطة على قائمتنا للمقولات الجوهرية المثيرة للجدال التي لم تحل بعد، وأحاطت بالتواريخ المتعارضة لفلسطين وإسرائيل: ما النوايا الحقيقية للفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية؟ إزالة الدولة اليهودية لإسرائيل واستبدالها بدولة فلسطين

العربية، أو إنشاء دولة عربية فلسطينية على جزء من فلسطين التاريخية، تتعايش وتعيش بجانب دولة إسرائيل اليهودية؟

على مدى سنوات، تمحورت المناقشات حول القرار رقم (٢) للمجلس الوطنى الفلسطينى والبرنامج السياسى الذى تبنته فى القاهرة فى ٩ يونيو ١٩٧٤: "منظمة التحرير ستستخدم كل الوسائل، وأولها وأهمها، الكفاح المسلح لتحرير الأراضى الفلسطينية وإنشاء السلطة الوطنية المستقلة المحاربة للشعب فوق كل جزء من الأراضى الفلسطينية التى يتم تحريرها"^(٢٠). وكثير من المعلقين فسروا العبارة الأخيرة باعتبارها تشير إلى رغبة منظمة التحرير فى قبول دولة صغيرة فى الضفة الغربية وغزة (بمعنى شىء أقل من التحرير الكامل لكل فلسطين)، كما اعتبرت الإشارة الأولية الخاصة باستخدام "كل الوسائل" على أنها تعنى الإشارة إلى التراجع عن الهدف المتعارض مع ذلك الخاص بمحو الصهيونية عن طريق الكفاح المسلح فقط.

وينظر العديد من الكتاب اليوم للوراء إلى تلك اللحظة دونما نقد؛ باعتبارها شكلت تغييراً خالياً من الغموض فى سياسة منظمة التحرير الفلسطينية^(٢١)، إلا أنه فى ذلك الوقت لم تكن حقيقة التغيير واضحة على الإطلاق، بل إنها كانت موضع خلاف حاد، فالمحلل السابق للمخابرات العسكرية "يهوشا فاط هاراكابي" - الذى عدل، بعد عام ١٩٧٨، بشكل تام من قراءاته السلبية والحاسمة لعداء العرب ونواياهم^(٢٢) - دفع بقوة آنذاك بأن هذه الصياغة لم تمثل شيئاً وإنما كانت قناعاً يخفى الهدف الذى لم يتغير للمنظمة التحرير الخاص بتحرير "كل" فلسطين، إن لم يكن ذلك فى مرة واحدة؛ فإن الفلسطينيين سيفعلون ذلك على مراحل بدءاً من أى إقليم يحصلون عليه بالكفاح المسلح أو من خلال المفاوضات^(٢٣). وهؤلاء الذين

اعتقدوا في هذه التفسيرات للنوايا الفلسطينية أشاروا إلى الحملة التي لم تتوقف من الهجمات العنيفة التي خططت لها أو نفذتها منظمة التحرير أو فروعها ضد الإسرائيليين واليهود حول العالم، كما يقتبسون من الميثاق الوطني الفلسطيني لعام ١٩٦٨ وطبيعة أهدافه التي لا تقبل المساومة، ومن بينها المادة (٢١): "الشعب العربي الفلسطيني بالتعبير عن نفسه من خلال الثورة الفلسطينية المسلحة يرفض كل حل يمثل بديلاً عن التحرير الكامل لفلسطين...".

ومن جانبه؛ لا يؤيد "يزيد صايغ" هذا الدفع بأن قرار ١٩٧٤ كان تمويهاً على استراتيجية التحرير الكامل من خلال مراحل، وفي دراسته عن تاريخ الحركة فإنه يعبر عن تصديقه لقيام منظمة التحرير الفلسطينية بإظهار مرونة دبلوماسية في "استعدادها لتعديل أهدافها واستراتيجيتها"، ولكنه يقر بأن هذا كان "بعيداً جداً عن أن يطرح اعترافاً بالدولة اليهودية، ناهيك عن التعايش"، وعلى الرغم من ذلك فإنه تضمن "استعداداً للدخول في مفاوضات غير مباشرة وإرجاء التحرير الكامل لفلسطين إن لم تتخل عنه كلياً"، هذا الانفتاح الدبلوماسي غير النهائي كان عليه أن يكون مصحوباً "بالعمل العسكري على الأرض ضد إسرائيل" من أجل "تأكيد قدرة المنظمة على إفشال أي مبادرة سلمية تتخطاها"^(٢٤)، ويوجد الكثيرون ممن يعتقدون - مثل "صايغ" - أن الهدف الحقيقي للفلسطينيين هو التعايش مع إسرائيل، ويشيرون إلى أن الخطابة المولعة بالقتال استهدفت بالأساس تهدئة الفصائل الثورية، بل ويدفعون بأن القراءة الدقيقة للمناقشات الفلسطينية تفصح عن تطور تدريجي للأهداف الفلسطينية باتجاه التسوية مع إسرائيل، هذه التغيرات جرى التعبير عنها من خلال تغييرات ذكية في صياغة القرارات السلطوية التي تبنتها اجتماعات البرلمان الفلسطيني في المنفى (المجلس الوطني)^(٢٥)، ول سوء الحظ فإن هذه التغيرات الغامضة في الصياغة فشلت في إقناع المتشككين، والنتيجة أن كلا

الطرفين ومؤيديهم لجنوا إلى التفسير الذي لا ينتهى للفقرات والمماحكة والشجار حول المعنى الحقيقي لمختلف قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى^(٢٦).

وجاء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر، نوفمبر ١٩٨٨، (انظر الفصل ١٠) ليشكل علامة على تطور الاتجاهات الفلسطينىة، على الرغم من كونها لبست كافية للتوضيح النهائى للنوايا الفلسطينىة، ويبقى هذا السؤال من بين أكثر المسائل المحيرة التى لم يتم كشف النقاب عنها، ويعاود البروز مجدداً ليعيق تحقيق اختراق يهدف لخلق الثقة المتبادلة بين الأطراف خلال فترة أوسلو وبعد ١٩٩٣.

القضية الفلسطينىة فى الأمم المتحدة:

استمرت منظمة التحرير الفلسطينىة والقضية الفلسطينىة، تحظى خلال السبعينيات بالانتباه الكبير والتضامن على المستويين الإقليمى والدولى، وأكد مؤتمر القمة العربى فى الرباط بالمغرب فى أكتوبر ١٩٧٤، ليس فقط على "حق الشعب الفلسطينى فى العودة لوطنه القومى وتقرير المصير" ولكن (تمشياً مع قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى الأخيرة) أيضاً "حقه فى إنشاء سلطته الوطنىة المستقلة تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينىة بصفتها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى"، وقد مثلت العبارة الأخيرة إنجازاً مهماً لمنظمة التحرير الفلسطينىة لنتهى الوصاية التى أعطتها الأردن لنفسها على الأماكن المقدسة فى القدس والمسألة الفلسطينىة عبر احتلالها للمدينة المقدسة والضفة الغربىة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧^(٢٧).

وخلال هذه الفترة، حقق القادة الفلسطينيون أعظم نجاحاتهم فى توسيع نطاق التأييد لقضيتهم على الصعيد الدولى. وفى نوفمبر ١٩٧٤؛ تمت دعوة "ياسر

عرفات" زعيم المنظمة لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة^(٢٨)، التى تبنت بعد ذلك القرار (٣٢٣٦) معبرة عن قلقها العميق لعدم تحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية التى ما زالت "تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر"، وقد ذهب هذا القرار، الذى شكل نقطة تطور مهمة، أبعد من تصريحات الأمم المتحدة الأخيرة المؤيدة للحقوق الفلسطينية^(٢٩)؛ حيث أعاد التأكيد (بأغلبية ٨٩ صوتاً، ضد ٧ أصوات وامتناع ٣٧ عضواً عن التصويت) على "الحقوق التى لا يمكن التنازل عنها" للشعب الفلسطينى "فى حق تقرير المصير دونما تدخل خارجى"، والحق فى "الاستقلال الوطنى والسيادة"، كذلك فإن القرار دعم المطالبات الروتينية السنوية للجمعية العامة منذ عام ١٩٤٨، بتأكيد "أن حق الفلسطينيين غير قابل للتصرف فى العودة لمنازلهم وملكياتهم الذين شردوا منها، ودعا إلى عودتهم"^(٣٠)، وفى قرار مصاحب منحت الأمم المتحدة منظمة التحرير الفلسطينية صفة المراقب. وفى عام ١٩٧٥؛ ذهبت إلى حد إنشاء لجنة حول "ممارسة الحقوق التى لا يمكن التصرف فيها للشعب الفلسطينى"، واستمرت اللجنة فى العمل، من خلال سكرتارياتها (قسم حقوق الشعب الفلسطينى) كقاعدة دولية للتوثيق ولتأييد الدفاع عن الفلسطينيين.

ولم يجد شجب السفير الإسرائيلى لدعوة المنظمة الدولية لـ "عرفات" واتهامه لها بـ "الاستسلام لمنظمة من القتل تسعى لتدمير دولة عضو فى الأمم المتحدة" وإخضاع نفسها لمنظمة التحرير الفلسطينية المعروفة بتدبيرها عمليات قتل متعمدة للمدنيين، ورفضها لحق الشعب اليهودى فى الحياة، وسعيها لتدمير الدولة اليهودية بالقوة المسلحة^(٣١)، وبشكل أضاف إلى شعور إسرائيل بالعزلة اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً مشنوماً عام ١٩٧٥ ضد التفريعة العنصرية، تضمن سطره الأخير تأكيداً: "إن الصهيونية شكل من العنصرية والتمييز العنصرى"، وبالنسبة لليهود قدم هذا الموقف من الأمم المتحدة مثلاً على

التحيز الفاضح، يختار ويعاقب بشكل انتقائي اليهود وحركتهم للتحرير الوطني، ويربطها بشرور نظام "الأبارتايد" في جنوب إفريقيا، كذلك تم انتقاد الأساليب السياسية المستخدمة في تجنيد الأصوات لهذا القرار في الأمم المتحدة بسبب أنانيتها المفرطة^(٣٢).

ومن بين ما تضمنه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (٣٦٢٦) لعام ١٩٧٤؛ الاعتراف بالشعب الفلسطيني باعتباره "طرفاً رئيسياً في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط"، وعلى حين حظى ذلك التوجه لـ "إضفاء الصفة الفلسطينية" على الصراع بتعاطف المشاركين من أعضاء الأمم المتحدة، خاصة من الدول النامية، فإن تركيز المنظمة على الجوهر الفلسطيني- الإسرائيلي لم يمر دون نقد، فقد شكّا أحد الأساتذة، على سبيل المثال، من "شلال من المشاعر المؤيدة للفلسطينيين وإضفاء شكل منظمة التحرير على الأمم المتحدة، التي كثفت من زعمها لإسرائيل وتجييش الجهود لعزلها"^(٣٣)، وقد كرس أستاذ القانون "جوليوس أستون" مجلداً كاملاً للهجوم بقسوة على هذه التطورات في الأمم المتحدة من وجهة نظر القانون الدولي^(٣٤)، وبالنسبة لهؤلاء الناقدين فإن جوهر الصراع ليس عدم تحقيق مسعى الفلسطينيين من أجل تقرير المصير ولكن عدم قدرة العرب على قبول الواقع وشرعية الوجود الإسرائيلي ذاته.

سعى المتحدثون الرسميون والمعلقون الإعلاميون والمحامون والأكاديميون للقيام بهجوم مضاد، موسعين دائرة النقاش للتشكيك في مدى أصلية القومية الفلسطينية عموماً. وسعى بعض أعضاء الجمعية الأكاديمية الأمريكية للسلام في الشرق الأوسط، على سبيل المثال، لتقويض أو نزع الصفة الشرعية عن أي شكل قائم بذاته للدعوات الوطنية الفلسطينية^(٣٥)، وفي كثير من المنشورات والمنتديات العامة فإن الحجج التالية، وبعضها يتصل بالمقولات الجوهرية المثيرة للجدال التي

رأيها في السنوات المبكرة الأولى، تم تعديلها لتتفق مع ظروف السبعينيات والثمانينيات:

(١) تاريخياً لم يكن هناك ثمة شيء من قبيل شعب فلسطيني منفصل قائم بذاته، وهم الذين كانوا بعد الحرب العالمية الأولى يسمون أنفسهم "السوريون الجنوبيون".

(٢) لم يكن هناك على الإطلاق محتوى إيجابي للقومية الفلسطينية، التي ارتكزت أساساً على ردود فعل سلبية لجهود ونجاحات الصهاينة.

(٣) تأييد الدول العربية لمنظمة التحرير الفلسطينية والمطالبة بإنشاء الدولة الفلسطينية هو مجرد خدمة الذات، فقط أداة يمكن استخدامها (كما هي الحال بالنسبة للأجنيين) في معارك هذه الدول ضد إسرائيل - "الاستخدام المستمر لهذه المسائل كسلاح للعرب في حربهم ضد إسرائيل" وفقاً لكلمات السفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٧٤ (٣٦) - وإذا كان تأييد العرب لمطلب دولة فلسطينية أصيلاً وحقيقياً فلماذا لم تقم مصر والأردن، اللتان سيطرتا على أجزاء من فلسطين تحت الانتداب بين ١٩٤٩ و ١٩٦٧ بالتحرك لإنشاء دولة فلسطينية في هذه المناطق، في وقت توافرت لديهم القدرة على فعل ذلك؟

(٤) لا توجد ثمة حاجة حالياً لدولة فلسطينية مستقلة لأن الأردن هي بالفعل دولة فلسطينية، ومجدداً كما أعلن

السفير الإسرائيلي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ فإنه "جغرافيًا وعرفيًا فإن الأردن هي فلسطين"^(٣٧)، ولتأييد هذا الادعاء تمت الإشارة لحقيقة أن فلسطين الكبرى تحت الانتداب كانت في الأصل مقسمة من قبل "وينستون تشرشل" عام ١٩٢٢، لإنشاء إمارة "عبد الله" لشرق نهر الأردن، بما عناه ذلك من تضاعف سياسة الوطن القومي اليهودي فيما بعد لتقتصر في تنفيذها على فلسطين غرب الأردن^(٣٨).

٥) إنشاء دولة فلسطينية سيوفر قواعد متقدمة لمنظمة إرهابية كرسست نفسها لتدمير إسرائيل، ووفقًا للسفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة: "المسألة هي هل يجب إقامة سلام بين إسرائيل وجاراتها الشرقية فلسطين/ الأردن، أو هل يجب محاولة إقامة قاعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية في شرق إسرائيل، يمكن من خلالها الاستمرار في الحملة ضد وجود الدولة اليهودية"^(٣٩).

هذه الحجج تم طرحها على خلفية من العمليات شبه اليومية للعصابات/ الإرهابيين داخل إسرائيل، أو ضد أهداف إسرائيلية ويهودية في الخارج، والعمليات الانتقامية الإسرائيلية المتكررة على أهداف فلسطينية في لبنان وسوريا والأردن والتي ترتب عليها غالبًا "خسائر فرعية" مدمرة على السكان المدنيين، وشكاوى دورية ودفع في الأمم المتحدة ضد ما تقترفه إسرائيل من انتهاكات لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة منذ ١٩٦٧.

وبعيدًا عن الاهتمامات اليومية، جرت مناقشات ساخنة وبحوث ودراسات ليس فقط حول مشروعية قرارات الأمم المتحدة الخاصة بإنشاء دولة إسرائيل، ولكن لإعادة فتح الحكايات والقصص حول الحقوق الأساسية للفلسطينيين واليهود في السيادة وتقرير المصير^(٤٠)، وكما أن كثيرًا من اليهود الإسرائيليين يشعرون بالإهانة من إنكار العرب لحق إسرائيل في الوجود كدولة يهودية^(٤١)، كذلك العرب شعروا بدورهم بالإهانة من ملاحظات رئيسة وزراء إسرائيل "مائير" عام ١٩٦٩؛ على الرغم من اعتدالها في التعبير أو كما تم تفسيرها في السنوات التالية:

"لم يكن هناك شيء اسمه فلسطينيين، متى كان هناك شعب فلسطيني مستقل له دولة فلسطينية؟ كان هناك إما جنوب سوريا، قبل الحرب العالمية الأولى، ثم كانت بعد ذلك فلسطين المتضمنة الأردن، لم يكن هناك شعب في فلسطين يعتبر نفسه فلسطينيًا، قمنا بطرده عندما وصلنا وأخذنا بلادهم منهم، إنهم لم يكونوا موجودين"^(٤٢).

وقد انقلب الفلسطينيون والأردنيون، كل منهم لأسباب مختلفة، على فحوى ما رددته حزب العمل الإسرائيلي عن "الخيار الأردني"، وكذلك شعار حزب الليكود أن "الأردن هي فلسطين" معتبرًا الأردن دولة فلسطينية، فقد أعلن "إسحاق شامير"، زعيم الليكود، عام ١٩٨٢ أنه لا يوجد ثمة مكان في غرب الأردن لدولة فلسطينية ثانية، والذي سيكون "وصفة للفوضى، وتهديدًا لكل من إسرائيل والأردن، وفي الأغلب قاعدة للإرهاب والتغلغل السوفيتي"^(٤٣)، ومن وجهة نظر أردنية فإن هذه ليست إلا "مؤامرة إسرائيلية... لإنشاء دولة فلسطينية خارج فلسطين

التاريخية، كوطن قومي في الضفة الغربية وغزة ضد رغبات الفلسطينيين وعلى حساب الأردن^(٤٤).

أولئك الذين رفضوا الحجج الخمس السابق ذكرها، وجدوا حججاً مضادة ومناسبة لدعم جهود الفلسطينيين الساعية للحصول على الاعتراف بأنهم مطالبون شرعيون بتقرير المصير الوطني على التراب المتنازع عليه لفلسطين غرب نهر الأردن، وقد استندت بعض هذه الحجج المضادة إلى المواقف التي تبنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، وجرى تطويرها في إصدارات القسم الذي أنشئ حديثاً في الأمم المتحدة عن حقوق الفلسطينيين^(٤٥)، وعلى سبيل المثال:

١) دفاع الفلسطينيين عن خيار "سوريا الجنوبية" بعد الحرب العالمية الأولى لا يناقض هويتهم الفلسطينية الوطنية التي تركز على البلد المسمى فلسطين، لكنها كانت حقبة استراتيجية وانتقالية تستهدف تنمية العلاقات مع الدول العربية.

٢) الوطنية الفلسطينية هي تعبير أصيل لشعب محلى يسعى للسيطرة والسيادة على الأرض التي اعتبرها وطنه القومي لقرون، على الرغم من فرض الاستعمار عليه شعباً أجنبياً يدعى حقوقاً على الأرض نفسها.

٣) إن عدم إنشاء دولة فلسطينية بين ١٩٤٩ و ١٩٦٧ يمكن تفسيره بعدة أسباب داخلية فلسطينية وخارجية بين الدول العربية، اجتمعت لتجعل هذه الخطوة غير عملية أكثر من أنها تلاعب لخدمة قومية غير أصيلة.

٤) إن معظم الفلسطينيين الذين يعيشون في المملكة الأردنية الهاشمية هناك؛ لأنهم طردوا من وطنهم الحقيقي في فلسطين غرب نهر الأردن، وأن الأرض بين

البحر المتوسط والحدود الغربية للعراق كانت تسمى تحكيمًا "فلسطين" من جانب البريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، والأرض شرق الأردن لم ينظر إليها أحد من العرب الفلسطينيين باعتبارها وطنهم القومي ولم يعتبرها كذلك البريطانيون جزءًا من الوطن القومي اليهودي المستقبلي، والسكان المحليون في المملكة الهاشمية للأردن التي هاجر إليها الفلسطينيون أو هربوا إليها بعد ١٩٤٩ و ١٩٦٧ يتكونون من البدو والشركس والشيشان والأرمن وجماعات أخرى تتحدث العربية.

٥) إن إنشاء دولة فلسطينية سيعنى في نهاية الأمر انتفاء الحاجة للكفاح المسلح، وفي إطار التسوية السلمية ستكرس الحكومة الجديدة جهودها للعمل الخلاق لإنشاء الدولة واستعادة المجتمع الفلسطيني وبنيتة التحتية التي دمرت عام ١٩٤٨.

وقد كانت النقطة الخامسة في كلا القائمتين، ولا تزال حتى اليوم، مشكلة تأخذنا إلى الوراء دورة كاملة إلى المقولة الجوهرية المثيرة للجدال الحادية عشرة، التي تم إيضاحها من قبل وهي: هل الهدف الحقيقي للفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية هو الإزالة النهائية لإسرائيل وإنشاء دولة عربية فلسطينية مكانها، أم هو إنشاء دولة عربية فلسطينية على جزء فقط من فلسطين التاريخية/ إسرائيل لتعايش مع دولة يهودية إسرائيلية.

وفي النهاية؛ تجب ملاحظة أنه رغم التأييد القوي من جانب الولايات المتحدة لإسرائيل في رفضها الاعتراف والتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية ما لم توف بشروط معينة؛ فإن وجهة نظر أمريكا خلال هذه الفترة قد تضمنت إشارات وإيماءات للتوجه نحو اعتراف أكثر بدور مركزي للفلسطينيين^(٤٦)، على الرغم من أن الكثيرين ما زال لديهم نفور من أى اتصال رسمي أو اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وعلى أولئك المدافعين عن حقوق الفلسطينيين في أن

يتم التعامل معهم على الأقل على قدم المساواة مع الإسرائيليين على الصعيد الدبلوماسي، عليهم مواجهة الوقوع سلبيًا في شركين: استمرار عمليات الإرهاب الدولي التي يقوم بها الفلسطينيون خلال هذه الفترة، والخطاب صارخ العداء للصهيونية في الميثاق الوطني الفلسطيني، فالجمع دائمًا بين كلمتي "منظمة التحرير الفلسطينية" و"الإرهاب" يجعل من الصعب على المؤيدين للفلسطينيين الدفاع عن قضيتهم والحصول على مقعد على طاولة المفاوضات ومناقشة مستقبل وطنهم المتصارع عليه مع الإسرائيليين أو في المؤتمر الدولي الذي تشارك فيه الولايات المتحدة باعتبارها مهتمة. وسوف يأخذ الأمر جيلًا كاملاً قبل أن تتطور المواقف السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأمريكا، وإلى حد أقل، القادة الإسرائيليين بالموافقة على فتح طريق نجاه: أولاً حوار أمريكي- فلسطيني عام ١٩٨٨، ثم إشراك وفد فلسطيني قرعى في مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ (انظر: الفصل ١٠).

الهوامش

- (١) من أجل استعراض بليغ ومن مصدر أولى لهذه الأوقات والحالة المزاجية انظر فوزى تركى، *The Disinherited* فى *Journal of a Palestinian Exile* الطبعة الثانية، لندن/ نيويورك، *Monthly Review Press*، ١٩٧٤.
- (٢) أ.ل. طيباوى (رؤى العودة: اللاجنون الفلسطينيون العرب فى الشعر والفن العربى) *Middle East Journal* ١٧: ٥ (خريف ١٩٦٣، ص: ٥٠٧-٢٦).
- (٣) غسان كنفانى، *Palestine Children*: العودة إلى حيفا وقصص أخرى، ترجمة باربرا هارل ووكارين ريلي، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، ٢٠٠٠، ٧-١٨٦.
- (٤) أنيتا شابيرا، *Land and Power*: اللجوء للصهيونى إلى القوة، ١٩٤٨-١٨٨١، ترجمة ويليام تمبلر، ستانفورد، *CA: Stanford University Press*، ١٩٩٩، ٧٠-٣٩٦.
- (٥) حول تطور هذه الظاهرة انظر عمون روبنشتاين، *The Zionist Dream Revisited*: من هيرتزل إلى جوش إيمونيم والعكس، نيويورك: *Schocken Books*، ١٩٨٤، الفصل الثامن. برنارد وزارشتين، *Israelis and Palestinians*: لماذا يتحاربون؟ هل يمكن إيقافهم؟ الطبعة الثالثة، نيوهافن، لندن دار نشر جامعة يال / لندن: *Profile Books*، ٢٠٠٨، ٧-٣٢.
- (٦) عاموس إيلون، *The Israelis*: المؤسسون والأبناء، نيويورك: *Holt, Reinheart and Winston*، ١٩٧١، ١٩٩.
- (٧) بينى موريس، *Righteous Victims*: تاريخ الصراع العربى- الصهيونى، ١٨٨١-١٩٩٩، نيويورك: ألفريد كنف، ١٩٩٩/ لندن: جون موراي، ٢٠٠٠، ٣١١.
- (٨) انظر المرجع السابق على هلال الدسوقى (المتقنون العرب والنكبة: البحث عن الأصولية) *Middle Eastern Studies* ٩، ١٩٧٣ ص: ٩٥-١٨٧. والمصادر المذكورة

هناك. رافائيل باتاي، *The Arab Mind*، نيويورك: Charles Scribner's Sons، ١٩٧٣، ص: ٢٥٨-٦٧.

(٩) يزيد صايغ، *Armed Struggle and the Search for State*: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٩٣-١٩٤٩، دار نشر جامعة أوكسفورد/ واشنطن: *The Institute for Palestine Studies*، ١٩٩٧، ص: ٢٠٧-١٠ (الاقتباس من ص. ٢١٠). بينى موريس، *Righteous Victims*، ص: ٣٦٥-٧٠.

(١٠) إيان لوستيك (*Terrorism in the Arab-Israeli conflict: Targets and Audiences*) وذلك في *Terrorism in Context*، تحرير مارتا كرينشو، جامعة بارك دار نشر جامعة بنسلفانيا.

(١١) تفاصيل ذلك والفقرة المقبلة موجودة في بينى موريس *Righteous Victims*، ص: ٣٧٦-٨١.

(١٢) صايغ، *Armed Struggle*، ص: ٣٣٩-٥٧ يناقش (التنافس السياسى، المزايدة العسكرية) و(التحرك العسكرى من أجل الوضع الدبلوماسى).

(١٣) مرجع سابق جون كويجلى، *The Case for Palestine*: وجهة نظر القانون الدولى، طبعة جديدة ومنقحة، Durham, NC لندن: دار نشر جامعة ديوك، ٢٠٠٥ الفصل ٢٦-٧. ومن أجل مناقشة مفصلة للحوارات الفلسطينية حول استخدام حرب العصابات سواء داخل أو خارج إسرائيل/ فلسطين، انظر صايغ: *Armed Struggle*، الفصل الثامن.

(١٤) من أجل التصوير الخيالى وشبه السيرة الذاتية لهذه المعارك (ودوافع تعقيداتها) التى صارت ذات طابع شعبى فى الروايات والأفلام وخاصة رواية جون لوكارييه (*Spy Novel*) *The Little Drummer Girl*، لندن: Hodder and Stoughton، ١٩٨٣، وجورج جوناس وتقريره الصحفى المسمى (المعطف والخنجر): *The True Story of an Israeli Counter-Terrorist Team*، ١٩٨٤، تم نشرها فى نيويورك من دار سيمون وشوستر ٢٠٠٥، وكلاهما قد تحولا إلى أفلام ناجحة فى هوليوود، الأول عام ١٩٨٤ من إخراج جورج روى هيل وبطولة ديان كيتون، والأخير المعروف بـ (ميونخ) فى ٢٠٠٥ إخراج ستيفن سبيلبرج وبطولة إريك بانا.

(١٥) نيتانيل لورش، *One Long War*: العرب ضد اليهود منذ ١٩٢٠، نيويورك: دار نشر هيرزل، ١٩٧٦، xiv-xv.

(١٦) معهد واشنطن كان جزءاً من صفقة أدت إلى فصل القوات الإسرائيلية- المصرية فى سيناء عام ١٩٧٥، انظر ستيفن سيجل: *The Other Arab-Israeli Conflict*: صناعة السياسات الأمريكية فى الشرق الأوسط ، من ترومان إلى ريجان، دار نشر جامعة شيكاغو ١٩٨٥، ٣٠٠-٣. ومن أجل تقويم نقدي لهذا التعدى الأمريكى- الإسرائيلى انظر دونالد ريف (*Nixon's Middle East Policy*: من التوازن إلى الانحياز) وذلك فى *US Policy on Palestine From Wilson to Clinton* ، تحرير مايكل سليمان *Normal IL: AAUG Press* ، ١٩٩٥ ، ١٥٦. والتعهد الأمريكى جرى تكراره ضمن أشياء أخرى فى مذكرة المعاهدة الأمريكية - الإسرائيلية ١ سبتمبر ١٩٧٥ وأعيد إنتاجها فى: *The Israeli-Palestinian Conflict*: سجل وثائقي ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهودا لوكاش، دار نشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢، ٦٠-١.

(١٧) رشيد خالدى، *The Iron Cage*: قصة الكفاح الفلسطينى من أجل الدولة، بوسطن: *MA: Beacon*، ٢٠٠٦، ص: ١٥٦.

(١٨) بيان منظمة التحرير الفلسطينية الذى رفض القرار ٢٤٢، القاهرة، ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧، والذى أعيد إنتاجه فى كتاب لوكاش: *Israeli-Palestinian Conflict*، ٢٩٠-١. موقف منظمة التحرير جرى تكراره باستمرار والتذكير به فى القرارات التى تبنتها الاجتماعات التالية للمجلس الوطنى الفلسطينى.

(١٩) رشيد خالدى، *The Iron Cage*، ١٥٤-٦. صايغ، *Armed Struggle*، ص: ٦٨٤. حسين أغا، شاي فيلدمان، أحمد خالدى وزينيف شيف، *Track II Diplomacy*: دروس من الشرق الأوسط، كمبريدج، *MA: MIT Press*، ٢٠٠٣، ص: ١٠.

(٢٠) البرنامج السياسى للمرحلة الحالية عن المجلس الوطنى الفلسطينى، القاهرة ٩ يونيو ١٩٧٤، وجرى إعادة إنتاجه فى كتاب هاركابى: *The Palestinian Covenant and its Meaning*، لندن: *Valentine Mitchell*، ١٩٧٩، ص: ١٤٧. وترجمات أخرى فى: *The Israel Arab Reader*: تاريخ وثائقي لصراع الشرق الأوسط، الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وبارى روبين، دار نشر بنجوين، نيويورك ٢٠٠٨.

ص: ١٦٢. لوكاش، *Israeli Palestinian Conflict* ، ص: ٢٠٩. بنيامين نتانياهو، *A Durable Peace*: إسرائيل ومكانتها بين الأمم ، طبعة منقحة، نيويورك: Warner Books ، ٢٠٠٠ ، ٤٤١-٢ ، حيث جرت طباعته كملحق تحت عنوان: *The Phased Plan*.

(٢١) مرجع سابق (الفلسطينيون يريدون دولة مستقلة في الضفة الغربية وغزة ، والعيش في سلام وتعاون مع إسرائيل، وكان ذلك هو الهدف الفلسطيني الأكبر منذ منتصف السبعينيات ولم يتغير منذئذ) خليل الشقافي (*Ending the Conflict*): هل يمكن للأطراف أن يفعلوا ذلك؟) وذلك في كتاب: *The Israeli Palestinian Peace Process*: أوسلو ودروس الفشل، سيناريوهات المستقبل، العقبات والمستقبل، تحرير روبرت روزنشتاين، موشيه ماعوز و خليل الشقافي، *Brighton, UK / Protland, OR: Sussex Academic Press* ، ٢٠٠٢ ، ص: ٤٥، وأيضاً المرجع السابق ص: ٣٩.

(٢٢) موردخاي نيسان (*Harkabi's Despair*) *Midstream XXV*: ٥ (مايو ١٩٧٩) ٩-١٧. هاركابي (سياسة لحظة الحقيقة) *Jerusalem Post International Edition* ، الطبعة الدولية ١٣ فبراير ١٩٨٨ ص: ٩-١٠. هاركابي، (الذكرى الأخيرة) حوار مع بنحاس جينوسار وزكي شالوم، *Israel Studies 1:1* (ربيع ١٩٩٦) ص: ١٧١-٩٥.

(٢٣) هاركابي، *The Palestinian Covenant* ، ٨٦-٧. النية الزائدة للمادة ٢ المفتتحة (تشير إلى مصير إسرائيل) وقد صارت أكثر وضوحاً عندما جرت قراءتها مع المادتين الثالثة والرابعة من البرنامج (الذي أعيد إنتاجه في المرجع السابق ص: ١٤٧-٨). وانظر أيضاً مقالات هاركابي التفصيلية (*The Meaning of a Democratic Palestinian State*) أبريل ١٩٧٠، و (*The Debate at the Twelfth Palestinian National council*) يوليو ١٩٧٤، في هذه المجموعة، *Palestinians and Israel* ، نيويورك: جون ويلي (Halsted Press)، ١٩٧٤، ٧٠-١٠٦ و ٢٦٩-٨٣. مقال ١٩٧٠ المقتبس أعلاه أعيد طباعته كذلك كملحق في كتاب لأكبر وروبين: *Israel Arab Reader* ، ١٨٢-٩٤.

(٢٤) صايغ، *Armed Struggle* ، ص: ٣٢٢. لاحظ صايغ فيما بعد أنه من أجل استرضاء المشاعر الرجعية ولتقادي خلاف الاتشفاق العلني؛ فإن الاتجاه العام قد أضاف وأدخل نبرة جهادية في الإعلانات الأخيرة. المرجع السابق ص: ٣٤٢-٣.

- (٢٥) محمد مصلح، *Towards Coexistence*: تحليل قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، *Journal of Palestine Studies*، ١٩:٤ (صيف ١٩٩٠)، ٣-٢٩، وأعيد إنتاجه فى: *From War to Peace*: العلاقات العربية-الإسرائيلية ١٩٧٣-١٩٩٣، تحرير بارى روبين، جوزيف جينات وموشيه ماعوز، دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٥، ٢٦٥-٩١. خالدى، *The Iron Cage*، ١٥٤-٦، ١٦٩-٧٠، ١٩٢-٥.
- (٢٦) انظر مرجع سابق هاركاى، *Palestinians and Israel* و *The Palestinian Covenant*، نقد المعانى الخادعة للقرارات التى تبدو ايجابية للقائدات المجلس الوطنى الفلسطينى وتصريحات القادة الفلسطينيين.
- (٢٧) قرارات الزعماء العرب فى الرباط، ٢٨ أكتوبر ١٩٧٤ وأعيد إنتاجها فى كتاب إيان بيكرتون وكارلا كلاوزنر، *A History of the Arab Israeli Conflict*، الطبعة الخامسة، Upper Saddle River, NJ: Pearson/ Prentice Hall، ٢٠٠٧ ص: ١٧٦. عدنان أبو عودة، *Jordanians, Palestinians and the Hashimites Kingdom in the Middle East*، *Peace Process*، ١٩٩٩، ٢٠٩-١٣. رشيد خالدى، *The Iron Cage*، ص: ١٤٤.
- (٢٨) الجمعية العامة للأمم المتحدة ١١ نوفمبر ١٩٧٤، وأعيد إنتاجه فى كتاب لاكير وروبين: *Israel Arab Reader*، ص: ١٧١-٨.
- (٢٩) قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة لتجديد التفويض وميزانية الأثروا جاءت إثر المناقشات والمداولات السنوية وصارت أكثر وضوحاً وحساسية فى تحديد وتأكيد الحقوق الفلسطينية، انظر التغييرات فى الصياغة فى القرارات ٢٥٣٤، ١٠ ديسمبر ١٩٦٩. ٢٦٧٢، ٨ ديسمبر ١٩٧٠. ٢٧٨٧، ٦ ديسمبر ١٩٧١. ٢٩٦٣، ١٣ ديسمبر ١٩٧٢. ٣٠٨٩، ٧ ديسمبر ١٩٧٣. النص متاح فى: *United Nations Resolutions on Palestine and the Arab-Israeli Conflict*، المجلد الأول، ١٩٤٧-١٩٧٤ طبعة منقحة تحرير جورج طعمة، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية ١٩٨٨. هنرى كاتان، *Palestine and International Law*: الأبعاد القانونية للصراع العربى - الإسرائيلى، الطبعة الثانية، تقديم W.T. Mallison Jr. لندن: لونجمان ١٩٧٦ الملاحق.
- (٣٠) قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٣٢٣٦، ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤، المتعلق بالمسألة الفلسطينية جرى الدخول عليه ١٧ يوليو ٢٠٠٨ على:

<http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/9a798adb322aff38525617b006d88d7/025974039acfb171852560de00548bbe>

(٣١) خطاب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٣ نوفمبر ١٩٧٤، في كتاب يوسف تكوة: *In the Face of the Nations*: نضال إسرائيل من أجل السلام، تحري ديفيد أفليك، نيويورك: دار نشر سيمون وشوستر.

(٣٢) نص قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٧٩، (إلغاء كل أشكال التمييز العنصري) ١٠ نوفمبر ١٩٧٥، وجرى تبنيه بـ ٧٢ صوتاً موافقاً و ٣٥ معارضاً و ٣٢ ممتنعاً. والنص جرى الدخول عليه ١٧ يوليو ٢٠٠٨ على: <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/0a2a053971ccb56885256cef0073c6d4/761c1063530766a7052566a2005b74d1>. برنارد لويس *The Anti Zionist Resolution*، *Foreign Affairs*، ٥٥: ١ (أكتوبر ١٩٧٦)، ٥٤-٦٤. ألفين روبنشتاين، *Transformation: External Determinants*، وذلك في: *The Arab Israeli Conflict: Perspectives*، الطبعة الثانية تحرير ألفين روبنشتاين، نيويورك هاربر كولينز، ١٩٩١ ص: ٨٣ والقرار حول الصهيونية جرى إلغاؤه بعد ١٦ عاماً والنص والتعليق على قرار الجمعية العامة رقم ٤٦/٨٦ انظر موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: <http://www.mfa.gov.il/MFA/foreign%20relations/israels%20foreign%20relations%20since%201947/1988-1992/260%20general%20assembly%20resolution%2046-86-%20>

(٣٣) روبنشتاين (*Transformation*) ص: ٨٣.

(٣٤) جوليوس استون، *Israel and Palestine*: العدوان على قانون الأمم، بلتيمور MD: دار نشر جامعة جونز هوبكينز، ١٩٨١.

(٣٥) مايكل كيرتز، جوزيف ناير، حاييم أ.واكسمان، وألان بولاك- تحرير - *The Palestinians*: الشعب والتاريخ والسياسة، نيويورك روتزويك *NJ: Transaction books*، الذي تم إعداده تحت رعاية جمعية الجمعية الأكاديمية للسلام في الشرق الأوسط، سنة ١٩٧٥ - خاصة مقالات ماري سيركين (ص: ١٩٩-٢٠٨) وتيرانس بريتي (ص: ٢١٣-٢٧) وانظر أيضاً ماري سيركين (*Who are the Palestinians*) وذلك في الكتاب الذي حرره مايكل كيرتز تحت اسم: *People and Politics in the middle east*،

نيويورك، NJ: Transaction books/E.P.Dutton ، (في مجال الإعداد للمؤتمر الأول للجمعية الأكاديمية الأمريكية للسلام في الشرق الأوسط)، سنة ١٩٧١، ص: ٩٣-١١٠.

(٣٦) ملاحظات تكوة، مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٣ نوفمبر ١٩٧٤، *In the face* ، ص: ١٥٤.

(٣٧) المرجع السابق، ص: ١٥٥-٦. بول س. رينفيلد (*The Integrity of Palestine*) *Midstream* أغسطس-سبتمبر ١٩٧٥، ص: ٧-٢٧. استون، *Israel and Palestine* ، ص: ٢٢-٥.

(٣٨) من أجل التقديم القانوني لهذا الادعاء انظر ألان جيرسون، *Israel, The West bank and international law* ، لندن/ *Totwa* ، NJ: Frank Cass ، ١٩٧٨ ص: ٤٤-٥ *Cf.* والحجج المضادة لبرنارد وزارشتين، *Israelis and Palestinians* ، ص: ١٠٢-٦.

(٣٩) ملاحظات تكوة، مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٣ نوفمبر ١٩٧٤ والتي اقتبسها بيكرتون وكلاوزنر، *A History* ، ص: ١٩٧.

(٤٠) هنري كاتان، *Palestine and international law*: الأوجه القانونية للصراع العربي-الإسرائيلي، الطبعة الثانية، تقديم *W.T.Mallison, Jr.* لندن لونغمان سنة ١٩٧٦ الفصل السادس. استون، *Israel and Palestine*.

(٤١) الميثاق الوطني الفلسطيني، المادتان ١٩، ٢٠ (الاقتباس السابق، ص: ١٨)، ٢٢ (الاقتباس الأخير ص: ١٨٨).

(٤٢) مقابلة في الصنداي تايمز، لندن ١٥ يونيو ١٩٦٦، جرى اقتباسها في كتاب مروان معشر، *The Arab center*: الوعد بالاعتدال، نيوهافن، CT: دار نشر جامعة يال سنة ٢٠٠٨ ص: ٢٩٢ رقم ١١). *Cf, Baruch Kimmerling and Joel* س.ميجدال، *The Palestinian people: a history* ، دار نشر جامعة هارفرد، سنة ٢٠٠٣ ، xxvi-xxvii .

(٤٣) إسحاق شامير، (*Israel's Role in a Changing Middle East*) مجلة *Foreign Affairs* ٦٠: ٤ (ربيع ١٩٨٢)، ص: ٧٩١. انظر، معشر، *The Arab Center* ، ص: ٢١.

(٤٤) معشر، المرجع السابق، ٢١. وعن السياسة والجدال بين الأردن وفلسطين انظر رافائيل إسرائيلي (*Is Jordan Palestine?*) وذلك في كتاب (*Israel, The Hashimites*)

and the Palestinians: المثلث الحاسم) تحرير إفرانيم كارش و P.R. Kumaraswamy، لندن فرانك كاس، سنة ٢٠٠٣، ص: ٤٩-٦٦.

(٤٥) قسم حقوق الفلسطينيين فى الأمم المتحدة، (*The Origins and evolution of the Palestine Problem*: ١٩٨٨-١٩١٧ الجزء الأول، ١٩١٧-١٩٤٧) Posted ٣٠ يونيو ١٩٩٠، تم الدخول عليها يوم ١٣ أبريل ٢٠٠٨ على موقع: <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561c6ee353d740fb8525607d00581829/aeac80e740c782e4852561150071fdb0>.

(٤٦) كان هناك صانعان مهمان أنيا إلى ذلك وهما تصريح نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا السيد هارولد سوندرز أمام اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية بالكونجرس حول الشرق الأوسط يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥، الذى أعيد إنتاجه فى كتاب لأكير وروبين، مرجع سابق، ص: ٢٠٣-٦، وتقرير معهد بروكنجز لمجموعة الدراسة المسمى: *Toward Peace in the Middle East*، ديسمبر ١٩٧٥، الذى جرى الدخول عليه فى موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: <http://www.mfa.gov.il/MFA/foreign%20relations/israels%20foreign%20relations%20since%201947/1974-1977/144%20toward%20peace%20in%20the%20middle%20east-%20report%20of%20the> هناك العديد من المؤلفين المشاركين سيصبحون عاجلاً مستشارين للشرق الأوسط بالنسبة للرئيس الأمريكى القادم جيمى كارتر.

الفصل التاسع

من كامب ديفيد إلى الضفة الغربية إلى لبنان

كامب ديفيد وعملية السلام الإسرائيلية- المصرية:

غداة حرب أكتوبر ١٩٧٣؛ أسرع اللاعبون الرئيسيون فى الدبلوماسية الدولية الخطى فى السعى لإيجاد تسوية للصراع العربى- الإسرائيلى، وإن كان لم تتم دعوة الفلسطينيين كما تمثلهم الآن منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فى العملية، وعلى الرغم من اعتقادهم بالانتصار بمفاجأتهم الإسرائيليين وعبور قناة السويس واجتياحهم خطوطهم المتقدمة، فقد بدأت مصر والدول العربية فى إدراك أنه لا يوجد ثمة حل عسكري خالص لنزاعهم مع إسرائيل، وأنه يلزم اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية كذلك، وقد كررت الدول العربية المشاركة فى قمة الجزائر، أواخر نوفمبر ١٩٧٣، التصريحات المعتادة المطالبة بالانسحاب الإسرائيلى التام من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧، وأكدت على التأييد الكامل للفلسطينيين، إلا أنهم ألمحوا إلى أن التحرك من وقف إطلاق النار إلى السلام يمكنه تحقيقه إذا ما توافر شرطان مسبقان:

(١) انسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة بما فيها القدس.

(٢) إعادة الحقوق الوطنية الكاملة للشعب الفلسطينى^(١).

وكانت الجهود الدولية تجاه التسوية خلال هذه الفترة تديرها الولايات المتحدة، خاصة من خلال وزير الخارجية "هنرى كيسنجر"، الذى تمكن بإصرار

غير عادى، ومهارة وجهد كبير أن يجعل من الولايات المتحدة الوسيط المتميز فى الشرق الأوسط، منحيا الاتحاد السوفيتى الذى كان تحت مظلة الأمم المتحدة، الشريك فى الدعوة لعقد مؤتمر جنيف فى ديسمبر ١٩٧٣. إن هذا المؤتمر الذى دُعيت إليه الدول العربية وإسرائيل للجلوس لمناقشة السلام، جرى افتتاحه ببيانات قوية ذات صياغة متوقعة بتصريحات وبيانات قوية الصياغة، وتم تأجيله دون إبطاء إلى أجل غير مسمى، واستمرت فكرة استئناف الأطراف للمناقشات فى مؤتمر دولى فى جنيف أو غيرها تطفو على السطح دون نتيجة عملية حتى ١٩٩١ (انظر: الفصل ١٠).

تحت مظلة مؤتمر جنيف المؤجل، استمر "كيسنجر، فى ممارسة فن "الدبلوماسية المكوكة" عبر التنقل بين عواصم الشرق الأوسط لصياغة بنود اتفاقيتين لفصل القوات بين إسرائيل ومصر (وقعتا فى ١٧ يناير ١٩٧٤، وأول سبتمبر ١٩٧٥) واتفاقية بين سوريا وإسرائيل (وقعت فى ٣١ مايو ١٩٧٤)، وعلى غرار اتفاقات الهدنة العامة التى توسط فيها "رالف بانس" عام ١٩٤٩، اقتصرت هذه الاتفاقات على المسائل العسكرية، وإن كانت قد وفرت فى الوقت ذاته أسسا استندت إليها المحاولات المستقبلية للتفاوض حول السلام، وعلى الرغم من أن القادة الإسرائيليين لم يكونوا دائما سعداء بالتنازلات التى ضغط عليهم كيسنجر ليقبلوها، فإنهم استفادوا من (وكان العرب يشعرون من جانبهم بالإحباط من) قبوله لاستراتيجيتين مفضلتين من قبل إسرائيل للتفاوض: التعامل مع كل دولة عربية على حدة (واحدة بعد الأخرى) وليس معا فى مؤتمر دولى متعدد الأطراف؛ واستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية، على الرغم من وضعيتها وشعبيتها المتزايدة فى الأمم المتحدة.

انخرط الرئيس المصري "أنور السادات" في المفاوضات مع "كيسنجر" ساعياً للاقترب من الولايات المتحدة أملاً في ممارستها للضغط على إسرائيل، وبالمقابل وضعت جهود "كيسنجر" للوساطة بلاده، للمرة الأولى، كـ "وسيط أمين" بين الدول العربية وإسرائيل، وفي أعقاب تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة، عام ١٩٧٧، انخرط الرئيس "جيمي كارتر" شخصياً في لقاءات منفردة مع قادة الدول العربية وإسرائيل على أمل أن يجمعهم معا للبحث عن السلام، إلا أنه عندما شرع في التنسيق مع الاتحاد السوفيتي لإعادة عقد مؤتمر جنيف وجد نفسه وقد تم تجاوزه من قبل كل من رئيس وزراء إسرائيل الجديد اليميني "مناحم بيجن" والرئيس المصري "السادات"، اللذين فضلاً فتح قناة للاتصالات الثنائية لتقادي دائرة أوسع من اللاعبين.

وبعد القيام ببعض الجهود الدبلوماسية السرية للغاية لجس النبض عبر المغرب، فاجأ "السادات" الأصدقاء والأعداء على السواء بإعلانه الدراماتيكي في مجلس الشعب المصري، في التاسع من نوفمبر ١٩٧٧، أنه مستعد لأن يذهب لأي مكان- حتى الكنيسة الإسرائيلية- لمناقشة إعادة الأراضي المحتلة، وتسوية قضية فلسطين والسلام، وهو ما قوبل من رئيس الوزراء الإسرائيلي بتوجيه الدعوة على التو.. وهكذا فإنه مع كسر حالة الجمود التي أعقبت حرب ١٩٦٧ واستعادة درجة من الكرامة العربية نتيجة لحرب ١٩٧٣، شعر "السادات" بالثقة بالذات بما يكفي لتجاوز تحريم التعامل المباشر مع العدو، وأن ينخرط في "الدبلوماسية البطولية"^(٢).

تضمنت زيارة "السادات" المثيرة للقدس (١٩-٢١ نوفمبر ١٩٧٧) خطابات بليغة نقلتها وسائل الإعلام إلى أرجاء المنطقة^(٣)، كما دارت مناقشات في جلسات مغلقة تم خلالها تقديم توضيحات أولية لمواقف الطرفين من قضايا النزاع، وكان

للفتة الجريئة التي قام بها "السادات" أثرها في كسر بعض الحواجز النفسية ومثلت انفتاحاً مهماً واتصالاً مباشراً كان مفقوداً من قبل، إلا أن الزيارة نفسها، وما تضمنته من تبادل أولى لوجهات النظر لم يكن من شأنهما أن يؤديا إلى التقريب بين الطرفين فيما يتصل بالكثير من القضايا الملموسة والوجودية موضع الصراع، ما أكد صحة ملاحظة "يهوشافاط هارا كابى" عام ١٩٧٤:

"إن اليوم الذى ستبدأ فيه المفاوضات سيكون فى الحقيقة مناسبة عظيمة تستحق الاحتفال، ولكن دعنا نتذكر الدروس التى تعلمها لنا علماء النفس والمتصلة بأن الاتصالات المباشرة بين الجماعات الإنسانية لا تقربهم دائماً من بعضهم بعض، ولكن ربما تجعلهم يدركون إلى أى مدى كانوا بعيدين، مما قاد إلى المزيد من النفور"^(٤).

خلال الشهور التالية، استمرت المفاوضات الصعبة فى لقاءات تتابعت بين الدولتين وكشفت ليس فقط عن وجود بعض ملامح الأرضية المشتركة، وإنما أيضاً لسوء الفهم والمآزق المتكررة، وصار من الواضح أن هناك مستويين من الصعوبات يجب تخطيها: الموضوعات الثنائية بين مصر وإسرائيل، وتلك الأوسع والأعمق بين العالم العربى والفلسطينيين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى^(٥)، وإزاء العجز عن التقدم فى المفاوضات اتجه كل طرف أكثر فأكثر إلى الولايات المتحدة لبحث الطرف الآخر على العقلانية. وبوصولها مرحلة شبه التوقف وباتت على وشك الانهيار، قام الرئيس كارتر بدعوة رئيسى الدولتين إلى المنتجع الرئاسى الهادئ فى كامب ديفيد بولاية ميرلاند فى سبتمبر ١٩٧٨ لمحادثات الثمانية أيام عالية المستوى والمكثفة^(٦).

عكس الاختراق التاريخي المتمثل فيما أصبح يعرف بـ "اتفاقات كامب ديفيد" الثنائية الوليدة بين الموضوعات الأوسع المتصلة بالقضايا الإسرائيلية-ال فلسطينية/ العربية، والاهتمامات المحدودة لكل من مصر وإسرائيل، فقد تم التوصل إلى وثيقتين: "إطار للسلام في الشرق الأوسط"، و"إطار للتوصل إلى اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل"، وسلسلة من الخطابات القصيرة المتبادلة بين أمريكا ومصر، وبين أمريكا والجانب الإسرائيلي؛ تضمنت وضع التزامات وشروط إضافية. وقد أمل الموقعون- بلا جدوى كما اتضح فيما بعد- أن تفتح الاتفاقية الإطارية الأولى الطريق أمام دول عربية أخرى وممثلي الفلسطينيين للانضمام وتوسيع عملية السلام لتتجاوز البعد الثنائي، كذلك أضحت هذه الوثيقة المدخل لبداية "محادثات الحكم الذاتي" المتصلة بالضفة الغربية وقطاع غزة، والتي كان من المفترض أن تؤدي إلى "الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومطالبه العادلة، وبهذه الطريقة فإن الفلسطينيين سيشاركون في تقرير مستقبلهم" (٧)، وفي المقابل تم تجسيد الوثيقة الإطارية الثنائية في اتفاقية رسمية وقعت في حديقة البيت الأبيض يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ وسط جو من الاحتفال والسعادة، بعيداً عن احتجاجات مؤيدي الفلسطينيين خارج الأبواب ووراء الأسوار (٨).

عكس "السلام المنفصل" الذي وقعه "السادات"، كما أشارت إليه الإدانات الصادرة من معظم القادة العرب، إرهاب مصر من تحملها أكثر من نصيبها من المسؤولية العربية في الدفاع عن القضية الفلسطينية في حروب ثلاثة رئيسية، وكانت علامة على ابتعاد مصر المؤقت عن محيطها العربي، وهو ما أعقبه على الفور التشهير بـ "السادات" لشقه الصفوف وإقدامه على الخيانة (٩)، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن من النجاح، على عكس إخوانه الأكثر ثورية، على الأقل في تحرير بعض الأراضي العربية من سيطرة إسرائيل. ونتيجة لتحركها المنفرد، تمت

معاقبة مصر بعزلها، على مدار عقد من الزمان، من اللقاءات العربية، فيما دفع السادات الثمن الشخصي الأكبر باغتياله أثناء عرض عسكري في أكتوبر ١٩٨١ (١٠).

وفي أبريل ١٩٨٢؛ أكمل الجيش الإسرائيلي الانسحاب القسري للمستوطنين اليهود الراضين من سيناء في مستعمرة "ياميت"؛ متمماً بذلك الالتزامات الرئيسية المتصلة بالأرض وفقاً للاتفاقية، وعلى الرغم من العديد من الضغوط على المصريين والشكاوى من لعدم الالتزام بالتعهدات المتضمنة، فإن هذه الاتفاقية العربية- الإسرائيلية الأولى للسلام استمرت قائمة حتى اليوم، لكن نوعية العلاقات بين الشعبين في الدولتين (اقتصادية ودبلوماسية وسياحية) لم تكن على ما يرام وتم وصفها في الأغلب الأعم بـ "السلام البارد"؛ وكان من الضروري الانتظار حتى مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ليرى المشاركون الأصليون في كامب ديفيد التحاق دول عربية أخرى والفلسطينيين بـ "دائرة السلام".

الضفة الغربية وغزة بعد كامب ديفيد:

بالعودة للوراء، يبدو من السهل انتقاد الذين صاغوا اتفاقات كامب ديفيد لعدم تمكنهم من العثور على الصيغة الكفيلة بتضمين الفلسطينيين، إلا أنه في ضوء المواقف المتشددة لكل من إسرائيل (ومؤيديها الأمريكيين) ومنظمة التحرير الفلسطينية (ومسانديها من العرب والسوفييت وغيرهم) فيما يخص شروطهم للموافقة على الاعتراف والتعاون المباشر مع بعضهم بعض، يكون من الأرجح أنه أيًا كان حجم الجهود الدبلوماسية الخلاقة في كامب ديفيد، فإنه كانت لا تكفي لجذب الفلسطينيين إلى الإطار الذي اختاره المشاركون في كامب ديفيد لسلام الشرق الأوسط.

أضحت العلاقات متوترة بشكل متزايد فى الضفة الغربية وغزة اللتين سيطرت عليهما إسرائيل فى حرب عام ١٩٦٧؛ حيث تزايد عدد المستوطنين بسرعة فائقة تحت حكم الليكود ورئيس وزرائه "مناحم بيجن" من ٣٢٠٠ فى ٢٤ مستوطنة عام ١٩٧٧ إلى ٤٢٦٠٠ وفيما يزيد على مئة مستوطنة عام ١٩٨٤^(١١) متعدين على الأرض الفلسطينية، وجالبين حماية مشددة من الجيش وشرطة الحدود، وفى هذا الوقت أصبح الكثيرون مما يزيد على مليون فلسطينى فى هذه المناطق يعتمدون على العمل اليومى كعمال يسافرون يوميا من مدنهم وقراهم لأماكن فى داخل إسرائيل، وقد كانت نوعية هذه العلاقات بين الإسرائيليين والفلسطينيين على الأرض (بين المحتل ومن يخضع للاحتلال، بين السيد والخادم، بين صاحب العمل ومن يعمل لديه)، صعبة وقاسية وفى بعض الأحيان عنيفة^(١٢)، ومع تعاقب السنوات تلاشت التوقعات الأولية بأن الاحتلال سينتهى مع قبول السياسيين بصيغة الأرض مقابل السلام والجلوس معا للاتفاق على التفاصيل، وصارت الاعتداءات على حقوق الإنسان شائعة؛ حيث حكمت السلطات الإسرائيلية، العسكرية فى جوهرها وإن كانت بمظهر خارجى مدنى، سكانا فى غالبيتهم الكبرى مسالمين؛ لكنهم فى حالة نفور وامتناع.

وعلى الرغم من ضرورة العلاقات العامة لتصوير الاحتلال على أنه متطور ومعتدل للرأى العام الإسرائيلى وللعالم، وعلى الرغم من طموحات الإسرائيليين فى أن يتم النظر إليهم على أنهم يحترمون حقوق الإنسان، فقد كانت الحقيقة، كما يصفها المؤرخ الإسرائيلى "بيني موريس"، "مختلفة بشكل جذرى":

"مثل كل الاحتلالات، قام الاحتلال الإسرائيلى على القوة الغاشمة، والقمع والخوف، والخيانة والغدر، والاعتداء

بالضرب وغرف التعذيب، والترهيب اليومي، والإهانة،
والتلاعب، ومن الصحيح أن الافتقار النسبي للمقاومة
والعصيان المدنى على مدار السنوات قد مكن الإسرائيليين
من الحفاظ على واجهة عادية وفرض سيطرتهم بقوة أقل
نسبياً^(١٣).

ويتفق أستاذ العلوم السياسية الأمريكي "الان دوتى" مع ما تقدم بقوله: "إن
الاحتلال العسكرى هو احتلال عسكرى حتى لو طبقته دولة ديمقراطية، وحتى لو
جلب منافع مادية"^(١٤)، وكثير من الإجراءات الذى يطلبه الاحتلال يتعارض، بحكم
التعريف، مع الحقوق العادية والحريات التى تدعيها الدول الديمقراطية ويتمتع بها
مواطنوها، وعلى الرغم من تقييدها من قبل المعايير القانونية الدولية، فإن سلطة
الاحتلال لها حرية كبيرة لاتخاذ إجراءات أمنية عند الضرورة لحماية قواتها التى
من المفروض أنها مؤقتة وللحفاظ على النظام العام، ومن هذا المنطلق أضحي
الطرد، فرض الأحكام العرفية، إقامة نقاط التفتيش، تقييد التحركات، الترحيل،
إغلاق المدارس والأعمال، الحبس الإدارى، هدم المنازل، الاستيلاء على الأراضي
لأغراض عسكرية (موضع تساؤل)، كل ذلك صار جزءاً من الحياة اليومية
للفلسطينيين تحت سيطرة إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة^(١٥).

وفى ظل غياب المفاوضات واستمرار الاحتلال خلال السبعينيات ثم
الثمانينيات وما وراءهما، تفاقمت التوترات بفعل عاملين: أحدهما تعاضد الشكل
العنيف للحذر بين شريحة من سكان المستوطنات؛ والثانى الغموض الذى أحاط
بنوايا إسرائيل النهائية، ما ولد دائرة من الهجوم والهجوم المضاد؛ حيث قام
الفلسطينيون بترهيب المستوطنين اليهود باستهداف حافلاتهم المسافرة من وإلى

مستوطنات الضفة الغربية ونصب الكمائن لهم عند دخولهم مدناً مثل "الخليل" التي تضم أماكن مقدسة متداخلة لليهود والمسلمين^(١٦). ومن جانبهم، لم يكتفِ المستوطنون اليهود بالحماية من قبل القوات المسلحة، وإنما حملوا السلاح، وغالباً ما كان المستوطنون المسلحون مصدرًا للتخويف ويقومون بالثأر بالطريقة التي يرونها مناسبة، ويتم استدعاء الجيش للتدخل وكبح جماح المستوطنين الأكثر عدوانية الذين يسيئون للفلاحين الفلسطينيين وأهل الريف وسكان المدن القريبة من المستوطنات^(١٧).

في أوائل الثمانينيات، شكّل عدد من المستوطنين المتطرفين جماعة سرية تحت اسم "تي. إن. تي" وتعني بالعبرية "الرعب ضد الرعب"، وقامت بأعمال من قبيل وضع القنابل في حافلات، واستهداف العديد من سيارات العمدة البارزين، وتم تفسير ذلك ليس فقد بالحجة المعتادة المتصلة بالردع (خاصة عندما يتم انتقاد الجيش بعدم توفيره الحماية الكافية) والرد، وقد اكتسب الحجة الأخيرة مباركة دينية من بعض الحاخامات الذين رعوا أن الأرض موعودة لليهود وعلى الغرباء (العرب) الرحيل أو الدفع لذلك، كما أن بعض الأصوليين من المستوطنين نظروا إلى الفلسطينيين باعتبارهم يجسدون - في القرن العشرين - قبيلة "الأملاك" المنصوص عليها في التوراة في سفر الخروج (١٧:١٤-١٦ ديوترونومي ٢٥:١٧-١٨ وغيرها) ويستحقون المطاردة في أي مكان حتى يتم محو الأشرار من الأرض^(١٨).

وبشكل أعمق وأوسع، أسهم الغموض الجوهري حول النوايا الإسرائيلية في خلق التوتر: هل ستستجيب الحكومة، خاصة - وليس فقط - إذا ما وصل الليكود اليميني - القومي إلى سدة الحكم؛ لرغبات الأقلية الأصولية مرتفعة الصوت ويتحرك تدريجياً نحو ضم الأراضي لتصبح جزءاً من أرض إسرائيل الأكبر

(إيريتز إسرائيل هاشليما) وفقاً للنبوءات التوراتية؟ أم ستوافق الحكومة، متأثرة برأى الأغلبية العلمانية من المواطنين، تحت قيادة حزب العمل ونتيجة لحسابات برجماتية استراتيجية، إعادة معظم المناطق المحتلة وتسحب قواتها وتجلى المستوطنين وكل مظاهر التواجد الأخرى فور التوصل لاتفاقات سلام وترتيبات مقبولة بشكل مفضل مع "المالك" أو "المحتل" السابق (المملكة الأردنية الهاشمية) وليس منظمة التحرير الفلسطينية المكروهة و"الإرهابية"؟ وبعبارة أخرى، هل كانت إسرائيل تتعامل مع الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ كأجزاء مستقبلية من أرض إسرائيل الموسعة، أم كورقة مفاوضات تتم مبادلتها بالسلام وفقاً للقرار (٢٤٢)؟ وفي الواقع، بدت سياسات الحكومة وبياناتها وكأنها تشير إلى الأمرين معاً.

وفي ظل غياب أى إشارات واضحة أو مستمرة من جانب إسرائيل، لم تتوقف حركة الزمن واستمر فرض الحقائق على الأرض، خاصة توسع المستوطنات وتوفير البنية الأساسية اللازمة للحفاظ عليها وحمايتها، وفي الوقت الذي أضحى فيه التوتر والعنف هما اللغتان المعتادتان بين الإسرائيليين والفلسطينيين في الأراضي المحتلة، استمرت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في المقاطعة المتبادلة على الصعيد السياسى، على الرغم من وجود من يخرج على الجماعة أحياناً في كلا الطرفين، الذي يخاطر بعقوبات قانونية وسياسية وجسدية، ويتجرأ على الحديث مع العدو سرّاً في أرض محايدة في تحدٍ للتوافق القومى؛ حيث دفع التعب من الصراع والحاجة للبحث عن تسوية البعض للسعى إلى الحوار، وبعضهم، مثل الناشطين الفلسطينيين عصام سرطاوى وسعيد حمامى، تلقى طلقات قاتلة لخيانتهم ورغبتهم في الحديث مع العدو، وبشكل ما ساعد هؤلاء المبشرون في السبعينيات والثمانينيات في تمهيد الطريق للحوار على المستوى الأعلى بين

الإسرائيليين والفلسطينيين، عندما تم تجاوز هذه المحرمات نهائياً في أواسط ١٩٩٣^(١٩).

تمثلت المتابعة الرئيسية لما تم الاتفاق عليه في قمة كامب ديفيد في محاولة إدارة مفاوضات حول الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية - المعروفة لدى الإسرائيليين باسمها التوراتي "يهودا والسامرة" - وقطاع غزة، فعلى مدار عامين منذ منتصف عام ١٩٨٠ تم عقد ما يقرب من عشرين اجتماعاً بين المبعوثين الإسرائيليين والمصريين والأمريكيين، إلا أنها انتهت دونما نتيجة ودون انخراط فلسطيني حقيقي؛ ما زاد من المرارة من جانب المشاركين، وكان كل التحرك مصاباً بوباء ناتج عن فجوة واسعة بين المصالح والتفسيرات التي كان يكمن خلفها نمط قوى من عدم الاعتراف المتبادل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، تم التعبير عنه بالطرق التالية:

(١) المفاهيم الإسرائيلية والمصرية والفلسطينية للحكم الذاتي وتعريفاته كانت مختلفة من حيث الروح والتطبيق، فباعترافها فقط بالحكم الذاتي للشعب دون تطبيقه على الأرض سعت خطة "بيجن" للحكم الذاتي لتفادي التعامل مع الفلسطينيين كمجتمع قومي، وفي المقابل فإنه بالنسبة للمصريين والفلسطينيين فإن فكرة الحكم الذاتي ذاتها تفترض التطور نحو تقرير المصير - إن لم تكن الدولة الفلسطينية ثم كيان بشكل ما - وهذا ما كان على وجه التحديد الخط الأحمر الذي لم يرد "مناحيم بيجن" تخطيه^(٢٠).

٢) الإصرار الإسرائيلي على عزل منظمة التحرير والأشخاص المرتبطين بها قابله رفض منظمة التحرير الفلسطينية المشاركة في المباحثات، التي تم شجبها على أنها "مؤامرة كامب ديفيد" لجلب الفلسطينيين إلى حكم ذاتي مخزٍ لن يؤدي إلى تقرير المصير.

٣) تم التعامل مع الفلسطينيين الذين أظهروا اهتمامًا بهذه العملية كخونة، نجحت المنظمة في فرض مقاطعة على مشاركتهم فيها باستخدام التهريب في بعض الأحيان.

٤) خيمت المرارة العربية والفلسطينية كسحابة على المحادثات، عندما أصبح من الواضح أن حكومة "بيجن" - على العكس مما فهمه كل من "كارتر" و"السادات" في كامب ديفيد - ليست لديها النية لتجميد خطط بناء مستوطنات يهودية جديدة في الأراضي المحتلة.

وبعد مضي خمسة عشر عامًا، عكس الانتقال الصعب إلى تأسيس "سلطة فلسطينية مؤقتة للحكم الذاتي"، التي دعا إليها "اتفاق المبادئ" (انظر: الفصل ١٠) تشابهات غريبة مع المآزق والمواقف التي سادت المناقشات الأولية حول الحكم الذاتي الفلسطيني، كذلك يذهب بعض المعلقين عندنا، ينظرون إلى الوراء، إلى أن الرفض الفلسطيني لخطة "بيجن" على أنه "فرصة ضائعة" للدفع إلى الأمام لتحقيق هدف إنشاء الدولة (انظر: الفصل ١١).

تداخلت مرحلة محادثات الحكم الذاتي مع سياسات إسرائيلية جارية في الأراضي المحتلة سعت لتقوية قيادات من القرى لتكون قوة سياسية مناوئة لمنظمة

التحرير الفلسطينية (روابط القرى)، وقد تم النظر إلى هذا المسعى باعتباره دعمًا لما سمي بالمعتدلين ضد المتطرفين، الأمر الذي ذكر بتأييد الصهاينة للجماعات المعادية للمفتى خلال العشرينيات في فلسطين تحت الانتداب^(٢١)، وقد غذت هذه التكتيكات الإسرائيلية التنافس داخل المجتمع الفلسطيني؛ حيث إنه كما كانت عليها الحال في الفترات السابقة الصراعات بين الفصائل والشخصيات الفلسطينية المتنافسة الذين يدعون الحديث نيابة عن كل الفلسطينيين؛ شكلت نقطة ضعف للحركة الوطنية في مواجهتها مع المستوطنين ما قبل ١٩٤٨ وإسرائيل. غير أنه في نهاية المطاف كسبت القوى المناصرة لمنظمة التحرير معركة المصادقية والقيادة بين فلسطيني الضفة الغربية وغزة^(٢٢)، وهذا التطور كان بالنسبة لكثير من الإسرائيليين درسًا صعبًا وغير مرحب به بالنسبة لإسرائيل حول استحالة اختيار "الشريك في السلام" وأنه يلزم صنع السلام مع الأعداء حتى إن كان ممثلوهم الرسميون مكروهين ولا يستحقون.

حرب لبنان ١٩٨٢:

مع تحول جنوب لبنان إلى المنطقة الأساسية التي تنطلق منها الغارات الفلسطينية والقصف الإسرائيلي في أعقاب ١٩٧٠، أضحت الحدود الإسرائيلية-اللبنانية منطقة حرب مع تصاعد مستمر للهجوم والهجوم المضاد، وبعد استكمال انسحابها من سيناء في أبريل ١٩٨٢؛ فإن إسرائيل نظرت بجدية في القيام بعمل عسكري لإنهاء التهديد المقبل من "أرض فتح" كما سمي بعض منطقة جنوب لبنان التي بدا أن قوات منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تحكمه وليست حكومة بيروت الضعيفة. وكانت محاولة اغتيال دبلوماسي إسرائيلي في لندن بمثابة

الاستفزاز الذي استخدمته إسرائيل للقيام بغزو كامل شامل لجنوب لبنان في ٦ يونيو ١٩٨٢، ووراء الهدف العسكري المعلن والمتمثل في دفع القواعد والمدفعية الفلسطينية للوراء إلى مسافة ٤٠ كيلو متراً، تمثل الهدف السياسي في طرد منظمة التحرير كلية من لبنان، وذهب الكثير من الطامحين الإسرائيليين إلى حد الأمل في إحداث تغيير في النظام اللبناني وإعادة هيكلة التحالفات السياسية الداخلية (التي يهيمن عليها النفوذ السوري القوي) بطريقة تخدم أكثر المصالح الإسرائيلية ولتوقيع اتفاق سلام مع حكام لبنان المستقبليين.

وفي مسعى لفرض خروج منظمة التحرير ومكاتب ومقاتلي غيرها من المنظمات من بيروت؛ فرض جيش الدفاع الإسرائيلي حصاراً على العاصمة اللبنانية لمدة ٧ أسابيع. وحقيقة الأمر؛ فإنه يصعب التحديد الدقيق لليوم الذي انتهت فيه الحرب (ربما آخر أغسطس أو أوائل سبتمبر)، وقد أسفر العديد من اتفاقات وقف إطلاق النار وإعادة الانتشار والترتيبات التكتيكية، عن انسحاب القوات الإسرائيلية، بعد قرابة ثلاث سنوات، لعدة كيلو مترات شمال الخط الدولي للحدود. وتحت ستار حماية مدنها والمستوطنات في الشمال أعلنت إسرائيل هذه المناطق الحدودية منطقة أمنية يسيطر عليها جيش الدفاع لخمسة عشر عاماً تالية بمساعدة قوة بالوكالة تحت مسمى جيش لبنان الجنوبي الذي أنشئ خصيصاً بهدف استبعاد أو السيطرة على المقاتلين والمدفعية الفلسطينية^(٢٣).

وقد تمثلت كلفة حرب ١٩٨٢ بالنسبة لإسرائيل في ٦٥٠ قتيلاً في البداية، وارتفع هذا العدد ليصل إلى ألف عندما انسحبت إسرائيل نهائياً من المنطقة الأمنية في منتصف عام ٢٠٠٠، ووفقاً للإحصاءات اللبنانية الرسمية تم قتل ١٧ ألفاً و ٨٢٥ لبنانياً وفلسطينياً (٤٨% منهم مدنيون) في عملية "السلام للجاليلى" التي كان لها العديد من التبعات السياسية بما في ذلك:

- ١) انسحاب أكثر من ١٤ ألف ناشط فلسطيني ومقاتل من جنوب لبنان ووسطها ونقل مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت لتونس.
- ٢) تكثيف التحالف طويل الأمد والضمني بين إسرائيل وفصيل من المارونيين المسيحيين؛ مما قاد إلى توقيع اتفاق سلام إسرائيلي-لبناني في ١٧ مايو ١٩٨٣، قام اللبنانيون بإلغائه خلال عام (٢٤).
- ٣) بروز استقطاب حاد وغير مسبوق داخل إسرائيل؛ حيث ظلت شريحة واسعة من السكان غير مقتنعة بالمبررات الأمنية والأخلاقية للحرب وطرحَت تساؤلات حول مدى حكمة قيادات الدولة السياسية والعسكرية (٢٥).
- ٤) مذبحة صابرا وشاتيلا؛ حيث انتهزت ميليشيات مسيحية فرصة رحيل منظمة التحرير الفلسطينية، وأقدمت في الفترة من ١٦ إلى ١٨ سبتمبر على تصفية حسابات قديمة بدخولها مخيمات للاجئين، حيث تم قتل ما بين ٨٠٠ و ٢٠٠٠ فلسطيني (تختلف التقديرات بشكل كبير) معظمهم مدنيون، وقد ترتب على تواطؤ القوات الإسرائيلية في مساعدة الكتائب في أعوام من الخلاف حول مدى المسؤولية السياسية والأخلاقية للإسرائيليين أفرادا كانوا أو بشكل جماعي (جيش الدفاع الإسرائيلي) (٢٦).

الضحية الحقيقية في الثمانينيات:

مع إقصاء مقار منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت والتخلص من قواعدها في جنوب لبنان، أصبحت الشئون السياسية والعسكرية الفلسطينية تتم إدارتها من تونس ومناطق أخرى، وعلى الرغم أن منطقة الحدود الإسرائيلية الشمالية قد شهدت هدوءًا نسبيًا؛ فإن العمليات الإرهابية استمرت ضد إسرائيل والأهداف اليهودية عمومًا، من قبل الفصائل الراقضة لحذر منظمة التحرير

(انظر الفصل ١٠). وبعد حرب عام ١٩٨٢، أضيف اسم "صابرا" و"شاتيل" إلى جانب كل من "دير ياسين" (١٩٤٨) و"كفر قاسم" (١٩٥٦)^(٢٧) على قائمة الأعمال الوحشية التي انطبعت في ذاكرة الفلسطينيين والتي زادت وعمقت من إحساسهم بالتعرض للخطر وكونهم ضحايا للقوة الإسرائيلية، وكونهم مجتمعاً مُبعثراً يعيش كثيرٌ من أعضائه كسكان لاجئين غير مرحب بهم منتشرين في العالم العربي.

إن هذه التضحية الأخيرة للفلسطينيين في لبنان تعيد إلى الأذهان التيار التحتي المتصل بتبرير الشعور، من قبل كلا الطرفين، بكونه الضحية التي أسهمت في تركيز كل طرف فقط على معاناته، ما أدى إلى الحد من قدرته على الاعتراف بمخاوف ومطالب الطرف الآخر، ومن قبيل التناقض استمر الإسرائيليون في النظر لأنفسهم كضحايا معرضين للخطر - كما كانت الحال مع "داود" الضعيف في مواجهة "جوليات" العربي القوي - حتى في الوقت الذي هاجموا فيه مظهرين تفوقاً عظيماً خلال الحرب الأخيرة، ونتيجة لعدم قبولهم من العرب الساخطين المطالبين بالعدالة أو الثأر من انتصارات إسرائيل في حروب ١٩٤٨، و١٩٥٦، و١٩٦٧، و١٩٧٣، فقد دخل الإسرائيليون العقد الرابع من المقاطعة الاقتصادية والعدوان الإرهابي المتواصل عبر الحدود؛ ما أفرز ما سماه بعض علماء النفس "عقلية الحصار" أو "عقدة شمشون"^(٢٨)، وبشكل مثير للاستغراب تعايش الإدراك الإسرائيلي - اليهودي للذات بـ "الافتقار للقوة" مع حقيقة القوة المسيطرة والمهيمنة إذا ما قورنت وفقاً للمعايير الإقليمية والعالمية^(٢٩).

ولكونه أحد الناجين من المحرقة قدم رئيس الوزراء "مناحيم بيغن" إسهاماً رئيسياً في الطريقة الخاصة لإسرائيل في رؤيتها العالم؛ حيث لم يقتصر اعتقاده على "كل العالم ضدنا"؛ وإنما أيضاً ذهب إلى حد القول: "إلى الجحيم" لغير اليهود^(٣٠)، كما أدخل بيغن على علاقات إسرائيل الخارجية وصيته الخاصة جاعلاً

منها هدفا سياسيا خلال فترته بألا "يحدث أبدا" أن يكون اليهود- خاصة الذين يعيشون في دولتهم ذات السيادة- ضحية^(٣١)، وفي أحاديثه العامة لم يكن ضد الكلام الصريح عن ذكريات المحرقة سواء كان ذلك في المناسبات السارة (مثل توقيع اتفاق السلام مع مصر في مارس ١٩٧٩) أو لدى تهديده للآخرين (تبريره لضرب إسرائيل لمفاعل أوزيراك النووى قرب بغداد عام ١٩٨١)^(٣٢)، كما أن كلا الطرفين لجأ بشكل قوى إلى وصف العدو بـ "النازية"، ففي معرض تعريفها الصهيونية أشارت المادة (٢٢) من الميثاق الوطنى الفلسطينى إلى طبيعتها "المتعصبة والعنصرية"، ووصفت وسائلها بأنها هى وسائل "الفاشيين والنازيين"^(٣٣)، وعقب انتصارات إسرائيل الميدانية دمع العرب ومؤيدوهم عادة الإسرائيليين بالتصرف حيالهم كما تصرف النازيون تجاه يهود أوروبا من خلال رسوم ذات مضمون سياسى تقلب بمهارة "تجمة داود" إلى شكل "الصليب المعقوف". وهذا الدافع كان كذلك حاضرا عام ١٩٩٢ من خلال تقديم "مناحيم بيجن" و"أرييل شارون" كنازيين قساة فى معاملة اللبنانيين والفلسطينيين المدنيين خلال غزو إسرائيل للبنان.

ومن جانبهم، ركز الصهاينة والإسرائيليون على تاريخ الحرب لمفتى القدس المنفى، وحتى اليوم ما زالت بعض الإصدارات والمواقع الإلكترونية والصحفيين تسيطر عليهم الرغبة فى إظهار المفتى السابق كشخصية شيطانية وتوازى بين حرب "هتلر" العامة ضد اليهود وصراع الفلسطينيين والعرب القوميين ضد الصهيونية وإسرائيل^(٣٤)، وفى عام ١٩٨٢؛ ذهب رئيس الوزراء الإسرائيلى "بيجن" إلى أن عملية "السلام للجاليلى" ليست هجوماً عدوانياً على دولة مجاورة ولكنها حرب دفاعية؛ حيث لم يقم الجنود الإسرائيليون فقط بحماية القرى الشمالية لوطنهم القومى عن طريق طرد وإزاحة منظمة التحرير للوراء، وإنما دخلوا لبنان لحماية المسيحيين المفتقدين للحماية ضد قهر المسلمين (النازيين).. فضلاً عن ذلك؛ رأى

"بيجن" في "ياسر عرفات" "هتلر" حديثاً، وفي الميثاق الوطني الفلسطيني "كتاب كفاحي"، أما حدود ما قبل ١٩٦٧؛ فقد كانت وفقاً له حدود "معسكر آشويتز"، ومنظمة التحرير هي "منظمة إس إس" العربية، وقد نقل عنه قوله لوزرائه: إن البديل لهجوم إسرائيلي مكثف على منظمة التحرير في لبنان في يونيو ١٩٨٢ كان شيئاً لا يقل في خطورته عن (تربلينا/المحرقة) "وقد قررنا ألا تكون هناك تربلينا أخرى"، كما شبه حصار جيش الدفاع لمقرات منظمة التحرير بقصف خنادق "هتلر" في برلين عام ١٩٤٥ (٣٥).

هذه المشاعر المتوازية، والإحساس العميق بوضعية الضحية استمرت كعقبات سيكولوجية أمام تسوية الصراع، وبالنسبة للمراقب من الخارج ربما تبدو مبالغاً فيها وخيالية، ومع ذلك فإن جهودنا لفهم الصراع لن نتقدم كثيراً بدحض هذه المدركات أو تقديم النصح للأطراف بتخطيها ووضع الماضي وراءهم، وسنعود لبحث هذه العقبة في الفصل الثاني عشر.

الهوامش

(١) إعلان القمة العربية في الجزائر، يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣، تم الاطلاع عليه يوم ١٨ يوليو ٢٠٠٨ على موقع:

<http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/history/arabsum73.html>

(٢) Kenneth W. Stein، دبلوماسية البطولة: السادات، كيسنجر، كارتر، بيجن والبحث عن سلام الشرق الأوسط، نيويورك Routledge، ١٩٩٩ واثان من أفضل النقاد والمحليلين لهذه الفترة التاريخية هما سعدية توفال، *The Peace Brokers: Mediators in the Arab Israeli Conflict*، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٨٢، الفصل العاشر، وويليام كوانت، *Camp David: Peace Making and Politics* واشنطن، معهد بروكنجز عام ١٩٨٦.

(٣) خطاب السادات (السلام مع العزل) أمام الكنيست الإسرائيلي ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، والذي أعيد إنتاجه في كتاب *The Israel Arab Reader*، التاريخ الوثائقي لصراع الشرق الأوسط الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والتر لاكير وباري روبين، نيويورك، دار نشر بنجوين، ٢٠٠٨، ص: ٢٠٧-١٥. وفي كتاب *The Israeli-Palestinian Conflict*: سجل وثائقي، ١٩٦٧-١٩٩٠ تحرير يهودا لوكانش دار نشر جامعة كمبريدج عام ١٩٩٢ ص: ١٣٦-٤٦. خطاب بيجن في كتاب *The Israeli-Palestinian Conflict* ص: ١٤٧-٥٣.

(٤) يهوشافاط هاركابي، *Palestinians and Israel*، نيويورك دار نشر جون ويلي عام ١٩٧٤ ص: ٢٠٩.

(٥) دفع أحد الأساتذة بأنه يوجد ربما بعد ثالث أكثر أهمية في العلاقات الإسرائيلية - المصرية، وهو الخاص بالخلاف الثقافي الذي يعنى أن جهود مفاوضاتهم تشبه حوار الصم، انظر ريمون كوهين، *Culture and Conflict in Egyptian-Israeli Relations*: حوار الصماء، دار نشر جامعة إنديانا عام ١٩٩٠.

- (٦) بعض من الاستعراض الأولي لما حدث قبل وأثناء قمة كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨ يتضمن: كوانت، كامب ديفيد؛ محمد إبراهيم كامل، اتفاقات كامب ديفيد: شهادة، نيويورك *KPI* ١٩٨٦؛ بطرس بطرس غالي، طريق مصر إلى القدس، نيويورك دار نشر راندوم هاوس ١٩٩٧. موشيه دايان، الاختراق: عرض لمفاوضات السلام المصرية - الإسرائيلية، لندن وينفيلد ونيكلسون ١٩٨١. عزرا وايزمان، المعركة من أجل السلام، نيويورك: بانتام ١٩٨١. جيمى كارتر، *Keeping Faith* مذكرات رئيس، نيويورك بانتام ١٩٨٢. زبيجنى وبرجينسكى، *Power and Principle*: مذكرات مستشار الأمن القومي، ١٩٧٧-١٩٨١ نيويورك، دار نشر *Giroux, Strau Farrar* ١٩٨٣، سايروس فانس، *Hard Choices* الأعوام الحاسمة في سياسة أمريكا الخارجية، نيويورك سيمون وشوستر، ١٩٨٣.
- (٧) الأطر أعيد إنتاجها بتصرف في كتاب لأكير وروبين، *Israel-Arab Reader*، ٢٢٢-٧. وهناك صيغة أكثر اكتمالاً تجدها في كوانت، كامب ديفيد، ص: ٣٧٦-٨٧، ولورا زيترين أيزنبرج، ونيل كابلان، *Negotiating Arab-Israeli Peace* الأنماط- المشكلات- الاحتمالات، دار نشر جامعة إنديانا عام ١٩٩٨، ص: ١٦٩-٧٩.
- (٨) المعاهدة أعيد إنتاجها بتصرف في كتاب لأكير وروبين، مرجع سابق ص: ٢٢٧-٨. وهناك صيغة أكثر اكتمالاً تجدها في كوانت مرجع سابق ص: ٣٩٧-٤٠١. وايزنبرج وكابلان، مرجع سابق ص: ١٨٠-٣.
- (٩) حول التصريحات الفلسطينية التي تدين تحركات السادات (٤ و ٢١ ديسمبر ١٩٧٧) انظر لوكاش مرجع سابق، ص: ٣٣٥-٧. بيان قمة الجامعة العربية، بغداد ٣١ مارس ١٩٧٩ في المرجع السابق، ص: ٤٦٣-٧ ذكرها لأكير وروبين، مرجع سابق ص: ٢٢٨-٩. مقابلة عرفات يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٩ جزء مترجم في كتاب لأكير وروبين، مرجع سابق، ص: ٢٣٠-٢٣١.
- (١٠) من أجل مناقشة بأثر رجعي وفي تحية وتقدير للرئيس المصري السابق من جانب ١٨ أستاذًا ودبلوماسيًا انظر *Sadat and His Legacy* مصر والعالم، ١٩٧٧-١٩٩٧ (تحرير) وتقدير جون ألترمان، واشنطن معهد سياسات الشرق الأدنى، ١٩٩٨.
- (١١) إعلان بيليج، *Begin's Foreign Policy*، ١٩٧٧-١٩٨٣: رجوع إسرائيل إلى اليمين، *Westport, CT: Greenwood*، ١٩٨٧، ص: ١١٠-١١، ١٣٧.

- (١٢) انظر *The Carp Report* : تحقيق الحكومة الإسرائيلية في عنف الاستيطان في الضفة الغربية، ٧ فبراير ١٩٨٤، منقولة في كتاب إيلان بيليج، *Human Rights in the West Bank and Gaza* الشرعية والسياسة، دار نشر جامعة سيراكيوز، ١٩٩٥، ص: ١٤٧-٥١، والتي تمت مناقشتها في المرجع السابق ص: ٩٠-١. دافيد شولمان، *Dark Hope* العمل من أجل السلام في إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو، ٢٠٠٧.
- (١٣) بينى موريس، *Righteous Victims* تاريخ الصراع الصهيوني-العربي، ١٩٨١-١٩٩٩، نيويورك ألفريد كنوف ١٩٩٩ لندن، جون موراي، ٢٠٠٠، ص: ٣٤١.
- (١٤) *Alan Dowty, The Jewish State*: ما بعد قرن، دار نشر جامعة بيركلي/لندن دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٨، ص: ٢٢١.
- (١٥) من أجل عينات وصفية للحياة الفلسطينية وسلوك إسرائيل في الأقاليم خاصة خلال العقدين الأولين، انظر: ريموندا حوا طويل، *My Home, My Prison*، نيويورك: هولت، رينهارت ووينستون، ١٩٧٩. رجاء شيهادة، *Samed* جريدة فلسطيني الضفة، نيويورك *Adama Books*، ١٩٨٤. *Dowty, The Jewish State*، ص: ٢١٧-٢٦. بيليج، *Human Rights in the West Bank and Gaza*. جون كويجلي، *The Case for Palestine* من وجهة نظر القانون الدولي، طبعة منقحة ومحدثة، تحرير دورهام لندن دار نشر جامعة ديوك، ٢٠٠٥ ص: ١٦٨-٨٨. مالميسون وسالي، *The Palestine Problem in International Law and World Order*، هارل و، لونجمان المملكة المتحدة عام ١٩٨٦ ص: ٢٤٠-٧٥. مايكل برون و (*Israeli Policy in the Administered Territories*) وذلك في كتاب (تحرير إيرفنج هو و كارل جيرشمان) *Israel and the Arab in the Middle East*، دار نشر بنتام نيويورك، ١٩٧٢، ص: ٢٤٩-٦٥. *Alan Dershowitz, Civil Liberties in Israel* : مشكلة الحبس الاحتياطي، وذلك في كتاب *Howe and Gershman*، المرجع السابق ص: ٢٦٦-٩٩. ألان جيرسون، *Israel The West Bank and International Law* لندن فرانك كاس، ١٩٧٨، الفصل الثالث. *Alan Dershowitz* مرجع سابق، نيويورك جون ويلي، ٢٠٠٣، الفصول ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥.
- (١٦) انظر دافيد شيلبر، *Arab and Jew*: الأرواح المجروحة في الأرض الموعودة، طبعة منقحة، نيويورك دار نشر بنجوين، ٢٠٠٢، الفصل ٣.

(١٧) من أجل شهادة صادقة من أجل استعراض صادق وشهادة مزعجة ليذا النوع من العنف في السنوات الأخيرة انظر كتاب شولمان، *Dark Hope*.

(١٨) من أجل مناقشة تفصيلية وتحليل للأساس الأصولي الأيديولوجي للدعوات بالأرض وتبرير العنف ضد العرب انظر (مرجع سابق) *Ian S. Lustick, For the Land and the Lord: الأصولية اليهودية في إسرائيل، نيويورك مجلس العلاقات الخارجية عام ١٩٨٨. Uritl Tal, Foundations of a Political Messianic Trend in Israel* دورية القدس الربع سنوية ٣٥ (ربيع ١٩٨٥ ص: ٣٦-٤٥). هنري سيجمان، *The Perils of Messianic Politics*، ١٩٨٨، وذلك في كتاب *Wrestling With Zion*: الاستجابات اليهودية للتقدمية للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني (تحرير) مع مقدمة قام بها توني كوشنر وأليسا سولومون، نيويورك: *Grove Press*، ٢٠٠٣، ص: ١١٤. برنارد زارشتين، *Israelis and Palestinians*: لماذا يتحاربون؟ هل يمكن وقفهم؟ الطبعة الثالثة نيواهان / لندن دار نشر جامعة يال ودار نشر بروفايل بوكس في لندن، ٢٠٠٨، ص: ١٦٥-٧.

(١٩) انظر الكتاب الذي حرره سيمحا فلابان، *When Enemies Dare to Talk*: حوار إسرائيلي - فلسطيني (٦/٥ سبتمبر ١٩٧٨) لندن: *Croom Helm*، ١٩٧٩. أوري أفيري، *My Friend The Enemy*، Westport, CT: Lawrence Hill عام ١٩٨٦. محمد حسنين هيكل، القنوات السرية: القصة الداخلية لمفاوضات السلام العربي- الإسرائيلي، لندن هاربر كولينز، ١٩٩٦، ص: ٣٢١-٥. (تقرير لجنة منظمة التحرير الفلسطينية للأرض المحتلة حول الاتصال مع اليهود، دمشق ٢١ أبريل ١٩٨١، وذلك في كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص: ٣٥٧. حسين أغا، شاهی فيلدمان، أحمد خالدی، وزینیف شیف، *Track-II Diplomacy*: دروس من الشرق الأوسط، دار نشر *Mit Press* سنة ٢٠٠٣ الفصل ٢. وليد سالم وإیدی كوفمان *Palestinian Israeli Peace building*: وجهة نظر تاريخية وذلك في كتاب حرره الائتان كلاهما وجولييت فيرهوفن باسم (*Bridging the Divide*): بناء السلام في الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، تقديم شازان وسنيورة، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، ٢٠٠٦، ص: ٢٢-٣١.

(٢٠) حول أفكار بيجن للحكم الذاتي التي أعطيت للمرة الأولى في خطاب أمام الكنيست ٢٨ ديسمبر ١٩٧٧، وذلك في كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص: ١٥٣-٥ والمنقولة عن لاكير

وروبين (مرجع سابق) ص: ٢١٨-٢٠. وعن الاقتراح المصري وأخيراً الاقتراح الإسرائيلي يمكن إيجاده في كتاب لوكاش (مرجع سابق) ص: ١٦٠-٧٠. ولأجل مناقشات نقدية انظر إيلان بيليج، سياسة بيجن الخارجية الفصل الرابع. زيبف ماعوز، *Defending the Holy Land*: تحليل نقدي لسياسة إسرائيل الأمنية والخارجية، أن أربور دار نشر جامعة ميتشيجان عام ٢٠٠٦ ص: ٤٣٦-٤٢. ومن أجل وجهة نظر مشارك في عمل لجنة الحكم الذاتي الإسرائيلية- المصرية انظر إفرايم دوايك، *Israeli Egyptian Relations*، ١٩٨٠-٢٠٠٠ تقديم إسحاق شامير، لندن فرانك كاس، ٢٠٠١، الفصل ١٥.

(٢١) من أجل الخلفية انظر مرجع سابق نيل كابلان، *Palestine Jewry and the Arab Question*، ١٩١٧-١٩٢٥ لندن فرانك كاس سنة ١٩٧٨ الفصل ٧، و *Arab Jewish Contacts in Palestine After the First World War*، مجلة التاريخ المعاصر المجلد السابع: ٤ (أكتوبر ١٩٧٧) ص: ٦٣٥-٦٨. هيليل كوهين (*Why do Collaborators Collaborate?*) حالة المؤسسات الصهيونية والفلسطينية، ١٩١٧-١٩٣٦، وذلك في الكتاب الذي حرره إيلي بوده وأشير كوفمان *Arab Jewish Relations*: من الصراع إلى التسوية؟ مقالات على شرف البروفيسور موشيه ماعوز، برايتون دار نشر *Sussex Academic*، ٢٠٠٥، ص: ٤٣-٦٣.

(٢٢) من أجل استعراض إسرائيلي داخلي لهذه التطورات انظر شلوم وجازيت، *Trapped Fools*: ثلاثون سنة للسياسة الإسرائيلية في الأقاليم، تقديم شيمون بيريز، لندن: دار نشر قرانك كاس عام ٢٠٠٣ ص: ٢٠٨-٣٨. ومن أجل نظرة نقدية إلى *Village Leagues* انظر سليم تاماري، *In League With Zion: Israeli's Search for a Native Pillar* مجلة الدراسات الفلسطينية ١٢: ٤ (صيف ١٩٨٣ ص: ٤١-٥٦). يزيد صايغ الصراع المسلح والبحث عن الدولة (مرجع سابق)، دار نشر جامعة أوكسفورد، ومعهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص: ٤٨٣-٤. ساري نسيبة مع أنطوني دافيد، *Once Upon a Country: a Palestinian life*، نيويورك: *Farrar, Straus and Giroux*، ٢٠٠٧، ص: ١٩٧-٢٠١ و٢٠٨-٩. وانظر أيضاً تصريح عن الضفة الغربية والفلسطينيين، ٣٠ أغسطس سنة ١٩٨١، أعيد طرحه في لأكير وروبين، مرجع سابق ص: ٢٣٥-٧. موشيه

- ماعوز، *Palestinian Leadership on the West Bank*: الدور المتغير للعمد في ظل الأردن وإسرائيل مع الإسهام من موردخاي نيسمان، لندن فرانك كاسر، ١٩٨٤، ص: ١٧٦-٨٣.
- (٢٣) حول حرب ١٩٨٢ انظر زينيف شيف وإيهود ياناري، *Israel's Lebanon War*، (تحرير) ترجمة إينا فريدمان، نيويورك، دار نشر سيمون وشيستر، ١٩٨٤. رشيد خالدى، *Under Siege*: منظمة التحرير، صنع القرار خلال حرب ١٩٨٢، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا عام ١٩٨٦. بيليج، *Begin's Foreign Policy*، الفصل الخامس. مورييس، *Righteous Victims*، الفصل ١١. *Eyal Zisser, The 1982 (Peace for Galilee) War*: النظر إلى الخلف بغضب (بين خيار الحرب وحرب اللا خيار) وذلك في كتاب *A Never Ending Conflict*: دليل إلى التاريخ العسكرى الإسرائيلى، تحرير موردخاي بار أون، *West Port CT* لندن *Praeger*، ٢٠٠٤، ص: ١٩٣-٢١٠.
- (٢٤) أيزنبرج وكابلان، *Negotiating*، الفصل الثانى وصفحة ١٩٢-٤. مورييس مرجع سابق ص: ٥٤٩-٥٠.
- (٢٥) فيما يتعلق بتبريرات الحكومة، انظر خطاب بيجن (حروب اللا بديل وعملية سلام الجليل) وذلك في كتاب لأكير وروبين، مرجع سابق، ص: ٢٥٤-٧. وانظر أيضا *Zisser*، مرجع سابق، وبيليج، مرجع سابق، ص: ١٦٥-٧٥.
- (٢٦) إسحاق كاهان، أهارون باراك، ويونا إفرات، تقرير لجنة التحقيق في الفضائع التي تمت من جانب وحدة من القوات اللبنانية ضد السكان المدنيين في معسكرات شاتيلا وصابرا. القدس، ٧ فبراير ١٩٨٣ مقتطفات في كتاب لأكير وروبين، مرجع سابق، ص: ٢٦٩-٧٤. النص الكامل جرى الدخول عليه ٢٢ يوليو على موقع: http://www.mideastweb.org/kahan_report.htm. وفي عام ٢٠٠٠ وباستخدام اتفاقات دولية جديدة لمعاقبة مجرمى الحرب فإن المناصرين للفلسطينيين والعاملين في مجال حقوق الإنسان قاموا بمبادرة لملاحقة وزير الدفاع في ذلك الوقت (والذى صار فيما بعد رئيسا للوزراء) أرييل شارون في المحاكم ولكن دونما نجاح.
- (٢٧) حول دير ياسين انظر ص: ١١٦، في أكتوبر ١٩٥٦ وعندما كان التوتر يتصاعد بطول الحدود الإسرائيلية-الأردنية وحيث كانت إسرائيل سرا تستعد للحرب ضد مصر فإن الفلاحين العائدين لقريتهم في كفر قاسم قد جرى قتلهم بالبنادق بقسوة شديدة من جانب

قوات جيش الدفاع الإسرائيلي بحجة انتهاك حظر التجول المفروض بسرعة ودونما إيلاعهم.

(٢٨) بنيامين كيدار، *Masada: The Myth and the Complex*، الدورية الربع سنوية للقدس ٢٤ (صيف ١٩٨٢)، ص: ٥٧-٦٣: ناشمان بن يهودا، *The Massada Myth*: الذاكرة الجماعية وصناعة الأسطورة في إسرائيل. ماديسون: دار نشر جامعة ويسكنسون، ١٩٩٥. جاي جونين، *A Psychohistory of Zionism* نيويورك: ماسون شارتز، ١٩٧٥ الفصل ١٣. شولاميت هاريفين، *Identity: Victim*، وذلك في كتاب *Vocabulary of Peace*: الحياة، الثقافة والسياسة في الشرق الأوسط، سان فرانسيسكو و *Mercury House*، ١٩٩٥، ص: ١٤٨-٥٤. ومن أجل دراسة حديثة حول رنين الماسادا باعتبارها تعبر عن تحذير جديد ضد إفناء اليهود، انظر *Ted Sasson* و *Shaoul Kelner* (*From Shrine to Forum*): الماسادا وسياسة إفناء اليهود (الدراسات الإسرائيلية ١٣: ٢ (صيف ٢٠٠٨) ص: ١٤٦-٦٣.

(٢٩) انظر دافيد بيبالي، *Power and Powerlessness in Jewish History*، نيويورك دار نشر *Schocken*، سنة ١٩٨٦، وانظر أيضا أنيتا شابير، *Land and Power*، لجوء الصهاينة إلى القوة، مرجع سابق ترجمة ويليام تمبلر دار نشر جامعة ستانفورد سنة ١٩٩٩ ص: ٣٦٩-٧٠، (جرى اقتباسه من قبل ص: ١٦١).

(٣٠) موردخاي بار أون، *Historiography as an Educational Project*: النقاش التاريخي في إسرائيل وعملية السلام في الشرق الأوسط، وذلك في الكتاب الذي حرره إيلان بيليج وألباني بعنوان *The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives*، دار نشر جامعة نيويورك، ١٩٩٨، ص: ٢٧-٨، وهناك مشاعر تم التعبير عنها بأسلوب أكثر جمالاً ينسب إلى دافيد بنجوريون حيث كان يحكمه مبدأ (لا يهم ما يقوله غير اليهود ولكن ماذا يفعل اليهود).

(٣١) حول مناقشة أثر المحرقة في تفكير وسلوك ييجن السياسي انظر بيليج، *Begin's Foreign Policy*، ص: ٦٣-٨.

(٣٢) نيل كابلان، *The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict*، وذلك في كتاب حرره رونالد هيدلاند بعنوان *So Others will remember*: تاريخ المحرقة وشهادة الناجين، مونتريال: دار نشر Vehicule Press ١٩٩٩، ص: ٩٠-٢.

(٣٣) الميثاق الوطني الفلسطيني، القاهرة، ١٧ يوليو ١٩٦٨ والذي تم اقتباسه في يهودا شاط هاركابي *The Palestinian Covenant and its Meaning* لندن: فلاننتين ميتشل، ١٩٧٩ ص: ١٢٣، إثر الترجمة الإنجليزية والتي جاءت في مجلد صدر عن معهد الدراسات الفلسطينية عام ١٩٧١. وترجمة أخرى للميثاق الوطني الفلسطيني نشره مركز أبحاث منظمة التحرير عام ١٩٦٩ (المرجع السابق ص: ١١٧). وأعاد إنتاجه تتازي. ولأمثلة أخرى انظر هاركابي، *Arab Attitudes to Israel*، القدس: كيتز ١٩٧٢، ص: ١٧٦-٧. وانظر أيضا المواد: ٢٠ و ٣١ من ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والتي تشير إلى الصفات شبه النازية وسلوك اليهود. وفيما يخص النص انظر شاول ميشال وأفرام سيلا، *The Palestinian Hamas*: الرؤية، العنف والتعايش، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا، ٢٠٠٠، ص: ١٨٨، ١٩٥ (وغيرها من المواقع).

(٣٤) بنيامين نتياهو، *A Durable Peace*: إسرائيل ومكانها بين الأمم، طبعة منقحة، نيويورك: Warner Books ٢٠٠٠، ص: ٢٠٦-١٦. دافيد بريسي جونز، *Their Kampf*: كتاب هتلر في أيدي العرب، *National Review*، ١٨ يوليو سنة ٢٠٠٢، تم الدخول عليها يوم ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٨ على موقع:

www.nationalreview.com/nr_comment071802a.asp. وكبعض الأمثلة للمواقع انظر:

http://www.zionism-israel.com/dic/Haj_Amin_El_Husseini.htm

Chuck Morse, *The* http://www.palestinefacts.org/pf_mandate_grand_mufti.php

، *Faisal Weizmann agreement, the mufti and Hitler, Nazism and Islamic Terror* المجلة اليهودية جرى الدخول عليها يوم ١١ أغسطس عام ٢٠٠٨ على موقع:

Hitler and the Mufti <http://www.jewishmag.com/116mag/chuckmorse/chukmorse.htm>

و جرى الدخول عليه يوم ١١ أغسطس عام ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.youtube.com/watch?v=d51poygEXYU> David G. .

Dalin and John F. Rothman, Icon of Evil، نيويورك: راندم هاوس سنة ٢٠٠٨ وقام

بعرضه دافيد بريس جونز (*Malevolence and The Mufti*) صحيفة وول ستريت
جورنال، ٢٦ يونيو ٢٠٠٨.

(٣٥) زئيف شيف واييود ياناري، مرجع سابق نيويورك سيمون وشوستر سنة ١٩٨٤ ص: ٣٩،
٢٢٠. بيليج، *Begin's Foreign Policy*، ص: ٦٧، ٦٥. موريس *Righteous Victims*،
ص: ٥١٤، ومن أجل نقد معاصر لاستخدام بيجن للمحرقة من جانب متقنين إسرائيليين
كبار، انظر المرجع السابق، ص: ٥١٤-١٥. أ.ب. يوهوشوا، *The Holocaust as Junction*،
وذلك في كتاب *Between Right and Right*، نيويورك Doubleday ١٩٨١ ص: ١٩-١.

الفصل العاشر

من المقاطعة إلى الاعتراف المتبادل

١٩٨٢-٢٠٠٨

استمرت المقاطعة المتبادلة طويلة الأمد بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وبين إسرائيل ومعظم الدول العربية باعتبارها النمط الأبرز في العلاقات خلال الثمانينيات، وإذا كان خرق "مُحَرَّم" عدم الاعتراف من قبل أكبر دولة عربية وهي مصر ما أدى إلى تسوية، وإن كان بشكل بطيء ومتردد^(١)، كثير من قضايا العلاقات الثنائية، فإن جوهر الصراع الذي لم يتم حله منذ ما قبل عام ١٩٤٨ ومعاناة ما بعد ١٩٦٧ استمر ملتعبًا بين الفلسطينيين وجيران إسرائيل العرب الآخرين، وكان الشعور الأكبر بامتداد آثار عدم تسوية الأبعاد الفلسطينية للصراع بارزًا في لبنان وسوريا والأردن وكذلك بين المدنيين الإسرائيليين واللاجئين الفلسطينيين؛ حيث حظوا بنصيبهم من الخسائر نتيجة للتسللات عبر الحدود والعمليات الانتقامية التي تلتها، وعلى الرغم من ذلك فقد تقدم الأطراف خلال الثمانينيات وأوائل التسعينيات صوب الاعتراف المتبادل وهو المطلوب الضروري لمحاولة تسوية صراعهم الذي امتد عبر قرن من الزمان.

خطط للسلام وزرع للبذور:

شهدت الثمانينيات عدة جهود دولية وإقليمية بهدف دفع الطرفين لمناقشة خطط السلام، وعلى الرغم من أن تعاقب المقترحات في هذا الخصوص لم يسفر عن نتائج فورية؛ فإن عددًا من الأفكار التي جرى بحثها ورفضها أو التخلي عنها آنذاك عادت لتطفو على السطح خلال العقد التالي محققة نتائج أكثر إيجابية.

في مطلع سبتمبر ١٩٨٠، سعى الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان" إلى تحويل حطام الحرب الإسرائيلية على لبنان إلى مدخل لاستئناف العمل غير المكتمل الخاص بتوسيع نطاق عملية كامب ديفيد للسلام، وطلب "ريجان" من الدول العربية والفلسطينيين والإسرائيليين البدء في مناقشات في ظل الوساطة الأمريكية لكن اقتراحه لصفة عربية ذات حكم ذاتي في إطار اتحاد فيدرالي مع الأردن لم تكن مقبولة للفلسطينيين وبغيضة لحكومة الليكود، الأمر الذي قاد إلى الفشل السريع لمبادرته^(٢)، ومن جانبه أطلق الزعيم السوفيتي بريجنيف خطته للسلام في الشرق الأوسط بعد عدة أسابيع^(٣) حتى لا يتم استبعاد بلاده من المنطقة، وفي الوقت ذاته درس زعماء الدول العربية في قمة فاس بالمغرب مقترحات الملك "فهد" لتوضيح السلام مع إسرائيل^(٤)، ولكن لم يكن هناك ثمة شيء جديد أو جاذب ليولد استجابة إسرائيلية يمكنها أن تُطلق عملية دبلوماسية في ذلك الحين.

وخلال منتصف الثمانينيات؛ هدأت الحدود الإسرائيلية- اللبنانية بعض الشيء لكن الصراع العربي- الإسرائيلي استمر في حالة اضطراب نتيجة العنف عبر الحدود، وبعض العمليات ذات المستوى المحدود من الإرهاب الدولي وما

تبعها من إجراءات مضادة؛ وعلى سبيل المثال هاجمت الطائرات الإسرائيلية مقرات ياسر عرفات في تونس يوم ١٠/١٠/١٩٨٥، الأمر الذي أعقبه بقليل قيام فصيل مضاد - يسعى إلى استباق الآخرين بقيامه بعملية مسرحية - باختطاف سفينة إيطالية ألقى من على متنها يهودى معوق (سائح أمريكى) خلال التعامل معهم من قبل السلطات^(٥)، وفى عام ١٩٨٨ قامت فرقة نخبة عسكرية إسرائيلية باختراق مقر قيادة منظمة التحرير فى تونس واغتالت مسئولاً كبيراً بها هو "خليل الوزير" المعروف بـ "أبو جهاد"، ومجدداً وجد أعضاء مجلس الأمن أنفسهم مدعوين للنظر فى شكاوى خاصة بتهديد السلام وانتهاكه، قدمتها إسرائيل أو قدمت ضدها من قبل الدول العربية والفلسطينيين.

استمر الرئيس الأمريكى الجديد "جورج بوش" الأب، ووزير خارجيته "شولتز" فى سياسة النظر للفلسطينيين على مستويين، الأول: يتصل بالسكان تحت الاحتلال الإسرائيلى رفى مخيمات اللاجئين، والثانى: يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية المدانة على الرغم من أنها حظيت باعتراف دول أخرى كثيرة كـ "ممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى"، وفى أوقات مختلفة من فترة عمله كوزير خارجية زار "شولتز" المنطقة ساعياً لجمع الأردن والإسرائيليين وقادة فلسطينيين غير رسميين فى القدس والضفة الغربية، ليسوا أعضاء فى منظمة التحرير فى مناقشات حول السلام برعاية أمريكية^(٦)، وعمل خلال عام ١٩٨٧ على محاولة إحياء خطط الدعوة لمؤتمر دولى تحت رئاسة مشتركة أمريكية- سوفيتية. وفى مارس ١٩٨٨، سعى إلى إنهاء الانتفاضة من خلال دفع الأطراف لدراسة مبادرته (خطة شولتز)^(٧)، وعلى الرغم من أن أياً من مقترحاته لم تثمر؛ فإن عدداً من أفكاره عاودت الظهور بعد عدة سنوات فى صياغات مؤتمر مدريد.

خلال هذه الفترة تعددت الاتصالات الشخصية وغير الرسمية- غير قانونية بالنسبة للإسرائيليين وخطيرة بالنسبة للفلسطينيين- خاصة خارج منطقة الشرق الأوسط؛ حيث شعر عدد أكبر من الأكاديميين والشخصيات العامة بعدم جدوى والخسائر المترتبة على المقاطعة المتبادلة وهدم الاعتراف، وتدرجياً اتسعت الدائرة لتضم شخصيات قريبة من مراكز السلطة في تونس والقدس، وبعض مشروعات الحوار هذه جرى إتمامها في أطر جامعية أكاديمية ووراء ستار الكتمان^(٨)، وبعضها الآخر تم بطريقة غير مباشرة في اتصال مع جهود فلسطينية لإقامة علاقات أفضل مع الإدارة الأمريكية^(٩)، وعلى الرغم من ضالة حجمه وصعوبة إدراكه من قبل دوائر القرار السياسية والعسكرية العليا، فإن العمل الذي قام به هؤلاء الأفراد أسهم في تمهيد التربة للتوافق فيما بعد والاعتراف المتبادل بين أعداء طالت عداوتهم.

وشهدت الثمانينيات كذلك دخول الأردنيين في مفاوضات صعبة مع منظمة التحرير الفلسطينية في محاولة لرسم استراتيجية مشتركة للتعامل مع الوضع النهائي للضفة الغربية^(١٠). وفي أبريل ١٩٨٧، سعت إسرائيل لتكرار نجاحها مع مصر، عندما قابل وزير الخارجية شيمون بيريز "سراً الملك "حسين" لمناقشة شروط المفاوضات الثنائية تحت ستار دبلوماسي في مؤتمر دولي برعاية أمريكية، وكان كل من اتفاق "حسين/ عرفات" (عمان) في فبراير ١٩٨٥، ومبادرة "حسين/ بيريز" (المعروفة باسم وثيقة لندن)^(١١) كحلقات قصيرة العمر تخطتها الأحداث دون أن تسفر عن نتائج فورية، لكنها آلت إلى علامات على طريق التطور التدريجي المستقبلي للاخترقات الكبرى مقدمة بعض الإسهامات لمؤتمر مدريد عام ١٩٩١ ثم للاتفاقية الأخيرة للسلام الإسرائيلية- الأردنية عام ١٩٩٤.

الانتفاضة الأولى وحرب الخليج ١٩٨٧-١٩٩٠:

وما أن قارب العقد نهايته حتى وقع العديد من الأحداث المهمة على المستويين الإقليمي والعالمي غير - بشكل له مغزاه- وضع الصراعات الإسرائيلية- العربية والفلسطينية- الإسرائيلية، وساعد في خلق بعض التحركات تجاه تسويتها للمرة الأولى منذ منتصف السبعينيات، وتمثل أول هذه الأحداث في انفجار انتفاضة شعبية من جانب الفلسطينيين ضد احتلال إسرائيل للضفة وغزة في ديسمبر ١٩٨٩ وعرفت باسمها العربي "انتفاضة" (التخلص من الاحتلال)، بينما تعلق ثانيها بانتهاء الحرب الباردة وحرب الخليج الأولى التي تبعتها أوائل عام ١٩٩١.

استمرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأرض في كل من قطاع غزة والضفة الغربية في التدهور بالنسبة للفلسطينيين- على الرغم من الإحصاءات الوردية التي نشرتها آنذاك إدارة تلك الأقاليم- فإذا ما نظرنا في وقت واحد إلى ما تضمنه التقرير العشرين الذي أصدرته وزارة الدفاع الإسرائيلية حول إدارة "يهودا والسامرة" (الضفة الغربية) وقطاع غزة، واندلاع الانتفاضة الذي جاء تقريباً متزامناً مع ذلك، يمكننا أن نرى، كما أوضحه "ألان دوتى": "زيف المنافع الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال... المزيد من التلجعات والمدارس لن تشتري قبول العرب لاستمرار السيطرة الإسرائيلية على حياتهم..."^(١٢)، ومرة ثانية نرى دليلاً على الافتراض الإسرائيلي الذي دام طويلاً دون أن يتحقق (الفصل ٤)، بأن إعطاء مكاسب مظهرية للفلسطينيين سيؤدي إلى الاستحواذ بقلوبهم والقضاء على مقاومتهم ضد قيام شعب آخر بالاستيلاء على وطنهم.

وفى ضوء عدم وجود أفق لحل سياسى، امتدت خيبة الأمل الشعبية لتشمل قيادات "فتح" و"منظمة التحرير الفلسطينية" (غير الفعالة)؛ حيث بدأت قوى أكثر راديكالية، وشعبية، وإسلامية تبرز داخل الأراضي المحتلة كمنافسين نشطين للحصول على ولاء الرأى العام الفلسطينى، ونخص بالذكر حركة الجهاد الإسلامى الفلسطينى (المؤسسة عام ١٩٨٦) وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" (المؤسسة عام ١٩٨٨)، وكلتاهما خاطبتا الهوية الفلسطينية الدينية، وتمكنتا من ملء فجوة طالما جرى إهمالها، وذلك من خلال توفير خدمات اجتماعية وتعليمية وصحية فى الأراضي المحتلة؛ وقد قدمت هذه الحركات التى سارت على نهج تعليمات وميراث حركة الإخوان المسلمين (المؤسسة فى مصر فى العشرينيات) والمثل البطولى الذى قدمه للمقاومة الشيخ عز الدين القسام فى الثلاثينيات، أملاً جديداً ووجهة نظر عالمية مختلفة مع أهداف محددة بوضوح: إزالة إسرائيل بأى طرق كانت ضرورية وتغييرها بدولة إسلامية فلسطينية^(١٣).

وفى الثامن من ديسمبر ١٩٨٧، أعقب قيام آلية تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى بقتل أربعة فلسطينيين وجرح سبعة آخرين كانوا عاندين من العمل فى قطاع غزة، اندلاع مظاهرات معادية لإسرائيل وأعمال شغب سرعان ما امتدت إلى كل أرجاء الأراضي المحتلة، ووجد الشباب الذين قاموا بقصف الحجارة أنفسهم فى مواجهات يومية وجهًا لوجه مع الجنود والشرطة الإسرائيلية بشكل يومية، وتم فرض حظر التجوال والإغلاق للطرق ما زاد من المصاعب التى قابلها تحد واضح من قبل السكان خاصة من قبل الشباب المتمردين، وتساعد مستوى العنف سريعاً ليتعدى الحجارة إلى القنابل الحارقة (المولوتوف)، ما قاد إلى ردود أفعال إسرائيلية استخدمت القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطى والذخيرة الحية، وجرى اعتقال عشرات الآلاف وتدمير مئات المنازل أو إغلاقها، وخلال السنة

الأولى قتل ٣٠٠ فلسطيني وجرح ١١ ألفاً في مواجهات عنيفة مع القوات الإسرائيلية والشرطة، وبحلول نهاية ١٩٩١ ارتفع عدد الضحايا الفلسطينيين إلى أكثر من ثمانمئة^(١٤).

كشف الإصدار المنتظم للبيانات عن أن عمليات اللجان المحلية يتم تنسيقها من خلال قيادة نشطة للمتمردين، وقد أدهشت الجميع، حتى منظمة التحرير الفلسطينية وبالأخص إسرائيل، مستوى التصميم ودرجة التنظيم بين المحتجين ومثري الشغب المتظاهرين، كما جذب كل ذلك انتباه الإعلام الدولي بشكل مكثف، وهو ما نقل بدوره نيران الصراع من موقعها في مؤخرة الأحداث التي واجهتها وكان موضوع مناظرات حادة على شاشات التلفاز في كل أرجاء العالم؛ حيث تحرك الجيل الشاب الذي عاش حياته تحت الاحتلال إلى الأمام للإمسك بزمام التحكم في الانتفاضة، مضيفين بذلك عاملاً جديداً وتحدياً للقيادة التقليدية لمنظمة التحرير الفلسطينية المتمركزة بعيداً في تونس^(١٥).

وبعد مفاجأتهم بالتطورات، سعى القادة الفلسطينيون في الخارج إلى الاستفادة من الانتفاضة الشعبية في الأراضي المحتلة للحصول على مزايا سياسية ودبلوماسية، وكانت اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر (١٤-١٥ نوفمبر ١٩٨٨) مسرحاً لصياغات جديدة مهمة لسياسات منظمة التحرير الفلسطينية، ومما له مغزاه أن المجلس تبنى قرارات تقبل في النهاية القرارين (٢٤٢) و(٣٣٨)، ومن ثم الموافقة على أحد الشروط الأمريكية والإسرائيلية للاعتراف بمنظمة التحرير كطرف دبلوماسي ممكن، كما أصدر المجلس تصريحاً بالاستقلال وهو أمر له مغزى رمزي في ظل غياب أي سيطرة على أي إقليم ذي سيادة ما يعنى التعايش مع إسرائيل^(١٦)، وبعد هذا اللقاء التاريخي بفترة قصيرة؛ ألقى "ياسر عرفات" خطاباً أمام جلسة خاصة للجمعية

العامة للأمم المتحدة عقدت في جنيف، حيث قرأ أمام الصحافة (مستجيباً في ذلك للضغط من قبل الولايات المتحدة وتدخلات بعض ناشطي السلام اليهود الأمريكيين) بياناً معذاً بعناية فائقة يدين استخدام الإرهاب، ما فتح الباب للحوار الأمريكي مع منظمة التحرير الفلسطينية^(١٧).

مثلت التطورات السابقة مفصلاً آخر في الصراع؛ حيث عادت مقولتنا الجوهرية الحادية عشرة والمثيرة للجدال إلى الظهور: ما نوايا الفلسطينيين ومنظمة التحرير الحقيقية تجاه إسرائيل؟ ويتعجب المتشككون الإسرائيليون هل غير النمر أماكنه؟^(١٨) وفي المقابل اهتم المعلقون الفلسطينيون بمغزى هذه "الدبلوماسية الفلسطينية الجديدة"، فالمؤرخ المخضرم "وليد خالدي" رحب بالقرارات التاريخية باعتبارها "تأجلاً للتفكير الفلسطيني العميق مع الذات" وأنه يأتي كنتاج لتطور طويل نحو البراجماتية استناداً إلى "القراءة الناضجة للحقائق المحلية، والإقليمية والدولية"، موضحاً أن قرارات المجلس الوطني في الجزائر مثلت:

"انتصاراً للتعاطف مع الشعب على كراهية العدو، ولهذا فتحت الباب على مصراعيه أمام التسوية التاريخية فيما أوضحت بشكل علني شرطها الذي لا يمكن الانتقاص منه بإقامة الدولة، كما أنها تقدم مجموعة متكاملة تمثل البنية التحتية التي يمكن بناء السلام عليها من خلال الحوار الهادئ والهادف، من المفضل أن يكون مع إسرائيل وإذا لم يمكن ممكناً فمع واشنطن... هذا يتضمن طلباً جوهرياً ولا يمكن التفاوض حوله يتصل بالوجود المستمر والقومي لكل طرف؛ حيث إن أي نتيجة تعطى لهذا الطرف وتكره على آخر لن تنجح"^(١٩).

وعلى الرغم من أن هذه التصريحات كانت تاريخية فيما يتصل بتطور فكر منظمة التحرير الفلسطينية، فإن النشاط الدبلوماسي الذي أعقبها كان أضعف من أن يؤدي لاختراق كبير. فالإسرائيليون المشككون تقوّدهم حكومة يمينية برئاسة "إسحاق شامير" استمروا في التركيز على إنهاء متاعب الانتفاضة دونما الوقوع في شرك مفاوضات مع منظمة لتحرير الفلسطينية "الجديدة".

وعلى الرغم من المحاولات الإسرائيلية لوقف الانتفاضة من خلال إجراءات القمع العسكري والعمل البوليسي، استمرت الانتفاضة بمستويات متزايدة الانخفاض من الكثافة حتى عام ١٩٩٣، كان تأثيرها في الرأي العام الإسرائيلي ذا مغزى^(٢٠)، فبالتماسي مع الشعور بالحرّج والسخط على التغطية الإعلامية الدولية المضرة التي صورت الجنود الإسرائيليين يضربون النساء والأطفال المحتجين، بدأ الكثير من الإسرائيليين في مستوى أعمق (بمن فيهم "إسحاق رابين" وغيره من القادة الذين تبنوا في البداية استخدام أقصى قوة لسحق المتظاهرين) يفقون من فكرة الاحتلال المستمر التي تسببت في خسائر كبيرة للروح المعنوية لجيش الدفاع ولنظام القيم الديمقراطية لإسرائيل.

وفي الحقيقة، مثلت الانتفاضة الأولى بالنسبة لكثير من الإسرائيليين صيحة لليقظة، فتحت تأثير مظاهر المرارة الفلسطينية والعنف اليومي بات كثير من الإسرائيليين يشعرون بأن أمامهم الخيار بين ضم الأراضي أو تركها، وإذا ما تم اختيار الضم فهذا نجد ثلاثة احتمالات بالنسبة للسكان العرب الفلسطينيين الكثرين المقيمين هناك:

(١) يمكنهم الاستمرار في الإقامة ويصبحون مواطنين كاملين في دولة إسرائيل لهم جميع الحقوق الديمقراطية، وعند نقطة ما مستقبلا سيشكلون

الأغلبية في مواجهة السكان اليهود، مما يدحض سبب وجود الصهيونية..
دولة للشعب اليهودي.

٢) يمكنهم البقاء كمقيمين دون منحهم الجنسية في دولة إسرائيل؛ حيث يعيشون كشعب منفصل من الدرجة الثانية ذي حقوق محدودة، كما هي الحال في نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا (الأبارتايد)، وهو ما يعنى التخلي عن أى مقاربة لإسرائيل كدولة ديمقراطية.

٣) يمكن تشجيعهم، أو إجبارهم، على ترك منازلهم وإعادة توطينهم في إحدى الدول المجاورة بمعنى الطرد أو كما هو معروف بالعبرية بمصطلح (الترانسفير)^(٢١).

ولقد حظى الخيار الثالث المتطرف بشعبية متعاظمة بين أقلية من اليهود الإسرائيليين خلال هذه الفترة؛ حيث بدا يقدم طريقاً منطقياً، وإن كان عنيفاً، للالتفاف على التناقضات بين الخيارين الآخرين، ومع ذلك فإن افتقار أى من الخيارات الثلاثة للجاذبية قاد عدداً ضخماً من اليهود لإدراك أنه قريباً، وليس بعيداً، يجب على إسرائيل أن تفكر في التخلي عن الكثير من المستوطنات وفصل نفسها، إما بالمفاوضات وإما بالعمل الانفرادي، عن هذه الأراضي.

ولقد ساعدت الانتفاضة الكثير من الإسرائيليين في الخلوص إلى نتيجة مؤداها أن المستوطنات اليهودية كانت خطأ استراتيجياً من حيث مصالح إسرائيل الحيوية، وفي مواجهة هؤلاء الذين طالبوا بالضم و/أو الترحيل (الترانسفير) كحل للمأزق الإسرائيلي- الفلسطيني، بدأ عدد متزايد من الشخصيات السياسية والعسكرية في الدعوة إلى "الفصل" بين الشعبين، (عودة إلى فكرة التقسيم التي تناولنا بالبحث في الثلاثينيات والأربعينيات)، وسيزداد نطاق المناقشات العامة لفكرة الفصل و"فك الارتباط" في العقد المقبل^(٢٢).

فى يوليو ١٩٨٨، وانطلاقاً من رغبة تجنب مملكتة تعقيدات سكان فلسطينيين متمردين من الذين لا يربطهم بها أى ولاء خاص، أعلن الملك "حسين" قطع الروابط القانونية والإدارية مع الضفة الغربية وقام بتسليم اللجان المحلية والبلدية معظم وظائف الإدارة والميزانية التى كانت مسئولية عمان منذ حرب يونيو ١٩٦٧، وكانت الدوافع وراء هذا القرار خليطاً من الإحباط (بسبب عدم وفاء الفلسطينيين) والتسليم فى النهاية بأن منظمة التحرير هى التى يمكنها أن تتحدث بالفعل عن المصالح الفلسطينية^(٢٣)، وأياً كانت دوافعه فإن تصرف الملك "حسين" الدرامى كان يشير بوضوح للإسرائيليين إلى أنه لم يعد فى إمكانهم اعتبار القائد الأردنى متحدناً ومحاوراً ممكناً لمناقشة مستقبل الضفة الغربية، كما لا يمكنهم الاستمرار فى دراسة الحلول المبنية حول شعار أن "الأردن هى فلسطين"، وبدلاً من ذلك فإن إسرائيل - على الرغم من المواقف الأيديولوجية الثابتة لرئيس الليكود "إسحاق شامير" حول المستوطنات والأراضى المحتلة والإرهاب - ستجد نفسها قريباً مضطرة للتعامل مع الفلسطينيين من خلال منظمة التحرير "الإرهابية".

رداً على ادعاء "صدام حسين" بأن الكويت هى إقليم من أقاليم العراق، وإقدامه على غزو هذه الإمارة (المالية لأمريكا) أواخر ١٩٩٠، قامت الولايات المتحدة بتشكيل تحالف تولت قيادته ضم قوات عسكرية عربية وغيرها وأنشأت قواعد فى المملكة العربية السعودية. وخلال الحرب الجوية والأرضية التى استمرت عدة أسابيع فى يناير وفبراير ١٩٩١؛ تمكن التحالف من طرد القوات العراقية خارج الكويت، وكان من بين المكافآت التى قدمتها الولايات المتحدة للدول العربية المتعاونة معها فى خططها لتوجيه هذه الضربة للعراق؛ هو بئذ الوعد بتدخل أمريكى أعظم وأكبر لإيجاد تسوية مرضية للقضية الفلسطينية، ومع انهيار

الاتحاد السوفيتي الذي كان راعيًا لسوريا وغيرها من الدول العربية، أضحت الولايات المتحدة الهدف الواضح الذي يتم السعي تجاهه، بحكم كونها القوة العظمى الوحيدة الباقية، خاصة القوة الوحيدة التي لها سلطة التأثير في حكومة تل أبيب.

وفيما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية ذاتها، فقد واجهت نكسات في حوارها الدبلوماسي الأخير الذي سعى لكسب تفهم أمريكا وتعاطفها، فخلال عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠ بدت غير قادرة على وقف الإرهاب من جانب بعض فصائلها المتمردة، وأثناء أزمة الخليج (١٩٩٠-١٩٩١) ارتكب "عرفات" خطأ تكتيكيًا بالوقوف إلى جانب "صدام" - وهو ما أدى إلى خسارته للتمويل العربي الجماعي لميزانيته، وأثر في وضع الفلسطينيين في الشتات الذين كان يعيشون ويعملون في الكويت وغيرها من دول الخليج؛ حيث تم طرد العديد منهم إلى الأردن وغيرها.

مدريد وأوسلو.. عملية سلام جديدة:

في الشهور التي تلت هزيمة العراق؛ فإن وزير الخارجية الأمريكي "جيمس بيكر" عاد لیسلك الطريق الذي سلكه من قبله في السبعينيات "هنري كيسنجر"؛ حيث اتجه إلى إعادة عقد المؤتمر الدولي الذي جرى تأجيله في جنيف عام ١٩٧٣، ووجد نفسه في خضم دبلوماسية مكوكية نشطة بين عواصم الشرق الأوسط، مستخدمًا الضغط الدبلوماسي والاقتصادي ومستعيرًا بعض الأفكار التي جرى طرحها من قبل سلفه المباشر وعارضًا خطابات لتلبية الإجراءات والحدود الدنيا لشروط كل طرف.. وهكذا نجح "بيكر" في الحصول على التزام الأطراف الأساسية لحضور مؤتمر دولي، ومع ذلك كان من الضروري بذل المزيد من الجهد فيما يتصل بالمشاركة الفلسطينية وإيجاد صيغة (تشمل جعل الفلسطينيين رسميًا جزءًا

من وفد أردنى) للتغلب على عقبة إصرار رئيس الوزراء "شامير" على عدم لقاء أى ممثلين عن منظمة التحرير من ناحية، وعدم استعداد أى فلسطينى له محاسبته للظهور فى المؤتمر دون أن يحظى بمباركة منظمة التحرير فى تونس من ناحية أخرى.

ووسط استعدادات مهيبه جرى افتتاح تجمع تاريخى فى ١٩٩١/١٠/٣٠ فى قصر مدريد الملكى ليتجاوز عقود من المحظورات حول عدم ظهور العرب والإسرائيليين على مائدة مفاوضات واحدة، وفى أعقاب الخطابات الافتتاحية التى كان العديد منها ساخناً وبعيداً عن لهجة التوافق، جرى تأجيل الاجتماع العام والانتقال إلى جلسات عمل أصغر ثنائية موازية؛ حيث تم فيها ذوبان الجليد وطرح الموضوعات الأساسية على مختلف الموائد، وبعد عدة أيام غادرت الوفود مدريد دونما شىء يعد اختراقاً، عدا الحقيقة الرئيسية المتمثلة فى مجرد الاجتماع معاً، واتخاذ بعض الإجراءات لضمان استمرار المحادثات فى مكان آخر.

ولمدة زادت.. على عام، استمرت الوفود فى اللقاء ثنائياً تحت رعاية الخارجية الأمريكية فى واشنطن، فيما انعقد عدد من اللجان متعددة الأطراف فى عدة أماكن حول العالم لمناقشة الموضوعات ذات الصلة الإقليمية بما فيها مصادر المياه والتنمية الاقتصادية وضبط التسليح وقضايا البيئة واللاجئين^(٢٤)، فقد تم رصد تقدم طفيف إثر اللقاءات العديدة الثنائية الإسرائيلية- السورية، والإسرائيلية- الأردنية (التي ولدت من رحمها وبهدوء محادثات إسرائيلية- فلسطينية منفصلة) فى واشنطن.. وهكذا تم تحقيق تقدم ضئيل بالكثير من الإحباط بعد العودة إلى الديار^(٢٥).

جرت مناورة غير تقليدية من جانب كبار مسؤولى منظمة التحرير والقيادة الإسرائيلية- لفتح "قناة سرية خلفية" فى أوسلو، لم تكن معروفة حتى من الوفود

المفاوضة في واشنطن- حتى حدث الاختراق الحقيقي عام ١٩٩٣، فبوساطة نرويجية خرق الإسرائيليون والفلسطينيون محظوراً آخر بموافقتهم على الاعتراف والتفاوض معاً وتمت بعناية فائقة صياغة نصوص خطابات قصيرة متبادلة بين رئيس الوزراء "إسحاق رابين" ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية، فضلاً عن (١٧) مادة تضمنها "إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتى المؤقت"^(٢٦).

جرت مراسم التوقيع التاريخي وتبادل الخطابات في الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣ في حديقة البيت الأبيض بدعوة من الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" الذي سيظل فيما بعد طرفاً ثالثاً نشطاً لتسهيل وضمان المفاوضات الإسرائيلية- الفلسطينية التالية، وأعقب اتفاق المبادئ اتفاقات فلسطينية-إسرائيلية مؤقتة وقعت في أريحا والقاهرة، أما الموضوعات شديدة التعقيد والتي أطلق عليها موضوعات الوضع الدائم (الحدود- المستوطنات- اللاجئين- القدس- الترتيبات الأمنية)؛ فقد جرى إرجاؤها إلى سلسلة المفاوضات النهائية التي تقرر بدورها عند إتمام الترتيبات المؤقتة، وطوال هذا الطريق فإن عملية إعادة الانتشار الإسرائيلي من المراكز السكانية في الضفة الغربية وقطاع غزة لتحل محلها الإدارة الفلسطينية وقوات الأمن الجديدة، كان متوقعاً منها أن تخلق شيئاً من قوة الدفع وتساعد الطرفين في تنمية الشعور بالثقة المتبادلة^(٢٧).

تمثلت إحدى النتائج المبكرة لتوقيع اتفاق المبادئ الإسرائيلي-الفلسطيني في ذلك الضوء الأخضر الذي أعطته لإسرائيل وعدة دول عربية في أن تقوم بشكل علني بصياغة وعقد اتفاقات سلام من أجل إنهاء حالة الحرب بينهما، فجرى إطلاق عملية سلام إسرائيلية-سورية قادت لعدة جولات من المفاوضات مع تواجد أمريكي مكثف؛ لكن كلاً منها فشل وسط شعور بخيبة الأمل واتهامات متبادلة دونما

إحداث نجاح حتى اليوم (٢٠٠٩)^(٢٨)، وعلى النقيض من ذلك، واستنادًا إلى خبرة المفاوضات السرية الإيجابية السابقة، تمت صياغة والتوقيع على اتفاقية سلام أردنية-إسرائيلية في حضور الرئيس الأمريكي على الحدود الإسرائيلية-الأردنية في ٢٦/١٠/١٩٩٤^(٢٩).

وهكذا مثلت بداية التسعينيات- التي شهدت فصولها مدينتا مدريد وأوسلو- فترة أمل وتفاؤل بعد عقود من الجمود والحسرة والمخاوف وتفجر العنف بين آن وآخر. وإذا كانت فترة ما بعد كامب ديفيد ١٩٧٨ قد فشلت في توسيع دائرة السلام، فإن تغير الظروف الإقليمية والدولية وربما كذلك بروز مستوى معين من الإحساس بالتعب من الصراع بين أطرافه قد أسهم في التقدم في ظل عملية سلام جديدة بدأت في مدريد وأوسلو، ومجرد حقيقة بدء المحادثات خفف من إحساس إسرائيل بالعزلة وأنها معرضة للخطر؛ ما كان ذا أثر ملحوظ على اتجاهاتها فقد تمكن رئيس حزب العمل "إسحاق رابين" من هزيمة منافسيه من الليكود اليميني في يونيو ١٩٩٢ استنادًا إلى برنامج انتخابي بشر بتحقيق تقدم في المفاوضات المتوقفة، وخلال استعراضه لحصاد عامه الأول في السلطة أعرب رئيس الوزراء عن تفاوله وتصميمه على التغلب على كل العقبات

"القطار المتجه نحو السلام توقف هذا العام في محطات كثيرة، مما يحض يومياً الإشاعة العتيقة بأن "العالم كله ضدنا"، لقد حسنت الولايات المتحدة علاقتها معنا... وفي أوروبا تعمق حوارنا مع المجموعة الأوروبية، وزارنا العديد من رؤساء الدول وقمنا بالرد عليهم بصدافتنا والعلاقات الاقتصادية وغيرها ولم نعد بعد شعباً يعيش مع نفسه وحدها"^(٣٠).

وفى الحقيقة؛ فإنه فى ديسمبر ١٩٩١ قامت "مجموعة مختلفة تمامًا فى الولايات المتحدة" بالتصويت لإلغاء قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٧٥ الذى رأى "الصهيونية مساوية للعنصرية"، وخلال عامين من مؤتمر مدريد، أعادت ٣٤ دولة العلاقات الدبلوماسية مع الدولة اليهودية^(٣١)، وقد استفاد "رايين" من الروح الدولية الجديدة ليهيب بأبناء بلده بأن يدخلوا فى خطابهم بعض عناصر اللغة التى كانت مقتصرة فيما مضى على نشطاء السلام والليبراليين الذين دفعوا بأن على الإسرائيليين التوقف عن التفكير على أنهم أقلية محاصرون كمقاتلين فى "جيتو" وأن عليهم تصور أنفسهم كأقوياء وآمنين بما يكفى لأخذ بعض المخاطر المحسوبة من أجل السلام^(٣٢). ومن بين الدلائل على هذا المناخ الجديد هو أن الزوار الأجانب من كبار القادة لم يعودوا مطالبين - كما كان يحدث من قبل - بالوقوف حدادا أمام النصب التذكارى للمحرقة (بادفاشيم)، وعلى الرغم من ذلك استمر معظمهم فى القيام بهذه الزيارة التى فقط يوصى بها.

كان هنالك أيضًا سبب للتناؤل على الجانب الفلسطينى؛ حيث كان الانتقال من صيغة مؤتمر مدريد إلى محادثات واشنطن وقناة أوسلو الخلفية" يعنى للمرة الأولى أن القضية الفلسطينية لم يتم تجاهلها أو تَحْيِثُها جانبًا أو تناولها الآخرون، فاللاعبون الدبلوماسيون الآن يعملون مع - ولا يسعون للالتفاف حول - الفلسطينيين وقادتهم المعترف بهم فى منظمة التحرير، ومع انتهاء الحرب فإن غياب تنافس القوى الكبرى يعنى أن الصراعات المحلية ربما ستتم إدارتها أو تسويتها بطريقة أفضل ودونما التلاعب بها أو تعظيمها لخدمة مطالب القوى الخارجية.

وكما ذكرنا؛ فإن الإسرائيليين والفلسطينيين بدعوا يرون المستقبل فى إطار تقسيم منطقة فلسطين تحت الانتداب بينهم، لكن الكثير تغير على الأرض منذ طرح

خطط التقسيم في الثلاثينيات والأربعينيات، وبعد عقود من الدم والدمار فإن كل المنطقة التي يراد تقسيمها لم تعد في يد محايدة وإنما في يد إسرائيل، وفي الحقيقة توجد مناطق يطالب بها الفلسطينيون ما زالت يقطنها مستوطنون إسرائيليون، وسكان التجمعات المتنافسة هم حالياً تقريباً متساوون في العدد؛ ولكن كلا المجتمعين ليسا على القدر نفسه من القوة والحيوية، فالفلسطينيون موزعون ومنفيون منذ ما يناهز نصف قرن فيما أن سكان إسرائيل ينمون موحدون مندمجين وطوروا مجتمعاً عالى النمو والديناميكية، وهى قصة نجاح بمعايير كثيرة، ما يعنى أنه حتى بعد تنفيذ مراحلها العديدة، فإنه لن تكون مهمة أو عملية أو سلو سهلة فى التوصل لحل الدولتين إذ يرغب الكثيرون بمن فيهم الساعون للسلام على كل الجوانب^(٣٣)، ولكن على الرغم من تغير الظروف الجذرية فإن مفهوم التقسيم يبدو أنه يستحق المحاولة وأنه أفضل من أى من البدائل الأخرى.

ولسوء الحظ؛ فإنه بعد سنوات قليلة من محاولة تنفيذ التعهدات التى جاءت فى إعلان المبادئ فإنه قد كان من الواضح بشكل مؤلم أن عملية السلام الإسرائيلية- الفلسطينية تعاني من المتاعب، فالكثير من المواعيد المحددة تم تخطيها وتعرضت المحادثات من آن لآخر للفشل، وتباطأ التعاون وتأكلت الثقة المتبادلة لتحل محلها الشكوك العميقة، وأضعفت النداءات الكثيرة للولايات المتحدة للتدخل فى العملية برمتها، كذلك استمر بناء المستوطنات اليهودية والتوسع فيها فى المناطق التى كان من المفترض أن تكون موضوعاً للتفاوض النهائى. وحجم وشكل الكعكة كان، وفقاً لكلمات مراقب فلسطينى "يتناقص بسرعة فيما الجانبان يتفاوضان على مصيرها مما حدا بالأغلبية الساحقة من الفلسطينيين لفقدان كل الثقة فى نوايا السلام الإسرائيلية"^(٣٤).

وعاد الإرهاب مع الانتقام فى أشكال أكثر ضراوة وغالبا فى المراكز السكنية الإسرائيلية، "اكتشف النشاط المناهضون لأوسلو على الجانبين سرا قذرا صغيرا: أن لديهم نوعا من الفيتو الواقعى على المفاوضات لأن كل عمل شائن يقومون به يؤدى إلى توقف آخر ونكسة جديدة لعملية السلام"^(٢٥)، وفيما بين الفلسطينيين حازت فصائل حماس والجهاد الإسلامى على شعبية فيما هما تتهمان القيادة الرسمية للسلطة الفلسطينية بأنها تخدم كـ "رجل شرطة" إسرائيلى فى المناطق المحتلة، وأنهم قاموا بشكل مخز ببيع حقوقهم المشروعة للإسرائيليين الأقوياء ومناصريهم الأمريكان، وفضلاً عن ذلك فإن الاتهامات بالفساد والمحسوبية والقمع المخالف لمعايير الديمقراطية تم توجيهها للسلطة الفلسطينية الجديدة؛ ما أسهم فى ضعف مصداقيتها الدولية والنقة العامة فيها داخلها^(٢٦).

ولم يكن "عرفات" أو قوى الأمن المنشأة منذ ١٩٩٤؛ قادراً أو راغباً فى القيام بعمل عنيف لكبح جماح المتطرفين العاكفين على تهريب وقتل وجرح الإسرائيليين، وتم توجيه انتقادات بعدم وجود "تناغم استراتيجى" بين سياسات وأعمال منظمة التحرير الفلسطينية فى إشارة إلى غموض القيادة "حول حل الدولتين وإنهاء العنف المسلح، بعد فترة طويلة كان من المفترض فيها أن هذا الموضوع قد تم حسمه" وعدم قدرتها "على فهم حدود العنف"^(٢٧). وقد أسهم فشل "عرفات" فى السيطرة على العنف فى تعاضم الشكوك الإسرائيلىة فى مدى إخلاص شريكهم فى السلام فى ظل أوسلو، واستخدم مناهضو عملية السلام عمليات الإرهاب من أجل إثارة الشعب ضد عمليات إعادة تمركز القوات والتنازلات للفلسطينيين.

فى نوفمبر ١٩٩٥؛ اغتال متعصب دينى يهودى رئيس الوزراء "إسحاق رابين" عقابا له على تسليمه اليهود لأعدائهم، ولمنعه من الاستمرار فى المفاوضات مع السلطة الفلسطينية^(٢٨). هذا الاغتيال كان بمثابة الصدمة للأمة وتراجع القادة عن التفاؤل والثقة بالنفس ليعودوا مرة أخرى لمطالبة العالم بالبناء على الدروس السلبية للمحرقة فى خطاباتهم العامة، وعكس، بل ولعب، زعيم المعارضة "بنيامين نتنياهو" على المخاوف العامة عندما أشار إلى حدود إسرائيل عام ١٩٤٩ باعتبارها حدود (أشويتز)، فيما ذكر "شيمون بيريز" فى خطابه فى اليوم السنوى لتذكر محرقة الشعب بأن إنشاء دولة إسرائيل كان "انتصارا للشعب اليهودى على ألمانيا النازية"^(٢٩).

وعلى النطاق الأوسع؛ فإن اغتيال رابين كان يرمز إلى انهيار آمال السلام التى تم تقويضها وعلى أساس يومى بالخبرات السلبية المرتبطة بعملية أوسلو^(٤٠)، وبالنظر إلى الوراء، بدت نهايات التسعينيات وكأنها بمثابة قنبلة موقوتة تنتظر الانفجار، فقد كان موعد الانتقال من الترتيبات الانتقالية للمفاوضات إلى مسائل الوضع النهائى؛ يقترب فى حين كانت هناك خطوات لم تنفذ أو نفذت جزئيا فضلا عن الكثير من عدم الثقة المتراكم بين المفاوضين، كما أن سرعة التغيير فى رئاسة الوزارة الإسرائيلية: "رابين" (١٩٩٥)، "بيريز" (١٩٩٥/١٩٩٦)، "نتنياهو" (١٩٩٦/١٩٩٩)، "يهود باراك" (١٩٩٩/٢٠٠١)، أدى لحدوث تأخير، وتغيير مسارات، وبقاء وعود دون تنفيذ لإعادة انتشار القوات وتسليم الأراضي، ما ضاعف من إحباط وشكوك الفلسطينيين فى النوايا الإسرائيلية. وفى أكتوبر ١٩٩٦ استثمرت إدارة "كلينتون" كثيرا من الجهود والطاقة والموارد فى دعوة الفلسطينيين والإسرائيليين إلى محادثات على أعلى مستوى فى مزرعة واى ريفر بولاية ميريلاند بهدف الحصول منهم على تأكيد الالتزام، وإن كان بتغييرات طفيفة، بتنفيذ التزاماتهم المتأخرة بموجب اتفاق أوسلو^(٤١).

كامب ديفيد مرة ثانية.. الانتفاضة:

أدى ترشح عمليتي السلام في مدريد وأوسلو إلى بعض محاولات اللحظة الأخيرة لإحياء جهود توفيق احتياجات ومصالح كل من الإسرائيليين والفلسطينيين، وقد نجح "باراك" في انتخابات يونيو ١٩٩٩ على وعد بسحب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان وتحقيق وصية "رابين" المتصلة باستكمال عملية السلام مع سوريا بجانب التفاوض حول الموضوعات الخاصة بالوضع الدائم مع الفلسطينيين، وبعد فشله مع سوريا، أقنع "باراك" الرئيس الأمريكي بأن الموقف خطير ويتطلب عقد قمة إسرائيلية- فلسطينية على أعلى مستوى للحسم، وأنها تستحق المخاطرة بالفشل، وعلى غرار سابقتها عام ١٩٧٨، كانت اجتماعات كامب ديفيد، في يوليو ٢٠٠٠، مليئة بالتوتر الدرامي واستمرت لخمس عشرة يومًا، ولكنها لم تستتخ النجاح التاريخي الذي حققه "السادات" و"بيجن" و"كارتر"، بل على العكس، عاد كل من "عرفات" و"باراك" خاوي الوفاض وساد مزاج من الإحباط وظهرت روايات متضاربة تحاول شرح أسباب الفشل في كامب ديفيد ومن هو الطرف الذي يقع عليه اللوم لذلك، ووفقًا لإحدى الروايات قدم "باراك" لـ "عرفات" عرضًا كريمًا غير مسبوق لإنهاء الصراع، إلا أن الأخير رفضه دون أن يقدم مقترحات مضادة من جانبه ما أوضح أنه ليس طرفًا جادًا من أجل السلام، وذهبت رواية أخرى إلى أن "باراك"، مدعومًا بالقوة الأمريكية، حاول دون نجاح أن يملى على "عرفات" صفقة غير جذابة ولا يمكن التفاوض حولها^(٤٢).

وعلى الرغم من انهيار قمة يوليو ٢٠٠٠؛ فإن "عرفات" و"باراك" سمحا لمفاوضات المعنيين باستمرار المحادثات لرأب الصدع، وفي أواخر ديسمبر وقبل تركه للسلطة، قام "كلينتون" بمحاولة- في اللحظة الأخيرة- لحمل الطرفين على

إبرام اتفاقية وذلك بتحديد مجموعة من "المقاييس" تستند إلى فهمه الشخصي لنقاط الخلاف بين الطرفين وكيفية إيجاد أرضية مشتركة بينهما^(٤٣)، وعادت أطقم المفاوضات للعمل عدة أسابيع فيما بعد في منتجع طابا المصري لمناقشة مقترحات كلينتون الأخيرة.

وبكل المعايير؛ تم تضيق الفجوات في طابا، ولكن دونما اتفاقية واضحة وجاهزة للتوقيع سواء بالأحرف الأولى أو للتوقيع النهائي، فحول موضوعين أساسيين- اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة، والسيادة على القدس- لم يكن من الممكن التوصل إلى اتفاق في ظل جو من الإحباط وعدم الثقة الذي ساد^(٤٤)، فموضوع اللاجئين الشائك (بما في ذلك ما يخص مطالب اليهود اللاجئين من الأراضي العربية)^(٤٥) لمس مباشرة وتر الهوية والبقاء لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين^(٤٦)، وقد فاجأت حساسية الرأي العام الإسرائيلي والفلسطيني حول موضوع القدس- كمقل أماكنهم المقدس وعاصمة لدولتهم- المفاوضات في كامب ديفيد، وكرست نفسها كواحدة من أصعب القضايا المستعصية على الحل على الرغم من المقترحات الخلاقة المتعددة للمشاركة في تقسيم المدينة المقدسة^(٤٧).

عقب الإحباطات العالية في كامب ديفيد وطابا؛ توقع قادة الطرفين في محاولة كل منهما تبرير نشاطه الأخير، مثيران الشكوك حول حسن نوايا المشارك الآخر في عملية السلام، وبالانتقال من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠١ تلاشت جميع الآمال في إحياء عملية السلام وتم تجاوزها باندلاع العنف الفلسطيني أو الانتفاضة الثانية، ففي سبتمبر ٢٠٠٠ قام زعيم المعارضة الليكودي "أرييل شارون" بزيارة استفزازية إلى جبل الهيكل لإثبات حقوق اليهود في الصلاة هناك، وكما سبق أن رأينا في حوادث ١٩٢٨-١٩٢٩ يعتبر هذا الموقع مكاناً مقدساً بالنسبة للمسلمين

باسم الحرم الشريف، وهو المكان الذى يقف عليه المسجد ذو القبة الذهبية (العمرى) وبجانبه المسجد الأقصى (الأقل تصويراً لكن الأكثر قداسة)، وقد قام المحتجون الفلسطينيون الغاضبون فى اليوم التالى بالبدء فى قذف الحجارة؛ وهو ما تمت مقابلته بالتصويب عليهم وإلقاء القنابل المسيلة للدموع عليهم وتفريقهم بالقوة من قبل الشرطة الإسرائيلية التى قتلت أربعة وجرحت ١٦٠ من المتظاهرين، ووفقاً لبعض التقديرات فإن الناشطين الفلسطينيين كانوا مستعدين لهذه الهبة ولم تكن زيارة شارون سوى القشة أو اللهب وليست السبب وراء اندلاع الانتفاضة.

تميزت الانتفاضة الثانية بالشغب الواسع الانتشار ودموية أعمال الهجوم بالمقارنة مع الانتفاضة الأولى التى استندت أساساً إلى القذف بالحجارة، وكوكتيل المولوتوف، والرصاصات المطاطية. وفى عام ٢٠٠٠ وما بعدها استخدمت القوات والشرطة الإسرائيلية الذخيرة الحية حتى ضد مظاهرات التضامن السلمية التى نظمها مواطنوها العرب- الفلسطينيون، وكما كانت الحال فى نهاية العشرينيات فإن مخاوف المسلمين من تعدى اليهود على أماكنهم المقدسة أضافت إلى حدة المواجهات وذلك خلال ما صار يعرف باسم انتفاضة الأقصى^(٤٨).

أصبحت مساعى التفاوض والتقارب بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية بالضعف مع تزايد عدد القتلى والجرحى ضحايا العنف اليومى من ضرب وإطلاق رصاص وقذف بالقنابل وقمع عسكري قاسٍ، وبحلول سبتمبر ٢٠٠٤ بلغ عدد القتلى من الفلسطينيين ثلاثة آلاف فى مقابل ألف إسرائيلي، كما أن الآلاف الآخرين جرحوا، وأطلق الفلسطينيون فى الميدان سيلاً مستمراً من الانتحاريين (الاستشهاديين) خاصة من صغار السن المستعدين لتفجير أنفسهم ضد المدنيين

الإسرائيليين في حافلات النقل وفي أماكن التسوق، بينما لجأت إسرائيل لهدم المنازل والسيطرة على الطرق من خلال الحواجز الأمنية ونقاط التفقيش، وتوظيف قوتها العسكرية بمعدات المتفوقة في عملياتها ضد الإرهابيين، ما أهان بشدة وأعاق الحياة اليومية للفلسطينيين البرينين^(٤٩).

ومن بين رد فعل إسرائيلي ضد عنف الفلسطينيين والتي أثارت جدالاً كبيراً؛ الاغتيالات المنتقاة لتصيد الناشطين والإرهابيين؛ وبناء الجدار الأمني (في أماكن كثيرة أسوار وفي غيرها جدران أسمنتية عالية) للفصل بين السكان الفلسطينيين والإسرائيليين، وقد دافعت إسرائيل عن السياج/ الجدار باعتباره شكلاً شرعياً للحماية الذاتية ضد الانتحاريين، مشيرة إلى الانخفاض الملحوظ في عدد الاختراقات الإرهابية في الأماكن التي يتواجد فيها السياج، واحتج الفلسطينيون على المتاعب الجمة والإعاقات التي سببها الجدار الذي قسم القرى والمدن والطرق، وقد ساعدت الجماعات الحقوقية في تقديم شكاوى قانونية بشأن أماكن كثيرة تعدى فيها الجدار، وفقاً لهم، على أراض يملكها فلسطينيون أو أنه امتد فيما وراء الأراضي الإسرائيلية وفقاً لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ (الخط الأخضر)، ورأى بعض المعلقين أن طريق الجدار الأمني يعتبر تمهيداً لحدود الأمر الواقع بين إسرائيل وفلسطين العربية وكنمهد لفك ارتباط واقعي مع الأراضي المحتلة، واعتقد الكثيرون أنه في ظل مناخ العداء السائد، فإن مثل هذا الفصل للسكان سيتم تنفيذه بشكل أحادي بما يتناسب مع مصالح واحتياجات إسرائيل.

وجزئياً بسبب الدرجة العالية من "العسكرة"، أثبتت انتفاضة الأقصى أنها تمرد مكلف وغير منتج سياسياً^(٥٠)، فتصاعد العنف الفلسطيني ضد إسرائيل ساعد في وصول رئيس وزراء متشدد للسلطة، فـ "أرييل شارون" السياسي العسكري -

المعروف بمآثره في "قيية" عام ١٩٥٣، وعبر السويس في أكتوبر ١٩٧٣، وفي لبنان عام ١٩٨٢ - قام بالرد بتدمير جزء كبير من الجهاز الأمني للسلطة الفلسطينية والمكاتب الإدارية والبنية التحتية الاقتصادية وبمحاصرة وإهانة الرئيس "عرفات" في البقايا المدمرة لمقره الشخصي في رام الله، وأسفرت قنابل الانتحاريين الفلسطينيين ضد المدنيين الإسرائيليين عن خسارة الدعم الدولي لكفاح الفلسطينيين من أجل الدولة خاصة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وبعد محاولته الأولية لإبعاد نفسه عن مساعي سلفه "كلينتون" وانخراطه الشخصي في السعي لتحقيق اختراق فلسطيني- إسرائيلي، وجد الرئيس "جورج بوش" أنه من المستحيل أن يبقى بعيدا عن المأزق الفلسطيني- الإسرائيلي. وعاد الدبلوماسيون الأمريكيون ومسؤولو وكالة المخابرات المركزية إلى الشرق الأوسط لينخرطوا في مساعٍ للتوصل إلى وقف إطلاق النار خلال الانتفاضة، على أمل تمهيد الطريق فيما بعد لمفاوضات سياسية جديدة^(٥١)، وعلى صعيد البيانات الأمريكية ولغة الخطاب السياسي يلاحظ أنها صارت أكثر قطعية في مساندتها لحل الدولتين، لكنها كانت مقتصرة عن مساعدة "ياسر عرفات" والسلطة الفلسطينية؛ حيث شك الأمريكيان في ميلهم تجاه الإرهاب وتورطهم في تعاملات سرية مع إيران وسوريا وغيرهما من أعداء الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

وعلى المستوى الدولي؛ فإن أمريكا وافقت على قرار الأمم المتحدة (١٣٩٧) في ١٢/٣/٢٠٠٢^(٥٢) الداعم لحل الدولتين، كما تعاونت مع روسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة في إنشاء (الرباعية) التي تحت رعايتها تم وضع خريطة طريق للأداء لتحقيق حل الدولتين الدائم للصراع العربي- الإسرائيلي، صدرت في أبريل ٢٠٠٣^(٥٣)، وعلى الرغم من أن جميع المدد الزمنية المتضمنة فيها قد تم

تخطيطها؛ فإن خطة الطريق تبقى كواحدة من ثلاثة أسس ممكنة يمكن على أساسها استئناف البحث عن السلام عندما يمكن جمع الأطراف المتنازعة معًا.

والأساس الممكن الثاني لتحقيق اختراق في المرحلة الأخيرة من المازق للفلسطيني- الإسرائيلي، يأتي من اللاعبين الإقليميين في الصراع؛ حيث لقيت مبادرة قدمتها المملكة العربية السعودية بتأييد الجامعة العربية خلال اجتماعاتها في بيروت أواخر مارس ٢٠٠٢، فقد ذهبت هذه المبادرة إلى مدى أكثر من الخطط العربية السابقة من حيث عرض الاعتراف الدبلوماسي الكامل بإسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، وكان من المفترض أن يضيف عليها جاذبية أكثر مما أظهرته من مرونة عربية واضحة لعدم إصرارها على "حق العودة" الكامل للاجئين الفلسطينيين^(٥٤)، إلا أنه جزئيًا بسبب تكثيف الانتفاضة خلال ٢٠٠٢ كان رد فعل إسرائيل على مبادرة الجامعة العربية باردًا وظلت المبادرة حبيسة الأدراج لعدة سنوات انتظارًا لمشجعين جدد (مثل باراك أوباما) وفرص جديدة، لتتم إعادة النظر فيها كأساس لكسر الجمود الإسرائيلي- الفلسطيني.

ومع قرب نهاية عام ٢٠٠٣؛ تم طرح برنامج عمل ثالث من قبل مجموعة من الفلسطينيين والمفاوضين السابقين الإسرائيليين بصفتهم الشخصية دونما تفويض أو سلطة حكومية، وقد كان "اتفاق جنيف" في أكتوبر ٢٠٠٣ وثيقة مهمة توفّق، من خلال نصوص تفصيلية، بين الاتفاقات الجزئية المتعددة التي تمّ التوصل إليها خلال المفاوضات الرسمية التي انتهت في طابا في يناير ٢٠٠١، وكجهد نابع من القاعدة سعت المبادرة للحصول على التأييد بين الفلسطينيين والإسرائيليين متخطية القيادات المعترف بها في كلا المعسكرين اللذين كانا ممانعين من اتخاذ أى مخاطرة من أجل السلام^(٥٥)؛ وفي وقت مثل هذا الكتاب للطبع (٢٠٠٩) كانت مبادرة جنيف

جاهزة كسلة ثالثة من المقترحات تنتظر المجموعة القادمة من القادة الفلسطينيين والإسرائيليين الذين يشعرون بأن الوقت صار مناسباً من أجل إعادة الانخراط في عملية دبلوماسية (انظر: الجزء ١٢).

وربما كان من بين أهم الأحداث ذات المغزى التي وقعت منذ ٢٠٠٣: الانفصال الإسرائيلي الأحادي الجانب عن غزة عام ٢٠٠٥، وصعود حركة حماس لسدة السلطة في انتخابات ٢٠٠٦ الفلسطينية، فالأول: مهم باعتباره سابقة ممكنة للتحركات الإسرائيلية المستقبلية للخروج من الضفة الغربية، والثاني: وجه ضربة قاسية للمدرسة السياسية والقيادة القديمة لفتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، فنجاح هذا الحزب الإسلامي، المؤيد بقوة للكفاح المسلح وعدم الاعتراف بالدولة اليهودية، وضع تساؤلات جديدة سواء فيما يتعلق بعملية التفاوض أو مستقبل فلسطين كنواة لدولة تحت قيادة قومية موحدة، والتحديات التي يطرحها هذان الحدثان ستكون موضوع تحليل المؤرخين الذين ينظرون إلى الوراء على العقد الحالي.

إن العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابة ما زالت قائمة، وفي أعماقها نجد النزاع الأساسي بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والكثير من المقولات الجوهرية المثيرة للجدال ما زالت بدورها في حاجة إلى إجابات، وإذا كان من الصحيح أن الأطراف قد قطعوا طريقاً طويلاً من حالة المقاطعة المتبادلة قبل أوصلو إلى الاعتراف المتبادل، وإن كان غير كامل أو متردد من قبل الطرف الفلسطيني، فإن القضايا الرئيسية التي تباعد بينهم والافتقار إلى الثقة المتبادلة في نوايا كل طرف ما زالت حتى الوقت الحالي هائلة أمام التفاهم المتبادل والتفاوض على السلام.

الهوامش

- (١) من أجل استعراض أولى ومباشر من دبلوماسى إسرائيلى كان موفدا إلى القاهرة خلال السنوات الأولى الصعبة- انظر إفرايم دويك، *Israeli Egyptian Relations*، ١٩٨٠-٢٠٠٠ بتقديم إسحاق شامير، لندن: فرانك كاس، ٢٠٠١.
- (٢) حول مبادرة ريجان انظر رونالد يونج، *Missed Opportunities for Peace*: سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، ١٩٨٦-١٩٨١ فيلادلفيا، *PA: American Friends Service Committee*، سنة ١٩٨٧ الفصلان ٦-٧. لورا زيترين أيزنبرج ونيل كابلان، *Negotiating Arab-Israeli Peace*: الأنماط، المشكلات، الاحتمالات، دار نشر جامعة إنديانا، ١٩٩٨، ص: ٤٨-٥١. نص خطة ريجن (١ سبتمبر ١٩٨٢) ونقاط الحديث لمناحم بيجن (٨ سبتمبر) أعيد إنتاجها فى المرجع السابق، ص: ١٨٤-٩١. والخطة جرى إعادة إنتاجها فى كتاب *The Israel Arab Reader*: التاريخ الموثق لصراع الشرق الوسط، الطبعة السابعة المنقحة، تحرير والترلاكير وبارى روبين، نيويورك: بنجوين، سنة ٢٠٠٨- ص: ٢٥٧-٦٣.
- (٣) خطة سلام بريجينيف، ١٥ سبتمبر ١٩٨٢، جرى أخذ مقتطفات منها فى كتاب *The Israeli Palestinian Conflict*: سجل وثائقي ١٩٦٧-١٩٩٠، تحرير يهودا لوكاش، دار نشر جامعة كمبريدج، ١٩٩٢، ص: ٢٠-٢١. ومن أجل متابعة دقيقة للخطط جرى إعلانها فى يوليو ١٩٨٤ (المرجع السابق، ص: ٢١-٤).
- (٤) الإعلان النهائى للقمّة العربية الثانية عشرة فى فاس بالمغرب يوم ٩ سبتمبر ١٩٨٢، مقتطفات فى لا كير وروبين مرجع سابق ص: ٢٦٣-٥.

(٥) بيت صايغ، *Armed Struggle and The Search for State*: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩: ١-١٩٩٣ دار نشر جامعة أوكسفورد/ واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص: ٥٨٥-٦. رشيد خالدي، *The Iron Cage*: قصة النضال الفلسطيني من أجل الدولة، بوسطن MA: Beacon سنة ٢٠٠٦، ص: ١٤٦.

(٦) شيريل أ. روبنبرج، *The Bush Administration and the Palestinians*: إعادة تقويم، وذلك في كتاب *US Policy From Wilson to Clinton*، تحرير مايكل سليمان، Normal, IL: AAUG Press ١٩٩٥ ص: ١٩٥-٢٢١. صمويل سيجيف، *The Arab Israeli Conflict Under President Bush*، وذلك في كتاب *From Cold War To New World Order* سياسة بوش الخارجية، تحرير مينا بوز وروزاننا بيروتى، West Port CT: Greenwood and Hofstra University سنة ٢٠٠٢ ص: ١١٣-٣٦. كاثيلين كريستيسون، *The Arab Israeli Policy Of George Shultz*، مجلة الدراسات الفلسطينية رقم ١٨: ٢ (شتاء ١٩٨٩ ص: ٢٩-٤٧).

(٧) من أجل تفاصيل دور جورج بوش في وثيقة بيريز- حسين (فيما بعد) وخطته انظر خطة شولتز ٦ مارس ١٩٨٨ والتي أعيد إنتاجها في لأكير وروبين، مرجع سابق ص: ٣٢١-٢. أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق الطبعة الثانية- الفصل ٣.

(٨) انظر: الحوار التجديدي من جانب هيربرت كيلمان في جامعة هارفارد: *Herbert C. Kelman* *creating The Conditions for Israeli Palestinian Negotiations*، مجلة تسوية الصراعات ٢٦: ١ (مارس ١٩٨٢، ص: ٣٩-٧٥). هيربرت كيلمان، *Overcoming The Barriers To Negotiations Of The Israeli Palestinian Conflict*، مجلة الدراسات الفلسطينية ١٦: ١ (خريف ١٩٨٦) ص: ١٣-٢٨. حسين أغا وشاهي فيلدمان وأحمد خالدي وزينيف شيف، *Track-II Diplomacy*: دروس من الشرق الأوسط، كامبريدج، MA: MIT Press سنة ٢٠٠٣ ص: ٢٥-٧. مقابلة كيلمان على موقع *Beyond Intractability: A Free Knowledge Base for Constructive Approaches to Destructive*

Conflict ، جرى الدخول عليها في ١ سبتمبر ٢٠٠٨ على:
http://www.beyondintractability.org/audio/10637/

(٩) انظر: مرجع سابق يورى أفيري، *My Friend The Enemy* ، Westport CT: Lawrence Hill ،

١٩٨٦. محمد ربيع، *US-PLO Dialogue*: الدبلوماسية السرية وتسوية الصراع ، دار

نشر جامعة فلوريدا، ١٩٩٥ الأجزاء ٣، ٨، ١٢. بسام أبو شريف، *Prospects of a*

Palestinian Israeli Settlement ، الجزائر ٧ يونيو ١٩٨٨ وأعيد إنتاجه (١٨ يونيو) في

كتاب لوكاش، *Israeli Palestinian Conflict* ، ص: ٣٩٧-٩. وثيقة أبو شريف أعيد

إنتاجها أيضا مع (رد فعل أمريكيين يهود كبار على وثيقة أبو شريف) ٣٠ يونيو ١٩٨٨،

وذلك في GPS ١٨: ١ (خريف ١٩٨٨) ص: ٢٧٢-٥، و ٣٠٢-٣. بسام أبو شريف

وعوزى مهنيمي، *Beast of Enemies*: مذكرات بسام أبو شريف وعوزى مهنيمي،

بوسطن، MA: Little, Brown ، ١٩٩٥، ص: ٢٥٧-٦٢. محمود عباس (أبو مازن)،

Through Secret Channels: الطريق إلى أوسلو: القائد الأعلى لمنظمة التحرير أبو مازن

يميط اللثام عن قصة المفاوضات مع إسرائيل، (Concord, MA: Paul (Reading: Garnet)

١٩٩٥، ص: ٤-٨ ص: ١٣-٨. محمد حسنين هيكل، *Secret Channels*، مرجع سابق،

ص: ٣٤٣-٥١. يوسى بيلين، *Touching Peace*: من اتفاق أوسلو إلى المعاهدة النهائية،

الترجمة من العبرية قام بها فيليب سيمبسون، لندن: Weidenfeld and Nicolso ، ١٩٩٩

ص: ٧-٤٦. آغا وآل، مرجع سابق ص: ٢٠-٧. وليد سالم وليدى كوفمان، مرجع

سابق، تحرير إيدى كوفمان ووليد سالم وجوليت فيرهوفن، تقديم ن. شازان وح. سنيورة،

بولدر ، *CO: Lynne Rienner* ، سنة ٢٠٠٦ ص: ٢٦-٣١.

(١٠) خطة العمل الأردنية- الفلسطينية (١١ فبراير ١٩٨٥) والتي أكدتها اللجنة التنفيذية لمنظمة

التحرير في ١٩ فبراير ١٩٨٥، هذا التصريح موجود في لوكاش، مرجع سابق، ص:

٣٦٨-٩. عدنان أبو عودة، مرجع سابق ص: ٢٢١-٢. *Ilan Pappé*، مرجع سابق موجود

في الكتاب الذى حرره جوزيف نيفو و ايلان بابيه، لندن، فرانك كاس، ١٩٩٤، ص: ٧٨-

٨٥. أفي شلايم، *Lion of Jordan*: حياة الملك حسين في الحرب والسلام، لندن: دار نشر بنجوين سنة ٢٠٠٧ الفصل ٢٠. خالدي، *The Iron Cage*، مرجع سابق ص: ١٤٨.
- (١١) انظر أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق ص: ٦٠-٧٤، ١٩٥. شلايم، أسد الأردن مرجع سابق، فصل ٢١.
- (١٢) ألان دوتي، الدولة اليهودية: بعد مرور قرن، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٨، ص: ٢٢٠-١.
- (١٣) حول خلفية حركة حماس وبروزها في المجتمع والسياسة الفلسطينية انظر زياد أبو عمرو، *Hamas*: خلفية تاريخية وسياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية ٢٢: ٤ (صيف ١٩٩٣)، ص: ٥-١٩. شاول ميشال وأفرام سيل، مرجع سابق. خالد حروب، *Hamas*: الفكر للسياسي والممارسة، ولندن معيد الدراسات الفلسطينية عام ٢٠٠٠. جروين جاتينج، *Hamas in Politics*: الديمقراطية والدين والعنف، نيويورك دار نشر جامعة كولومبيا عام ٢٠٠٨. ومن أجل نص ميثاقها انظر ميشال وسيل، مرجع سابق ص: ١٧٥-٩٩ (مقطعات وردت في لايرو روبين، مرجع سابق ص: ٣٤١-٨) أو *The Yal University Avalon Documentation Project Website*: <http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/hamas.htm>
- (١٤) مارك تسلا، *Intifada*، ١٩٨٧-١٩٩٣، موسوعة للفلسطينيين المنقحة والتي حررها فيليب مطر، نيويورك: *Facts on File*، سنة ٢٠٠٥ ص: ٢٢٦.
- (١٥) عن الانتفاضة انظر أيضا زينيف شيف وإيهود ياناري، *Intifada*: الانتفاضة الفلسطينية-جبهة إسرائيل الثالثة، نيويورك: سيمون وشوستر، ١٩٩٠. *Intifada*: الانتفاضة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، تحرير زكاري لوكمان وجونيل بينين، بوسطن، *MA South End Press*، ١٩٨٩. كينيت ستين، *The Intifada and The 1936-39 Uprising*: مقارنة، مجلة الدراسات الفلسطينية ١٩: ٤ (صيف ١٩٩٠ ص: ٦٤-٨٥).

(١٦) الإعلان الفلسطيني للاستقلال، الجزائر، ١٥ نوفمبر ١٩٨٨، ورد النص في كتاب لأكيرو روبين، مرجع سابق ص: ٢٥٤-٨. *The Palestinian Israeli Peace Agreement*: تسجيل وثائقي منقح، الطبعة الثانية، واشنطن معهد الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٩٤ (المشار إليه فيما بعد باسم *pipe*) ص: ٢٦٨-٧٢. لوكاش، مرجع سابق، ص: ٤١١-٥. المجلس الوطني الفلسطيني، الإعلان السياسي، الجزائر ١٥ نوفمبر ١٩٨٨، وذلك في لأكيرو روبين، مرجع سابق، ص: ٣٤٩-٥٢. *Pipa* ، ص: ٢٧٣-٨٢. لوكاش، مرجع سابق ص: ٤١٥-٢٠.

(١٧) خطاب عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في جنيف يوم ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ والنص في *Pipa* ص: ٢٨٣-٩٧. لوكاش، مرجع سابق ص: ٤٢٠-٣٤. عرفات، مؤتمر صحفي وتصريحات جنيف ١٤ ديسمبر ١٩٨٨، والنص في *Pipa* ص: ٢٩٨-٩. رونالد ريجان تصريح، بالسماح بالحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير، واشنطن ١٤ ديسمبر ١٩٨٨ والنص في *Pipa* ، ص: ٣٠٠. وانظر أيضا:

<http://www.mideastweb.org/arafat1988.htm>

و

<http://www.mfa.gov.il/MFA/Foreign%20relations/Israels%20foreign%20relations%20since%201947/1984-1988/419%20statement%20by%20yasser%20arafat->

[2014%20december%201988](http://www.mfa.gov.il/MFA/Foreign%20relations/Israels%20foreign%20relations%20since%201947/1984-1988/419%20statement%20by%20yasser%20arafat-) . ومن أجل خلفية حول هذه الفترة انظر محمد ربيع مرجع سابق عن الدبلوماسية السرية وتسوية الصراع، تقديم هارولد سوندرز، Gainesville: دار نشر جامعة فلوريدا، ١٩٩٥ خاصة الفصل ٩. جيدون رمبا، مقابلة مع ستانلي شينباوم، جرى مناقشتها في (*Self Appointed Arrogant American Jewish Interlopers Offer Illusions of Peace*) ١٧ أغسطس ٢٠٠٧، والمتاح على موقع:

www.ameinu.net/perspectives/current_issues.php?articleid=252 تم الدخول عليها في ٢٩

أغسطس ٢٠٠٧.

(١٨) انظر بنيامين نتنياهو، مرجع سابق، طبعة منقحة، نيويورك: Warner Books سنة ٢٠٠٠، ص: ٢٢٨-٤٢.

(١٩) وليد خالدي، (The United States and the Palestinian People) جامعة جورج تاون، مارس ١٩٨٩، أعيد إنتاجه في وليد خالدي *Palestine Reborn*، لندن/ نيويورك I.B. Tauris، ١٩٩٢ ص: ١٥٧-٨ ومن أجل تقييمات مماثلة، انظر محمد مصلح (Towards coexistence: تحليل قرارات المجلس الوطني الفلسطيني)، مجلة الدراسات الفلسطينية ١٩: ٤ صيف ١٩٩٠، ص: ٣-٢٩. أعيد طباعته باسم *From War to Peace*: العلاقات العربية-الإسرائيلية ١٩٧٣-١٩٩٣، تحرير بارى روبين وجوزيف جينات وموشيه ماعوز، نيويورك دار نشر جامعة نيويورك، ١٩٩٥، ص: ٢٦٥-٩١. رشيد خالدي، مرجع سابق (Iron Cage) ص: ١٨٩-٩٥.

(٢٠) ألان دوتي، *Israel/Palestine*، الطبعة الثانية، Malden, MA/Cambridge، بريطانيا: Polity Press عام ٢٠٠٨ ص: ١٣٤/٦.

(٢١) الكلمة الإنجليزية جرى استعارتها إلى العبرية وتم نطقها عبر FEHR. وحول المفهوم انظر الفصل السادس والمصادر المقتبس منها في الهامش رقم ٤٨. وانظر أيضا بينى موريس (A New Exodus for the Middle East?) الجارديان ٢ أكتوبر ٢٠٠٢.

(٢٢) دوتي، مرجع سابق ص: ٢٣٢-٤٨. برنارد وزارشتين، مرجع سابق، الطبعة الثالثة New Heaven, CT / لندن: دار نشر جامعة يال/ لندن Profile Books، عام ٢٠٠٨ ص: ١٣٠-٤٠.

(٢٣) خطاب الملك حسين في ٣١ يوليو ١٩٨٨ متاح على موقع: www.kinghussein.gov.go/88_july31.html. أعيد إنتاجه في هارولد سوندرز، *The Other Walls*: عملية السلام العربي-الإسرائيلي من وجهة نظر عالمية، طبعة منقحة دار نشر جامعة برينستون، ١٩٩١، ص: ١٩٧-٢٠٣ وكذلك في ويليام كوانت (تحرير) *The Middle East*: عشر سنوات بعد كامب ديفيد، واشنطن معهد بروكنجز، ١٩٨٨.

ص: ٤٩٤-٨. مقتطف من لأكيرو روبين ، مرجع سابق، ص: ٣٣٨-٤١. Asher Susser
نصف وويلان بابيه باسم *Jordan in the Middle East*: إنشاء دولة في البؤرة، لندن فرانك
كاس ١٩٩٤ ص: ٢١٨-٢١. أبو عودة، مرجع سابق، ص: ٢٢٤-٩. مروان معشر،
مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٢٤) حول مؤتمر مدريد انظر: أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، ص: ٧٥-٨٩ وص: ١٩٦-٢٠٤.

(٢٥) حول بعض المبادلات في الوثائق بين الوفود الإسرائيلية والفلسطينية والمذكرات المقدمة
للأمريكان أثناء هذه المباحثات (يناير ١٩٩٢- أغسطس ١٩٩٣) انظر (*The Palestinian*
Israeli Peace Agreement: سجل وثائقي) الطبعة الثانية المنقحة، واشنطن معهد الدراسات
الفلسطينية، ١٩٩٤ ص: ٩٣-١٠٩. ومن أجل عرض مباشر من أعضاء الوفد الأردني،
انظر عبد السلام المجالي، وجواد العناني ومنذر حدادين، *Peacemaking*: القصة الداخلية
للاتفاقية الأردنية- الإسرائيلية عام ١٩٩٤ تقديم سمو الأمير الحسن بن طلال والمقدمة
بقلم ديفيد بورين، دار نشر جامعة أوكلاهوما، ٢٠٠٦، ص: ٢٣-٢٣٢.

(٢٦) حول مفاوضات أوسلو و *DOP* انظر أيزنبرج وكابلان مرجع سابق ص: ١٠٣-٢٦ ،
٢١٠-١٦. ومن أجل عرض بعض المشاركين انظر شيمون بيريز، *Battling for Peace*:
تذكرة، نيويورك راندوم هاوس سنة ١٩٩٥. محمود عباس (أبو مازن) مرجع سابق.
يوسيبيلين مرجع سابق ترجمة فيليب سيمبسون. جان كوربين، *Gaza First*: قناة النرويج
السرية من أجل السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير، لندن: Bloomsbury، ١٩٩٤.
أوري سافير، *The Process*: ألف ومئة يوم غيرت للشرق الأوسط. نيويورك راندوم هاوس
١٩٨٨. دينيس روس، *The Missing Peace*: القصة الداخلية للقتال من أجل سلام الشرق
الأوسط، نيويورك: Farrar, Straus, and Girox، ٢٠٠٤. أحمد قريع (أبو علاء)، من
أوسلو إلى القدس: القصة الفلسطينية للمفاوضات السرية، لندن : I.B. Tauris، ٢٠٠٦.

(٢٧) عن مفاوضات أوسلو والـDOP انظر: أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، ص: ١٠٣-٢٦، ٢١٠-١٦.

(٢٨) عن المفاوضات السورية - الإسرائيلية انظر جيريمي بريسيمان (*Mediation, Domestic Politics and the Israeli-Syrian Negotiations*) ١٩٩١-٢٠٠٠، الدراسات الأمنية ١٦: ٣ (يوليو-سبتمبر ٢٠٠٧)، ص: ٣٥٠-٨١. أيزنبرج وكابلان الطبعة الثانية الفصل ٦.

(٢٩) حول المفاوضات والمعاهدة الأردنية- الإسرائيلية انظر أيزنبرج وكابلان، ص: ٩٠-١٠٢، ٢١٧-٢٨.

(٣٠) خطاب رابين أمام الكنيست، ٢٧ يونيو ١٩٩٣، وهي الفقرات نفسها في افتتاح رابين يوم ١٣ يوليو ١٩٩٢، أعيد إنتاجه في لاكيرو روبين مرجع سابق ص: ٤٠٣-٤٠٤.

(٣١) أهارون كليمان، *Israel Affairs, New Directions in Israel's Foreign Policy* ١:١ (خريف ١٩٩٤)، ص: ٩٨-٩٠. عدد الدول التي لإسرائيل معها علاقات دبلوماسية قفز من ١١٠ عام ١٩٩٢ إلى ١٦٣ عام ١٩٩٨. موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية تم الدخول عليه يوم ٥ سبتمبر عام ٢٠٠٨ على موقع:

http://www.mfa.gov.il/MFAHEB/general+info/about+us/foreign_relation.htm

(٣٢) أبا إيبان، (*Why Hysteria on a Mideast Parley?*) نيويورك تايمز ٣ أبريل ١٩٨٨. حول تطور فكر رابين انظر حمدا بن ييودا، *Policy Transformation in the Middle East*: نظم ضبط التسليح والأمن القومي، تصالح. وذلك في عرض المقالات في الدراسات الإسرائيلية: كتب عن إسرائيل المجلد ٥ تحرير لورا زيترين أيزنبرج ونيل كابلان Albany: دار نشر جامعة نيويورك، ٢٠٠٠، ص: ١٧٨-٨٧.

(٣٣) حول الاختلافات الاجتماعية- الاقتصادية والاعتماد المتبادل بين إسرائيل والفلسطينيين انظر وزارشتين، مرجع سابق، ص: ٥٧-٦٨. وحول تطور حل الدولتين خلال العقد المنصرم انظر مارك هيلر، *A Palestinian State*: ما يعنيه ذلك لإسرائيل، دار نشر

جامعة هارفارد، ١٩٨٣. مارك هيلر وسارى نسيبة، *No Trumpets, No Drums*: تسوية الدولتين فى الصراع العربى- الإسرائيلى ، نيويورك *Hill and Wang* ، ١٩٩١.

(٣٤) خليل الشقاقي (*Ending the Conflict*: هل تملك الأطراف ذلك؟) وذلك فى الكتاب الذى حرره روبرت روث شتاين وموشيه ماعوز و خليل شقاقي، برايتون المملكة المتحدة/ بورتلاند، أو *Sussex Academic Press*، ٢٠٠٢، ص: ٤٠، وانظر أيضا المرجع السابق ص: ٤١. خالدى، مرجع سابق ص: ١٩٦، وخالدى أيضا يؤكد أن الاختيار الاستراتيجى لأماكن المستوطنات اليهودية وخرائط الطرق تسىء إلى الشكل الممكن وإمكانية نشوء أى دولة فلسطينية تبتغى أن تضم الأماكن المتجاررة للشعب الفلسطينى.

(٣٥) *Baruch Kimmerling and Joel S. Migdal, The Palestinian People*: تاريخ، دار نشر جامعة هارفارد، ٢٠٠٣، ص: ٣٧٨.

(٣٦) فى عام ١٩٩٩ فإن مجموعة من المثقفين فى الداخل نشروا ما أصبح يعرف بـ(عريضة العشرين) تتهم السلطة الفلسطينية بالفساد وإهمال حقوق الإنسان الأساسية. لقد اعتقلت السلطة الفلسطينية العديد من الموقعين وعذبت غيرهم. انظر تعليق الدكتور عادل سمارة، تم الدخول عليه يوم ١٨ يوليو ٢٠٠٨ على موقع المجموعة الإشتراكية الدولية البريطانية: <http://www.isg-fi.org.uk/spip.php?article179> وموقع: <http://www.isg-fi.org.uk/spip.php?article178>، وإننى مدين بالشكر إلى أحمد حماد لهذه المعلومة. وعموماً، انظر خالدى، مرجع سابق ، ص: ١٥١-٢.

(٣٧) خالدى، مرجع سابق ص: ١٤٦، ١٧٨.

(٣٨) انظر: يورام بيرى (تحرير)، *The Assassination of Yitzhak Rabin*، دار نشر جامعة ستانفورد.

(٣٩) على أبو النعمة، *Israel's Auschwitz Borders Revisited* ، ٨ ديسمبر

٢٠٠٨، تم الدخول عليها يوم ١٤ فبراير ٢٠٠٩ على موقع:

<http://www.desertpeace.world-press.com/2008/12/08/israels->

[auschwitzborders-revisited](http://www.desertpeace.world-press.com/2008/12/08/israels-). ملاحظات رئيس الوزراء شيمون بيريز بمناسبة

افتتاح حفل ذكرى شهداء المعركة والأبطال، *Yad Vashim* ، القدس، ١٥ أبريل ١٩٩٦.

(٤٠) من أجل وجهة نظر ومعالجة نقدية لإيجابيات وسلبيات سنوات أوسلو - انظر: رون بوندك (*From Oslo to Taba*: ما الخطأ الذي حدث؟) وذلك في الكتاب الذي حرره روث شتاين وماعوز والشقاقى (*The Israeli Palestinian Peace Process*) مرجع سابق ص: ٨٨-١٠١. كيمرلينج ومجدال، *The Palestinian People*، الفصلان ١٠-١١. يورام منتال، *Peace in Tatters*: إسرائيل - فلسطين والشرق الوسط، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، سنة ٢٠٠٠ الفصل ٣. جاليا جولان، *Israel and Palestine*: خطط السلام ومقترحات من أوسلو لفصل القوات، برينستون، *NG: Markus Wiener*، سنة ٢٠٠٧ الفصل ٢.

(٤١) من أجل ملخص لنص اتفاقية Wye انظر موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية: <http://www.mfa.gov.il/MFA/peace%20process/guide%20to%20the%20peace%20process/the%20why%20river%20cess>. عشرون مذكرة جرى الدخول عليها يوم ٢٠ سبتمبر عام ٢٠٠٨. ومن أجل عرض مباشر أولى انظر دينيس روس مرجع سابق نيويورك عام ٢٠٠٤، الفصلان ١٦-١٧. ومن أجل المناقشة انظر جولان مرجع سابق، ص: ٢٩-٣٣.

(٤٢) موضوعات جيرمي بريسمان الخاصة بهذه الحكايات ووضعها موضع الدراسة وذلك في كتابه (*Visions in Collision*: ماذا حدث في كامب ديفيد وطابا؟) *International Security* ٢٨: ٢ (آخر ٢٠٠٣)، ص: ٥-٤٣. ويفرق رابينوفيتش بين ٤ حكايات، الأوليان منها (الأصولية والتحريفية) وهذا يتوافق عموماً مع الاثنتين المقدمتين هنا: إيتامار رابينوفيتش (*Waging Peace*: إسرائيل والعرب، ١٩٤٨-٢٠٠٣، الطبعة المنقحة والمحدثة، دار نشر جامعة برينستون، ٢٠٠٤، ص: ١٦٠-٧٦. ومن أجل مناقشات عن قمة كامب ديفيد انظر أكرم هنية، *The Camp David Papers*، رام الله. صحيفة الأيام، ظهر لها اختصار في مجلة الدراسات الفلسطينية ٣٠: ٢ (شتاء ٢٠٠١)، ص: ٧٥-٩٧. كلايتون سويشر، *The Truth About Camp David*: القصة التي لم تقال حول انهيار عملية سلام الشرق الأوسط، نيويورك: *Nation Books*، ٢٠٠٤. روس، مرجع سابق، الفصول ٢٤-٥. الكتاب الذي حرره شيمون شامير وبروس مادي - ويتزمان تحت اسم *The Camp David Summit* -

- ماذا جرى خطأ؟ الأمريكيون، الإسرائيليون والفلسطينيون يحللون فشل المحاولة الجريئة لتسوية الصراع العربي- الإسرائيلي، برايتون، بريطانيا / بورتلاند، أو *Sussex Academic Press* عام ٢٠٠٥. منتال، مرجع سابق الجزء ٥. ديفيد مانتز (*Reconstructing Camp David*) مجلة المفاوضات ٢٢: ١ (يناير ٢٠٠٦) ص: ٨٩-١٠٣. جولان، مرجع سابق الفصلان ٣-٤. أيزنبرج وكابلان، مرجع سابق، الطبعة الثانية، فصل ٩.
- (٤٣) نص مقاييس كلينتون في ٢٣ ديسمبر سنة ٢٠٠٠ معاد إنتاجه في كتاب روس، مرجع سابق، ص: ٨٠١-٥. وهو كذلك متاح على موقع: <http://domino.un.org/unispal.NSF/1ee874ab1832a53e852570bb006dfaf6dfaf6/d57af4edd6e-b1445585256e37006655e4>، تم الدخول عليه يوم ٧ سبتمبر ٢٠٠٨.
- (٤٤) حول مفارقات طابا انظر وثيقة موراتينوس كما جاء بها أكيفا إدار (*The Peace That Nearly Was At Taba*) صحيفة هآرتس ١٥ فبراير ٢٠٠٢، وهو متاح أيضا على: www.mideastweb.org/moratinos.htm. بريسمان مرجع سابق. جولان، مرجع سابق، الفصل ٥. ديفيد مانتز (*Trying to Understand the Taba Talks*) الجزء الأول، المجلة الإسرائيلية- الفلسطينية للسياسة والاقتصاد والثقافة ١٠: ٣ سنة ٢٠٠٣ ص: ٩٦-١٠٥ و (*Why did Taba End?*) الجزء الثاني، المجلة الفلسطينية- الإسرائيلية للسياسة والاقتصاد والثقافة ١٠: ٤ (٢٠٠٣) صفحات: ٩٢-٨.
- (٤٥) مؤتمر العدالة لليهود في الدول العربية (*JJAC*) يوليو ٢٠٠٨ في لندن، ناتان جيفيه (*The Other Middle East Refugees*) تقرير القدس ٤ أغسطس ٢٠٠٨ ص: ٢٣-٤. *Michael R. Fischbach* (*Palestinian Refugee Compensation and Israeli Counterclaims for Jewish Property in Arab Countries*) مجلة الدراسات الفلسطينية ٣٨: ١ (خريف ٢٠٠٨) ص: ٦-٢٤.
- (٤٦) انظر: (*The Refugee Problem at Taba*)- مقابلة أكيفا إدار مع بوسي بيلين ونيل شعث) المجلة الفلسطينية- الإسرائيلية للسياسة والاقتصاد والثقافة ٩: ٢، ٢٠٠٢، ص: ١٢-٢٣.

ما حرره Ann M. Lesch and Ian S. Lustic بعنوان *Exile and Return*: مشاكل الفلسطينيين واليهود، دار نشر جامعة بنسلفانيا، ٢٠٠٥. خليل الشقاف (*Refugees and The Legitimacy of Palestinian-Israeli Peace Making Arab Jewish Relations*) وذلك في كتاب مقالات على شرف موشيه ماعوز، تحرير إيلي بوديه وأشير كوفمان بعنوان (*From Conflict to Resolution*) برايتون Sussex Academic Press عام ٢٠٠٦ ص: ٣٦٣-٧٤. وزارشتاين مرجع سابق ص: ١٥٧ - ٦١. أكيفا إدارو آفي إسخاروف (*Abbas to Haaretz Peace Deal would Have to Include Right of Return*) صحيفة هآرتس ٩ سبتمبر ٢٠٠٨.

(٤٧) انظر إيليسا إفرايت (القدس: خطط التقسيم للمدينة المقدسة) وذلك فيما حرره إفراييم كارش في كتاب (*Israel: المئة سنة الأولى*) المجلد ٢، من الحرب إلى السلام، لندن، فرانك كاس، ٢٠٠٠، ص: ٢٣٨-٥٧. مناحم كلاين، *Jerusalem: The contested City* ، ترجمة حايم واتزمان، نيويورك دار نشر جامعة نيويورك سنة ٢٠٠١. وترجمة حايم واتزمان لكتاب *Jerusalem Problem*: النضال من أجل الوضع الدائم، دار نشر جامعة فلوريدا، ٢٠٠٣. ريوفين ميرهاف (*Planning for Jerusalem*) وذلك فيما حرره شامير ومادى- ويتزمان تحت عنوان *Camp David Summit*، ص: ١٦٧-٧٥. برنارد وزارشتاين، *Divided Jerusalem*: النضال من أجل المدينة المقدسة، الطبعة الثالثة نيوهافن، CT دار نشر جامعة يال سنة ٢٠٠٨. مايكل دامبر، *The Politics of Sacred Space*: مدينة القدس القديمة في صراع الشرق الأوسط، بولدر، CO: Lynne Rienner سنة ٢٠٠٢. وزارشتاين مرجع سابق ص: ١٦١-٤. *Betterlemons.org, Palestinian – Israel Cross fire* ، Talks (تحرير) ٣٥، ٨ سبتمبر ٢٠٠٨.

- (٤٨) حول انتفاضة الأقصى انظر جيرمي بريسمان (*The Second Intifada*): خلفية وأسباب الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني) مجلة دراسة الصراع ٢٢: ٢ (نهاية ٢٠٠٣)، ص: ١١٤-٤١. منتال، مرجع سابق، الفصل ٦.
- (٤٩) فيليب مطر (*Al-Aqsa Intifada*) موسوعة الفلسطينيين طبعة منقحة (تحرير) فيليب مطر، نيويورك: *Facts on file*، ٢٠٠٥، ص: ٢٣-٤.
- (٥٠) من أجل نقد استراتيجية الفلسطينيين خلال الانتفاضة الثانية، انظر يزيد صايغ (*Arafat Survival (and the Anatomy of a Revolt* ٣-٤٣ (خريف ٢٠٠١)، ص: ٤٧-٦٠. و(*Survival (The Palestinian Strategic Impasse* ٤٤: ٤ (شتاء ٢٠٠٢) الصفحات ٧-٥١.
- (٥١) التقرير النهائي للجنة شرم الشيخ لنقصى الحقائق (تقرير ميتشل)، ٣٠ أبريل ٢٠٠١، وكذلك خطة عمل تبنيت ١٣ يونيو ٢٠٠١، وتم النخول للإطلاع عليهما يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط التالي: http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mieast/mitchell_plan.htm <http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/mid023.htm>
- (٥٢) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٩٧ بتاريخ ١٢ مارس ٢٠٠٢، تم الإطلاع عليه يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على الرابط <http://daccessdds.un.org/doc/UNDOC/N02/283/59/PDF/N0228359.pdf>
- (٥٣) خارطة طريق مبنية على أساس الأداء للوصول إلى تسوية دائمة قائمة على أساس الدولتين، ٣٠ أبريل ٢٠٠٣، تمت إعادة نشرها في كتاب جولان، "إسرائيل والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني"، المتاح على الرابط: <http://www.yale.edu/lawweb/avalon/mideast/roadmap.htm> وتم الإطلاع عليه يوم ٥ سبتمبر ٢٠٠٨.
- (٥٤) نص إعلان بيروت حول مبادرة السلام السعودية، ٢٨ مارس ٢٠٠٢، وهو متاح على الرابط <http://www.al-bab-com/arab/dics/League/peace02.htm>، وفي: جولان: "إسرائيل

وفلسطين"، الملحق الثالث. ومن أجل دراسة أكثر عمقاً للموقف الأردني من المفاوضات العربية-العربية والمفاوضات الأخرى المتصلة بها انظر: موشار، "المركز العربي". وللمزيد من المناقشات والتحليل انظر: جولان، "إسرائيل وفلسطين"، ص: ٦٩-٧١ وكذلك منتال، *Peace in Tatters*، ص: ١٤٩-١٥٦، وأيضاً: إيلي بودة، "من فهد إلى عبد الله: مبادرات السلام السعودية وأثرها في النظام العربي وإسرائيل"، القدس، معهد ترومان، الجامعة العبرية، ٢٠٠٣.

(٥٥) يمكن للدخول على الموقع الإلكتروني لمبادرة جنيف على الرابط <http://www.geneva-accord.org/HomePage.aspx?FolderID=11&lang=en> وفيما يتصل بنص أكتوبر ٢٠٠٣ فيمكن *ID=33&lang=eng*: إعادة نقل مقتطفات منه في: جولان، "إسرائيل وفلسطين"، ص: ١٩٩-٢٠٧. وللحصول على تحليل من حول هذا الموضوع انظر: ميناخ كلين، سلام ممكن بين إسرائيل وفلسطين: رواية مشارك في مبادرة جنيف، ترجمة حاينم ولتزمان، نيويورك، جامعة كولومبيا، ٢٠٠٧.

الفصل الحادى عشر

الكتابة عن الصراع

فى الأجزاء السابقة قدمت عرضاً تاريخياً للصراع الإسرائيلى-الفلسطينى والعربى- الإسرائيلى خلال ما يناهز ١٣٠ عاماً فى أقل من ١٨٠ صفحة، وكان الهدف هو إعطاء القارئ:

- الإحساس بكيفية تطور الصراع من بداياته المبكرة إلى صراع له أبعاد إقليمية ودولية.
 - الوعى بالتغيرات فى الإطار التاريخى، وأنماط السلوك المتكررة خلال هذه الفترة.
 - بعض الفهم للأطراف ودوافعهم والمضمون العاطفى لوجهات نظرهم المتصارعة.
 - لمحة عن الأسباب التى تجعل هذا الصراع مقاوماً إلى هذا الحد للحل، خاصة عندما يحدد الشخص عدداً من المقولات الجوهرية المثيرة للجدال التى لم تحل، والتى ربما تكون غير قابلة للحل.
 - معرفة أساسية للموضوعات الرئيسية موضع الجدل بين أطراف الصراع الرئيسية، وأيضاً بين المؤرخين الذين كتبوا عنه.
- وكانت الفصول من (٣) إلى (١٠) محاولة لتقديم تاريخ للصراع بشكل محايد وموضوعى وقانونى، مبنية على الانفتاح على الدلائل المتعارضة ومختلف التفسيرات التى جرى تقديمها، ولم يظهر أن أيّاً من الصهاينة والإسرائيليين والفلسطينيين والعرب، أمل فى ذلك، على أنه يحتكر الحقيقة أو الشر أو الفضيلة أو الرذيلة.

وإحدى النتائج التى يمكن التوصل إليها من العرض السابق؛ هو أن كلاً من الأطراف كان يعمل، وما زال حتى اليوم، حاملاً معه حقبة تاريخية ثقيلة، هذه الحقبة تتضمن:

(أ) تراكمات من المظالم غير المحلولة إزاء الطرف الآخر، وإدراك لأعمال غير عادلة ارتكبت من جانبه.

(ب) شعور مستمر ومتجدد بأحقية وعدالة قضية.

(ج) شعور مستمر ومتجدد بأنه كان الضحية على يد الآخرين.

(د) درجة من التناؤم والسخرية واليأس بسبب توالى الإحباطات إثر الجهود الفاشلة والفرص الضائعة من أجل تسوية عادلة / أو سلمية.

إن الروايات المختلفة للفلسطينيين والإسرائيليين عن تاريخهم المشترك للصراع- وقصصهم المتعارضة- لا يمكن التوفيق بينها بسهولة، وقد حاولت أن أكون أميناً فيما يتصل بالروايات المتعددة، وتركت كلاً من الروايات المتعارضة يتحدث عن نفسه فى الصفحات السابقة والالتزام بحد أدنى من التقديم من جانبى.

يوجد عدد من الطرق المختلفة لتقديم الـ ١٣٠ سنة من الصراع، ليس من بينها العرض المحايد للحقائق المجردة أو سرد للأحداث وفقاً لتسلسلها الزمنى، وفى هذا الفصل الأول من الخاتمة سننظر إلى كيف أن الكتابة التاريخية والسياسية عن هذا الصراع لا تقوم فقط بوصفها تقديم تقرير عنه، وإنما أيضاً تشارك فيه، وغالباً أيضاً ما تشوهه.

نقائص الأساطير في مواجهة الحقائق:

خلال الصفحات السابقة رأينا أمثلة لكيف أن الأحداث نفسها يمكن أن تفسر بطرق شديدة الاختلاف من جانب الإسرائيليين ومن يؤيدهم من ناحية، والفلسطينيين ومن يسانداهم من ناحية أخرى، وكل طرف يتمسك - بدقة - بروايته ويسارع برفض الروايات المناقضة، ويصف مكوناتها بأنها أساطير ودعايات وأكاذيب.

ولسوء الحظ؛ فإن هذا العرض لتاريخ النزاع من خلال تجميع ودعم "حقائق" طرف ضد "زيف" و"أسطورية" الآخر قد صار طريقة شائعة، لكنها شديدة التبسيط، في تفسير الصراع للمبتدئين مستبعدة الشكوك غير الملانمة للمخلصين ومحاولة استمالة المراقبين غير المرتبطين ببرامج معينة، وعلى الرغم من أنه غالباً ما يكون مدعوماً أكاديمياً مما يزيد من جاذبيته، فإنه يلزم التدقيق فيه جيداً للتعرف على نقائصه الكثيرة، فالكثير من التاريخ المعقد لهذا النزاع يتم اختزاله في معركة بين الحقائق التي يقدمها "طرفنا"، والأكاذيب والدعاية الصادرة عن "الطرف الآخر"، وكذلك فضيلتنا تصير مكرسة ضد نواياهم الشريرة، والمقاومة (الدفاع عن النفس) التي يقوم بها طرفنا ضد عدوانهم، وبأس طرفنا وضعفه في مواجهة قوتهم المهيمنة وتفوقهم غير العادل.

خلال المئة والثلاثين عاماً الماضية؛ قدم كل من الصهاينة/الإسرائيليون والعرب/الفلسطينيين أمثلة مكررة لهذه العقلية، وعندما تأتي هذه المواقف من المتصارعين أنفسهم في حمأة الصراع، فإن هناك شيئاً أصيلاً يرتبط بهذه العقلية المغلقة المناوئة، وهذه الاتجاهات هي عقبات حقيقية يجب تجاوزها بين المحاربين الحقيقيين، وبالنسبة للمتخصصين والمشاركين في ثقافة السلام وغيرها من الأنشطة الهادفة إلى بناء الجسور⁽¹⁾، فإن هذه الاتجاهات هي العقبات التي يجب أن تتركز

إليها جهودهم. ولكن ماذا يحدث عندما يقوم الكتاب والصحفيون والباحثون وغيرهم من المفسرين الذين يقفون خطوة أو أكثر بعيداً عن الصراع الحقيقي، يقدمونه وفقاً لهذا المقرب الثنائي، ويحتفظون أو يحاكون واحدة أو أخرى من هذه الروايات المتعارضة تماماً للتاريخ؟

وخلال عقود تم نشر العديد من الكتب والمذكرات والمقالات المنحازة لطرف دون آخر تعكس مستويات مختلفة من التعقيد بل وحتى ادعت الموضوعية والحياد، وتكشف عن ذلك عينة من العناوين التي صدرت: "فلسطين: الحقيقة" (١٩٣٩)، "فلسطين عبر ضباب الدعاية" (١٩٤٦)، "أساطير وحقائق: سجل ملخص للصراع العربي- الإسرائيلي" (١٩٤٦/١٩٦٧/١٩٨٥)، "حالة إسرائيل" (١٩٦٧)، "الصواب والخطأ عن إسرائيل" (١٩٧٢)، "أرض المعركة: الحقيقة والخيال في فلسطين" (١٩٧٣-١٩٨٥)، "تزييف المعلومات الصهيوني: إجابات منظمة التحرير الفلسطينية" (١٩٨٠)، "فلسطين والصهيونية عشرة أساطير" (١٩٨١)، اعرف الحقائق (١٩٨٥)، "حالة فلسطين" (١٩٩٠-٢٠٠٥)، "حالة إسرائيل" (٢٠٠٣)^(١).

وسرعان ما يكتشف القراء الناقدون أن النية الحقيقية لهذه المطبوعات؛ هي تسجيل نقاط في إطار من حرب العلاقات العامة المستمرة بين وجهات نظر الإسرائيليين/الصهاينة والفلسطينيين/العرب. والمناوشات الساخنة الجارية هذه الأيام في أروقة الجامعات بين المؤيدين للفلسطينيين والمؤيدين لإسرائيليين من مجموعات الطلبة تمثل التجسيد الأخير لهذه المعركة التي هي قديمة قدم الصراع نفسه، وعلى الرغم من تغيير الشكل والبنية والتكنولوجيا؛ فإن الكثير من منتجات اليوم تتبع النمط المعتاد "حقائقنا في مواجهة أساطيرهم" وشبكة الإنترنت مليئة

بأمثلة على مثل هذا الأسلوب لتقديم موضوعات النزاع مع المساعي الناجحة للتقديم المحايد والموضوعية^(٣).

وبالنسبة لأولئك المهتمين بصدق مهارات النقاش والتأييد؛ فإن هذه الطريقة لتقديم وعرض الصراع لها بلا شك جاذبيتها^(٤)، ولكن فضائلها لأولئك الذين لا ينتمون لأى طرف- أولئك الذين يريدون الفهم الحقيقى: لماذا يحارب الأطراف بعضهم، وهل وتحت أى ظروف سيكونون قادرين على تسوية خلافاتهم- فهذه الفضائل والمزايا مشكوك فى نتائجها، وأحد الأوجه المقلقة لإصدارات "الأساطير فى مواجهة الحقائق" والمواقع الإلكترونية هى درجة التأكد التى يظهرونها والتى غالبًا لا تتماشى مع أى شىء فى الحياة الفعلية، فالحقائق نادرًا ما تكون بهذه البساطة، كما أن الوقائع نادرًا ما تكون واضحة مستقيمة مثلما يحاول تقديمها مروجو الأساطير فى مواجهة الحقيقة، وأيضًا من خصائص هذا النوع من الكتابة الاتجاه السهل نحو افتراض عدم الإخلاص فى دوافع الآخر، ويحذرنا رجال علم الاجتماع المتمرسون حول كيف أنه من الصعوبة معرفة والحكم على دوافع طرف ما: "إن قدرتنا على معرفة دوافع الآخرين هى فى الحد الأدنى ولا يمكن الاعتماد عليها وتخضع للإغراءات القوية لتبرير الذات والإسقاط"^(٥)، وأولئك الذين يريدون الدقة الفعلية والتقييم الأمين والمخلص للقوى التى تتفاعل لن يخدمهم مقرب الأساطير فى مواجهة الحقائق لأنه من الناحية المنهجية تشوبه عيوب كثيرة، وبحكم طبيعته فإنه يرتب الحقائق بطريقة انتقائية ويتلاعب بالمعلومات باستخدام الحيل وسلسلة من الأدوات والأساليب لهدف واحد هو إبراز قضية، ومن الصعب جدًا أن يقود إلى معرفة بعيدة عن العاطفة أو فهم نقدى كما أنه لا يمكن أن يكون مساعدًا لنشطاء السلام الباحثين عن طريقة للخروج من المأزق؛ لأنه صيغة صدامية تغذى دائرة لا تنتهى من الاستقطاب وتبرير الذات وشيطنة الآخر.

دور الأكاديميين:

ماذا عن دور القاعات الأكاديمية؟ لسوء الحظ حتى في هذه القاعات؛ حيث يجب أن تكون الموضوعية والدقة في أعلى مستوياتها في الكتابة عن الصراع العربي - الإسرائيلي والإسرائيلي - الفلسطيني، فإننا نجد الكثير من مشكلات التشويه وسوء التقديم التي واجهناها من قبل، فبعض الباحثين يرغبون في اختيار تقديم مساندتهم إلى واحدة من صيغ الصراع على الأخرى، ويقدمون تأييدهم لمشروعات تعليمية متصلة بالعلاقات العامة - التي تكون دراساتها البحثية في الأغلب أكثر قليلاً كما من الصيغ المعقدة لمواد الحقيقة في مواجهة الأسطورة التي أوضحناها فيما سبق^(١).

إن مشكلات الموضوعية العلمية في الكتابة عن الصراع؛ ليست - بأي حال - جديدة ولكنها طفت على السطح بطرق مختلفة عبر السنين، ففي بداية الخمسينيات على سبيل المثال فإن "سيلفيا حايم" تجادلت مع إصدار "جورج أنطونيوس" - "يقظة العرب" (١٩٣٨)، الذي اقتبسناه في الفصل الثالث وكتبت:

"يمكن الدفع بأنه لا يوجد مؤرخ يمكنه الكتابة دونما وجهة نظر محددة، فأنطونيوس يتبنى وجهة نظر قومية، وفي هذه القضية يجب تقويمه كمؤرخ قومي، وعبرة مؤرخ قومي تعني أنه يكرس قدراته ومهنيته لتعظيم وتضخيم أمته أو مجتمعه، وهذه الظاهرة بلا شك شائعة ولكنها تستحق الإدانة، فالمؤرخ قد تكون له في الحقيقة تحيزات وتفضيلاته وهذه يجب أن تكون نوعاً من المسموح به له، ورؤية أنه يتعامل مع سلوك الرجال في السلطة بالحق أو الخطأ وبما

يفعله البشر مع كل منهم، فإنه ليس مسموحًا له أن يُنصب نفسه كمحامٍ لقضية منقوصة ضد أخرى وكل القضايا السياسية هي ناقصة وغير مكتملة، وهذا يوضح الفشل في نزاهته الأكاديمية المهنية^(٧).

الكثير من الأعمال العلمية المنشورة عن الصراعات العربية-الإسرائيلية والإسرائيلية-الفلسطينية، ربما أكثر من الموضوعات الخلافية الأخرى؛ كتبها أناس يمكن أن نسميهم "مؤرخون قوميون"، وفي أيامنا يمكن أن نسميهم الأكاديميين الذين يتبنون ويدافعون بالنيابة عن قضية قومية معينة. وكما يتحسر محرر "موسوعة الفلسطينيين" فإن هناك الكثير من "اندماج الأيديولوجية والعلمية" في مجال "يغلب عليه الأنصار... الذين استغلوا العلمية والصحافة من أجل استثارة شعوبهم، للحصول على التأييد العالمي، وكسلاح ضد الآخر في كفاحهم من أجل فلسطين"^(٨).

ومنذ عشرين عامًا؛ فإن محرري خلاصة من المقالات عن الصراع وصفوا مشكلات التحيز الأكاديمي بشكل مشابه:

"حتى بين الباحثين المفترض أنهم مراقبون موضوعيون، أحدث الصراع عاطفية شديدة... والباحثون ليسوا معصومين من العواطف التي تشجع المحاربين الذين ينتمون إلى روايات تاريخية مختلفة من أجل دعم ادعاءاتهم، هذه الحرب المستعرة بين الباحثين... تمثلت نفسها في ادعاءات وحجج متناقضة على الخطوط نفسها التي يستخدمها المحاربون أنفسهم"^(٩).

هذه الملاحظات تردد صدی واحدة من المقدمات المنطقية لسلسلة التواريخ المتضاربة؛ وبالتحديد إن المؤرخين لصراع ما غالبًا ما يعكسون مواقف أطرافه وحججهم. ومنذ نهايات الثمانينيات- حيث كانت تكتب هذه الكلمات- فإن الأكاديميين قد صاروا أكثر استعدادًا للمقاتلة بطرق تعكس عدم التسوية وتفاقم الصراع. ولسوء الحظ فإن العروض المشوهة وشديدة الجدل تبدو أكثر تواترًا من أى وقت فى الكتابات الأكاديمية والمحاضرات^(١١)، وفى أيامنا هذه فإن المناخ الموات للمناقشة الهادئة والمتفتحة للصراع أصبح سلعة نادرة فى أروقة الجامعات حول العالم. وأحد الأمثلة للمعارك الساخنة التى دارت فى جامعات أمريكا الشمالية؛ هو إنشاء وتفعيل المراقبة من خلال موقع إلكترونى يعمل كـ "كلب حراسة" - WATCH DOG يتمثل دوره فى عرض التحيز ضد إسرائيل فى المحاضرات والموضوعات التى يقوم الأساتذة بتدريسها^(١٢).

فالسياسات الأكاديمية المعتادة تتضمن إظهار الذات، وصراعات الشخصيات، والحاجة لخلق الإعجاب لدى من لهم السلطة لتقدم الآخرين. والمناظرات الأيديولوجية الأصلية تصبح أكثر تعقيدًا ومرارة عندما يتصل الأمر بالصراع العربى- الإسرائيلى؛ حيث امتدت الاتهامات بالتحيز والسلوك غير المهنى ومطاردة المشعوذين وقمع الحرية الأكاديمية إلى خارج الأسوار الجامعية الأكاديمية فى عدد من الحالات ذائعة الصيت، وتضمنت فى بعض الأحيان حملات دنيئة على المستوى القومى بهدف تشويه السمعة الأكاديمية^(١٣)، إنها تكاد تكون حقيقة بديهية لكنها تعنى أنه لا يمكن أن تكون هناك موضوعية خالصة فى مناقشة الشئون الإنسانية وأن التحيز هو ذاتى جدًا وهو مصطلح نسبى، وفيما يخص أى موضوع فالتحدى للكاتب والقارئ هو أن يكون يقطاً وواعيًا بأى تحيز فى أى دراسة بحثية، فعلى القارئ أن يكون متشككًا للغاية فى الكتاب الذين يدعون عدم

التحيز مطلقاً أو الذين يبدو أنهم يمكنهم تجنب تأثير تحيزاتهم في مهنتهم، فهؤلاء الكتاب ربما يكونون هم أنفسهم غير واعين، أو ينكرون، هذه التأثيرات التي لا يمكن تفاديها، وهم غالباً يلبسون التاريخ القومي الثوب الأكاديمي مقتنعون أن ما يكتبونه هو علمياً على أساس سليم، ويؤدى غياب الوعي النقدي الذاتى إلى أن يصبحوا قادرين على معرفة أين تتدخل الأيديولوجية والتحيز فى عملهم الأكاديمي.

وفى هذا السياق؛ يثور السؤال التالى: ماذا يمكن قوله بشكل عام حول الدور الأمثل للأكاديميين والأسانذة فى بحوثهم العلمية، وكتاباتهم، ومحاضراتهم عن هذا الصراع؟ وحل هذا الموضوع، ربما تحظى القائمة التالية بتوافق كبير بين المؤرخين، على الرغم من أنه بكل تأكيد لا يوجد ثمة إجماع بينهم:

- تقديم حقائق أساسية دقيقة والعمل على تأسيس سجل تاريخي يستند إلى مصادر ذات مصداقية ومتعددة ما أمكن.
- إقامة "السببية" حيث يمكن ذلك، بين تصرف ما وآخر وعرض فرضيات بديلة تشرح الصلات بين الأحداث.
- تقديم معلومات إطارية تتناول البيئة المحيطة تساعد القراء فى فهم وتأكيد الدوافع والاتجاهات والقرارات وسلوك الفاعلين.
- تحديد الأنماط التي تعمق فهمنا للقوى التي تساهم فى حدوث الصراع والمحافظة على استمراريتها.
- دراسة المعتقدات والأساطير لكل الأطراف بطريقة محايدة، دون الانجراف للدفاع بالوكالة عن أى رواية تاريخية.
- تحدى التشوهات والعروض الخاطئة أياً كان مصدرها، بتقديم عروض مضادة ذات مصداقية.

الأساتذة والمفكرون:

أين إذن وتحت أى شروط يمكن للمؤرخين لهذا الصراع أن يعرضوا وجهات نظرهم الشخصية؟ الأقلية القليلة منهم ستأخذ الموقف المتطرف وتدفع بأن الأكاديمي يجب أن يمكنه البقاء محايداً بين السيد والعبد، والمظلوم والظالم والضحية والجلاد، لا يقدم أى أحكام مهما كانت بين ما يعتبرونه صحيحاً وخاطئاً، فى حين أن الأغلبية العظمى سيتفقون على أن المؤرخ عليه أن يعرض اعتقاداته لموضوعاته، ولكن أين يجب على المرء أن يضع خطأً فاصلاً بين المقبول وغير المقبول من إدخال الباحث لوجهات نظره الشخصية؟

الناقدون الذين يميلون للتبسيط على أساس إدانة التحيز الذى تتم ملاحظته لدى الباحث، ومدح ما الموضوعية أو الحياد المزعوم هم أنفسهم مشكلة؛ حيث غالباً ما يخبرونا الكثير عن تحيز الناقد أكثر منه عن الشيء موضع النقد^(١٣). وبدلاً من ذلك فإننى أرى أنه قد يكون من المفيد أكثر النظر إلى المقتربات الأكاديمية لهذا الصراع استناداً إلى نطاق أو خط يستند إلى مدى ممانعة أو استعداد الباحث للإفصاح عن آرائه الشخصية، وفيما بعد سأحاول تحديد مدى درجات الممانعة/ الرغبة كما أراها من أدنى درجة حتى المتوسط إلى أعلى درجات الإفصاح، هذا النطاق أو الخط يمكن أيضاً رؤيته بأنه يمتد بين هؤلاء الذين تكون آراؤهم الشخصية ضمنية فى كتاباتهم وأولئك الذين يكونون أكثر صراحة ووضوحاً فى تقديم تقييماتهم وأحكامهم.

فى نهاية هذا الخط، نجد الأكاديميون الذين يعتبرون أن عملهم الأساسى يقتصر على إظهار أو إيضاح سجل الحقائق: من فعل ماذا؟ لمن؟ متى؟ كم من الأشخاص مات؟ وتتمثل مصادرهم الرئيسية فى الأرشيف وغيره من المصادر الأولية، ويذهب هؤلاء إلى أن عملهم الفكرى الأساسى هو كشف وتقديم الحقائق والدليل بطريقة متماسكة، وتصبح المناقشات حول أن دوافع المتصارعين حذرة وغير نهائية، وبشكل ما ثانوية بالمقارنة بهدف وضع سجل يمكن الاعتماد عليه وترك الحقائق تتحدث عن نفسها.

ويمانع هؤلاء الأكاديميون فى التعبير عن آرائهم الشخصية فيما يتصل بصحة وخطأ ما قام أطراف الصراع بارتكابه؛ حيث يعترفون بأن خلفياتهم المتصلة بوضعهم البيولوجى والاقتصادى- الاجتماعى والعرقى والدينى كان لها أثرها فى عملهم، وهم حريصون على ألا يفرطوا فى التأثير فى نتائج أبحاثهم بإضافة الكثير من التوجهات الشخصية، وعلى الرغم من أنه يتم أحياناً انتقادهم باعتبارهم مفكرين يعيشون فى أبراج عاجية فإنهم راضون عن قيامهم بتوفير مادة خام؛ لها مصداقيتها؛ تاركين لغيرهم من الأكاديميين والمعلقين البحث فيما واستغلالها فى عملهم. إنهم يفضلون عدم الظهور الفاضح والدخول فى مناظرات عامة أو اتخاذ مواقف حول قضايا خلافية.

إننى أرى نفسى متبعاً، فى معظم نتائج أبحاثى- هذا المقرب؛ حيث إننى فيما عملت غالباً أركز على ما يمكن للبعض أن يعتبره وثائق دبلوماسية صماء، إننى أريد أن يقوم قرائى باستخلاص النتائج بأنفسهم، ويسجلوا انتقاداتهم على أساس السجل التاريخى الذى قمت وآخرون بتقديمه، وإذا ما حدث وأقحمت أحكامى الشخصية فإن ذلك عادة يكون لانتقاد ما اعتبره تقييمات خاطئة من قبل طرف أو

آخر أو خداعاً للذات أو تفكيراً بالتمنى، وتقتصر تحيزاتي الشخصية على ما تتضمنه اختياراتي: أى موضوع أكتب عنه؟ أين أبحث عن المواد الأولية والقراءات الثانوية؟ كيف أقوم بالانتقاء من بين الكثير من مواد البحث بهدف استخدام بعضها (التي يتم الحكم عليها بأن آراءها أكثر مصداقية وذات صلة بالموضوع) واستبعاد بعض آخر (الأقل مصداقية والأقل اتصالاً بالموضوع) من أجل المناقشة؟ كيف أقوم بعرض وتقسيم المادة التاريخية؟ وكيف يمكننى أن أقدم إطاراً مناسباً؟

وامتناعى عن تقديم آرائى الشخصية فى بعض الموضوعات الكبرى ينبع كذلك من احترامى للموضوعات وأولئك الذين يستعينون بأبحاثى، فضلاً عن رغبتى فى تفادى المخاطر المحتملة التى قد تتجم عن مدركات قد تكون غير معصومة من الخطأ، وكما ذكر كل من الباحث "تاميل" وناشط السلام الإسرائيلى "ديفيد شولمان": "إننا نقرأ العالم بأفضل ما يمكننا، ولكننا غالباً ما نكون على خطأ"^(١٤)، ومع ذلك فإن النظرة السريعة على هذا الحقل توضح أن هذا المقترح يقتصر فقط على الأقلية؛ حيث يوجد الكثيرون من الأكاديميين الذين يرون دورهم أكثر نشاطاً، وفى هذا الخصوص أشار "أفى شلايم"، أحد المبتكرين داخل تيار "المؤرخين الجدد"، (انظر ما يلى) إلى أن "أهم مهام المؤرخ ليست عرض الأحداث على أساس زمنى، ولكن تقييمها؛ حيث تصبح مهمة المؤرخ إخضاع دعاوى المتخاصمين لعملية فحص دقيقة، ورفض تلك الدعاوى (مهما كانت عميقة الجذور) التى لا تصمد أمام البحث والتحقيق"^(١٥)، وعلى عكس مقترح الحد الأدنى الذى عرضنا له آنفاً تفترض هذه الآراء مسئولية مهنية لتقديم الآراء والأحكام وليس مجرد الحقائق للقراء. والكثيرون فى هذه المجموعة يشعرون بالراحة للإسهام سواء فى القاعات العلمية أو خارجها، فى الحوارات الدائرة والمناقشات، ويقودهم

إنتاجهم العلمى إلى أخذ مواقف بالنسبة للقضايا التاريخية والأحداث الجارية القريبة من قلوبهم وتخصصهم.

يقدم "بيني موريس" مثلاً صريحاً على هذا النوع من الأكاديميين، فدراساته المنشورة عن الموضوعات الصعبة تعكس التزاماً مهنيًا ونظامًا صارمًا يسمى الأشياء بمسمياتها ولا يتردد فى القيام بنقد لاذع استنادًا إلى قراءته، ونشير هنا إلى أن نتائج أبحاثه التى نشرت عام ١٩٨٧ حول طرد وهروب اللاجئين الفلسطينيين استندت أساسًا إلى المصادر الأولية الصهيونية والإسرائيلية، وكان من شأن ذلك أن زلزل الأرض وفتح الأعين، وتلقى "موريس" كلاً من المدح والنقد على عمله الذى تضمن العديد من الأحكام القاسية تحدث عددًا من الأساطير لدى اليهود والإسرائيليين حول الخروج الطوعى المزعوم للفلسطينيين وسلوك الميليشيات الصهيونية والمقاتلين الإسرائيليين خلال ١٩٤٧-١٩٤٩، كما رأينا فى الفصل السادس، وقد كان "موريس" فى طليعة جيل "المؤرخين الجدد" ليتحدى الرواية الشائعة فى إسرائيل عن عام ١٩٤٨ (انظر ما يلى).

وخلال قيامه بعرض نقدى لكتاب قام بنشره زميل من "المؤرخين الجدد"، قدم "موريس" وصفًا لنضاله الشخصى ومعاناته من أجل الموضوعية ومحاولته الإبقاء بوجهة نظره الشخصية بعيدة عن بحوثه ودراساته:

"فى حين أن المؤرخين كمواطنين لديهم وجهة نظرهم وأهدافهم السياسية؛ فإن عملهم الأكاديمى هو محاولة الوصول للحقيقة حول الحدث أو العملية التاريخية لإضاءة الماضى بموضوعية ودقة على قدر الإمكان، وعلى عكس ما يرى الكتاب مثل "إيلان بابى"... أعتقد أنه يوجد شىء اسمه

الحقيقة التاريخية التي توجد مستقلة عن، ويمكن فصلها عن، ذاتيات الباحثين، وأن واجب المؤرخ محاولة الوصول لها باستخدام أكبر قدر من المصادر التي يمكنه استخدامها. وعند كتابة التاريخ فعلى المؤرخ تجاهل السياسة المعاصرة ويناضل ضد توجهاته السياسية وميوله فيما يحاول اختراق ظلمة الماضي^(١٦).

على أن الفصل بين عمل الإنسان المهني كمؤرخ وبين عقائده ونشاطاته كمواطن معنى، هو أمر يسهل قوله أكثر من تنفيذه؛ وكان ذلك واضحاً في حالة "موريس" عام ٢٠٠٢، فمثل كثير من الإسرائيليين الذين عاشوا آنذاك في ظل العنف اليومي للانتفاضة الثانية والهانقين على إخفاق محادثات كامب ديفيد وطابا، كان "موريس" يائساً من فرض التسوية وقام بالتعبير علناً عن إحباطه من الفلسطينيين لأهدافهم غير الواقعية واتجاهاتهم المعادية، وانضم لـ "يهود باراك" في مهاجمة "عرفات"؛ باعتباره السبب الرئيسي وراء فشل جهود السلام الأخيرة^(١٧)، وقد دفع ذلك زميله المؤرخ الجديد "آفي شلايم"، الذي يعتبر الإسرائيليون العبء الحقيقية في طريق السلام، إلى أن يكتب في صحيفة الجارديان نائياً بنفسه عن رفاقه في السلاح^(١٨).

وفيما بعد، وخلال مقابلة في يناير ٢٠٠٤، أطلق "موريس" ملاحظات سلبية تجاه مجتمع العرب والمسلمين وثقافتهم، وهي ملاحظات اعتبرها بعض صورا نمطية وعنصرية^(١٩)، وقد أثار هذا الثوران سؤالا مهماً: هل يمكن للمؤرخ أن يستمر في كتابة تاريخ جاد وذى مصداقية عن الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي بعدما أظهر افتقاره إلى العاطفة تجاه أحد موضوعات بحثه وبعد التعبير عن

اعتقاده بأن "العرب هم ضد دولتنا، وهم وراء دمناء"^(٢٠)، وعلى كل الأحوال، فإن بعضنا ممن عرض كتابه الأخير عن حرب ١٩٤٨ رحب به وحياه لفصل مهنيته عن آرائه الشخصية حول الشعب والحوادث الجارية^(٢١).

وباعتباره منشقاً ومختلفاً عليه بطبعه؛ فإن "بيني موريس" ربما لا يكون المثل التقليدي عن كيفية قيام مؤرخي الصراع العربي-الإسرائيلي بنقل آرائهم خلال نتائج أبحاثهم إلى العامة، ولكن يوجد كثيرون، مثل "موريس"، لا يقتصرون فقط على الكتابة عن الماضي، ولكن يساهمون بتعليقات بصيرة على الأحداث الجارية ويشاركون في الموضوعات الخلافية المعاصرة، ويرون أن ذلك جزء طبيعي من وظيفتهم من خلال تقديم آراء تستند إلى معلومات وأحكام على اتجاهات وسلوك أطراف في الصراع للقراء والطلبة والإعلام.

وأخيراً، يوجد عدد صغير من الأكاديميين والمعلقين الذين يمكن وصفهم باعتبارهم مفكرين متداخلين مع الموضوع، وهؤلاء عادة يتعاملون مع الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني كموضوع دراسة واهتمام يقع تحت مظلة أكبر (من قبيل الالتزام بقضية أو عقيدة في نظام أيديولوجي)، وكثيرون من أفراد هذه المجموعة يرفضون أي فصل بين التركيز المهني الضيق وواجباتهم الأوسع كمواطنين وبشر، ومن بين أشياء أخرى كثيرة؛ فإن إطارهم الأوسع يجعل من السهل عليهم تبني وجهات نظر محددة وواضحة عن الصواب والخطأ الذي ارتكبه الأطراف في الصراع العربي-الإسرائيلي، وهؤلاء الأساتذة يشعرون بحرية-وبعضهم ربما يشعر بأن عليه واجباً هو تقديم الحكم على الأفعال، أو/ وعدم الأفعال، ودوافع المتخاصمين، وتوجيه النقد ونسب المسؤولية عن الحروب واستمرار الظلم، و/ أو غياب الحل.

هؤلاء الأساتذة هم غالبًا ما يكونوا ناشطون يعملون خارج العمل الأكاديمي على سبيل المثال كمستشارين لصانعي السياسات، أو منظمات المجتمع المدني وجماعات المصالح؛ حيث يساهمون بجهودهم وخبرتهم ومصادقيتهم للكفاح من أجل حقوق الإنسان أو السلام والمصالحة، وهذا التورط غالبًا ما يتم ترجمته بتبني وجهة نظر أولئك الأطراف في الصراع الذي يرونهم الطرف المظلوم ويتبنون قضيتهم، وبهذا هم يقبلون المخاطرة باتهامهم بأنهم يسمحون لمكانتهم العلمية أن تقودها أيديولوجيتهم أو يوصمون بأنهم مدافعون ومجادلون أو منحازون.

ويقدم "إيلان بابي" نموذجًا لهذا المقترّب في البحث والكتابة عن الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، وهو مؤرخ إسرائيلي، يقدم نفسه على أنه أحد أتباع "إدوارد سعيد"، كان يعمل في جامعة حيفا ثم انتقل لجامعة إيكستر، وقد اتبعت أعماله الأولية النظام التقليدي لمطبوعات الحاصل على الدكتوراه من حيث الابتعاد عن الإفصاح عن الآراء الشخصية، فكتابه بريطانيا والصراع العربي- الإسرائيلي عام ١٩٨٨^(٢٢) يحمل كل الصفات السابقة، إلا أنه منذ ذلك التاريخ بدأت أعماله تعكس بشكل أكبر وضوحًا بعض آرائه الشخصية، وباعتباره شاذًا بين المثقفين الإسرائيليين فقد ذهبت إلى أبعد من مجرد نقد الرواية الإسرائيلية ليتبنى وجهة النظر المناقصة (الفلسطينية) التي حاول الدفاع عنها في أعماله، وفي كتابه تاريخ فلسطين الحديثة أرض واحدة وشعبان* (لعام ٢٠٠٤ والتي تم تنقيحها عام ٢٠٠٦) كشف "بابي" عن عقيدته كما يلي:

"انحيازى واضح على الرغم من رغبة زملاي فى أن أتمسك بالوقائع و"الحقيقة" عندما أعيد هيكلة حقائق الماضى،
إننى أنظر إلى هذا العمل على أنه عبث ومبنى على

الافتراض أو الاحتمال، هذا الكتاب كتبه من يكن عاطفة
للمحتل وليس للذى يقوم بالاحتلال، ويتعاطف مع من احتلت
أرضه وليس من احتلها، ويأخذ جانب العمال وليس
الرؤساء، ويشعر بالمرأة التى هى فى مأساة ولديه إعجاب
قليل لأولئك الذين فى القيادة، وهو لا يمكنه أن يبقى غير آبه
تجاه الأطفال الذين تُساء معاملتهم، أو يمتنع عن إدانة
كبارهم أو المسؤولين عنهم، وباختصار فإن مقتربى ذاتى
يساند غالباً، ولكن ليس عادة، المهزوم ضد المنتصر^(٢٣).

هذا التصريح غير المعتاد والمخلص عن التحيز والذاتية^(٢٤)، هو نتاج
الدراسات الثقافية لما بعد الحداثة، وهى وجهة نظر عالمية تقف فى جانب واحد من
حوار أوسع وأعمق (لم يكتمل) حول الطريقة التى يجب على الإنسان أن يدرس
بها ويكتب التاريخ.

وفى عمل رئيسى تلا ذلك عن طرد الفلسطينيين اختار "بابي" كعنوان له
"التطهير العرقى لفلسطين"^(٢٥)، وهو عنوان - مثل عنوان كتاب "جيمى كارتر" عام
٢٠٠٧ "فلسطين: السلام وليس الأبارتهيد"^(٢٦) - مراداً به أن يوقظ كل المؤيدين
حتى المنتقدين المعتدلين لإسرائيل، وتكشف النظرة عن قرب للكتاب عن أن
العنوان لم يكن مجرد وسيلة من الكاتب لجذب الانتباه، لكنه إشارة خطيرة عن
استخدام متعمد لمصطلحات اتهامية - التطهير العرقى مثل الإبادة الجماعية هو
جريمة حرب وفقاً للقانون الدولى - كنموذج يجب من خلاله فهم كل الصراع
وليس فقط مجرد حرب ١٩٤٨ كما يعتقد، وفى أعقاب كتاباته المبكرة عن
الترانسفير التى تعرضنا لها فى الفصل السادس قام "بابي" فى إصداره عام ٢٠٠٦

بتقديم معلومات تاريخية مختارة وإضافية لتقديم النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني على أنه نتاج لنية صهيونية مبيتة، منذ البداية، لإنشاء الدولة اليهودية من خلال التطهير العرقي للسكان الفلسطينيين.

وهناك أقلية من الأساتذة أصحاب الأصوات المرتفعة قامت، مثل "إيلان بابي"، بالكشف بشكل علني عن الكثير من معتقداتهم الشخصية والعالمية في منشوراتهم عن الصراع ليتمكن اعتبارهم من الأكاديميين المتورطين في الموضوع على خط التصنيف الذي اقترحناه، ويدفعهم نشاطهم في كثير من الحالات إلى سجلات وجدال ساخن أيضا، وهم يرون أنفسهم "كمفكرين عامين ... ويشيرون إلى مسئوليتهم الأكاديمية و/ أو سلطتهم في التعبير عن أنفسهم في موضوعات ذات اهتمام عام"^(٢٧)، ولكن في ظل تورطهم العاطفي يصعب أحيانا معرفة متى يتسبب ولاؤهم لأيديولوجيتهم ووجهات نظرهم في دفعهم لاختيار وتقديم الحقائق لتتماشى مع إملاءات التزاماتهم^(٢٨).

وقد حاولت "سارة روى"، خلال مناقشة معقدة كشفت خلالها بوضوح عن المقترّب الشخصي ومعتقداتها، الدفاع عما سمته "البحثية الإنسانية" في الصراع العربي - الإسرائيلي؛ واستنادا إلى إدراكها لذاتها باعتبارها ابنة لشخص نجا من المحرقة؛ فإنها شعرت بأنها ملزمة أخلاقيا بعرض أسباب وعوامل القمع وترفع صوتها متعاطفة مع ضحايا الظلم والقهر^(٢٩)، والنتيجة بالنسبة لـ "روى" هي تبني إعادة الحقوق الفلسطينية التي ألغتها الصهيونية وإسرائيل، وقد لا يعجب ذلك بعض الناقدين أو قد يرفضون هذا الموقف باعتباره دعاية ضد إسرائيل لها دوافعها الأيديولوجية، وإن كانت تتخفى تحت صياغة أكاديمية تحظى بالاحترام، فإن

الأمر بالنسبة للباحثة يتصل بالإنسانية التى تقود، بوعى من الذات، خطواتها وأبحاثها فى هذا المجال المضطرب.

إن القراء والطلبة، أيا كانت ميولهم أو التزاماتهم الأيديولوجية، هم فى النهاية يستعملون الكتابة العلمية، وبهذه الصفة تقع عليهم مهمة تنمية قدرة نقدية لتفسير ليس فقط الحقائق والحوادث أو التفسيرات المتصلة بالصراع؛ لكن كذلك الفروق بين القنوات الإنسانية المختلفة التى من خلالها يتم تقديمها لهم. فالنزاهة الشخصية والأكاديمية المهنية يجب أخذها باعتبارها معطيات لكل الأساتذة والعلماء والمؤلفين ولكن التنفيذ العملى اليومى لهذه المثاليات يخضع للنواقص الإنسانية المعتادة، ومن ثم فإن القراء الحريصين هم على قدر من الحكمة لإدراك حقيقة أن كل الكتابات عن هذا الموضوع الخلاقى يتضمن الآراء الشخصية للمؤلفين سواء جاء ذلك صراحة أو ضمناً فى النصوص المتصلة بهذه التواريخ المتضاربة.

لقد أفصحت عن تفضيلى الخاص للكتابة الذى يقضى بأن يقوم الأكاديميون بالإبقاء على التعبير عن آرائهم الشخصية فى حده الأدنى، وهو مقرب أكثر تقليدية (إيجابية) تجاه الحقائق التاريخية، والموضوعية، والانحياز^(٢٠)، ما يجعلنى أشك فى مزايا الدراسات التى يتم بناؤها حول الرفض الصريح للتجرد الأكاديمى وما يتبعه من الوقوف مع أى من الأطراف المتحاربة فى التواريخ المتضاربة فى فلسطين/ إسرائيل، ولكن هذا المجال يغلب فيه الباحثون الذين لا يتفقون مع هذه النظرة ويميلون إلى المزيد من الصراحة والنشاط وتبنى المواقف، وفى مجال الدفاع عن تفضيلى الذى ينتمى إلى الأقلية، فإننى أختتم حديثى باقتباس كلمات "توثروب فرى":

"الباحث... لديه كل العضلات المعنوية شأنه في ذلك شأن جميع الرجال، بل وربما يتم تضخيمها بالتنوع الخاص من الوعي الذي تضيفه عليه حرفته، ولكن بوصفه باحثاً فإن المهم ما يقدمه للمجتمع، وهو حرفته، وإذا ما أدرك الفارق بين قيمة الموهبة وقيمة لماذا تم منحه إياها، فإنه ليس في حاجة، ما دام ظل باحثاً، إلى أي مرشد أخلاقي آخر"^(٣١).

مؤرخو إسرائيل الجدد:

مع توافر إمكانية الاطلاع على مكونات أرشيف ١٩٤٨، عكف جيل جديد من الباحثين على فحص الماضي من خلال هذه المصادر الأولية، ما أسفر عن موجة من الموضوعات والأطروحات المعدلة لرسائل الدكتوراه والدراسات، وفي نهاية الثمانينيات ظهرت مجموعة خاصة من الناشطين والباحثين في إسرائيل قادها "بيني موريس"، و"آفي إسرائيلي" و"إيلان بابي" وهم باحثون لهم "مهمة"^(٣٢) والذين، على الرغم من اختلافهم في المنهجية وميولهم الأيديولوجية، تجمعوا معاً وكانهم في "حرب صليبية"^(٣٣) تحت راية "المؤرخون الجدد".

ومن بين المهام التي أخذها هؤلاء على عاتقهم، تحدى الأساطير خاصة تلك المتصلة بالرواية المقبولة من الصهيونيين لعام ١٩٤٨، ناظرين للوراء بعد مرور أربعين عاماً، وضمن أشياء أخرى قام هؤلاء بالكتابة بشكل متعاطف مع الضحايا الفلسطينيين لقصة نجاح الصهاينة، منتقدين قادتهم الذين سممتهم نشوة النصر وأصبحوا أكثر تشدداً في موقعهم السلطوي الجديد. ولقد رحب بعض داخل

إسرائيل، مع الكثير من الفلسطينيين وناقدي إسرائيل في الخارج - كل لدوافعه -
بظهور هؤلاء المؤرخين الجدد؛ فقد تطلع بعض الإسرائيليين للأثر التصحيحي
الذي يمكن لهؤلاء الأساتذة أن يقدموه لمراجعة التيار الرئيسي للروايات التي شملت
جرعة زائدة من تعظيم الذات ونقصاً في النقد الذاتي، أو وجود توقعات عمياء غير
مناسبة. والكثيرون يتفقون أن مجرد ظهور مثل هذه المناقشات يمكن أن يكون
مفيداً للدراسة والكتابة المستمرة عن تاريخ الصراع.

لكن الكثيرين في إسرائيل والعالم اليهودي أخذوا على حين غرة؛ حينما
رعوا أبطالهم وبطلاتهم السابقين يتم تصويرهم بهذه الطريقة غير الجذابة، ولم يكن
الكثيرون منهم سعداء حين يُقال لهم إن قصة الصهيونية الزاخرة بالأعمال البطولية
وولادة إسرائيل كانت موصومة بذنب أصيل بسبب طريقة معاملة الفلسطينيين،
فالبحث الجديد في أحداث ١٩٤٨ بدأ يُظهر تأسيس الدولة ذاته على أنه شيء آخر
يختلف عن النصر الأسطوري للضحايا المحاصرين متحدّين صورة إسرائيل عن
نفسها باعتبارها القلة في مواجهة الكثرة مثل "داود" في مواجهة "جوليات". وفي
نهاية الثمانينيات وخلال التسعينيات؛ فإن عدم سعادة الرأي العام الإسرائيلي
بالمؤرخين الجدد (غالباً يتم جمعهم - بشكل خاطئ - مع من يطلقون على أنفسهم
"ما بعد الصهيونية" والإسرائيليين المناهضين للصهيونية والباحثين اليهود)^(٣٤) كانت
ملموسة وأثارت العديد من الهجمات المضادة^(٣٥)، فقد انتقدتهم بعض باعتبار أن
كتاباتهم عكست عدم توازن في مصادرهم الأولية والذي قادهم بشكل طبيعي إلى
نقد غير متوازن لمتخذى القرار الإسرائيليين الصهاينة، في حين لم يقولوا شيئاً أو

قالوا القليل عما كان يفكر فيه أو يفعله قادة العرب في ذلك الوقت، أما المنتقدون الآخرون والأقل كرمًا؛ فقد ذهبوا إلى حد اتهام "المؤرخين الجدد" بالقيام بانتهاك المقدسات (ذبح البقرة المقدسة) خلال سعيهم الأنانى نحو الشهرة والتقدم فى مهنتهم، ولفظهم آخرون لقيامهم بعملية تعذيب للنفس إلى حد الانتحار؛ وهو ما يثير الاشتزاز^(٣٦).

ووراء إثارة هذه المناقشات العامة التى ينظر إليها أحيانًا على أنها شريرة، عن التاريخ بين الإسرائيليين واليهود، فإن ظاهرة المؤرخين الجدد كانت لها انعكاسات وآثار أخرى سيتم تخصيص الجزء الباقي من هذا الفصل لتناول اثنين منها هما:

- ١) استخدام منهج "الفرص الضائعة" فى دراسة مدى مراوغة السلام العربى-الإسرائيلى.
- ٢) فيضان هذه الظاهرة الإسرائيلية الخاصة على اتجاهات التأريخ الرسمى على الجانب الفلسطينى^(٣٧).

الفرص الضائعة:

إذا كان استكشاف النوافذ المفتوحة والفرص المتاحة لتحقيق مصالح الشعوب من صميم عمل رجال الدولة والقادة، فإنه من اختصاص الباحثين وغيرهم من المحليين، من مواقعهم واستاذًا إلى الحكمة والبصيرة، مراجعة تاريخ الصراعات وتحديد الفرص الضائعة للسلام وتحقيق التقدم فى القضايا التى يتم الدفاع عنها،

وهناك هدفان لهذه الجهود التي تتم بعد وقوع الحدث: توجيه النقد للقيادة الفاشلة؛ ومعرفة المزيد عن طبيعة الصراع وفرص تسويته، والكتابات المتحيزة التي تفضل الجدل تكثر حول الهدف الأول، فيما الأكاديميون ومستشارو السياسات يميلون للهدف الثاني، وفي الصفحات المقبلة سنقوم ببحث كل من الاستخدامين لمقترح "الفرص الضائعة" من جانب الفلسطينيين والإسرائيليين.

ذهب بعض المؤلفين، بصفة خاصة بين مؤرخي إسرائيل الجدد، إلى تصوير الصراع العربي- الإسرائيلي وكأنه أساساً يمثل سلسلة من الفرص الضائعة من أجل السلام، ويتمثل الهدف الرئيسي للبحث بالنسبة لهؤلاء الذين يضعون المناقشة في هذا الإطار في فهم أسباب الفشل في الوصول للسلام وتحديد وإدانة الطرف أو الأطراف المسؤولة عن فقدان مثل هذه الفرص المفترضة، إلا أن حصر المناقشة في هذا البعد الوحيد وتطبيق درجة من اليقين بأثر رجعي على "ماذا كان يمكن أن يكون" هو تبسيط لظاهرة أكثر تعقيداً؛ يلزم النظر إليها في وقت واحد من خلال مكونات الصراع والأسباب التي من أجلها لم يتم حله بعد.

وباعتباره شكلاً من أشكال التحليل المضاد للواقعية؛ فإن منهج الفرص الضائعة يعتمد - بشكل كبير - على التنبؤ التصوري لو أن (أ) قام فقط بعمل (أو لم يعمل) - (ب)؛ إذن (ج) كان يمكنه أن يفعل (أو لا يفعل) (د)، وكمثل على هذه الصيغة: "لو فقط...حينئذ"، فإن التاريخ يجب أن يستكشف فرضية: لو أن هتلر والحزب النازي لم يأت للسلطة عام ١٩٣٣؛ فإن الحركة الصهيونية لم تكن قد جاءت لتغرق فلسطين تحت الانتداب بالمهاجرين اليهود، ومن ثم فإن الفلسطينيين ربما كانوا قادرين على إنشاء دولة عربية بأقلية يهودية، ولربما هذا يبدو خطأ

جاذبًا للبحث، لكنه يثير الجدل من الناحية المنهجية، فنحن واقعياً لا نعرف كيف كان من الممكن أن يتصرف أى من الأطراف إزاء احتمالات افتراضية: "إذا فقط...ثم" و"ماذا إذا"؛ هى افتراضات تتضمن تصرفات افتراضية ونتائج افتراضية لا نملك أى وسيلة لتأكيدھا حتى باستخدام أحدث التقنيات^(٣٨).

فيما يتصل بمحاولات التفاوض، يوجد عدد من الأسباب المعقدة والمتداخلة لشرح لماذا يفشل بعض وينجح بعض آخر^(٣٩)، فحسن النوايا والرغبة المخلصة للسلام (وهى نفسها كلمات مرنة وغير محددة تتضمن سلسلة من الشروط والملايسات) ليست وحدها فقط العوامل المحددة فى هذا الخصوص. وأولئك الذين يشيرون لهذه العوامل من أجل الدراسة والتمحيص؛ غالباً ما يسارعون بطريقة تبسيطية لإصدار أحكام تدين طرفاً ما من أنه لم يستغل فرصة مفترضة لإنهاء الصراع، وما يجعل الأمور هو الاتجاه المصاحب لاقتراح نموذج، يُبنى، وفقاً للكاتب، أن العرب والفلسطينيين أو الصهاينة أو صانعى القرار الإسرائيليين لم يكونوا راغبين بالسلام، وحصر الاتهام باستمرار الصراع فى طرف^(٤٠)، ولا يمثل هذا عملاً فكرياً مهماً على الرغم من أنه قد يشبع احتياجات أولئك الذين يدافعون عن طرف واحد فى الصراع.

ويقدم المؤرخون الجدد، كما سبق الإشارة، أفضل النماذج لمقترَب الفرص الضائعة؛ كما لاحظنا المؤرخين الجدد الذين توصلوا إلى أن القادة الإسرائيليين مذنبون لفقدان العديد من الفرص لإنهاء الصراع، وهذا يظهر على سبيل المثال فى دراسة "سلام" الأولى عن "حسنى الزعيم" فى سوريا، كما هى الحال أيضاً فى دراستين أخريين "صدام عبر الأردن" و"الجدار الحديدي"^(٤١)، وبالأخص ينتقد

"سلايم" وغيره من المؤرخين الجدد قيادة إسرائيل لعدم بذل المزيد من الجهد لتحويل اتفاقاتهم المحدودة للهدنة الموقعة ١٩٤٩ إلى معاهدات سلام أكثر امتداداً واستمرارية، وكذلك لعدم الاستجابة بشكل أكثر إيجابية لمبادرات الانفتاح من الجانب العربي (انظر ما سبق)، ويقدمون أدلة من الأرشيف تشير إلى أن "ديفيد بن جوريون" وحتى المسالم "موشى شرتوك/ شاريت، و"أبا اييان" قد اتخذوا قرارات واعية أكدت تفضيلهم الإبقاء على الوضع الراهن غير المستقر على صفقة محتملة ربما تتضمن التفاوض على الثمن الذي تطلبه الدول العربية (المهزومة) من أجل سلام أكثر عمراً: الانسحاب من خطوط الهدنة إلى حدود التقسيم التي اقترحتها الأمم المتحدة وإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين^(٤٢).

وتلزم الإشارة إلى أن المؤرخين الجدد لم يكونوا أول من قام بالتعرض لقرارات تتصل بالفرص الضائعة، فالدراسات الناقدة لتعامل إسرائيل المبكر مع قضية اللاجئين تم نشرها من قبل الأستاذين "دون بيريز" و"رونى جابى" فى الخمسينيات، كذلك تم نشر انتقادات أوسع تغطي فترة ما قبل فترة ١٩٤٨ من قبل الناشطين اليساريين "أهارون كوهين" و"سمحا فلابان" فى الستينيات والسبعينيات^(٤٣)، وحتى داخل المستوطنات اليهودية نفسها قبيل ١٩٤٨ انخرط عدد من الشخصيات اليهودية المنشقة، الذين كانوا منخرطين فى محادثات مع العرب والفلسطينيين، فى النقد العام للقادة الصهاينة الرسميين لعدم إبلاغهم الانتباه الكافى لكسب السكان المحليين. وهذه الانتقادات تمت صياغتها أحياناً فى إطار تركيز الصهاينة على الحصول على تأييد القوى الخارجية وفشلهم، إما بسبب الجهل وإما الغطرسة، فى الحصول على "وعد بلفور عربى" الذى كان من شأنه (كما يتم الادعاء) أن يضمن بشكل أفضل مستقبلهم السلمى كمقيمين وسكان فى فلسطين / إيريتز إسرائيل^(٤٤).

وفى هذا الصدد يذهب مؤرخو التيار الرئيسى للصهيونية/إسرائيل فى دفاعهم؛ إلى أنه نتيجة رغبتهم واحتياجهم للقبول من والسلام مع العرب، ذهب القادة الصهاينة والإسرائيليون حدا بعيدا لنلا يفقدوا أى فرصة ممكنة للاتفاق أو الوفاق، وتتم غالبًا الإشارة إلى اتفاق "حاييم وايزمان" مع الأمير "فيصل" الذى تم إجهاضه عام ١٩١٩ باعتباره مثلاً واضحاً على هذه الجهود للحصول على القبول العربى للبرنامج الصهيونى فى فلسطين^(٤٥). وخلال فترة الانتداب بحث المسؤولون الصهاينة عددًا من المبادرات المشكوك فيها من الطرف الآخر وأعطوها اهتمامًا ربما أكثر مما يستحق لتفادى النقد بفقدان فرصة من أجل اختراق حقيقى^(٤٦). ووفقًا لهؤلاء المؤرخين؛ فإن المشكلة لم تكن فى القادة الصهاينة وإنما فى عدم معقولية العرب وعدم استعدادهم.

وقد حاول بعض الباحثين السعى لاستخدام أكثر لمقرب الفرص الضائعة، ففي عام ١٩٩١ نشر "إيتامار رابينوفيتش" من جامعة تل أبيب (مركز دايان) "الطريق الذى لم يتم طريقه: المفاوضات العربية- الإسرائيلية المبكرة"^(٤٧)، وكان الكتاب تطويراً لدراسة بحثية جاءت كرد على مقال للمؤرخ الجديد "أفى إشلايم" عن حقيقة المفاوضات التى جرت مع "حسنى الزعيم"؛ حيث انتقد "إشلايم" إسرائيل لإضاعتها فرصة تاريخية للسلام مع زعيم سورى (تمت بسرعة إزاحته من سدة الحكم واغتياله)^(٤٨)، وعلى حين أنه لم يدع أى نية فى الدفاع أو لوم أى طرف من الأطراف والتركيز على ما سماه (الموضوع المزاوغ للفرص الضائعة) فإن كتاب "رابينوفيتش" كان تصحيحاً لمقرب الفرص الضائعة الذى يجرى أحياناً إساءة استخدامه من جانب المؤرخين الجدد.

ودون أن يناقض بشكل مباشر الدليل الذى تم الكشف عنه على قصر النظر من جانب صانعى القرار السياسى لإسرائيل أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، وزع "رابينوفيتش" المسؤولية عن الفشل فى تحقيق السلام بطريقة أكثر عدلاً على الأطراف المتصارعة؛ وانطلاقاً من خبرته فى السياسة الإقليمية العربية واستناداً إلى اختيار واسع للمصادر الأولية والثانوية بحث "رابينوفيتش" بشكل جاد عما إذا كان هناك شخص على الجانب العربى يمتلك القدرة على ومستعد لقبول وعقد صفقة من أجل السلام مع إسرائيل، إذا ما كان الإسرائيليون قد أبدوا إرادة لتقديم تنازلات. وفى استعراضه الحذر والدقيق لثلاث حالات بعد ١٩٤٨ قدم "رابينوفيتش" دليلاً يثبت أنه ليس من بين شركاء السلام مع إسرائيل فى سوريا ومصر والأردن من كان فى أى موقع واقعى ليستمر فى اتفاقية محتملة ويقدم المطلوب فى مواجهة المعارضة الداخلية - حتى لو كان الإسرائيليون أكثر كرماً فى مواقف المساومة، وقدم "رابينوفيتش" نموذجاً للتحليل الدقيق المتأنى الذى يمكن اختباره وتنقيته أو مناقضته من خلال مزيد من الدراسة والحصول على المزيد من مصادر المعلومات التى يمكن أن تكون متاحة^(٤٩).

أما فيما يخص التوجه الثانى لمتخذى القرار الصهيانية والإسرائيليين؛ فيوجد كذلك الكثير من الكتاب الذين يتلاعبون بمقترَب الفرص الضائعة كمنهج بهدف نقد العرب والفلسطينيين لغياب السلام، فالدبلوماسى الإسرائيلى السابق "أبا إيبان" لاحظ ذات مرة بسخرية أن العرب "لم يفقدوا أبداً فرصة لفقد الفرصة"، وهى العبارة التى أضحت فيما بعد فى المخزون الخطابى الإسرائيلى للوم الطرف الآخر فى الكثير من المناسبات عندما يكون باب الفرص مفتوحاً ويتم غلقه ثانية، وكثير من هؤلاء الذين يقتبسون هذه الجملة الذكية من مخزونهم يفعلون ذلك فى إطار "لعبة اللوم"؛ وبهذا العمل فإنهم ينشرون وجهة النظر التى تخدم الذات: الإسرائيليون مستعدون

دائماً لتقديم تضحيات من أجل السلام، أما العرب والفلسطينيون فهم بشكل ما وبطبيعتهم غير قادرين على الإمساك بهذه الفرص - سواء كان ذلك بسبب العداوة المتأصلة أو لغياب الذكاء السياسى أو لعدم القدرة على فهم أفضل مصلحة لهم أو لعنة استمرار القيادة التى تفتقر إلى الكفاءة، أو اندفاع شرير معاد لإسرائيل الذى ينقلب ويصير أكثر ضرراً لهم مما هو لأعدائهم^(٥٠).

وهؤلاء الذين يختارون لوم "تشدد" الفلسطينيين وأتباعهم لمنهج "الرفض" على الفرص الضائعة، عادة ما يشيرون لرفض الفلسطينيين لتقرير لجنة "بيل" عام ١٩٣٧، وتقرير لجنة الأمم المتحدة عن فلسطين عام ١٩٤٧ وما تضمنه من خرائط مقترحة، ودعنا نقبّس من استعمال حديث مثير للجدال لمقترّب الفرص الضائعة:

"إن المعاناة عديمة الجدوى التى تسببها القيادات والنخب الفلسطينية لشعبها ولكل من يواجهونه (اليهود والأردنيون واللبنانيون وضحايا الإرهاب فى العالم كله) هى نتاج مباشر لاستحواذ العدالة عليهم، ولو أنهم كانوا راغبين فى قبول الحل التوفيقى التاريخى الحتمى لكانت لهم دولتهم الفلسطينية عام ١٩٤٧ على أرض أكثر مما يوجد الآن فى قطاع غزة والضفة الغربية، فمنذ ثلاثين عاماً قبل بناء معظم المستوطنات، كان يمكنهم تنمية وتطوير مشروع الحكم الذاتى لـ "مناحم بيجين" إلى دولة ذات سيادة لهم (كما قال "عرفات" نفسه ذلك)، ومنذ سبعة أعوام (فى كامب ديفيد يوليو ٢٠٠٠) جرى إعطاؤهم دولة على ٩٨% من الأراضى المحتلة بعاصمة فى القدس والسيطرة على جبل الهيكل و ٤٠

مليار دولار لإعادة توطين اللاجئين، ولو كانوا بادلوا بحثهم
غير الواقعي عن العدالة النهائية بحل وسط ممكن لربما كانوا
قد منحوا ثلاثة أجيال من أبنائهم مستقبلاً واعداً^(٥١).

هذه النظرة تعاني من التصدع والتشقق في اختيارها الذي يشي بتحريف
وتشويه الحقائق بجانب استبعاد أمور أساسية تسهم في شرح لماذا لم يوافق
الفلسطينيون - أو وفقاً لمصلحتهم الأفضل ربما كان يجب عليهم عدم الموافقة -
على هذه المقترحات. وحتى يكون التحليل للفرص الضائعة أكثر دقة؛ فإنه يجب
كذلك أن يتساءل عما إذا كانت المقترحات ذاتها كان يمكن تنفيذها، في حال قبولها
من الطرف الآخر، وإلى ماذا يمكن إرجاع ذلك إلى التصدعات داخلها أم إلى
أسباب أخرى كانت ستقود إلى الفشل حتى لو وافق عليها الفلسطينيون كأساس
للمناقشة؟^(٥٢)

إن محاولة تقديم تحليل كامل مضاد للحقائق يتخطى أهداف هذا الجزء،
وعلى الرغم من هذا يمكن طرح الأسئلة التالية التي تحتاج لبحث دقيق قبل أن
يكون المرء في وضع يمكنه من الوصول إلى نتائج لها مصداقية حول ماذا كان
يمكن أن تكون النتيجة فقط إذا ما كانت القيادة الفلسطينية قد قبلت مع لجنة "بيل"
التعاون مع مقترحات لجنة الأمم المتحدة لفلسطين، ومن قبل ذلك:

(١) هل كان من الممكن أن تظل الحدود التي قدّمتها لجنة "بيل" والتي تقدم الدولة
اليهودية كدولة صغيرة على عشرين في المئة من فلسطين الغربية (الجليل
وساحل البحر المتوسط شمال تل أبيب) على المائدة في ضوء الرفض الحاد
من قبل القيادة الصهيونية لها، في وقت صرحت بقبولها- من حيث المبدأ-
تقرير لجنة "بيل"؟ فخلال السنة التالية مولت الوكالة اليهودية ثم قدمت دراسات

بحثية شاملة إلى لجنة "بيل" ولجنة "وودهد" الفنية وطالبت بمنطقة أكبر بطريقة واضحة.

(٢) هل كانت الدولة العربية التي اقترحتها "بيل" قابلة للحياة؟ فالخطة البريطانية لم تدع إلى دولة فلسطينية مستقلة (والتي كان على الأرجح أن يقودها المفتي وأتباعه) ولكنها دعت إلى مناطق عربية من فلسطين المقسمة توضع تحت سيطرة الأمير "عبد الله" حليف بريطانيا المخلص بما يعنيه ذلك من توسيع إمارة شرق الأردن، وفي ضوء أن حكم الأمير كان ينظر إليه على أنه "أجنبي" بالنسبة للفلسطينيين في معظمهم، كان من المتوقع أن يتم رفضه بشكل ساحق من قبل الفصائل الفلسطينية السياسية، وإدراكاً منه بهذا العداء تراجع الأمير "عبد الله" عما أبداه من تحمس مبدئي لمقترحات بيل.

(٣) هل كان يمكن تنفيذ عملية الترانسفير اللازمة للسكان؟ إن الاختلال في التوازن في التوزيع الديموغرافي لليهود والعرب في الدولتين المقترحتين من جانب "بيل" كان يقتضي بالضرورة تعديلاً على الحدود وكذلك، وهو الأمر الأكثر إثارة للمشكلات وربما غير القابل للتنفيذ، تبادلاً للسكان، فنحو ٢٢٥ ألف عربي كانوا سيجدون أنفسهم داخل حدود الدولة اليهودية المقترحة (وسكانها ٣٩٦ ألفاً) و ١٢٥٠ يهودياً في الدولة العربية المقترحة (٥٣)، وبعد مرور عشر سنوات جاءت خريطة لجنة الأمم المتحدة لفلسطين (وهي عبارة عن خليط من المثلثات) وخليط من السكان كانت بصورة أكثر تعقيداً، فالدولة اليهودية المقترحة كان المفترض أن تضم ٥٠٠ ألف مع أقلية عربية تقدر بنحو ٤١٦ ألفاً، والدولة العربية المقترحة كان فيها من العرب ٧١٥ ألفاً مع ٦ آلاف يهودي داخل حدودها.

وعلى خلاف الاستخدام المتكرر لمقترب الفرص الضائعة كجزء من "لعبة اللوم"، فإن تحليلاً تاريخياً أكثر جدية وغير منحاز يجرى حالياً إعداداً يحاول التعرف على ما إذا كان من الممكن للفلسطينيين ألا يخسروا وطنهم لصالح اليهود، أو كان عليهم العمل للتوصل إلى ترتيبات متسامحة معهم، إذا كانوا فقط يتعاملون ويتصرفون بطريقة مختلفة في اللحظات الحاسمة من تاريخهم؟ على الرغم من تعرض مثل هذه الدراسة لنفس مخاطر الدراسات المقدمة من مؤرخي إسرائيل الجدد؛ فإن بعض الباحثين قد قاموا بعمل بحث وتقصٍ للحقائق لبعض من هذه النقاط الأساسية في تاريخ الصراع. وفي الفصل الرابع، على سبيل المثال، رأينا كيف أن الفلسطينيين عام ١٩٢٢ و١٩٢٣ رفضوا مقترح بريطانيا لحكومة ذاتية محدودة. وفي فصل من دراسته القيمة للفرص الضائعة^(٤٤)؛ فإن "فيليب مطر" ألقى نظرة تفصيلية على هذه الحقبة والإطار الذي اتخذ فيه القادة الفلسطينيون قرار رفض ثلاثة مقترحات بريطانية متعاقبة: مجلس تشريعي منتخب؛ مجلس استشاري معين؛ وكالة عربية على نمط الوكالة اليهودية، وبالنظر إلى اختيارهم مقاطعة هذه المبادرات البريطانية لمؤسسات حكومة ذاتية محدودة، تساءل "مطر": هل منع القادة الفلسطينيون أو حرّموا شعبهم من أداة لربما كانت قللت من تقدم الصهيونية ودعمت فرصهم في دولة؟

وبعد عملية فحص دقيقة لمجموعة واسعة من المصادر الأولية، ذهب "مطر" بوضوح إلى القول بأن رفض مقترحات ١٩٢٢ المتصلة بإنشاء مجلس تشريعي كان خطأ جسيماً؛ حيث إن هذا القرار يعنى أن الفلسطينيين حرّموا أنفسهم من منبر كان يمكن أن يكون أداة منتظمة للاتصال بالمسؤولين البريطانيين، في وقت استمرت فيه الوكالة اليهودية في تقديم النصح لحكومة فلسطين في القدس ومارست المنظمة الصهيونية نفوذها على الحكومة البريطانية في لندن وعصبة الأمم في

جنيف^(٤٥)، كما أنه برفضهم مقترحات ١٩٢٢/١٩٢٣، فقدوا آلية للضغط من أجل إلزام بريطانيا بالجزء الثاني من تعهدها المزدوج (الفصل ٤) حسب وعد بلفور والانتداب. وفضلاً عن ذلك؛ فإن اجتماعات المجلس المنتظمة، على الرغم من أنها كانت ستعد مسرحاً للجدال، كان سيترأسها المندوب السامي الليبرالى السير "هربرت صامويل"، وربما كان من الممكن أن يسمح المجلس، كمكان، لكل من الفلسطينيين والصهاينة بالعمل معاً فى المسائل الخاصة بالاقتصاد والنواحي الاجتماعية والثقافية ذات النفع المتبادل ويخلق تفاعلات ولقاءات شخصية بما يجعل مواقف بعض الأفراد أكثر اعتدالاً واتجاهاً للبحث عن أرضية مشتركة، وأيضاً توفير فرصة لتسوية المآزق المحتملة حول الموضوعات الساخنة مثل حصص المهاجرين؛ فقد كان المجلس كفيلاً، كما يقول "مطر"، بحكم سلطاته بسن القوانين والتصديق على الميزانيات أن يزود الفلسطينيين ببعض الأدوات لحماية وتحديث مجتمعهم ويمكنهم من المنافسة بطريقة أفضل مع المستوطنات اليهودية ذات الطابع الغربى.

وإجمالاً، عبر "مطر" عن اعتقاده بأن الفلسطينيين "كانوا فى موقع أكثر تميزاً مما تحولوا إليه بالفعل" إذا ما وافقوا فقط على المشاركة فى المجلس التشريعى المقترح:

"بدون استراتيجية واضحة سواء للمواجهة أو التعاون (تجاه الحكام البريطانيين للبلاد) فقد سمحوا للمستوطنات بالنمو وتأسيس مؤسسات حكومية وعسكرية، والتقى قادتهم المسؤولين البريطانيين غالباً فقط للاحتجاج وتقديم الطلبات والتهديد والمناشدات التى قادت إلى تغيير ضئيل فى السياسة، لا يذكر حتى إن وجد".

وعلى الرغم من وخز الضمير من أن مشاركتهم ستمثل قبولاً ضمنياً بالمجتمع اليهودى القومى والانتداب، فإنهم كانوا سيكسبون أكثر من العمل من داخل الحكومة أكثر منه من خارجها، ويسلم "مطر" بأن مشاركتهم فى ذاتها لن تكون كافية لوقف فيضان الهجرة اليهودية وشراء الأراضى فى ضوء عدم التوازن بين قوة الصهيونية وضعف الفلسطينيين. وعلى الرغم من هذا، فقد كان من الصعب تصور كيف أن قبول المشاركة فى المجلس كان يمكن أن يتمخض عنه سوى تحسين الموقف السياسى للفلسطينيين وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد كان بإمكانها أن تسمح له بالمشاركة فى صياغة التشريعات، وكان من شأنها أن توفر لهم صوتاً فيما يتصل بالمصروفات وحصص الهجرة اليهودية، وكان يمكنهم استخدام مواقعهم الرسمية لنقد البريطانيين وسياساتهم وأن يهيئوا ببريطانيا والعالم لمساعدتهم، وفوق كل ذلك وأهم منه كان يمكنهم أن يضعوا أنفسهم فى موقع يطالبون فيه بالمزيد.

وعلى خلاف الاستخدام الجدالى للدليل الذى سبق إيضاحه، وعلى العكس ممن يدعون أن مصير فلسطين كان سيختلف لو أن الفلسطينيين اتبعوا نصيحة "راغب النشاشيبي" بقبول هذه المقترحات^(٥٦)، فإن منهج "مطر" قام على أساس البحث المضنى فى حقب مختلفة مثل هذه الحقبة، ولم تكن نتائجه أقل قسوة من أولئك الذين اقتبسنا منهم سابقاً، وإن كانت النبرة مختلفة كلياً: "بطلبهم للعدالة الكاملة بدلاً من العدالة الممكن الحصول عليها، فإنهم لم يحصلوا على شئ، وفى النهاية فقدوا منازلهم وأرضهم ووطنهم القومى وهذا يعنى أنه بتجاهلهم للسياسة العملية والسماح فقط للأيدولوجية والعواطف بتحديد سياساتهم وسلوكهم، قد ضمنوا لأنفسهم الفشل".

وقد كان التطبيق الحكيم من قبل "مطر" لمقترب الفرص الضائعة على عملية صنع القرار الفلسطيني حسن الطالع بالنسبة للباحثين في هذا الصراع، حيث تم تكراره على لحظات أخرى لاتخاذ القرارات الصهيونية/ الإسرائيلية والفلسطينية، ففي كتابه "القفص الحديدي" على سبيل المثال انخرط "رشيد خالدي"، الأستاذ في جامعة كولومبيا، في جهد مشابه طارحاً العديد من الأسئلة حول ما كان يمكن للفلسطينيين فعله بطريقة مختلفة مثل:

- هل كان يمكنهم المساومة وقبول حل وسط يتضمن شكلاً ما من الوطن القومي اليهودي داخل نطاق دولة عربية في فلسطين قبل ١٩٣٩؟
- لو فعلوا هذا، فهل كان سيكون له أي أثر في القوة الدافعة للحركة الصهيونية من أجل دولة يهودية مستقلة في فلسطين؟
- هل لو كان الفلسطينيون في حال أفضل هل سيكونون أكثر ثورية في تعاملهم مع البريطانيين بشكل مبكر عن ذلك؟
- هل لو كانوا في حال أفضل كانوا سيكبحون جماح ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ ويحققون بعض المكاسب السياسية منها؟

وبمراجعة الخيارات والنتائج الممكنة لهذه الفرضيات (ماذا لو) في ظروف الثلاثينيات والأربعينيات، خلص "خالدي" إلى أنه كان من "الصعب أو المستحيل" تصور مسار ناجح سواء بالنسبة لدولة فلسطينية أو التوفيق بين المطامح القومية لكل من الفلسطينيين والصهاينة^(٥٧)، ويمكن استخدام تحليل مشابه للتعرف عما إذا كان يجب لوم الفلسطينيين، أو أن يلوموا هم أنفسهم، لفقد فرصة أخرى لتطويق أو وقف توسع الوطن القومي اليهودي وذلك عندما قرروا في مايو ١٩٣٩ رفض كتاب "ماكدونالد" الأبيض، وليس استغلال مواده لصالحهم (انظر: الجزء ٥).

وسواء اختار الفرد الموافقة أو عدمها على مجموعة محددة من النتائج، فإن الاستخدام المناسب للفرص الضائعة كمقترَب يحمل في طياته الكثير من الأمل في تبلور تحليل تاريخي معقول على الجانبين، ولكن كما لاحظنا فإن التحليل الدقيق لمواجهة الواقع يعني تفادى مؤكَّدات بسيطة حيث الاحتمالات فقط مؤكَّدة واستمرار البحث وظهور دلائل جديدة يمكن أن تساعد في تنقية وتحسين النتائج التي يتم التوصل إليها.

اتجاهات في التاريخ الفلسطيني والإسرائيلي:

لماذا بدأ وازدهر التاريخ النقدي والتفقيحي بين الإسرائيليين أكثر منه بين الباحثين الفلسطينيين؟ ولماذا لا يوجد حتى الآن مثل فلسطيني لـ "المؤرخين الجدد" الإسرائيليين؟ على الرغم من أن جزءاً من التفسير هو ذو طبيعة فنية، فإنه سرعان من يصبح متصلاً بديناميكيات الصراع ذاته، فلأسباب متنوعة تتميز المصادر الأولية في شكل الاتصالات الدبلوماسية والمذكرات بالوفرة وسهولة الوصول إليها على الجانب الإسرائيلي، وفي المقابل فإن التقليد الغربي للأرشيفات المفتوحة ليس - بصفة عامة - أمراً معهوداً في العالم العربي، والمجتمع الفلسطيني المفتقر إلى دولة والمبعثر في الشتات تنقصه الهياكل والموارد اللازمة لتسهيل وتشجيع عملية تجميع توثيق موثوق فيه للتاريخ الفلسطيني على نفس مستوى الأرشيف المركزي الصهيوني المنافس وأرشيف دولة إسرائيل. وللسنوات فإن فلسطيني الشتات اعتمدوا على معهد البحوث والدراسات الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت لجمع وحفظ هذه الأجزاء من تراثهم القومي، ولكن جزءاً كبيراً من عملية الحفظ للوثائق تم تركه للأشخاص والعائلات،

كما تمت مواجهة النقص في الشهادات المكتوبة بشكل جزئى من جانب جيل جديد من أولئك الذين عملوا على تجميع التاريخ المنقول شفاهة^(٥٨).

وقد كانت لعلاقة القوة غير المتوازية بين الطرفين تأثيرات أكثر في الكتابات المتصلة بتاريخ النزاع؛ حيث ذهب "إيلان بابى" إلى أن إسرائيل لم تستعمر فقط الأرض الفلسطينية ولكنها ولسنوات كثيرة احتلت كتابة تاريخها:

"بالإجمال، قدم المؤرخون الإسرائيليون رسالة فحواها أن الإسرائيليين كانوا ضحايا الصراع وشكلوا الطرف العقلاني في الصراع على فلسطين، فيما الفلسطينيون كانوا غير عقلانيين إن لم يكونوا متعصبين، متشددين ولا أخلاقيين... وكلما كان الطرف قويا... كانت لديه القدرة على كتابة التاريخ بطريقة أكثر فعالية. وفي حالتنا الخاصة هذه (إسرائيل) كونت الدولة ووظفت جهازها من أجل الدعاية لروايتها في مواجهة الرأي العام المحلى والخارجى، فى حين كان الطرف الضعيف (الفلسطينيون) منخرطاً فى صراع تحرير وطنى وغير قادر على تقديم المساعدة لمؤرخيه لمواجهة دعاية الطرف الآخر".^(٥٩)

وقد تمثلت إحدى نتائج عدم التماثل هذا فى أن الكتابات التاريخية الفلسطينية المبكرة تميزت بأنها "شكل من المقاومة عن طريق تشكّل رواية قومية فلسطينية" التى تشبه "الخطب العاطفية والدعاية القومية المباشرة أكثر مما هى البحث عن الحقيقة"^(٦٠)، وبهذا المعنى فإن التاريخ الفلسطينى ربما يعانى أيضاً كجزء من مرض فكرى عربى أوسع؛ حيث كتابة التاريخ كانت تعمل بشكل "أقل من البحث الأصيل وأقرب ما تكون إلى الدفاع النفسى"^(٦١).

رافضين أو متجاهلين الشكاوى المتصلة بعدم التوازن فى القوة، ذهب بعض الإسرائيليين المنخرطين فى الحوار مع الفلسطينيين إلى القول بأنه بعد أن قاموا

بإخضاع أنفسهم للعملية القاسية الخاصة بإنكار الأسطورة من خلال مؤرخيهم الجدد، فقد حان الوقت للجانب الفلسطيني للحاق بهم من خلال حملة مماثلة في النشاط لإعادة كتابة تاريخ فلسطين وإخضاع أساطيرهم وروايتهم للبحث والتدقيق. وتوجد عدة استجابات قدمها الفلسطينيون وغيرهم لهذا التحدي من قبل زملائهم الإسرائيليين، فقد أشاروا إلى أنه في الوقت الذي يستمر فيه الصراع في شكله الحالي، يتمتع المؤرخون الإسرائيليون برفاهية نقد تاريخهم المنتصر بسهولة نسبية وحصانة؛ مخاطرين فقط بأقل الأضرار للصورة القومية الذاتية ولتقدمهم المهني، أما الأكاديميون الفلسطينيون؛ فلا يمكن اعتبارهم متساويين مع زملائهم الإسرائيليين، وبحكم كونهم أعضاء في الجانب الأضعف والمنهزم ويعيشون عموماً تحت الاحتلال أو ضيقاً في دول غير ديمقراطية، فإن مؤرخيهم تحت الحصار ولا يمكنهم علناً مهاجمة القادة والنظم أو الانخراط في نقد المقدسات "ذبح الأبقار القومية المقدسة"، فضلاً عن أنهم عازفون عن الانخراط في أعمال نقد ذاتي يمكن أن تكون ذخيرة في أيدي الأعداء مما قد يؤدي إلى كوارث لكفاحهم القومي الجارى.

ويوجد سبب آخر لعدم قيام الفلسطينيين، على الرغم من رغبتهم في إعادة الفحص النقدي لروايتهم، بتكرار النموذج والحماس "الصلبي" لمؤرخي إسرائيل الجدد؛ فكما أشار "رشيد خالدي": أضفت نتائج بحوث الأخيرين (المؤرخين الجدد) التدقيق المطلوب على "العديد من عناصر الرواية التاريخية الفلسطينية المعتادة"^(١٢) - ومن ثم تركت للتوضيح من جانبهم. وقد ذهب بعض في هذه النقطة بعيداً؛ حيث رعدوا ببساطة في بروز المؤرخين الجدد في إسرائيل اعترافاً متأخراً بعدم إمكانية الدفاع عن "التاريخ الرسمي القديم والمشود" للصهيونية وإسرائيل، وبرهاناً على صحة وحقيقة روايتهم كضحية على يد الاستعمار الصهيوني، وفي هذا الصدد، كتب الشاعر الفلسطيني "زكريا محمد":

"إن الحاجة إلى مؤرخين إسرائيليين جدد نبتت من وجود تاريخ لا يمكن أن يقف أمام النقد الجاد وبعد كل شيء... من هو المؤرخ الجاد الذى يمكنه أن يصف الحركة الصهيونية بأنها حركة تحرر وطني؟ الفلسطينيون يرون المؤرخ الإسرائيلي الجديد كنادم وتائب أكثر مما هو مؤرخ جديد، فالتاريخ الذى يقدمه ليس إلا اعترافاً أمام كاهن التاريخ، هذا اعتراف بالذنب وليس أكثر، وعلى الجانب الآخر، فإن المؤرخ الفلسطينى لا يمكن أن يكون نادماً لأنه ليس لديه ما يعترف به لكاهن التاريخ"^(١٣).

هذه الاختلافات الحادة بين مقتربات المؤرخين الإسرائيليين والفلسطينيين، وحتى بين الإسرائيليين والفلسطينيين أنفسهم، هى مؤشر قوى على مدى استمرارية التباعد بين الكتاب للتواريخ المتضاربة فى إسرائيل وفلسطين، وقد وقعت مآزق وجدال مشابه فيما يخص كتابة وإعادة النظر فى كتب المدارس الرسمية منذ ١٩٩٣^(١٤)، فعلى الرغم من بعض التجارب المهمة والأصلية فى الفصول الدراسية - خاصة عرض مشروع الـ *PRIME* لقصتين متوازيتين إسرائيلية وفلسطينية للأطفال على الجانبين - فإن النتائج المباشرة كانت مخيبة للآمال بصفة عامة بسبب الآثار الناجمة عن الصراع والتى ما زالت ملموسة فى الشارع^(١٥).

حتى عندما يلتقى الأكاديميون للحديث بصراحة فى أرض محايدة هادئة، فإن التفاعل بينهم غير مشجع على الدوام؛ حيث يوجد صدام لا يمكن تسويته ويبرز من خلال التوتر والغضب والإحباط التى تم رصدتها فى مؤتمر دولى مغلق للخبراء عن الروايات التاريخية لكل من الطرفين، عقد عام ٢٠٠٣ بدعوة من مؤسسة

السلام العالمي ومركز بيلفر للعلوم والشئون الدولية في مدرسة كينيدي الحكومية بجامعة هارفارد^(٦٦). وفيما عرض الأكاديميون الإسرائيليون من وسط اليمين حتى اليسار واليسار المتطرف مستويات مختلفة من النقد للقضية القومية اليهودية في وجود زملائهم الفلسطينيين، رفض الآخرون القيام بالشئ نفسه، وقد استغل "نديم روحانة" - وهو من فلسطيني إسرائيلي في علم النفس الاجتماعي - الفرصة ليُشن هجوماً قاسياً على العنف الكامن في نسيج الصهيونية والطرْد والقهر "الثقافة الصهيونية للقوة" التي ما زالت تمارسها إسرائيل على الفلسطينيين الذين لا يجب لومهم على المقاومة^(٦٧). وعلى الرغم من اعترافه بحقيقة المعاناة الفلسطينية، هاجم مؤرخ إسرائيلي وناشط سلام العرض العدواني المقدم من زميله والمتضمن نزع الشرعية عن وجوده كابن إسرائيلي محب للسلام، مشيراً إلى أن عرض زميله الفلسطيني تضمن كل الصفات المرفوضة لرواية تقوم على الإقصاء، واقترح في المقابل أن عملية مراجعة النقد للذات التي يتم تطبيقها من قبل الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي تلزم أن تتضمن ثلاث استراتيجيات:

- ١) الكشف والابتعاد عن الروايات القومية القائمة على الإقصاء والأيديولوجيات القائمة على تمجيد الذات بما يحدث التشوه.
- ٢) تخطي التعميمات المبسطة والتوصيفات، واكتشاف دوافع وأسباب التعقيد الكامل للأحداث المختلف عليها.
- ٣) محاولة فهم الدوافع والمنطق وراء "سلوك العدو"، وأن يتم تقديم الرواية التاريخية بحساسية فائقة لمشاعر الطرف المعارض بتعاطف إنساني وفهم عميق للطبيعة المأساوية للصراع^(٦٨).

ومن غير الواضح ما إذا كانت الخطوط الرئيسية التي اقترحها "بار أون"؛ قد تركت أى أثر فى المشاركين الفلسطينيين فى هذا اللقاء المغلق أو غيرت من مقتربهم بالنسبة لتواريخهم المتضاربة. وكثير من الباحثين على الجانبين سيقبلون دعوة "إدوارد سعيد" للنظر إلى بروز المؤرخين الجدد فى إسرائيل على أنه فرصة للانخراط فى حوار فيما يحصون تاريخهم برؤية نقدية جديدة^(٦٩)، وكثيرون سيقبلون أيضا ملاحظة "رشيد خالدى" بأن الرواية الفلسطينية القومية تتضمن نصيبها من الأسطورة، لكن القليلين من الفلسطينيين سيذهبون بعيدا كما فعل "خالدى" (الموجود فى جامعة كولومبيا بنيويورك)؛ حيث قام بوضع قائمة للأساطير الأساسية خاصة حول الصهيونى الآخر الذى يستحق فضح زيفه، فالكثيرون سيجدون صعوبة فى الموافقة على نقده لوجهة النظر الفلسطينية:

"التي تقلل من الوزن وترى الصهيونية أنها ليست أكثر من مشروع استعماري. هذا المشروع كان وما زال استعماريا بمعنى علاقته مع السكان العرب المحليين لفلسطين، لكن الفلسطينيين فشلوا فى فهم، أو رفضوا الاعتراف بأن الصهيونية خدمت باعتبارها الحركة القومية للدولة الإسرائيلية الوليدة التي أقيمت على حسابهم، ولا يوجد ثمة سبب لماذا الموقفان لا يكونان صحيحين"^(٧٠).

وما هو واضح تماما من محاولات "هارفارد" وغيرها^(٧١) لجمع الأكاديميين معًا هو الصعوبة الشديدة فى تصميم مشروع فلسطينى - إسرائيلى مشترك لإعادة النظر فى التاريخ ودحض الأساطير ونقد الروايات الوطنية^(٧٢)، وعلى الرغم من هذا فمهما كان ما يمكن إنجازه بشكل منفصل أو مشترك بين مؤرخين من خلفيات مختلفة؛ فإن تفكيك هذه الأفكار سيكون مهما وحاسما لأى مصالحة قادمة بين الشعبين^(٧٣).

الهوامش

- (١) من بين الأمثلة انظر: معهد بحوث السلام فى الشرق الأوسط (PRIME) وموقعه الإلكتروني: <http://vispo.com/PRIME> . بذور السلام على موقع: <http://www.seedsofpeace.org> . الاستماع الوجداني على موقع: <http://www.compassionatelisting.org> . ابحث عن الأرضية المشتركة على موقع: <http://www.sfeg.org> .
- (٢) J.M.N. Jeffries, Palestine: الواقع، لندن، لونجمان جرين ١٩٣٩. M.F. Abcarian, *Palestine Through The Fog Of Propaganda*، تقديم الميجور جنرال السير E.L. Spears ، لندن نيويورك ، ATC: Hutchinson ١٩٤٦ ، (Westport, CT: Hyperion Press Reprint). *Myths And Facts*: سجل ملخص للصراع العربى-الإسرائيلى، واشنطن تقرير الشرق الأدنى (خطاب واشنطن حول السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط) ١٩٦٤: منقح ومحدث ١٩٧٦، ١٩٨٥، ١٩٨٩. *Myths And Facts*: دليل الصراع العربى-الإسرائيلى ، تحرير ميتشيل ج. بارد: تقديم ايلى هيرتز: Chevy Chase, MD: المشروع الأمريكى-الإسرائيلى للتعاون، ٢٠٠١: منقح ومحدث سنة ٢٠٠٢. ومتاح على موقع المكتبة اليهودية الإلكترونية، جرى الدخول عليها يوم ١٣ أغسطس عام ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.jewishvirtuallibrary.org/isource/myths/mfloc.html> . فرانك جيرفازى ، *The Case For Israel* ، تقديم أبا إيبان، نيويورك: Viking Press ١٩٦٧. جاكوب أروين، *True And False About Israel*، نيويورك Herzel Press من أجل الاتحاد الصهيونى الأمريكى، ١٩٧٢. صمويل كاتز، *Battleground*: الحقيقة والخيال فى فلسطين، طبعة محدثة وموسعة، نيويورك / جيروزالم: Steimatsky، ١٩٨٥. (Zionist Mythinformation): ردود منظمة التحرير) أوتوا كندا مكتب الإعلام الفلسطينى، nd (1980، c). توم نايلور، *Palestine & Zionism*، عشر أساطير، *This Magazine* ، ديسمبر ١٩٨١ - يناير ١٩٨٢. *Know The*

Facts: دليل تاريخي للصراع العربي - الإسرائيلي، تحرير ديفيد نيف، القدس: إدارة التعليم والثقافة، المنظمة الصهيونية العالمية، ١٩٨٥. جون كويجلي، مرجع سابق طبعة حديثة ومنقحة، لندن: دار نشر جامعة ديوك سنة ٢٠٠٥. ألان بيرشويتز، *The Case For Israel*، نيويورك *John Willy* سنة ٢٠٠٣.

(٣) من أجل أمثلة على هذا الخير انظر *Procon.org's page on this conflict* وذلك على موقع: <http://israelipalestinian.procon.org> (Palestinian-Israeli Cross ، and betterlemons.org

Fire) ، فى موقع: <http://www.betterlemons.org> .

(٤) الموقع المعتاد المؤيد لإسرائيل هو *Myths & Facts* متاح على: (مكتبة إسرائيل الإلكترونية)

على موقع: <http://www.jewishvirtuallibrary.org/Jsourcemyths/mftoc.html> . وهناك

ذلك الأكثر حدة من حيث الثورية (مسادا ٢٠٠٠) على موقع:

<http://www.maxada2000.org> . والمواقع المؤيدة للفلسطينيين تتضمن الانتفاضة الإلكترونية

المتاحة على موقع: <http://electronicintifada.net> . وفلسطين نتذكر، متاح على موقع:

<http://www.palestineremembered.com> .

(٥) ديفيد ماتز، *(Reconstructing Camp David)* مجلة المفاوضات ٢٢: ١ (يناير ٢٠٠٦ ، ص: ٨٩-١٠٣).

(٦) قارن على سبيل المثال الموقع المؤيد لفلسطين (*Faculty For Israeli, Palestinian Peace*)

على موقع: <http://www.ffipp.org> وذلك مع المؤيد لإسرائيل (*Scholars For Peace In The*

Middle East) وذلك على موقع: <http://www.spme.net> ، ومواقع أخرى مؤيدة لإسرائيل

تعتمد على الأكاديميين وهى المعهد الكندى للبحث اليهودى، على موقع:

<http://www.isranet.org> والأساتذة من أجل إسرائيل قوية، وذلك على موقع:

<http://www.professors.org.il> .

(٧) سيلفيا ج. حايم، *(The Arab Awakening)* مصدر للمؤرخ، صحيفة ديفيات الإسلامية ، *n. s.*

المجلد ٢ (١٩٥٣) ص: ٢٤٨-٩.

(٨) موسوعة الفلسطينيين، طبعة منقحة تحرير فيليب مطر، نيويورك: *Facts On File* ، ٢٠٠٥ ، ص: ٢٠٠٥.

(٩) يهودا لوكاش وعبد الله م.بتاح (تحرير)، *The Arab Israeli Conflict*: عقدان من التغيير،
Boulder CO / لندن: Westview Press، ١٩٨٨ ص: ٣.

(١٠) من أجل وجهة نظر متعلقة انظر برنارد وزارشتين (مرجع سابق) الطبعة الثالثة، نيوهافن،
CT/لندن دار نشر جامعة يال/ لندن: Profile Books عام ٢٠٠٨ ص: ٣.

(١١) دخول على الموقع يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٥ <http://www.campus-watch.org> ، هذا الموقع
جرى إنشاؤه على نمط (Media Watch) المؤيد لإسرائيل الذى يعرض ما يروونه التغطية
الصحفية المتحيزة فى الصراع. انظر أيضا (CAMERA) (اللجنة الخاصة بالتقرير الدقيق
عن الشرق الأوسط فى أمريكا) على موقع: <http://www.camera.org> ، و (SHIT List)
(Self-heating and/or Israel Threatening) على موقع: <http://www.inasada2000.org/shit-list.html>. ومن أجل نقد Campus Watch انظر موقع:
<http://electronicintifada.net/v2/article732.shtml> جرى الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس
عام ٢٠٠٨.

(١٢) يمكن للقراء المهتمين متابعة هذه الحالات الثلاث وذلك بزيارة المواقع الشخصية لنورمان
فينكلشتاين حول إنكار الاستمرار (صيف ٢٠٠٧) تم الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٨
على موقع: <http://www.normanfinkelstein.com/article.php?pg=11&ar=1070> . وعلى جوزيف
ماساد انظر (Special Document) ملف فى مجلة الدراسات الفلسطينية ٣٤: ٢ (شتاء
٢٠٠٥) ، ص: ٧٠-٨٤ و ٣٤: ٤ (صيف ٢٠٠٥) ص: ٧٥-١٠٧. عريضة غير مؤرخة
على موقع: <http://www.petitiononline.com/jmassad/petition.html> والنقد على موقع:
http://camera.org/index.asp?x-context=2&x-outlet=118&x_article=874 وكلاهما تم
الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس عام ٢٠٠٨. انظر ناندا الحاج وجين كرامر (The Petition:
إسرائيل، فلسطين، والمعركة المستمرة فى برنارد). النيويوركر ١٤ أبريل ٢٠٠٨ ص: ٥٠-٩
(على موقع: http://www.newyorker.com/reporting/2008/04/14/080414fa_fact_kramer)
وانظر أيضا موقع: <http://www.muazzlewath.com/?p=227> وموقع: [http://www.zionism-](http://www.zionism-israel.com/log/archives/00000-443.html)
[israel.com/log/archives/00000-443.html](http://www.zionism-israel.com/log/archives/00000-443.html)

(١٣) حول مشكلات حدود الموضوعية انظر e.g. , Joyce APPLEBY, Lynn Hunt, and Margaret Jacob, *Telling The Truth About History* ، نيويورك، لندن WW Norton ، ١٩٩٤ الفصل ٧. ريتشارد إيفانز ، *In Defense Of History* ، لندن نيويورك W.W. Norton ، ١٩٩٩ الفصل ٨.

(١٤) ديفيد شولمان، *Dark Hope*: العمل من أجل السلام في إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو عام ٢٠٠٧ ص: ١٢.

(١٥) أفي شلايم، *The Debate About 1948*، وذلك في: *The Israel/Palestine Question*، تحرير إيلان بابيه، لندن/ نيويورك: Rontledge ، ١٩٩٩ ص: ١٧٧.

(١٦) بينى موريس، *The New Republic (Politics By Other Means)* ٢٢ مارس ٢٠٠٤.

(١٧) بينى موريس، *(Peace? No Chance)* الجارديان، ٢١ فبراير ٢٠٠٢. بينى موريس، مقابلة مع إيهود باراك *(Camp David And After: An Exchange)* *New York Review Of Books* ١٠ (١٣ يونيو ٢٠٠٢). بينى موريس وإيهود باراك *(Camp David And After- Continued)* *New York Review Of books* ٤٩: ١١ (٢٧ يونيو ٢٠٠٢) تم الدخول عليها ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.nybooks.com/articles/15501> و <http://www.nybooks.com/articles/15540>.

(١٨) أفي شلايم، *(A Betrayal Of History)* الجارديان، ٢٢ فبراير ٢٠٠٢. وعن رد الفعل العربى على موريس انظر مصطفى كبحا *(A Palestinian Look At The New Historians)* *And Post Zionism In Israel* وذلك في كتاب بينى موريس وأن أريور (تحرير) *In Making Israel* ، دار نشر جامعة ميتشيجن، ٢٠٠٧، ص: ٣١٠-١٢.

(١٩) أرى شافيت، *(Survival Of The Fittest)* (مقابلة مع بينى موريس) هـآرتس ٩ يناير ٢٠٠٤.

(٢٠) كريستوفر فرح، *(The Arabs Are After Our Blood)* (مقابلة مع بينى موريس) www.salon.com ٢٣ يناير ٢٠٠٤.

(٢١) يقول أفي شلايم إن لديه معلومات جيدة ودقيقة، حريص في استخدام الدليل، مفكر ويثير التفكير لدى الآخرين. (لا توجد مشاعر في الحرب)، الجارديان ٣١ مايو ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها يوم ١٧ أغسطس على موقع: <http://www.theguardian.co.uk> . Roane

- Counter Carey, (Doctor Benny and Mr. Morris): (المؤرخ والسياسة الملتوية للطرد)، Punch ٢٠-١٩ يوليو ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها يوم ٢٣ يوليو ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.counterpunch.org/carev07192008.html> ، بينى موريس، ١٩٤٨: A History
٢٠٠٨. Of The First Arab-Israeli War, New Heaven, CT: دار نشر جامعة يال سنة ٢٠٠٨.
- (٢٢) إيلان بابيه، Britain And The Arab-Israeli Conflict، ١٩٤٨-٥١، لندن، ماكميلان برس، كلية سانت أنطوني، سنة ١٩٨٨.
- (٢٣) إيلان بابيه، A History Of Modern Palestine: أرض واحدة وشعبان، الطبعة الثانية دار نشر جامعة كامبريدج، ٢٠٠٦، ص: ١١-١٢. ومن أجل تصريح بابيه المبكر (١٩٩٣) المؤيد للقضية الفلسطينية فى الدورية العبرية المسماة Teoria U-Vikoret، انظر مردخاي بار أون (Historiography As An Educational Project): حوار المؤرخين فى إسرائيل وعملية سلام الشرق الأوسط) وذلك فى كتاب حرره إيلان بيليج وألبانى، دار نشر جامعة نيويورك ١٩٩٨ ص: ٣١.
- (٢٤) انظر أيضا Ted Swedenburg's Similar Profession Of Solidarity With The Palestinians And Their Resistance And His Confession That His Study Of The 1936-1939 Revolt (required an effort to unlearn an academic training in anthropology and history that engoins one to uncover the objective truth) Ted Swedenburg, Memories Of The Revolt تمرد ١٩٣٦-١٩٣٩ والماضى القومى الفلسطينى، دار نشر جامعة أركانساس، ٢٠٠٣ xxviii.
- (٢٥) إيلان بابيه، The Ethnic Cleansing of Palestine، أوكسفورد، دار نشر Oneworld Publications سنة ٢٠٠٦.
- (٢٦) جيمى كارتر، Palestine: السلام وليس الأبارتهايد، نيويورك، سيمون وشوستر، ٢٠٠٧.
- (٢٧) ليزا تاراكي، The Excessive Charms Of The Internet، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٣٩: ٤ (نوفمبر ٢٠٠٧، ص: ٥٢٨).
- (٢٨) نورثروب فراى، The Knowledge Of Good And Evil ، فى ن. فراى، ستيوارت هامبشاير، وكروز أوبريان، The Morality Of Scholarship ، (تحرير) Max Black Ithaca، NY، دار نشر جامعة كورنيل سنة ١٩٦٧ ص: ٢٢.

(٢٩) سارا روى، (*Humanism, scholarship and politics*): الكتابة عن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي)، مجلة الدراسات الفلسطينية XXXVI: ٢ (شتاء ٢٠٠٧) ص: ٥٤-٦٥.

(٣٠) من أجل الدفاع عن التاريخ الوضعي والنقد الفعال لمقترَب النسبية ما بعد الحداثة، انظر Appleby، وجاكوب، *Telling the Truth About History, and*، وذلك في كتاب الدفاع عن التاريخ.

(٣١) نورثروب فراي، (مرجع سابق)، في فراي وآل، *The Morality of Scholarship*، صفحة ٢٨.

(٣٢) *Derek Penslar, Israel in History. The Jewish State in Comparative Perspective, London/Nez York: Routledge, 2007, 23.*

(٣٣) بارنون، (مرجع سابق، ص: ٢٣).

(٣٤) هؤلاء الأساتذة استمرت محاولات شيطنتهم من جانب أجنحة اليمين والوسط الإسرائيلي واليهود. انظر مارتين شيرمان، *"Post-Zionism's Fatal Flaw"*, YN News، ١١ أغسطس ٢٠٠٨، تم الدخول عليها يوم ٢٨ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع http://www.vnetnews.com/articles/0,7340,1_3580743,00.html

(٣٥) من أجل مناقشة موسعة للمعالجة الإسرائيلية الثقافية والسياسية للأبطال والبطولة في أوائل التسعينيات، انظر كاليب بن ديفيد *The Jerusalem Report*، (Heroes under attack)، ٢٩ ديسمبر ١٩٩٤، ص: ١٢ - ١٧.

(٣٦) حول المؤرخين الجدد والحوارات الأكاديمية والعامّة التي أثاروها، انظر: أهارول نيجيد (*The Israeli Suicide drive*)، ملحق هآرتس، ١٠ يونيو ١٩٩٤، ٢٧: *التاريخ والذاكرة: دراسات في تقديم وعرض الماضي*، ٧:١ (ربيع - صيف ١٩٩٥) *Israeli, Historiography Revisited*، تحرير Gulie Ne'eman Arad. أفي شلايم (*The debate about 1948*)، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، ٢٧ (أغسطس ١٩٩٥، ص ٢٨٧ - ٣٠٤). *Penslar, Israel in History*، الفصلان ١ - ٢. بارنون (مرجع سابق)، ٢١ - ٣٨. جوزيف هيلر، *The birth of Israel, 1945-1949* بن جوريون وناقده، Gainesville, etc، دار نشر جامعة فلوريدا، ٢٠٠٠، ص: ٢٩٥-٣٠٧. *Making Israel*، تحرير بنى موريس، أن هاربر، دار نشر جامعة متشيجن. ٢٠٠٧، وهناك بصفة خاصة هجوم معاد

من جانب إفرام كارش، : *Fabricating Israeli History* المؤرخون الجدد، الطبعة الثانية المنقحة، لندن: فرانك كاس، ٢٠٠٠.

(٣٧) من أجل استقصاء ردود الفعل الفلسطينية والعربية حول المؤرخين الجدد، انظر *Kabha (a Palestinian Look)* ص: ٢٩٩ - ٣١٨.

(٣٨) من أجل الاعتبارات الفكرية لبعض الصعوبات للتحليل المضاد للحقائق، انظر وليم ظارتمان، : *Cowardly Lions*، الفرص المفقودة لمنع ونفاذ الصراع المميت وانهيار الدولة، *Boulder, CO/London: Lynne Rienner, 2005*، ص: ٣-٥. موردخاي بار (*Conflicting Narratives or Narratives of a Conflict*: هل يستطيع الحاكزون الفلسطينيون والصهاينة عن حرب ١٩٤٨ أن يتم جسرهم وجمعهم على كلمة سواء؟) وذلك في الكتاب الذي حرره روبرت أ. روثبرج باسم (*Israeli and Palestinian narratives of conflict: History's double helix*, Bloomington, Indianapolis: دار نشر جامعة إنديانا، ٢٠٠٦)، ص: ١٥٧-٨. زينييف ماحوز، *Defending the Holy Land*: تحليل نقدي للأمن والسياسة الخارجية الإسرائيلية، أن هاربور: دار نشر جامعة ميتشجن، ٢٠٠٦، ٣٨٧ - ٨.

(٣٩) كمثال على دراسة تستكشف سبعة عناصر متداخلة تؤثر في النجاح والفشل، انظر لورا زترين ايزنبرج ونيل كابلان، : *Negotiating Arab Israeli Peace* الأنماط، المشكلات، الاحتمالات، بلومينجتون، أنديانا بوليس: دار نشر جامعة لأنديانا، ١٩٩٨. ومن أجل نقد حاد من جانب أستاذ علوم سياسية لصنع القرار الإسرائيلي باستخدام تحليل عوامل متعددة عبر خط من الفرص المفقودة، انظر ماعوذ، *Defending the Holy Land* الفصل ١٠.

(٤٠) كمينات من هذا المقرب انظر جيروم سلاتر، (*What went wrong?*، انهيار عملية السلام الفلسطينية - الإسرائيلية، المجلة الربع سنوية للعلوم السياسية، ١١٦: ٢ صيف ٢٠٠١، ص: ١٧١ - ٩٩)، و (*Lost Opportunities for Peace in the Arab Israeli Conflict*: إسرائيل وسوريا، ١٩٤٨ - ٢٠٠١)، *International Security*, 27:1 صيف ٢٠٠٢، ص: ٧٩ - ١٠٦.

(٤١) آفي شلايم، : *Collusions across the Jordan* الحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين، أو كسفورد: *Clarendon Press, 1988*. آفي شلايم، *The iron wall* إسرائيل والعالم العربي، لندن *Allen Lane* بنجوين، ٢٠٠٠، ص: ٤٧ - ٥٣. ومن أجل النقد انظر

- نيل كابلان (*Zionism and the Arabs*: نظرية أخرى على الجغرافيا التاريخية) *Review essay*, مجلة التاريخ المعاصر، ٦٣:٢ (أبريل ٢٠٠١)، ص: ٣٥٦ — ٦٠.
- (٤٢) شلايم، *Iron wall. Flapan, Birth of Israel*, ص: ٢٠١ — ٣٢. توم سيجيف، ١٩٤٩: أول إسرائيلي، نيويورك/ لندن، *Free Press/Collier Macmillan*، ١٩٨٦، ص: ٣٤ — ٤٠. بابي، *Making*، الفصول ٧ — ٩. بارثون، مرجع سابق، صفحة ٣٠.
- (٤٣) دون بيريتز، *Israel and The Palestine Arabs*، واشنطن، معهد دراسات الشرق الأوسط، ١٩٥٨. روني جاباي، *Political Study of the Arab Jewish Conflict*: مشكلة اللاجئين العرب (دراسة حالة). جينيف، *Librairie E. DROZ (Paris), Librairie Minard*, 1995. أهارون كوهين، *Israel and the Arab World*, New York: Funk and Wagnalls, 1970 (ترجمة العمل العبري الذي نشر عام ١٩٦٤). سيمحة لابان، *Zionism and the Palestinians*, New York: Barnes and Nobel/ London: Croom Helm, 1979.
- (٤٤) انظر نيل كابلان، *Futile diplomacy*، المجلد الأول: محاولات التفاوض المبكرة العربية الصهيونية، ١٩١٣—١٩٣١. لندن: فرانك كاس، ١٩٨٣، ص: ١١٣—١٤، ١٩٢، ٢٠١. كوهين، *Israel and the Arab World*. فلابان، *Zionism and the Palestinians: Dissenter*، في: *Zion: from the writings of Judah L. Magnes*، تحرير Arthur A. Goren، كامبريدج، MA/ لندن، دار نشر جامعة هارفارد.
- (٤٥) بنيامين نتنياهو، *A durable Peace*، طبعة منقحة، نيويورك، *Warner Books*, 2000, 48-9. والملحق A (ص: ٤٠٥ — ٧)، B (٤٠٩ — ١٠). ومن أجل وجهة نظر متشككة انظر أ. ل. طيباوي، *T.E. Lawrence*، فيصل ووايزمان: محاولة ١٩١٩ لتأمين وعمل تصريح بلفور عربي. *Royal Central Asian Journal*, 65:2، يونيو ١٩٦٩، ص: ١٥٦ — ٦٣. ولنظرة كلية، انظر نيل كابلان (*Faisal Ibn Husain and the Zionists*: إعادة فحص ودراسة بالوثائق)، *International History Review*, V: 4، نوفمبر ١٩٨٣، ص: ٥٦١—٦١٤.
- (٤٦) كابلان، *Futile Diplomacy* مجلدات I — II، *Passim*.

- (٤٧) إيتامار رايبنوفتش، *The road not taken*، المفاوضات العربية-الإسرائيلية المبكرة، نيويورك/لوكسفورد: دار نشر جامعة لوكسفورد، ١٩٩١. الصيغة العبرية، ها - شالوم شى - هاماك (السلام الذى اختفى)، وجرى نشره مبكرًا هذه السنة.
- (٤٨) آفى شلايم (خطة حسنى الزعيم لإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين)، مجلة الدراسات الفلسطينية، ١٥: ٤، صيف ١٩٦٨، ص: ٦٨ - ٨٠.
- (٤٩) كمثل آخر لدراسة جادة للحالة، انظر مرضخاى جازيت (*Egypt and Israel* - هل كانت هناك فرصة مفقودة للسلام عام ١٩٧١؟)، مجلة التاريخ المعاصر، ٣٢: ١ (يناير ١٩٩٧)، ص: ٩٧ - ١١٥.
- (٥٠) لمناقشة نقدية انظلا ماعوذ، *Defending the Holy Land, 2006*، الفصل ١٠ "لم نفقد فرصة حتى نفقد فرصة": اللا سياسة الإسرائيلية للسلام فى الشرق الأوسط. وانظر أيضا خالدى، *Iron Cage*، ص: ٢٩١ (n.2).
- (٥١) دان شيوفتان، (*Historic compromise and historic justice*)، وذلك فى "The 1937 Pell Report revisited"، ١٤ يناير ٢٠٠٨، الطبعة الثانية، *Bitterlamons.org*، *Palestinian-Israeli crossfire*، جرى الدخول عليها يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع <http://www.bitterlamons.org/previous/b1140108ed02.html>.
- (٥٢) حول النقاش الأخير بين الفلسطينيين والإسرائيليين الأكاديميين انظر: *Shared Histories*: حوار فلسطيني-إسرائيلي، تحرير *Paul Scham*، وليد سالم وبنيامين بوجروند، *Walnut Creek, CA: Left Coast Press*، سنة ٢٠٠٥، ص: ١٧٧-٢٠٤.
- (٥٣) لإعادة الفحص والنظرة الأخيرة لتوصيات لجنة بيل غير العملية انظر وزارشتين، *Israelis and Palestinians*، ص: ١٠٩-١٤.
- (٥٤) فيليب مطر، *Unpublished ms*، الفصل ٢. وإننى مدين بالشكر العميق للدكتور مطر حيث شاركنى المسودة غير المنشورة. والمواد والاقتباسات فى الفقرات المقبلة مأخوذة من هذا المصدر. وقد أثار خالدى قضايا وأسئلة مضادة لهذه الوقائع، انظر خالدى، *Iron Cage*، ص: ٣٣-٤٤، ٤٤-٦٤، ١١٨.
- (٥٥) برفض القادة الفلسطينيين إدخال البريطانيين بجديّة قبل ذلك سنة؛ فإنهم فقدوا أيضا فرصة مهمة فى التأثير فى صياغة ورقة تشرشل البيضاء فى يونيو ١٩٢٢، وهى أهم ورقة فى

السياسة البريطانية في فلسطين بين ١٩١٧ و ١٩٣٧. انظر أيضًا يهوشوا بوراث،
The Emergence of the Palestinian arab national movement، ١٩١٨-١٩٢٩، فرانك
كاس، ١٩٧٤، ص: ١٤٤-٦.

(٥٦) ناصر الدين النشاشيبي، *Jerusalem's Other Voice*: راجب النشاشيبي والاعتدال في
السياسة الفلسطينية، ١٩٤٨-١٩٢٠، *Exeter: Ilhaca Press*، ١٩٩٠، خاصة الفصل رقم ٩.
(٥٧) خالدى، *Iron Cage*، ص: ١١٨-٢٠.

(٥٨) حول مشكلات المصادر الفلسطينية الأولية المكتوبة والشفوية انظر: صالح عبد الجواد
(The Arab And Palestinian Narratives of the 1948 War)، وذلك في كتاب روث بيرج،
Israeli and Palestinian Narratives of Conflict، ص: ٧٢-١١٤، خاصة ص: ٩٥-١٠٣.
خالدى، *Iron Cage*، xxxv-xxxviii. عادل يحيى وعزيز حيدر وبرنارد سايبلا وذلك في
Scham et Al. , Shared Histories، ص: ٢٣٢-٤١، ٢٦٥. مطر، موسوعة الفلسطينيين،
xiv-xv.

(٥٩) إيلان بابيه، (مقدمة: التوجهات التاريخية الجديدة في البحث حول القضية الفلسطينية) وذلك
في *The Israel/Palestine Question*، تحرير إيلان بابيه، لندن/نيويورك: *Routledge*،
١٩٩٩، ص: ٢-٣.

(٦٠) عادل يحيى، وذلك في *Scham et Al.*، مرجع سابق ص: ٢٣٢.

(٦١) *W. Cantwell Smith, Islam in Modern History*، دار نشر جامعة برينستون، ١٩٥٧،
وجرى الاقتباس منه في كتاب *Arab Nationalism* (تحرير) ، وتقديم سيلفيا ج.
حاييم، دار نشر جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٢، ص: ٣٨ رقم ٨٣. وانظر أيضا أفراهام سيل:
Arab Historiography of the 1948 War: البحث عن الشرعية في كتاب: *New Perspectives*
on Israeli History: السنوات الأولى للدولة، تحرير لورانس سلبرشتاين، نيويورك، دار نشر
جامعة نيويورك سنة ١٩٩١، ص: ١٢٤-٥٤.

(٦٢) خالدى، *XXXIV, Iron Cage*. وانظر أيضا: *Kabha (A Palestinian Look)* ص: ٣٠١،
١٤-٣١٣.

(٦٣) زكريا محمد، *(New Palestinian Historians)* الأيام، ٤ نوفمبر ١٩٩٩، مقتبس في
ياكوف لوزويك، *Right to Exist*: دفاع أخلاقي عن حروب إسرائيل، نيويورك، *etc: Double*

- Day ، سنة ٢٠٠٣ ، ص: ٨٢-٣. وانظر أيضا: وجهات نظر وجيه كوثراني وعماد عبد الغنى والتي جرى مناقشتها في كتاب *Kabha (A Palestinian Look)* ص: ٣٠٧، ٣١٣.
- (٦٤) نقد الكتب الرسمية الفلسطينية جاء من الإعلام الفلسطيني (*Palestinian Media Watch*) جرى الدخول عليها ٢١ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.pmw.org.il/> ، ومركز مراقبة أثر السلام (*CMIP*) والمعروف الآن بمعهد مراقبة السلام والتسامح الثقافي في التعليم المدرسي (*IMPACT-SE*) جرى الدخول عليه يوم ١٦ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.impact-se.org/> ومن أجل بعض الأدبيات حول الكتب موضع الخلاف انظر إيلي يوديه (*History and Memory in the Israeli Educational System*): تصوير الصراع العربي- الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية ١٩٤٨-٢٠٠٠). *History and Memory* ١٢، ٢٠٠٠ ، ص: ٦٥-١٠٠ ، خاصة ص: ٨٩-٩١. ناتان براون، *Palestinian Politics* ، ٢٠٠٣ ، *After the Oslo Accords*: استعادة فلسطين العربية، دار نشر جامعة كاليفورنيا سنة ٢٠٠٣ الفصل ٦. ناتان براون (*Contesting National Identity in Palestinian Education*) ، وذلك في كتاب روث بيرج، *Israeli and Palestinian Narrative of Conflict*، ص: ٢٢٥-٤٣. إيال نافيه (*The Dynamics of Identity Construction in Israel Through Education in History*) وذلك في روث بيرج - المرجع السابق- ص: ٢٤٤-٧٠. جينيفر ميلر، *Inheriting the Holy Land*: بحث أمريكي عن الأمل في الشرق الأوسط ، نيويورك: Ballantine Books ، سنة ٢٠٠٥ ص: ٤٥-٦٨.
- (٦٥) انظر دان بار أون وسامى عدوان (*The Psychology of Better Dialogue Between two Separate But Interdependent Narratives*) وذلك في كتاب روثبيرج - المرجع السابق- ص: ٢٠٥-٢٤. معهد أبحاث السلام في الشرق الأوسط (*PRIME*) على موقع: <http://vispo.com/PRIME/>.
- (٦٦) المؤلف الحالي حضر هذه الندوات، وجرى كتابة التقرير من جانب دييوراويست باسم *Myth and Narrative in the Israeli Palestinian conflict*، كامبريدج، MA: مؤسسة السلام العالمي (*WPF*) تقرير رقم ٣٤، سنة ٢٠٠٣. ومجموعة الأوراق من هذه المؤتمرات جرى تحريرها وتقديمها من جانب روبرت أ. روثبيرج باسم *Israeli and Palestinian narrative of conflict*.

- (٦٧) نادين ن. روحانا، *Zionism's Encounter with the Palestinians*: ديناميكية القوة والخوف والتطرف) وذلك فى كتاب روثيرج- المرجع السابق ص: ١١٥-٤١.
- (٦٨) بار أون، *Conflecting Narratives* ص: ١٥٣. ورد فعله على روحانا فى الصفحات ١٤٣-٥٠.
- (٦٩) وجهات نظر سعيد جرى مناقشتها باختصار فى *Kabha (A Palestinian Look)* ، ص: ٣١٤-١٥.
- (٧٠) خالدى، *Iron Cage* ، xxxiii-xxxiv.
- (٧١) *Scham et al, "Shared Histories"* ، انظر كذلك المقال الممتاز من نيد لازاروس بعنوان: *"Making Peace with the Duel of Narratives: Dual-Narrative Texts for Teaching the Israeli-Palestinian Conflict"* فى *Israel Studies Forum* ، العدد ٢٣ (صيف ٢٠٠٨)، ص: ١٠٧-١٢٤.
- (٧٢) ليس كل مراقب يشاركنى تقديرى المتشائم. انظر وزارشتين، *Israelis and Palestinians* ، ص: ٣.
- (٧٣) خالدى، *Iron Cage* ، xxxvi.

الفصل الثانى عشر

مواجهة العقبات

فى الوقت الذى ندخل فيه العقد الثانى للقرن الواحد والعشرين، فإن التجسيدات الأخيرة للصراع الأصيل الصهيونى/ الفلسطينى/ العربى، وما تلاه من نزاع إسرائيلى- عربى استمر مستعصيا على جهود تسويتها؛ حيث إن طبيعة التداخل بين هذه الصراعات التى دامت فترة طويلة^(١) واصطبغت بصفة التصلب، قد تشير إلى أنها لن تحل بشكل نهائى من خلال ترتيبات لحلول توافقية، أو الالتقاء فى منتصف الطريق أو إنهاء المظالم، وكما أشرت فى الفصل الأول ربما تكون هناك فقط طرق لإدارة الصراع من خلال احتواء المعاناة المتقيحة والنزول بها إلى مستوى يمكن احتماله، وحتى أولئك الذين يعملون على تحقيق هذا الهدف المحدود لا يمكنهم تقديم الضمانات على أن الصراع لن يعاود الانفجار فى شكل أزمة محلية أو إقليمية أو دولية، ما يجعل من استراتيجيات الوقاية من الأزمات عنصراً ضرورياً لتفادى تحول الانفجارات فى المستقبل إلى عنف صريح^(٢).

ما أفضل الطرق لمواجهة العقبات طويلة الأمد أمام المصالحة والسلام بين الأطراف؟ وما أفضل الطرق للتعامل مع العقبات المرتبطة بقدرتنا- كطلبة ومراقبين وناشطين- على طرح وفهم التواريخ المتضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين بطريقة مفيدة؟

القضايا محل النزاع.. البناء على الماضي، وتخيل المستقبل:

فى أى لحظة محددة يمكن أن يأخذ تلخيص القضايا التى يختلف عليها الإسرائيليون والفلسطينيون أشكالاً مختلفة. وفى وقت إعداد هذا الكتاب (٢٠٠٩) يمكن بسهولة إعداد قائمة باستلهم قضايا الوضع الدائم التى لم تتم تسويتها على النحو الذى تم إيضاحه كما تم تحديدها فى اتفاقات أوسلو ١٩٩٣ التى لم يتم تنفيذها:

- التوصل إلى، والحفاظ على، التزام حقيقى وقوى من كل الأطراف بإقامة دولة فلسطينية وإسرائيلية من خلال الاعتراف المتبادل.
- تقرير الحدود بين دولة إسرائيل والدولة المستقلة الفلسطينية المستقبلية (كم نسبتهما؟) فى الضفة الغربية وغزة، واستكمال انسحاب القوات الإسرائيلية المقرر من المناطق التى ستخصص لفلسطين.
- مستقبل المستوطنات اليهودية التى تم بناؤها فى الضفة الغربية منذ ١٩٦٧، سواء ما سيتم الإبقاء عليها (فى مقابل أراضٍ تتم المقايضة بها) أو التى سيتم الانسحاب منها.
- ترتيبات أمن للدولتين الجارتين المستقبلتين.
- عودة و/ أو تعويض للاجئين الفلسطينيين، الذين طردوا أو هربوا فى حروب ١٩٤٨ و ١٩٦٧: كم سيعود لفلسطين؟ وكم سيعود لإسرائيل؟ وماذا عن ادعاء إسرائيل الذى لا يعترف به الفلسطينيون، للأخذ بشكل متبادل فى الاعتبار اليهود الذين تم حملهم على مغادرة الدول العربية فى فترات الحرب؟
- مستقبل القدس الذى يدعى كل من الإسرائيليين والفلسطينيين أنها عاصمتهم الوطنية، والتى ينظر إليها على أنها مدينة مقدسة لمئات الملايين من المسلمين

والمسيحيين واليهود، هل يمكن المشاركة فيها؟ أو تقسيمها؟ وتحت أى سيادة ستكون؟

وعندما يستعرض المرء المطالب الأساسية فى حدها الأدنى ("الخطوط الحمراء") ومصالح الأطراف الرئيسية، بالتوازي مع قدرته المثيرة للدهشة على مقاومة الضغوط لتغيير هذه المطالب، فإن الصراع قد يبدو أنه لا يمكن تسويته، وعلى الرغم من هذا فشهادة المفاوضين فى طابا (يناير ٢٠٠١) والمشاركين فى مبادرة جنيف (أكتوبر ٢٠٠٣)؛ تشير إلى أنه من خلال صياغات ماهرة وروح حقيقية للوصول إلى حلول وسط فإنه يمكن التوصل إلى تخطى كل العقبات^(٣).

وفى هذه الأثناء، يستمر الصراع فى التعبير عن نفسه بشكل يومية ليس فقط من خلال توقعات متقطعة عن مناورات دبلوماسية ممكنة ولكن وبطريقة أكثر انتظاما فى أشكال عنيفة وقمعية، فالمدنيون الإسرائيليون يُقتلون أو يُجرحون جراء إطلاق الصواريخ والهجمات الإرهابية التى يقوم بها الفلسطينيون، والمدنيون الفلسطينيون يقتلون أو يجرحون خلال العمليات التى تشنها القوات الإسرائيلية. كما يتعرض سكان الضفة الغربية بشكل متزايد للعنف من قبل عصابات المستوطنين^(٤)، ويعانى الفلسطينيون الذين يعيشون تحت الاحتلال من انتهاكات لحقوق الإنسان وإهانات بشكل أكثر وضوحا عند نقاط التفتيش. وبشكل دورى يتم تنظيم التجمعات المحتجة واتخاذ الإجراءات القضائية الهادفة إلى تحدى شرعية الحاجز الفاصل أو انجدار الأمنى الذى أنشأه الإسرائيليون للفصل بين الشعبين، وكذلك مصادرة أراضى الفلسطينيين. ومن جانبهم، يصدر القادة الفلسطينيون احتجاجات دبلوماسية ضد استمرار بناء المستوطنات الجديدة وتوسيع القوائم منها بالفعل فى مناطق يفترض أن تكون موضوع المفاوضات بين الأطراف حينما يتم استئناف المحادثات.

ولسوء الحظ؛ فإن البناء على الماضى وإعادة تتبع تطور الأشكال الأولى للقضايا نفسها (الفصول من ٣ إلى ١٠)؛ لا يوفران لنا دروساً يمكن الاستفادة منها فيما يتصل بكيفية تحرك الفلسطينيين والإسرائيليين حتى يقتربوا من بعضهم بعض تجاه السلام والتسوية.. وفى المقابل فإن البناء على التواريخ المتضاربة للأطراف يمكن - على أى حال - أن يمكن المراقبين المعاصرين من تقييم تعقيدات الموضوعات المختلف عليها، فضلاً عن عمق المشاعر وعدم الأمن الذى يشعر به المتصارعون.

وبالنسبة للبرجماتيين الساعين إلى التسوية، فإن هذا التقييم لصعوبات الماضى يمكن أن يشكل مرشداً وعنصرًا أوليًا ليس على ما يمكن أن "يؤدى إلى نتيجة" ولكن على الذى "لا يمكنه أن يكون فعالاً". وفيما يتصل بالباحثين الذين يكرسون عملهم سعيًا لاقتراح حلول انطلاقاً من خبرة الماضى، فإنهم سيدركون أيضاً حدود التوصيات التى تستند إلى مقترب "إذا/ فقط" والتى تحدد السلوك الأفضل لواحد أو أكثر من المتصارعين. وبشكل عام؛ فإن البناء على الماضى يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة فى أن نتجنب سوء تقدير العقبات الكنود التى يجب مواجهتها للوصول إلى تحقيق تقدم ملموس نحو الحل السلمى.

وعندما نتطلع إلى الأمام لاستجلاء "ملاحم المستقبل"^(٤)؛ يجب ألا نتصور أن هناك مساحة كبيرة لابتكار شيء جديد من جذوره، على الرغم من أن الكثيرين سيستمرون فى الاستشهاد بالصياغات القديمة من قبيل "دعنا نفكر من الخارج"، فأولئك المنخرطون فى مثل هذه المناقشات اليوم سيجدون أنفسهم، بعلم أو دون علم، أمام العديد من الخطط والأفكار التى سبق طرحها من قبل؛ حيث أظهر تسجيلنا للتواريخ المتضاربة (الفصول من ٣ إلى ١٠) وفرة ليس فقط فى المواجهات العنيفة ولكن كذلك فى جهود السلام التى فشل معظمهما وإن حقق بعضها نجاحاً جزئياً.

وفى الوقت الذى يتم فيه إعداد هذا الكتاب (٢٠٠٩)؛ انخرط عدد من الشخصيات السياسية والفكرية فى مناقشات فلسفية وسياسية وديموغرافية؛ تتصل بما إذا كان مستقبل الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن يكون أفضل من خلال حل "الدولتين" (الفصل/التقسيم) أو بالعيش تحت نظام دستورى مناسب داخل "دولة واحدة" (مزوجة القومية أو غيرها)^(٦). وبعيدا عن السيناريو المتطرف القائل بقيام أحد الأطراف بمحو الآخر تماما، فإن هذه هى، وبشكل أساسى، الخيارات المتاحة للمتصارعين. وبالنظر إلى الخبرات التفاوضية الحديثة (مفاوضات طابا، خريطة الطريق، المبادرة السعودية، مبادرة جنيف) فإن خيار دولتين لقوميتين، على الرغم من أنه لا يتسم بالكمال، فيمثل بصيصا من الأمل، على الرغم من بروز تكهّنات حول زوال هذا الخيار. وأيا كانت تفصيلاتهم، فإن أولئك المنشغلون بتصور ملامح شكل المستقبل سيكونون أكثر علما - وفى النهاية أكثر فعالية فى تقديم الحل المفضل من وجهة نظرهم - من خلال البناء على الخطط والمواقف التى تم طرحها ودراستها فى الماضى، وبصفة خاصة التقسيم والخطط الداعية للقومية المزوجة والتى نوقشت خلال الثلاثينيات والأربعينيات^(٧).

الضحية الحقيقة:

تساعد قائمة الموضوعات - التى سبق الإشارة إليها - فى تكوين شعور جزئى عن العقبات التى يجب تخطيها قبل توقع حركة من حالة الجمود المطبق تجاه نوع ما من التسوية المحتملة، وعلى الرغم من كونها مستعصية ومقاومة للحل؛ فإنها تشكل فى الأساس قضايا "ملموسة" يمكن التفاوض حولها، وفى المقابل

توجد مجموعة من العقبات "الجودية" و"غير الملموسة" التي ربما هي أكثر صعوبة في التغلب عليها.

ويبرز التشابك بين كل من العقبات "الملموسة" و"غير الملموسة" من خلال استعراض المقولات الجوهرية المثيرة للجدال (الإحدى عشرة)؛ والتي تم تركيز الضوء عليها على مدار تاريخ الصراع، ولا تزال تنتظر الحل سواء بين الأطراف ذاتها أو أولئك الذين يكتبون ويعلقون على الصراع وهذه المقولات هي:-

- ١) من كان هناك أولاً؟ وأرض من كانت بداية؟
- ٢) هل كان الحل الصهيوني للمسألة اليهودية شكلاً مختلفاً من النضال الوطني من أجل التحرر؟ أم كانت الصهيونية جزءاً من توسع استعماري عدواني في الشرق الأوسط بهدف الاستغلال والاستيلاء وفقهر السكان المحليين؟
- ٣) هل قام البريطانيون بخلق أم مفاقمة الصراع بين الفلسطينيين العرب واليهود الصهاينة من خلال تقديمهم دعماً مفرطاً لطرف على حساب الطرف الآخر؟
- ٤) هل كانت الاحتجاجات والمطالب من جانب قادة الفلسطينيين تعبيرات مشروعة عن شعور فلسطيني قومي أصيل؟
- ٥) هل أوقعت الصهيونية ضرراً أم أنها عادت بالفائدة على السكان المحليين لفلسطين وللإقليم؟
- ٦) هل كان لجوء الفلسطينيين / العرب / الصهاينة / الإسرائيليين للعنف أمراً مبرراً؟ أم تلزم إدانته؟
- ٧) ما الصلة، إن كانت ثمة صلة، يجب إقامتها بين القضاء على اليهود الأوروبيين خلال المحرقة ومسألة من يجب أن يحكم فلسطين/إسرائيل؟

٨) هل كان قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) الخاص بالتقسيم؛ ممارسة شرعية لسلطة الأمم المتحدة وفقاً للقانون الدولي؟ وهل كان من الحكمة أن ترفضه الدول العربية والفلسطينيون؟

٩) كيف صار الفلسطينيون لاجئين عام ١٩٤٨/١٩٤٩؟ ولماذا استمروا على هذا النحو لفترة طويلة؟

١٠) هل الأرض التي غزتها إسرائيل في يونيو ١٩٦٧ في الضفة الغربية للأردن يجب اعتبارها "أرضاً محتلة"؟ وهل لإسرائيل الحق في بناء المستوطنات اليهودية هناك؟

١١) ما النوايا الحقيقية للفلسطينيين ولمنظمة التحرير الفلسطينية؟ هل هي إزالة الدولة اليهودية لإسرائيل وتغييرها بدولة عربية لفلسطين؟ أم خلق دولة عربية فلسطينية على جزء من فلسطين التاريخية تتعايش جنباً إلى جنب مع دولة إسرائيل اليهودية؟

وفهم التواريخ المتضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين في ضوء هذه السلسلة من الأسئلة؛ يصبح لدينا شعور وإدراك أقوى بالعقبات التي يجب مواجهتها فيما لو وجد حل لهذا النزاع، والمحصلة التراكمية لهذه الإشكاليات الإحدى عشرة الجامدة؛ هي التي تجعل من الصراع العربي- الإسرائيلي نزاعاً متواصلاً ولربما غير قابل للحل.

وتوجد عقبة سلوكية رئيسية تشكل قاعدة مشتركة لجميع الحجج التي يتم تقديمه؛ فيما يتصل بجميع القضايا المثارة في القائمة السابقة وتتمثل في اتجاه كل من الطرفين لإلقاء المسؤولية على الآخر باعتباره السبب الرئيسي لمعاناته، فكل من الفلسطينيين والإسرائيليين تنحصر نظرتهم لأنفسهم على أنهم ضحايا للطرف

الآخر، بل أكثر من ذلك ليس فقط ضحايا وإنما (كما يقول "بيني موريس") "الضحية الحقيقية"، ومن جانبي فإنني أعتبر هذه العقبة العقبة الرئيسية أمام السلام والمصالحة، ويعتبر تحييدها أو التقليل من أثرها شرطاً مسبقاً للخروج من العديد من المأزق في كثير من القضايا الأساسية.

وربما قد يكون من غير الممكن التخلص بشكل تام من المأزق الناجم عن الإدراك المتبادل للطرفين بأن كلا منهما ضحية للآخر، وكما يقر الروائي الإسرائيلي والناشط من أجل السلام "أموس عوز": "حتى عندما يصبح هذا الصراع جزءاً من التاريخ سيكون هناك اختلاف حول الممرارة ... ولن يتنازل أى من الطرفين عن دعواه بكونه الضحية"، ووفقاً له فإن ذلك هو شيء يجب على الأطراف أن تتعايش معه وتتحرك حوله^(٨)، وفي كتاباته وخطاباته يذهب "عوز" إلى القول بأنه ربما يكون من المفيد النظر إلى أن الطرفين المتصارعين شريكان في وضعية الضحية لطرف ثالث وهو على وجه التحديد أوروبا المسيحية:

"العرب كانوا ضحايا من خلال الاستعمار والإمبريالية والقمع والاستغلال، فيما أن اليهود كانوا ضحايا التمييز والمذابح والطرْد وأخيراً القتل الجماعي... ومن بين أسوأ الصراعات ذلك الذي يتطور بين ضحايا لنفس الطرف الظالم: طفلين لذات الأهل القاسيين لا يحب بالضرورة أحدهما الآخر؛ حيث يرى غالباً كلاهما في الآخر صورة الظالم في الماضي، وهذا هو ما يحدث إلى حد كبير بين الإسرائيليين والعرب؛ فالعرب فشلوا في النظر إلينا كمجموعة ممن نجوا من المحرقة وهم يرونا امتداداً لكابوس ظلم المستعمرين

الأوروبيين، فيما أننا غالباً ننظر للعرب ليس كضحايا مثلنا ولكن كتجسيد للظالمين السابقين.. الكوزاك الذين نظموا المذابح، والنازيون الذين أصبحت لهم ملامح جديدة (شوارب طويلة) وملبس مختلف (الكوفية) ولكن ما زالوا يقومون بالعمل ذاته وهو قطع رقاب اليهود^(١).

ومن بين المكونات المهمة الناتجة عن شعور كل طرف بأنه الضحية، الإحساس العميق بالخوف، ويدرك المنخراطون في محاولات الحوار الحاجة الضرورية لاكتشاف كيفية تجاوز مخاوف طرف وشعوره بعدم الأمان؛ ليكون قادراً على التعاطف مع الآخر ومشاعره الأصيلة المتساوية في الإحساس بالتعرض للخطر، وقد رأينا هذا كواقع معاش في الفصل السادس عندما درسنا آثار المحرقة والنكبة على الإسرائيليين اليهود والفلسطينيين العرب.

ومن بين الأشياء التي فاجأت "مروان معشر" - أول سفير للأردن في إسرائيل عندما تولى منصبه منتصف التسعينيات - كان الإحساس العميق بعدم الأمن لدى الإسرائيليين العاديين:

"لقد نشأت في مجتمع عربي، يعتقد بأن أمنه تحت تهديد مستمر من قوة إقليمية وآلة عسكرية ضخمة والتي تمخضت عن خسارة فلسطين، ومشكلة دائمة للاجئين، واحتلال أراض من ثلاث دول عربية، وليس قبل وصولي لإسرائيل اكتشفت أن الإحساس متبادل، فالإسرائيليون كذلك يشعرون في العمق بعدم الأمان لكونهم وسط جيران أعداء. إن كل طرف لديه خوف أصيل من الآخر، ولديه شعور عميق

أن أمنه الشخصى والوجودى مهدد من جانب الآخر، كذلك فإن كلا الطرفين يشتركان فى شيء آخر: الافتقار شبه الكامل لفهم عمق لعدم الأمان الذى يشعر به كل منهما تجاه الآخر".^(١٠)

وتوجد كذلك شهادات مذهلة تُحىي الإسرائيليين الذين كانت لديهم فرصة العيش مع الفلسطينيين والعرب.

وبطريقة ما؛ فإن المشاعر المتصلة بكون الفرد ضحية ربما قد لا تكون متناسقة أو متساوية، فالفلسطينيون ربما يشعرون بأنهم ضحية ومظلومون نتيجة ما يعتبرونه عدم العدالة التى لحقت بهم، فيما تستمر أطراف ثالثة فى التعاطف مع أعدائهم وظالمهم. وربما يكون إحساس الإسرائيليين بكونهم ضحية أكثر ارتباطاً بذعر وجودى عميق من الإقناء؛ حيث شعروا فى أوقات بأن "العالم كله ضدنا"، هذه البارانويا والمخاوف تحول دون إدراك الإسرائيليين لغضب الفلسطينيين وعنهم كتعبيرات مشروعة لمقاومتهم العيش تحت الاحتلال وكفاحهم من أجل دولتهم الخاصة بهم. وقد أدى كسب سلسلة من الحروب دون أن يودى ذلك إلى الحصول على السلام الحقيقى؛ إلى تعزيز مشاعر اليأس والسخرية بين العديد من الإسرائيليين، وهو ما أسهم فى تدعيمه تصرفات القادة السياسيين؛ وأدى إلى أن يقنع الناس أنفسهم بأن المشكلة ما زالت قائمة لأنه لا يوجد من يمكن الحديث معه فى الطرف الآخر^(١١)، وأنه لا يوجد خيار سوى محاربة العرب لأنهم لن يرتاحوا حتى يدمروا إسرائيل.

ويسهل فهم موقف كثير من الفلسطينيين الذين سحقتهم الهزائم والتشتت والخسارة على يد الإسرائيليين الأقوياء، غير القادرين على التعاطف مع ادعاءات

الأخرين بالإحساس بالهشاشة وعدم الأمان، بل على العكس يشعر العديد منهم بأن لديهم تبريراً للجوء للقوة والعنف في محاولاتهم استعادة أراضيهم التي خسروها أو مقاومة الاحتلال، كذلك فإنهم يتصرفون تحت إحساس بالتخلي عنهم؛ تدعّمه حقيقة تبنى المجتمع الدولي نظرياً وبشكل خطابي لمطالبهم وشكواهم، فى حين يتم تجاهلها من الناحية العملية من قبل إسرائيل القوية التى تحظى بتأييد القوى الغربية ويهود العالم، وبشكل قد يبدو للعديد من الإسرائيليين أنه منافٍ للعقل، يعتقد الكثير من الفلسطينيين أن التاريخ الحديث يُثبت أن القادة الإسرائيليين ينوون بالفعل القيام بتطهير عرقي للأرض من سكانها الأصليين العرب الفلسطينيين وتوسيع الحدود لتوفير مساحة كافية لمزيد من اليهود، وأن كل التعبيرات الإسرائيلية عن الرغبة فى السلام هى مجرد خداع.

إنه من الصعب الخروج من هذا الإدراك والاتجاهات المتبادلة من قبل كل طرف تجاه الآخر، فالإسرائيليون والفلسطينيون الذين يتوقع كل منهم فى وضعية الضحية الحقيقية يدافعون عن مطالبهم ويرفضون المطالب المضادة التى يقدمها الطرف الآخر، بما يعنيه ذلك من دائرة مغلقة للمنطق يلزم كسرها عبر العديد من الموضوعات، وفى أقصى الأشكال تطرفاً يبدو كل طرف وكأنه يقول: "الطرف الآخر ليست لديه قضية، وموقف طرفنا لا يبارى ولا يمكن هزيمته، قصة الطرف الآخر هى دعاية بالكامل وليس ثمة شيء للنقاش، إذا لندع الصراع يستمر حتى يكسب طرفنا فى النهاية مهما أخذ ذلك من وقت طويل"^(١٢).

والاختراقات الجزئية يمكن أن تكون ممكنة فقط عندما تظهر هذه العقليات المغلقة بعض الانفتاح كأن يتقبل أحد الأطراف، حتى إن كان ذلك بشكل نسبى، فكرة أنه "ربما يكون للطرف الآخر قضية فى بعض الشكاوى المنتقاة، وأن رواية

الطرف الآخر تتضمن بعض النقاط الصحيحة؛ ولكنها لا تزال مغلفة بدعاية تخدم الذات ولا تلغى صدقية روايتنا الأكثر أصالة، وربما توجد إمكانية لمناقشة بعض مظاهر الصراع بشكل حذر إذا ما أظهر الطرف الآخر انفتاحا لتغيير آرائه.

وفى النهاية فأولئك المستعدون تمامًا للتوفيق والتسوية يجب أن يطوروا تفكيرهم بشكل أكبر ليصبحوا قادرين على القول: "رواية الطرف الآخر شرعية لكنها مختلفة عن روايتنا، وكلانا يحتاج لمعرفة المزيد عن قصة الآخر بعقل منفتح بغض النظر عما قد يسببه ذلك من مشاعر عدم الارتياح، فالروايتان تتضمن أخطاء وسوء فهم، ولكن يمكن الإقلال منها أو استبعادها تمامًا، ونحتاج للقيام بذلك معًا من خلال حوار يغلب عليه صفة الاحترام حول قصصنا المتصارعة"، وأى تحرك يسعى لتحقيق درجة من التوفيق والتسوية يتطلب أن يتحرك المفاوضون وقادة الرأي والقادة السياسيون على الجانبين نحو هذا الأسلوب من أساليب التفكير والذي صار شائعًا في مجموعات الحوار.

إلا أن مثل هذه التحولات في الاتجاهات ليس من السهل الوصول إليها وتتطلب مراجعات صعبة للغاية (بالنسبة للبعض لا يمكن التفكير فيها) لمعتقدات أساسية لدى الشعوب، فقبول شرعية أجزاء أساسية من قصة الآخر؛ ربما يحمل في طياته الإمكانية المقلقة للغاية في أن يصبح وضع الطرف الذي يقدم على ذلك وجوده وحقوقه أقل صلابة مما كان عليه من قبل، كذلك يعنى التعرض للوم وتحمله المسؤولية عن التسبب في الإضرار أو ظلم الطرف الآخر بما يقلب المعتقدات التي تم تناقلها على مدار أجيال من أن طرفهم لا يمكن توجيه اللوم له.

وأى جهد يسعى لإيضاح أو إعادة تعريف أسباب شعور كل طرف بأنه ضحية الآخر؛ هو دائما خطوة مهمة نحو إعداد الأطراف لمصالحة مستقبلية، واستنادًا إلى السجل التاريخي والمشاعر الحالية، فإنه لسوء الحظ يصعب الوصول

إلى نتيجة مفادها أن كلا الطرفين سيتغلب بسهولة على تسلط فكرة كون كل منهما الضحية الأصلية؛ أو أن الأطراف ستقترب من الاعتراف بنصيبهم من المسؤولية في الأخطاء التي تم ارتكابها في الماضي والمشاق التي تم إلحاقها بالآخرين.

وعلى أى حال؛ فالصراع على الأرض سيحتاج إلى أن يكون ساكنًا لفترة ممتدة - هدنة فعالة مخططة كانت أم بطريق المصادفة - قبل أن تكون الشعوب قادرة على النظر فى القيام بالخطوات العقلية التى تم تناولها عاليه، ولسوء الحظ فإن تاريخ التوترات العميقة قد أثبت أن العنف يمكن أن ينفجر فجأة فى أى وقت وغالبا يكسر فترات هدوء مفسدا الجهود الرامية إلى تقليل مستوى عدم الثقة وتشجيع التفاهم المتبادل.

عقبات أمام فهم الصراع:

يعتبر فهما للموضوعات محل النزاع والروايات التاريخية المتضاربة لأطرافه فقط؛ أحد أبعاد التحدى الذى نواجهه فى محاولتنا لفهم الصراع. وجبودنا يمكن أن تدعمها - أو تضعفها - الطرق التى نختارها لدراسة وتقديم القضايا، وكما رأينا فى الفصل (١١) يوجد عدد من الطبقات الذى يفرضه فى بعض الأحيان الأكاديميون والمراقبون حول التواريخ المتضاربة والطريقة التى يختارونها لتقديم الصراع، ما قد يؤدى إلى إحداث تشوهات بدلاً من توضيح القضايا وهو ما يعنى إضافة المزيد من العقبات أمام قدرتنا على فهم الصراع، وفيما يلى قائمة قصيرة من الأشياء التى يلزم تفاديها إذا ما ركز المرء - بشكل مفيد - على التواريخ المتضاربة للعرب والإسرائيليين والفلسطينيين بهدف الفهم الأفضل للصراع الحالى الذى لم يحل:

١) تجنب التركيز على تأييد أوضاع للحجج:

بطريقة تحترم وتعكس المصطلحات المستخدمة بشكل متوازٍ من قبل الأطراف الواقعية منها والتشاؤمية؛ أبرزت معالجتنا لأصول وتطور الصراع العربي- الإسرائيلي الحالي (في الفصول من ٣ إلى ١٠) سلسلة مكونة من أحد عشر مازقاً، متشابكة أحياناً، ولم يتم حلها (المقولات الأساسية)، وبينما يرجع للقراء الحرية في التنبؤ حول كيفية الخروج من هذه المازق، باغتنام الفرص أكثر منه بفقدائها (انظر النقطة الثانية)، فإنني أعتقد أن معظم هذه القضايا الإحدى عشرة هي أساساً لا يمكن حلها- سواء على الأرض أو على مستوى الحوار والنقاش- وفي ضوء العقليات المغلقة للأطراف (كضحايا حقيقيين)؛ فإنه غالباً ما يصعب قبول ادعاءات طرف من قبل الطرف الآخر. وحتى مع اللجوء إلى أفضل الحجج وأكثرها مهارة وفصاحة وعاطفية، فإنه لا يوجد أى فرصة حقيقية فى أن ينجح طرف بإقناع الآخر بتغيير موقفه، فهذه تمثل أساساً حججاً "لا مكسب" أو لا طائل منها؛ حيث إن تقديم حقائق صحيحة أو تفسيرات مختلفة لتلك المفترض خطأها أو المفقودة أو الذاهبة فى اتجاه خاطئ؛ هو عمل لا ينال الشكر، فى وقت تظل فيه الحجة محل خلاف بين الأطراف المتصارعة.

وأنا هنا لا أذهب إلى أن الأطراف يجب عليها أو يمكنها أن تتحى جانباً حججها لأنها ببساطة غير مجدية، ولكننى أوصى أى شخص يريد حقاً أن يفهم الصراع بألا يضيع كثيراً من الوقت والجهد فى محاولة أن يثبت بشكل نهائى أياً من ادعاءات الطرفين صحيح وأياً بجانبه الصواب، فبينما البحث فى جميع الجوانب يبدو مفيداً فى بعض الحالات، فإن السعى الهادف- على وجه التحديد- لحل هذه التناقضات فى الحجج والذى قد يبدو ظاهرياً مثيراً، فإنه فى النهاية ليس مما يساعد كثيراً.

٢) تجنب استخدام مقرب الفرص الضائعة من أجل لوم الأطراف:

كما رأينا فى الفصل السابق، هناك الكثير الذى يمكن تعلمه حول المتصارعين وتطور الصراع من خلال التحليل العكسى للوقائع، ولكن ما يجب تجنبه هو إغراء اللجوء إلى التفسيرات المبسطة حول أسباب عدم تحقيق لماذا السلام أو النصر؟ فلا يوجد الكثير مما يمكن الحصول عليه، باستثناء إثارة الجدل وتحقيق مزايا لمؤيدى طرف أو آخر، من استثمار الجهد والوقت الثمين فى محاولة إثبات ضرورة توجيه اللوم إلى الفلسطينيين أو العرب أو الإسرائيليين أو زعيم بعينه على ضياع الفرص لتحقيق السلام.

إن المراجعة الواقعية والفهم الدقيق للفرص الضائعة؛ يمكن أن يكون مع ذلك مفيدا كأداة فى تطوير الحجج حول الذى جرى خطأ فى الماضى، وللوصول إلى النتائج الأفضل فإن البحث يجب ألا توجهه أجندة خاصة، فكل حالة يجب دراستها باستخدام كل المصادر المتاحة واتباع منهجية أكاديمية جادة، فمثل هذا التحليل التاريخى يمكن أن يقود بدوره لمناقشات مفيدة حول قبول أو رفض مقترحات معاصرة لتحقيق السلام أو يوفر خلفية لصانعى القرار الحاليين الذين يواجهون خيارات استراتيجية أخرى.

٣) تجنب تحميل البحث بقضايا العدل والحق والاعتراف:

من الصعب استبعاد اعتبارات العدالة (تصحيح الأخطاء التى تم ارتكابها؛ النضال ضد الظلم والاحتلال وإنكار الحقوق؛ التتوق للحصول على وطن؛ البحث عن الأمن فى مواجهة العنف والإرهاب) من المناقشات حول تاريخ الصراع، فمما لا شك فيه أن البحث عن العدالة والاعتراف يشجع المتصارعين، كذلك فإن البحث

عن العدالة والحقيقة يثير المحترفين المعنيين بالكتابة والتعليق على التواريخ المتضاربة للفلسطينيين والإسرائيليين.

إننا نفوض السياسيين والمدافعين وكذلك قادة المجتمع ورجال الدين؛ ليرشدونا ويتصرفوا نيابة عنا بهدف تحقيق ما نعتقد أنه الحق والعدل، وفي المقابل فإنه من غير الواضح بالنسبة لى إلى أى مدى يجب أن نتطلع إلى الباحثين والمؤرخين ليقوموا بالشئ نفسه، فعندما يقدم الأكاديميون على ذلك يصيرون جزءاً من آليات الدفاع عن أحد الأطراف الذين يتناولونها بالدراسة، كذلك عندما يُضمن المؤرخين أو يعطون أولوية لمثل هذه المهام فى أعمالهم وأبحاثهم عن الموضوع فإنهم يعرضون أنفسهم لمخاطر الإعاقة أو الانحراف عن تقديم أعمال أكثر حرفية ومناسبة. وفضلاً عما تقدم فإنه إذا ما اعتنق الأكاديميون رواية أحد الأطراف وسعيه للحصول على الاعتراف أو العدالة باعتبارها الرواية الوحيدة الصحيحة، فإن محاضراتهم ومؤلفاتهم فى خدمته ستلحق الضرر بطلابهم وقرائهم الذين من حقهم الحصول على فهم غير متحيز لمطالب واتجاهات وآراء الأطراف المتصارعة، فالأساتذة، حتى إن كانوا متعاطفين مع موقف ما، يمكنهم أن يقدموا الكثير لتلاميذهم وقرائهم بإبعاد أنفسهم عن العقلية التى تستند إلى مقولة "نحن الطيبون" فى مواجهة "هم الأشرار"، التى تسيطر على الأطراف المعنيين أنفسهم. والمفهوم الذى يلزم الأكاديميين بالتسويق من خلال كتاباتهم لروايات البحث عن الاعتراف أو تأييد مظالم طرف ضد آخر يبدو لى مفهوماً محموداً؛ حيث يتضمن فرض قيود على الذات وهى ما افتقدته الدراسات الأكاديمية فى الأعوام الأخيرة، فهناك مساحة كبيرة فى المندتيات السياسية العامة والإعلام للدفاع عن بحث الأطراف عن الاعتراف والعدالة أو التعامل مع المظالم دون أن يتم تصدير ذلك إلى اختصاصات الباحثين.

٤) تجنب مخاطر التفكير بالتمنى:

يعتقد الأشخاص الذين يتجه تفكيرهم نحو إيجاد تسوية وذوى العقلية الإنسانية أن هذا الصراع يجب أن يحل يوماً؛ وحيث إن له تبعات إنسانية على المنخرطين فيه فإنه، وببساطة، يجب ألا يستمر، فبالنسبة لهؤلاء فإن الهدف من الكتابة والتعليم والتعلم حول هذا الصراع هو إلى حد كبير هدف عملي: تعلم أفضل طريقة لوضع نهاية له؛ حيث يحتاج للاعتقاد أنه بشكل ما هناك "ضوء في نهاية النفق".

هذه الغرائز الطبيعية والنبيلة تحمل في طياتها عدة مخاطر كامنة، إحداها أن تركيز الباحث على "ما كان يجب أن يكون" أو "ما يجب أن يكون" يتحقق غالباً بشكل مضلل على حساب التقديم الدقيق حول "ما كان بالفعل" و"ما يحدث حقاً"، وإذا كانت الدوافع الإنسانية أو التوجهات لصنع السلام لا يمكن السيطرة عليها، فإنه لا يجب الاندفاع فيها على حساب القراءة الدقيقة للتواريخ المتضاربة للأطراف- ماذا حدث بالفعل، ماذا شعرت به الأطراف فعلاً وما الأفعال أو ردود الأفعال التي قامت بها فعلاً- مهما كان هذا التاريخ وهذه الحقائق غير سارة في وقت ما.

إن الدراسات المتعمقة للسلام العربي- الإسرائيلي كانت دائماً موجودة وإن كان ذلك على مستوى متواضع، إلا أنها انتشرت بشكل كبير في السنوات الأخيرة خاصة خلال فترة التفاؤل التي أعقبت توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣، وظهور كثير من المبادرات لبناء السلام من جانب منظمات المجتمع المدني في إسرائيل وفلسطين والخارج بهدف التغلب على المخاوف ودعم التفاهم والمصالحة بين الشعوب^(١٣). وبالقدر الذي تستند هذه الجهود إلى تقدير جيد للتواريخ المتضاربة للإسرائيليين والفلسطينيين، فإنها ستستمر وتنتشر وتسفر عن خلق حساسية أوسع بين الرأي العام تجاه مواقف ومشاعر الطرف الآخر وتوفر له إدراكاً ذكياً للفجوات

وسبل جسرهما. ومع فشل قمة كامب ديفيد وانفجار انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠؛ فإن قطاعات واسعة من الفلسطينيين والإسرائيليين بمن فيهم بعض ممن هم أكثر المناضلين من أجل السلام والتوفيق شعروا بالصدمة والتحرر من الوهم، وعلى الرغم من ذلك استمر تصميم ناشطي السلام على الاستمرار في السعي لتحقيق التفاهم المتبادل وهو ما تم التعبير عنه (كما رأينا في الفصل ١٠) في مبادرة جنيف التي تم إطلاقها أواخر ٢٠٠٣، وهذا الجهد الأخير يمكن اقتباسه كمثال جيد على الواقعية المثالية التي تتجنب بنجاح فجاجة التفكير بالتمنى أساساً؛ لأنها كانت نتاجاً لعمل الفلسطينيين والإسرائيليين الذين كانت لهم خبرة في المفاوضات الأخيرة^(١٤).

وفي النطاق الواسع للتواريخ المتضاربة للفلسطينيين والإسرائيليين؛ يمكن أن نرى أن تطورا قد تحقق بالفعل من المقاطعة المتبادلة، التي سادت حتى الثمانينيات، نحو الاعتراف المتبادل وتقليل مستوى التصعيد منذ ١٩٩١، وعلى الرغم من كل هذا فإن فجوات كبيرة تظل باقية في حاجة إلى ملئها.

سنة تفسيرات:

خلال جهودى لفهم واجتياز تعقيدات الصراعات العربية-الإسرائيلية والفلسطينية-الإسرائيلية؛ حاولت أن أقدم قائمة للتفسيرات الممكنة التي تم تقديمها لتسجيل بدايات الصراع العربي-الإسرائيلي والأسباب التي تجزئ من تسويته أمراً صعباً، وتقديم التفسيرات الستة التالية أداة لتلخيص وفهم الطرق المتعددة التي تم من خلالها تقديم هذا الصراع من جانب أطرافه، ومؤيديهم ومؤرخين، والطلبة المهتمين به^(١٥):

(١) منذ عصور قديمة كان العرب واليهود أعداء ومتنافسين، كل طرف يمثل حضارة مختلفة وله نظرتة للعالم ودينه، وكان كل منهم (وسيكون دائماً) في حرب مع الآخر.

(٢) منذ نهاية ١٨٠٠؛ بدأ اليهود والصهاينة في تنفيذ أهدافهم المتصلة بالهجرة والاستيطان في فلسطين بشكل عدواني، وسيطروا على البلاد دونما احترام لحقوق السكان العرب المقيمين فيها منذ أمد طويل.

(٣) الفلسطينيون/العرب اتصفوا بالأناية وعدم العقلانية في رفضهم قبول وصنع السلام مع اليهود والصهاينة، رافضين الاعتراف بالحق التاريخي لليهود في العودة إلى وطنهم القومي القديم.

(٤) القوى الخارجية (الإمبريالية- بريطانية- فرنسا- الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتي) في سعيهم للسيطرة على إقليم الشرق الأوسط قاموا بالتلاعب بالعرب واليهود وأوصلوهم إلى الشك المتبادل والكراهية والصراع من أجل تحقيق أهدافهم الأناية.

(٥) اليهود والعرب يتصلون بالكاد ببعضهم بعض وصراعهم مبنى على سوء التفاهات والمخاوف وعمليات غسل المخ (الدعاية).

(٦) اليهود والعرب متعلقون في صدام لا يمكن تجنبه بين مجموعتين قوميتين متنافستين على السيطرة على الإقليم ذاته.

إن كل هذه التفسيرات له مؤيدوه والمدافعون عنه والمعتقدون بصحته، وكل منها يحوى جزءاً من الحقيقة والواقعية ويمكن أن يؤيده من خلال قراءة منتقاة في الدلائل التاريخية، وكل يقدم لمواليه بعض المضمون الأيديولوجي والرمزي، وكل من هذه التفسيرات السئة مبنية كذلك على افتراضات تقوم بتوزيع المسؤولية واللوم بطرق مختلفة، فالأول مثلاً يعكس منظوراً واسعاً؛ حيث البشر العادى (من أى

معسكر) ليسوا فعلاً مسئولين ما عدا - ربما - المدى الذى يقومون فيه أو لا يقومون بتحقيق الإرادة الإلهية كما يفهمها المنتمون لهذه المدرسة أولئك. والثانى هو صياغة تقليدية لوجهة نظر العرب عن الصهيونية وإسرائيل كاستعمار يغتصب فلسطين وحقوق العرب. فيما أن الثالث يعكس وجهة النظر الصهيونية وإسرائيل؛ حيث يحمل العرب والفلسطينيين معظم اللوم بسبب الصراع. ويبعد التفسير الرابع عن كل من العرب والإسرائيليين ويوجه اللوم إلى الأطراف الخارجية. هذا بينما الخامس يشير إلى أن فقط عددًا قليلًا من القادة المنخرطين فى عملية غسل المخ هم المسئولون.

وبمنطق الحلول، فإن كل واحد من التفسيرات الستة يمكن ربطه بالتوصية بنمط معين من العلاج لإنهاء أو التقليل من الخسائر التى تسبب فيها أولئك محل اللوم، فالذين يؤيدون التفسير الأول سيقترحون ببساطة استبعاد المتطفلين، أيًا كانوا، حتى يتم تنفيذ الوعد الإلهي بالخلاص من خلال إقامة إما دولة يهودية وإما دولة إسلامية فى الإقليم المتنازع عليه؛ وأولئك المتمسكون بالتفسير الثانى فحلهم للصراع يتمثل فى إزالة الاقتحام الشائن من قبل الصهيونية وإعادة الأرض المتنازع عليها إلى مالكيها العرب الفلسطينيين. أما هؤلاء الذين يعتقدون التفسير الثالث؛ فيتوقعون من الزعماء العرب والفلسطينيين أن يقبلوا عقلانية المشاركة وتقسيم الأرض المتنازع عليها بإيجاد مكان لليهود لممارسة حقهم فى العودة لوطنهم القومى القديم؛ فى حين يدفع المعتقدون فى التفسير الرابع بضرورة عزل الصراع عن النفوذ الخارجى السلبي حتى يتسنى تقاسم ثمار السلام بين محبى السلام الإسرائيليين والفلسطينيين والعرب؛ أما التفسير الخامس فإنه يطالب الناشطين الذين يبحثون عن الجذور العميقة للصراع بأن يركزوا إلى مجتمع مدنى يقظ وعلى درجة عالية من الحساسية للإصرار على سياسات متفتحة من قبل قياداتهم.

وعلى الرغم مما يلقاه التفسير الرابع من شعبية فى بعض الدوائر (بمن فيهم منظرو المؤامرة؛ فإننى أعتقد أن صياغته العكسية تحظى باستحسان فى السجل التاريخى (الدور الإيجابى للقوى الخارجية)^(١٦)، فالتدخل الأمريكى والدولى هو الذى أدى إلى تحقيق مكاسب محدودة من قبيل السلام المصرى-الإسرائيلى (١٩٧٧/١٩٧٩)، والاختراقات الإسرائيلىة-الفلسطينية والإسرائيلىة-الأردنية فى أعقاب مؤتمر مدريد للسلام والمفاوضات فى القناة الخلفية فى أوصلو (١٩٩١-١٩٩٣)، وبقدر ما يمكن لوم التدخل الخارجى المدفوع بمصالح خاصة عن فقدان بعض الفرص، بقدر ما يحسب لتدخل الطرف الثالث للمساعدة فى أنه قام بشكل مساو (إن لم يكن أكثر) بالإسهام فى إبعاد الأطراف المتصارعة عن المواجهة وحثهم على الاتجاه نحو البحث عن تسوية. وفى ضوء الطبيعة الوجودية للمأزق الفلسطينى-الإسرائيلى وعمق جذور العداوة وعدم الثقة المتبادلتين بين طرفيه، فإن التقدم خلال العقد الجارى نحو تحقيق اختراقات؛ يبدو أنه يحتاج دوراً من أطراف ثالثة سواء كانت دولية أو إقليمية: أمريكية، أردنية، مصرية، ومن قبل جامعة الدول العربية.

والفرضية المنطقية التى بنى عليها هذا الكتاب؛ هى - بالطبع - أن التفسير السادس هو أكثر التفسيرات مصداقية، فالسجل التاريخى خلال ما يربو على القرن يشير إلى وجود فجوة لا يمكن جسرهما بين الطموحات الوطنية المعلنة للفلسطينيين العرب والصهاينة الإسرائيليين، كذلك فإن المئة والثلاثين عاماً الماضية مليئة بالأمثلة التى تبرز تصميم وقدرة كلا الطرفين على التمسك بهذه الأهداف الوطنية التى لا يمكن التوفيق بينها على الرغم من المعاناة المتوالية والخسائر والنكسات.

وفى الختام، دعنا نتذكر التوازي بين اعتراف كل من "ديفيد بن جوريون" و"عوني عبد الهادي" عامي ١٩١٩ و ١٩٣٢ على التوالي بالصدام بين قوميتهما، وكذلك الآراء الأكثر حداثة لـ "مردخاي بار أون"، وهو عسكري حارب سنة ١٩٤٨ وخدم بعد ذلك كمدير لمكتب "موشى ديان" في الخمسينيات، وأصبح فيما بعد أكاديمياً وناشطاً للسلام، ونقتبس قوله:

"إن الصراع خلال قرن بين الحركة الصهيونية والحركة القومية العربية هو ليس نتاج خطأ ارتكبه أى طرف أو نتيجة سوء الفهم من قبل أى طرف للدوافع الحقيقية للآخر، فالمواجهة المبررة كان لا يمكن تجنبها منذ اللحظة التى قرر فيها اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر استعادة سيادتهم الوطنية فى فلسطين، جزء أرض كانوا يشيرون إليها دائماً كأرض إسرائيل (إيريتز إسرائيل)، والتى كان يحتلها شعب آخر. فجذور الصراع تكمن فى تصادم مأساوى بين مجموعتين من الدوافع والعمليات التى، فى البداية، كانت أساساً مستقلة عن بعضها بعض ولكنها مع الوقت صارت متشابكة ولا يمكن فصلها، إنه صدام بين مجموعة أهداف ودوافع دفيئة كل منها تبلور فى ظروف وأماكن وأوقات مختلفة تماماً، يدفع المتصارعين إلى حروب عنيفة ومستمرة"^(١٧).

هذا التفسير للصراع ربما لا يكون مقبولاً من الجميع، إلا أنه يمثل نقطة بداية مخصصة، من منظور واحد من المتصارعين، لفهم عن أى شىء يدور الصراع، ولماذا لم تتم تسويته حتى الآن، بل ولماذا لن يتم أبداً حله بشكل كامل.

الهوامش

(١) من أجل مناقشات فكرية حول تسوية الصراعات الممتدة انظر مايكل بريشر وجوناثان ويلكنفيلد، *A Study of Crises*، أن أربور: دار نشر جامعة ميتشجان، سنة ٢٠٠٠. فريد تشارلز إيكليه، *Every War Must End* الطبعة الثانية المنقحة، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا.

(٢) من أجل تقويم أقل تشاؤماً انظر برنارد زارستين، *Israelis and Palestinians*، مرجع سابق، الطبعة الثالثة دار نشر جامعة يال/ لندن *Profile iBooks*، ٢٠٠٨. إن الإسرائيليين والفلسطينيين كما كتب في الصفحة الثانية (ليسوا أعداداً بسبب جنون سيكوباتي، إنهم يتحاربون حول مصالح يمكن تحديدها وتحركهم نظم قيمية يمكن تفهمها باستهداف غايات معينة يمكن تحديدها). وكتابه هذا المثير للفكر يفحص الأوجه الديموجرافية والاقتصادية الاجتماعية والبيئية والإقليمية للصراع مع وجهة نظر متفائلة تجاه احتمالات المستقبل لإنهاء الصراع.

(٣) جليد شير، *"The Israeli-Palestinian Peace Negotiations 1999-2001: Within Reach"*، نيويورك: روتليدج، ٢٠٠٦. مناحم كلاين، *A Possible Peace Between Israel and Palestine* نستعراض من الداخل لمبادرة جنيف، ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك: دار نشر جامعة كولومبيا، سنة ٢٠٠٧. ديفيد ماتز (*Trying to Understand the Taba Talks*)، الجزء الأول (المجلة السياسية لفلسطين وإسرائيل، الإقتصاد والثقافة ١٠: ٣ سنة ٢٠٠٣، ص: ٩٦-١٠٥) و(*Why did Taba End?*) الجزء الثاني، *Palestine-Israel Journal of Politics*، *Economics and Culture* ١٠: ٤، ٢٠٠٣ ص: ٩٢-٨.

(٤) تظر المجلة المثيرة لديفيد شولمان، *Dark Hope*: عمل من أجل السلام في إسرائيل وفلسطين، دار نشر جامعة شيكاغو، سنة ٢٠٠٧.

- (٥) مشروع الشرق الأوسط للبحث عن أرضية مشتركة، دخول على الموقع ٢٦ أغسطس ٢٠٠٨: http://www.sfig.org/programs/cgp/cgp_tsotf2.html.
- (٦) ناعومي شبيرد، (*One State*: حل لإسرائيل/فلسطين أو تهديد؟)، الجارديان ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨، جرى الدخول عليها يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ على: guardian.co.uk.
- (٧) حول المحاولة الأخيرة عن الخيار الحالي من خلال الماضي انظر (تقرير لجنة بيل سنة ١٩٣٧ زيارة ثانية) تعليق يوسى ألفر وغان الخطيب، ودان شيفتات وموسى بوديري، تحرير ١٤ يناير سنة ٢٠٠٠، *betterlemons.org Palestinian-Israeli Cross Fire*، تم الدخول عليها يوم ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ على موقع: <http://www.betterlemons.org/previous/b1140108ed02.html>.
- (٨) عاموس عز، *How to Cure a Fanatic*، دار نشر جامعة برينستون، سنة ٢٠٠٦ ص: ٨٩.
- (٩) عاموس عز، *Under This Blazing Light*: مقالات، ترجمة نيكولاس ديلانج، نيويورك دار نشر جامعة كامبريدج، سنة ١٩٩٥، ص: ٨-٩.
- (١٠) مروان معشر، *The Arab Center*: الوعد بالاعتدال، *Newheaven, CT*: دار نشر جامعة يال، ٢٠٠٨، ص: ٦٠. وهناك محاولة حازت على جائزة صحفية لتصوير المخاوف والتعرضات للخطر من جانب الإسرائيليين والفلسطينيين انظر ديفيد شيلار، *Arab And Jew*: الأرواح المجروحة في أرض الميعاد، طبعة منقحة، نيويورك بنجوين سنة ٢٠٠٢.
- (١١) انظر البحث الممتع حول رئيس وزراء إسرائيل السابق إيهود باراك والذي قام به دانيال بار تال وإيرين هالبرين في الدورية العبرية (ميجاموت) في صيف ٢٠٠٨ والذي جرى مناقشتها في (*Face The Nation*) من جانب أكيفا إدار، هآرتس يوم ١٩ أغسطس ٢٠٠٨.
- (١٢) بعض العرب لديهم الأمل النابع من السابقة التاريخية للغزو الروماني الكاثوليكي الصليبي الذين احتلوا القدس عام ١٠٩٩، ولكنهم في النهاية طردوا من الأرض المقدسة عام ١٢٩١.
- (١٣) من أجل دراسة عامة للأنشطة التي تبدأ من القاعدة انظر (*Just Vision supporting Israeli and Palestinian NON Violent Civic Peace Builders through media and Education Bridging* - دخول على الموقع يوم ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨: <http://www.justvision.org/>).
- the Divide*: بناء السلام في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، تحرير إيدي كوفمان، ووليد سالم وجولييت فيرهوفن وتقديم ن.شازان وح. سنيورة، *Boulder, CO: Lynne Rienner*، ٢٠٠٦.

(١٤) انظر مناحم كلاين، *A Possible Peace Between Israel and Palestine* ، مرجع سابق ترجمة حاييم واتزمان، نيويورك، دار نشر جامعة كولومبيا، (*The Geneva Initiative*: إنهاء الصراع العربى - الإسرائيلى) جرى الدخول على الموقع ٢٢ أغسطس ٢٠٠٨: <http://www.geneva-accord.org/>

(١٥) هذا التوبيخ جرى استلزامه من جانب هاركابى (*Who is to Blame for the Persistence of the Arab-Israel conflict?*: دروس من تفسيرات خمسة) وذلك فى كتاب هاركابى: *Palestinians and Israel* ، نيويورك: جون ويلي (*Halsted Press*)، ١٩٧٤، ص: ٢٢٠-٤١، وجرى تطبيقه فى عدة دراسات للمفاوضات العربية - الصهيونية والإسرائيلية العربية، وانظر نيل كابلان (*Negotiation and the Arab-Israeli conflict*) دورية القدس ربع السنوية ٦ (شتاء ١٩٧٨)، ص: ٣-١٩. لورا زيترين أيزنبرج ونيل كابلان، مرجع سابق ص: ١٧-١٨.

(١٦) شبلى تلحمى يعتبر أيضاً أن وساطة طرف ثالث فعال كواحد من العوامل الثلاثة التى يمكن أن تؤدي إلى اختراق بالنسبة لذلك الصراع المستحيل الحل. شبلى تلحمى (*Beyond Resolution? The Palestinian-Israeli conflict*) وذلك فى *Grassping the Nittle*: تحليل قضايا ومسائل الصراع المستحيل، تحرير شستر كروكر، *Fen Osler Hampson* وباميلال، دار نشر معهد الولايات المتحدة للسلام، ٢٠٠٥ ص: ٣٦٩-٧٢.

(١٧) موردخاى بار أون (*Remembering 1948*: استعادة الذكريات الشخصية، الذاكرة الجماعية والبحث عن ماذا حدث حقيقة) وذلك فى الكتاب الذى حرره بينى موريس وأن أربور: دار نشر جامعة ميتشيجان، ٢٠٠٧، ص: ٣٢-٣ تحت عنوان: *Making Israel*.

التسلسل الزمني

- ١٨٨٢: أول مجموعة من الصهاينة يهاجرون من روسيا القيصرية إلى فلسطين العثمانية، وهذه بداية المستوطنات (موجة الهجرة الصهيونية).
- ١٨٩١: أول عريضة إلى السلطات العثمانية من جانب العرب الفلسطينيين احتجاجاً على الهجرة اليهودية وبيع الأرض.
- ١٨٩٦: تيودور هيرتزل ينشر كتابه (الدولة اليهودية).
- ١٨٩٧: انعقاد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بازل بسويسرا.
- ١٩٠٣: بداية الموجة الثانية من المستوطنات.
- ١٩٠٨: ثورة الشباب التركي؛ البرلمان العثماني يتم إعلانه.
- ١٩١٣: المؤتمر القومي العربي الأول يلتقى في باريس.
- ١٩١٤: الحرب العالمية؛ الأتراك يتحالفون مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا.
- ١٩١٥: السير هنري مكماهون ومراسلاته مع ملك الحجاز الملك حسين.
- ١٩١٦: اتفاق سايكس بيكو لتقسيم الهلال الخصيب لمناطق نفوذ بعد الحرب.
- ١٩١٧ - نوفمبر/ ديسمبر: صدور وعد بلفور، والقوات البريطانية تدخل القدس.

١٩١٨- أكتوبر: القوات البريطانية تتحرك إلى شمال فلسطين؛ الأتراك وتوقيع الهدنة وإعلان الأمير فيصل بن الحسين ملكاً في دمشق (حتى يوليو ١٩٢٠).

١٩١٩- يناير: حاييم وايزمان وفيصل يوقعان معاهدة في لندن استعداداً لمؤتمر باريس للسلام.

يوليو: أغسطس: لجنة كينج/ كرين تزور الشرق الأوسط وتصدر تقريرها.

١٩٢٠- أبريل: المظاهرات والهجمات على اليهود في القدس؛ مجلس عصبة الأمم يكلف بريطانيا بالانتداب على فلسطين والعراق وفرنسا على سوريا أثناء مؤتمر سان ريمو.

يوليو: وصول السير هربرت صمويل باعتباره المندوب السامي البريطاني إلى فلسطين؛ انتهاء الإدارة العسكرية.

ديسمبر: المؤتمر العربي الفلسطيني يلتقي في حيفا، اختيار المجلس التنفيذي العربي ممثلاً للمصالح الفلسطينية؛ اتفاقية تأسيس الهيستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود)، مع وجود مسئوليات عن الهاجاناة (المليشيات تحت الأرض).

١٩٢١- مارس: وزير المستعمرات وينستون تشرشل يزور فلسطين؛ اعتماد حكم الأمير عبد الله على الأردن كجزء من الانتداب على فلسطين.

مايو: مظاهرات العرب والهجمات على اليهود في حيفا والمستوطنات المجاورة؛ تسمية الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الكبير.

أكتوبر: لجنة هاي كرافت تصدر تقريرها عن الاضطرابات في يافا.

١٩٢٢- مارس: انتخاب أمين الحسيني رئيساً للمجلس الأعلى الإسلامي الذي جرى إنشاؤه مؤخراً.

يونيو: بريطانيا تصدر إعلاناً بسياستها (ورقة تشرشل البيضاء).

يوليو: عصبة الأمم تقر الانتداب على فلسطين.

سبتمبر ١٩٢٢ إلى نوفمبر ١٩٢٣: بريطانيا تحاول دونما نجاح إنشاء مجلس تشريعي منتخب، ومجلس استشاري، ووكالة عربية.

١٩٢٦-١٩٢٧: أوقات صعبة في فلسطين؛ مزيد من الهجرة اليهودية العكسية؛ البطالة تزداد؛ المطالبات المستمرة تؤدي بالبريطانيين إلى خفض وجودهم العسكري.

١٩٢٨- سبتمبر: حادث عند الحائط الغربي يسبب إثارة واحتجاجاً من جانب اليهود؛ المسلمون بدورهم يعربون عن المخاوف من التحرشات اليهودية بالأماكن الإسلامية المقدسة.

١٩٢٩- أغسطس: التوترات والأحداث حول الحائط تؤدي إلى هجمات عربية على اليهود في مدينة القدس القديمة؛ الهجمات تنتشر في الخليل وصفد.

١٩٣٠- أبريل: إصدار لجنة شو تقريرها حول أحداث أغسطس ١٩٢٩.

أكتوبر: تقرير هوب سيمسون حول تسوية مشكلة الأرض والهجرة والتنمية. مع إعلان السياسة البريطانية الجديدة (ورقة باسيفيلد البيضاء).

١٩٣١- فبراير: رئيس الوزراء البريطاني رمزي ماكدونالد ينشر خطابه إلى الدكتور حاييم وايزمان يؤكد له فيه دعم بريطانيا المستمر للصهيونية؛ العرب يدينون الكتاب الأسود لمكدونالد.

ديسمبر: المؤتمر الإسلامي انعقد في القدس برئاسة الحاج أمين الحسيني؛ اجتماعات موازية للقوميين العرب.

١٩٣٢- أغسطس: عوني عبد الهادي وآخرون يؤسسون حزب الاستقلال.

أكتوبر: العراق تصبح مستقلة وتنضم إلى عصبة الأمم.

نوفمبر: إعلان السير آرثر وشوب الرغبة في إنشاء مؤسسات تمثيلية في فلسطين ابتداء من الانتخابات البلدية.

١٩٣٣- يناير: أدولف هتلر يتم تعيينه مستشاراً لألمانيا.

مارس: المجلس العربي التنفيذي يتبنى قرارات بعدم التعاون والمقاطعة للسلع البريطانية والصهيونية، وحول بيع الأراضي.

أغسطس: طرد البوليس الفلسطيني للفلاحين المستأجرين العرب من وادي الحواريت.

أكتوبر: مظاهرات العرب الفلسطينيين غير القانونية في يافا وحيفا ونابلس تتحول إلى العنف؛ الاحتجاجات تتوجه ضد بريطانيا فقط.

١٩٣٤- ديسمبر: تكوين حزب الدفاع القومي برئاسة راغب النشاشيبي.

١٩٣٥- مارس: تكوين حزب فلسطين العربي برئاسة جمال الحسيني.

يونيو: تكوين حزب الإصلاح برئاسة عمدة القدس الدكتور حسين فخرى الخالدي.

سبتمبر: ختام المؤتمر التاسع عشر الصهيوني؛ إعلان ديفيد بن جوريون رئيساً تنفيذياً للوكالة اليهودية.

أكتوبر: اكتشاف المفتش البريطاني لميناء يافا أسلحة مهربة للهاجانات إلى فلسطين.

نوفمبر: وفاة المتمرّد الشيخ عز الدين القسام مع العديد من أتباعه في معركة بالبنادق مع القوات البريطانية؛ اجتذبت جنازته في حيفا أعداداً كبيرة ممن يعتبرون القسام بطلاً وشهيداً.

نوفمبر: تشكيل تآلف من خمسة أحزاب سياسية فلسطينية وتقديم ثلاثة طلبات إلى بريطانيا:

(أ) التوقف الفوري للهجرة اليهودية.

(ب) منع نقل الأراضي من العرب إلى اليهود.

(ج) إنشاء حكومة ديمقراطية.

ديسمبر: المندوب السامي يكشف عن مقترحات لمجلس تشريعي.

١٩٣٦- فبراير إلى أبريل: مجلس الوزراء البريطاني يصدر مقترحاته لمجلس تشريعي لفلسطين؛ مناقشات برلمانية؛ العرب الفلسطينيون يدعون إلى إرسال وفد إلى لندن للتشاور.

أبريل: المتمرّدون العرب يهاجمون قافلة، ومقتل مسافرين يهوديين، ما أدى إلى هجمات مضادة؛ التوترات والمظاهرات تنتشر قرب يافا وتل أبيب؛ بريطانيا

تعلن حالة الطوارئ؛ اللجنة العربية العليا يتم تشكيلها للتنسيق حول الإضراب العام حتى تتم الاستجابة للطلبات الفلسطينية الثلاثة.

أبريل إلى أكتوبر: الإضراب العربي العام يسبب الشلل في البلاد، ويؤدي إلى الإرهاب من جانب المتمردين.

أكتوبر: إعلان اللجنة العربية العليا إنهاء الإضراب العام.

نوفمبر: اللجنة الملكية برئاسة اللورد بيل تصل إلى فلسطين لسماع الشهادة حول الأسباب الكامنة وراء الإضرابات والأحداث الأخرى.

١٩٣٧- يوليو: لجنة بيل الملكية تنشر تقريراً يقترح تقسيم فلسطين؛ اللجنة العربية العليا ترفض، والتمرد العربي يستأنف.

يوليو/ أغسطس: المؤتمر الصهيوني العاشر يوافق بشروط على تقسيم لجنة بيل.

سبتمبر: اجتماع للقوميين العرب في بلودان في سوريا يعلن رفضه للتقسيم؛ إرهابيون فلسطينيون يغتالون مسئولاً بريطانياً رفيع المستوى في الناصرة.

أكتوبر: اللجنة العربية العليا يتم حظرها، المفتى يهرب إلى بيروت، ومن ثم إلى العراق فألمانيا.

١٩٣٨- يوليو: مؤتمر في إيبيان يناقش مسألة اللاجئين اليهود من الأوروبيين، ولكنه لا يتوصل إلى حلول.

أكتوبر: المؤتمر البرلماني الدولي للدفاع عن فلسطين يعقد بالقاهرة.

١٩٣٩- فبراير/ مارس: مؤتمرات الموائد المستديرة العربية البريطانية، والبريطانية الصهيونية في قصر سانت جيمس لا تتوصل إلى اتفاق.

مايو: بيان للسياسة البريطانية، "كتاب ماكدونالد الأبيض" مقيذا للهجرة اليهودية وبيع الأراضي؛ العرب والصهاينة يرفضون الإجراءات الجديدة.

سبتمبر: اندلاع الحرب العالمية الثانية.

١٩٤٢- يناير: مسئولون نازيون يجتمعون في مؤتمر وانسي ببرلين لتنسيق خطط الحل النهائي، وهي الإبادة التامة لليهود الأوروبيين.

مايو: اجتماع طوارئ صهيوني بفندق بلتمور بنيويورك يتبنى قرارًا يطالب بكمونولث يهودي وهجرة حرة إلى فلسطين.

١٩٤٣- أبريل: مؤتمر برمودا يناقش مسألة المهاجرين اليهود من الأوروبيين، ولا يتوصل لأي حلول.

١٩٤٤- نوفمبر: إرهابيون صهاينة يغذالون اللورد موين في القاهرة.

١٩٤٥- مارس: جامعة الدول العربية تطالب بفلسطين عربية مستقلة.

مايو: نهاية الحرب العالمية الثانية.

نوفمبر: اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق تم تعيينها.

١٩٤٦- مايو: اللجنة الأنجلو أمريكية للتحقيق تصدر تقريرًا يوصى بالقبول الفوري لمئة ألف لاجئ يهودي من أوروبا.

يوليو: إرهابيون صهاينة ينسفون أحد أجنحة فندق الملك داود في القدس الذي يضم المقر الرئيسي للقوات البريطانية.

سبتمبر: مؤتمر لندن للقادة العرب، واجتماعات بريطانية مع مسئولين صهاينة؛ لم يتم التوصل إلى اتفاق.

١٩٤٧- فبراير: بريطانيا تعلن نيتها إعادة فلسطين لإشراف الأمم المتحدة.

مايو: الجمعية العامة للأمم المتحدة تعين لجنة اليونسكوب للتحقيق وتقديم التوصيات.

أغسطس/ سبتمبر: اليونسكوب توصي بتقسيم فلسطين؛ بريطانيا تعلن قرار إنهاء الانتداب والانسحاب من فلسطين.

نوفمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ١٨١ متضمناً ما جاء في توصيات اليونسكوب؛ اللجنة العربية العليا ترفض؛ النزاع المسلح يشتد للسيطرة على المناطق العربية واليهودية في فلسطين؛ الجامعة العربية تبدأ في التخطيط لمنع تطبيق قرار الأمم المتحدة.

١٩٤٨- مايو: البريطانيون يغادرون فلسطين؛ بن جوريون يعلن قيام دولة إسرائيل.

سبتمبر: إرهابيون يقومون باغتيال الوسيط الأممي برنادوت.

ديسمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ١٩٤ بإنشاء لجنة للتسوية التي طالبت بعودة أو تعويض اللاجئين الفلسطينيين، بالإضافة إلى تدويل القدس.

١٩٤٩- فبراير: مصر وإسرائيل يوقعان اتفاق وقف إطلاق نار في رودس تحت رعاية المكلف بدور الوسيط الأممي رالف بنش

مارس: توقيع اتفاقات وقف إطلاق بين إسرائيل ولبنان، وبين إسرائيل والأردن

أبريل إلى سبتمبر: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمراً للسلام بلوزان (لا نتيجة).

مايو : إسرائيل تم قبولها عضواً بالأمم المتحدة.

يوليو: توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل.

١٩٥٠- يناير إلى يوليو: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمراً للسلام بجنيف (لا نتيجة).

ديسمبر: الأردن تضم الضفة الغربية.

١٩٥١: يوليو: اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن أثناء زيارته للقدس.

سبتمبر إلى نوفمبر: لجنة التسوية التابعة للأمم المتحدة تستضيف مؤتمراً للسلام في باريس (لا نتيجة).

١٩٥٢- يوليو: ضباط الجيش المصري، ومن ضمنهم جمال عبد الناصر الرئيس في المستقبل، يطيحون بالملك فاروق.

١٩٥٣- مايو: حسين يصبح ملكاً للأردن (حتى ١٩٩٩).

أكتوبر: إسرائيل تشن غارة انتقامية على قيبية تحت إشراف أرييل شارون.

١٩٥٥- فبراير: الهجوم الإسرائيلي على غزة.

سبتمبر: إعلان عن حزمة مساعدات سوفيتية شاملة لمصر.

١٩٥٦- يوليو: عبد الناصر يقوم بتأميم شركة قناة السويس.

أكتوبر: إسرائيل تغزو غزة وسيناء المصرية، يليه احتلال بريطاني-
فرنسي لمنطقة قناة السويس؛ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأمم المتحدة
تضغط على الأطراف للانسحاب.

نوفمبر: الأمم المتحدة تنشئ قوات حفظ سلام على امتداد الحدود المصرية-
الإسرائيلية.

١٩٥٧- يناير/ مارس: القوات الإسرائيلية تنسحب بالكامل من قطاع غزة،
سيناء، وشرم الشيخ.

١٩٥٩- يناير: ياسر عرفات وآخرون يؤسسون حركة التحرير.

١٩٦٤ - يناير: الجامعة العربية تجتمع بالقاهرة وتنشئ منظمة التحرير
الفلسطينية.

مايو: المجلس الوطني الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية يعقد أول
اجتماع له في القدس الشرقية، ويتبنى الميثاق الوطني الفلسطيني ١٩٦٥.

يناير: فتح تشن أول غارة على إسرائيل من داخل الأراضي الأردنية.

١٩٦٦- نوفمبر: غارة انتقامية إسرائيلية واسعة النطاق على بلدة السموع
في الضفة الغربية بالأردن.

١٩٦٧- أبريل/ مايو: ثورات وهجمات متصاعدة على امتداد الحدود
الإسرائيلية- السورية.

مايو: عبد الناصر يجهز القوات، ويأمر بطرد قوات حفظ السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة خارج سيناء، ويغلق مضيق تيران أمام السفن من وإلى إسرائيل.

يونيو: انتصار إسرائيلي حاسم في الحرب ضد مصر، سوريا، الأردن.

نوفمبر: مجلس الأمن يتبنى قرار ٢٤٢؛ مطالبًا إسرائيل بالانسحاب إلى الحدود الآمنة والمعترف بها، يتم تعيين جونار يارينج مندوبا خاصا للأمم المتحدة.

ديسمبر: تكوين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحت قيادة جورج حبش.

١٩٦٨- مارس: القوات المحتلة الإسرائيلية تقاتل فلسطينيين وأردنيين في الكرامة بالأردن.

يوليو: الاجتماع الرابع للمجلس الوطني الفلسطيني بالقاهرة يراجع الميثاق الوطني الفلسطيني؛ اختطاف طائرة إسرائيلية من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى الجزائر.

١٩٦٩- فبراير: انتخاب عرفات من فتح لرئاسة منظمة التحرير الفلسطينية.

مارس ١٩٦٩ إلى أغسطس ١٩٧٠: حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل.

١٩٧٠- سبتمبر: وفاة الرئيس المصري عبد الناصر، يخلفه أنور السادات؛

اختطافات عدة من جانب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقّاد طائرات إلى الأردن؛ الجيش الأردني يقاتل ويطرد عصابات فلسطينية؛ المقر الرئيسي لمنظمة التحرير ينتقل إلى بيروت.

١٩٧٢- مايو: هجمات إرهابية في مطار تل أبيب.

سبتمبر: فلسطينيو "سبتمبر الأسود" الإرهابيون يهاجمون رياضيين إسرائيليين في أولمبيات ميونيخ.

١٩٧٣- أكتوبر: مصر وسوريا تهاجمان إسرائيل؛ مجلس الأمن يصدر قرار ٣٣٨ بالتأكيد على قرار ٢٤٢ مطالباً بالمفاوضات.

ديسمبر: الجلسة الافتتاحية لمؤتمر جنيف.

١٩٧٤- يونيو: الاجتماع الثاني عشر للمجلس الوطني الفلسطيني بالقاهرة؛ يتبنى برنامجاً سياسياً جديداً ويوافق على إقامة سلطة وطنية في أي منطقة محررة من فلسطين.

أكتوبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة واجتماع جامعة الدول العربية في الرباط يعترفان بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني.

نوفمبر: ياسر عرفات يخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة.

١٩٧٥- سبتمبر: توقيع الاتفاق النهائي المصري- الإسرائيلي للانسحاب من سيناء؛ الولايات المتحدة وإسرائيل توافقان على شروط للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية.

نوفمبر: الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى قرار ٣٣٧٩ بإعلان الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية.

١٩٧٧- مايو: إسرائيل تنتخب مناجم بيجن رئيساً للوزراء، أول انتصار لليكود على حزب العمال.

نوفمبر: الرئيس المصري السادات يصبح أول قائد عربي يزور إسرائيل،
يبدأ مفاوضات السلام.

١٩٧٨- سبتمبر: إسرائيل ومصر توقعان اتفاقات كامب ديفيد بوساطة
الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.

١٩٧٩- مارس: إسرائيل ومصر توقعان اتفاقية السلام.

١٩٨١- يونيو: طائرات إسرائيلية تدمر المفاعل النووي العراقي قرب
بغداد.

أكتوبر: اغتيال السادات، يخلفه حسنى مبارك.

١٩٨٢ - أبريل: إسرائيل تكمل انسحابها من سيناء.

يونيو: الاجتياح الإسرائيلي للبنان.

سبتمبر: خطة ريجان؛ القمة العربية في فاس تتبنى الخطة السعودية للملك
فهد (١٩٨١)؛ الكنائس تقوم بمذبحة ضد مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين خارج
بيروت؛ منظمة التحرير الفلسطينية تنقل مقرها الرئيسى إلى تونس.

١٩٨٥- أكتوبر: القوات الجوية الإسرائيلية تقصف مقر منظمة التحرير بتونس

١٩٨٦- أكتوبر: أعضاء من جبهة التحرير الفلسطينية يختطفون الباحرة
الإيطالية أكيلى لاورو.

١٩٨٧- ديسمبر: اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

١٩٨٨- فبراير أول ظهور لحركة حماس.

يوليو: الملك حسين ينهى المسئولية الإدارية للأردن على الضفة الغربية.

نوفمبر: المجلس الوطني الفلسطيني يجتمع فى الجزائر ويعلن الدولة الفلسطينية، ويعترف ضمناً بإسرائيل.

ديسمبر: عرفات يخاطب الجمعية العامة للأمم المتحدة ويعلن اعتراف منظمة التحرير بقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨.

١٩٩٠- العراق يغزو الكويت.

١٩٩١- يناير: الولايات المتحدة تبدأ الحرب ضد العراق (حرب الخليج).

أكتوبر: مؤتمر مدريد للسلام تحت رعاية الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب، أعقبه فى ديسمبر محادثات فى واشنطن.

١٩٩٢- يونيو: إسحاق رابين من حزب العمال ينتخب رئيساً لوزراء إسرائيل.

١٩٩٣- سبتمبر: رابين وعرفات يوقعان خطابات اعتراف متبادل واتفاق أوسلو (إعلان مبادئ) للحكم الذاتى للفلسطينيين والانسحاب الإسرائيلى.

١٩٩٤- يوليو: عرفات يعود لرئاسة السلطة الفلسطينية عقب البدء فى انسحاب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية.

أكتوبر: إسرائيل والأردن توقعان اتفاق سلام.

١٩٩٥- سبتمبر: اتفاق أوسلو ٢ بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية لمزيد من الانسحاب الإسرائيلى.

نوفمبر: اغتيال رابين.

١٩٩٦- يناير: انتخاب عرفات رئيساً للسلطة الفلسطينية.

مايو: بنيامين نتنياهو من الليكود يهزم شيمون بيريز من العمال ليصبح رئيساً للوزراء.

١٩٩٧- يناير: نتنياهو وعرفات يوقعان بروتوكولاً لإخلاء الخليل تحت وساطة أمريكية.

١٩٩٨: أكتوبر: نتنياهو وعرفات يتفاوضان حول اتفاقية وأى ريفر من أجل مزيد من الانسحاب الإسرائيلي تحت وساطة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون.

١٩٩٩- فبراير: وفاة الملك حسين ملك الأردن، يخلفه عبد الله الثانى.

مايو: ليهود باراك من العمال يهزم نتنياهو من الليكود ويصبح رئيساً للوزراء.

سبتمبر: توقيع اتفاق فلسطينى- إسرائيلى فى شرم الشيخ.

٢٠٠٠- مايو: إسرائيل تنسحب بشكل منفرد من المناطق المتبقية فى جنوب

لبنان.

يوليو: كلينتون يدعو عرفات وباراك فى كامب ديفيد، لم يتم التوصل لاتفاق.

سبتمبر: أرييل شارون يزور الحرم القدسى الشريف، المظاهرات المتتالية والعنف من جانب الشرطة يفجر الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

ديسمبر: الرئيس الأمريكى كلينتون يحدد الخطوط العريضة لمتطلبات اتفاق

إسرائيلى- فلسطينى.

٢٠٠١- يناير: محادثات إسرائيلية- فلسطينية فى طابا، دون التوصل لاتفاق.

فبراير: أرييل شارون من الليكود يهزم باراك من العمال ويصبح رئيساً للوزراء.

سبتمبر: الهجمات الإرهابية للقاعدة فى نيويورك وواشنطن.

٢٠٠٢- مارس: الجامعة العربية تؤيد المبادرة السعودية للسلام خلال اجتماعها في بيروت؛ مجلس الأمن يتبنى قرار ١٣٩٧ مؤيذاً حل الدولتين؛ بعد تصاعد العنف، إسرائيل تعيد احتلال أجزاء من الضفة الغربية.

٢٠٠٣- أبريل: محمود عباس أبو مازن يصبح أول رئيس وزراء فلسطيني؛ الرباعي المكون من الولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي يصدر نص خارطة الطريق للسلام الإسرائيلي- الفلسطيني.

يونيو: شارون وعباس يعقدان لقاء قمة في العقبة بالأردن تحت رعاية الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن؛ إسرائيل تبدأ في بناء "السياج الأمني".

أكتوبر: قرار مجلس الأمن ١٥١٥ بتأييد خارطة الطريق وحل الدولتين؛ مفاوضات غير حكومية فلسطينيين وإسرائيليين يكشفون النقاب عن اتفاق جنيف.

٢٠٠٤- أبريل: شارون يعلن عن خطط إسرائيلية لانسحاب أحادي الطرف من أراضي فلسطينية.

نوفمبر: وفاة عرفات في باريس.

٢٠٠٥- يناير: انتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة الفلسطينية.

أغسطس: إسرائيل تسحب قواتها وتطرد ما بين ٨٠٠٠ و ٩٠٠٠ مستوطن من قطاع غزة.

٢٠٠٦- يناير: رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون يصاب بالعمى جراء جلطة دماغية، يخلفه إيهود أولمرت، حماس تفوز بالأغلبية في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني.

يوليو: حرب إسرائيل وحزب الله على امتداد الحدود الإسرائيلية- اللبنانية.
٢٠٠٧- مارس: تأييد خطة الجامعة العربية للسلام خلال قمة السعودية.
يونيو: ميليشيات حماس تهزم قوات فتح في حرب أهلية بغزة.
يوليو: ممثلو الجامعة العربية يزورون القدس لتعزيز اتفاق السلام.
نوفمبر: أولمرت وعباس يحضران مؤتمر أنابوليس للسلام برعاية الرئيس
الأمريكي بوش.

المراجع

- 1948: *Sixty Years After*, special issue of *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 15:1-2 (2008).
- Abbas, Mahmoud [Abu Mazen], *Through Secret Channels: The Road to Oslo: Senior PLO Leader Abu Mazen's Revealing Story of the Negotiations with Israel*, Concord, MA: Paul [Reading: Garnet], 1995.
- Abbasi, Mustafa, "The End of Arab Tiberias: The 1948 Battle for the City," *Journal of Palestine Studies* 37:3 (Spring 2008), 6-29.
- Abboushi, W. F., *The Unmaking of Palestine*, Wisbech, UK: Middle East and North African Studies Press / Boulder, CO: Lynne Rienner, 1985.
- Abcarius, M[ichel] F[red], *Palestine through the Fog of Propaganda*, introduction by Major-General Sir E. L. Spears, London /New York [etc.]: Hutchinson, 1946. [Westport, CT: Hyperion Press reprint 1976].
- Abdel-Jawad, Saleh, "The Arab and Palestinian Narratives of the 1948 War," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 72-114.
- Abu El-Haj, Nadia, *Facts on the Ground: Archeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society*, Chicago: University of Chicago Press, 2001.
- Abu-Amr, Ziad, " Hamas: A Historical and Political Background," *Journal of Palestine Studies* 22:4 (Summer 1993), 5-19.
- Abu-Odeh, Adnan, *Jordanians, Palestinians and the Hashemite Kingdom in the Middle East Peace Process*, Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 1999.
- Abu-Sharif, Bassam, and Uzi Mahnaimi, *Best of Enemies: The Memoirs of Bassam Abu-Sharif and Uzi Mahnaimi*, Boston, MA: Little, Brown, 1995.
- Abunimah, Ali, "Israel's 'Auschwitz Borders' Revisited," *Desertpeace*, 8 December 2008, accessed online 14 February 2009 at <http://desertpeace.wordpress.com/2008/12/08/israels-auschwitz-borders-revisited/>
- Adam, Heribert, and Kogila Moodley, *Seeking Mandela: Peacemaking between Israelis and Palestinians*, Philadelphia, PA: Temple University Press, 2005.

- Agha, Hussein, Shai Feldman, Alunad Khalidi, and Zeev Schiff. *Track-II Diplomacy: Lessons from the Middle East*, Cambridge, MA: MIT Press, 2003.
- Alami, Musa. "The Lesson of Palestine," *Middle East Journal* 3:4 (October 1949), 373-405.
- Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*, New York: G. P. Putnam's Sons, 1946 [orig. London: Hamish Hamilton, 1938; reprinted New York: Capricorn, 1965].
- Appleby, Joyce, Lynn Hunt, and Margaret Jacob. *Telling the Truth about History*, New York / London: W. W. Norton, 1994.
- Arab Executive Committee. Memorandum on the White Paper of October 1930, prepared by Aouni Abdul-Hadi, Jerusalem, December 1930, reproduced in *Documents of the Palestinian National Movement, 1918-1939: From the Papers of Akram Zuaytir*, ed. Bayan Nuwayhid al-Hout, Beirut: Institute for Palestine Studies, 1979, doc. 167 [pp. 333-53].
- Arab Higher Committee. *Memorandum Submitted by the Arab Higher Committee to the Permanent Mandates Commission and the Secretary of State for the Colonies*, [Jerusalem] dated 23 July 1937, reprinted in *The Rise of Israel v. 17. Arab-Jewish Relations, 1921-1937*, ed. and introduced by Aaron S. Klieman, New York / London: Garland Publishing, 1987, 216-30.
- The Arab-Israeli Conflict*, ed. John Norton Moore, 3 vols., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1974.
- The Arab-Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991.
- The Arab-Israeli Conflict: Two Decades of Change*, eds. Yehuda Lukacs and Abdalla M. Battah, Boulder, CO / London: Westview Press, 1988.
- Arab-Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podch and Asher Kaufman, Brighton: Sussex Academic Press, 2005.
- Arab Nationalism: An Anthology*, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962.
- Aronson, Geoffrey. *Creating Facts: Israel, Palestinian and the West Bank*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987.
- The Assassination of Yitzhak Rabin*, ed. Yoram Peri, Stanford, CA: Stanford University Press, 2000.
- Avineri, Shlomo. *The Making of Modern Zionism: Intellectual Origins of the Jewish State*, New York: 1981.
- Avineri, Shlomo. "The Socialist Zionism of Chaim Arlosoroff," *Jerusalem Quarterly* 34 (Winter 1985), 68-87.
- Avneri, Arieh L., *The Claim of Dispossession: Jewish Land-Settlement and the Arabs, 1878-1948*, New Brunswick, NJ: Transaction Books, 1984 (transl. from the Hebrew [1980] by the Kfar-Blum Translation Group).
- Avnery, Uri. *My Friend, the Enemy*, Westport, CT: Lawrence Hill, 1986.
- Baihum, Muhammad Jamil. "Arabism and Jewry in Syria," (1957), transl. in *Arab Nationalism: An Anthology*, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962, 128-46.

- Barak, Ehud, "The Myths Spread about Camp David Are Baseless," in *The Camp David Summit--What Went Wrong? Americans, Israelis, and Palestinians Analyze the Failure of the Boldest Attempt Ever to Resolve the Palestinian-Israeli Conflict*, eds. Shimon Shamir and Bruce Maddy-Weitzman, Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2005, 117-47.
- Bar-On, Dan, and Saliba Sarsar, "Bridging the Unbridgeable: The Holocaust and al-Nakba," *Palestine-Israel Journal* 11:1 (2004), 63-70.
- Bar-On, Dan, and Sami Adwan, "The Psychology of Better Dialogue between Two Separate but Interdependent Narratives," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 205-24.
- Bar-On, Mordechai, *The Gates of Gaza: Israel's Road to Suez and Back, 1955-1957*, transl. Ruth Rossing, New York: St. Martin's Press, 1994.
- Bar-On, Mordechai, "Historiography as an Educational Project: The Historians' Debate in Israel and the Middle East Peace Process," in *The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives*, ed. Ilan Peleg, Albany: State University of New York Press, 1998, 21-38.
- Bar-On, Mordechai, "Remembering 1948: Personal Recollections. Collective Memory, and the Search for 'What Really Happened'," in *Making Israel*, ed. Benny Morris, Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 29-46.
- Bar-On, Mordechai, "Three Days in Sèvres, October 1956," *History Workshop Journal* 62 (2006), 172-86.
- Bar-On, Mordechai, Benny Morris, and Motti Golani, "Reassessing Israel's Road to Sinai/Suez, 1956: A Trialogue," in *Traditions and Transitions in Israel Studies: Books on Israel volume 6*, eds. Laura Zittrain Eisenberg, Neil Caplan, Naomi B. Sokoloff, and Mohammed Abu-Nimer, Albany: State University of New York Press, 2002, 3-41.
- Bar-Sinan-Tov, Yaacov, *The Israeli-Egyptian War of Attrition, 1969-1970*, New York: Columbia University Press, 1980.
- Bar-Yaacov, N., *The Israeli-Syrian Armistice: Problems of Implementation, 1949-1966*, Jerusalem: Magnes Press (Hebrew University), 1967.
- Bauer, Yehuda, "From Cooperation to Resistance: The Haganah 1938-1946," *Middle Eastern Studies* 11 (1965-1966), 182-210.
- Bauer, Yehuda, *From Diplomacy to Resistance: A History of Jewish Palestine, 1939-1945*, transl. Alton M. Winters, Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1970.
- Bauer, Yehuda, *A History of the Holocaust*, Danbury, CT: Franklin Watts, 1982.
- Bauer, Yehuda, *Rethinking the Holocaust*, New Haven, CT / London: Yale University Press, 2001.
- Begin, Menachem, *The Revolt [Story of the Irgun]*, foreword by Rabbi Meir Kahane, Los Angeles: Nash Publishing, 1972 [orig. New York: Schuman / London: W. H. Allen, 1948/1951].
- Beilin, Yossi, *Touching Peace: From the Oslo Accord to a Final Agreement*, transl. from the Hebrew by Phillip Simpson, London: Weidenfeld and Nicolson, 1999.
- Bell, J. Bowyer, *Terror out of Zion: Irgun Zvai Leumi, LEHI, and the Palestine Underground, 1929-1949*, New York: St. Martin's Press, 1977 [reissued as *Terror out*

- of Zion: *The Fight for Israeli Independence*, with a new introduction by the author and a foreword by Moshe Arens. New Brunswick, NJ: Transaction, 1996].
- Ben-David, Calev, "Heroes under Attack," *The Jerusalem Report*, 29 December 1994, 12-17.
- Ben-Gurion, David, *My Talks with Arab Leaders*, transl. Aryeh Rubinstein and Misha Louvish, ed. Misha Louvish, Jerusalem: Keter, 1972.
- Ben-Gurion, David, "Our Friend: What Wingate Did for Us," *Jewish Observer and Middle East Review*, 27 September 1963, 15-16, reproduced in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi, Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987, 382-7.
- Benvenisti, Meron, *Conflicts and Contradictions*, New York: Villard Books, 1986.
- Benvenisti, Meron, *Sacred Landscape: The Buried History of the Holy Land since 1948*, transl. Maxine Kaufman-Lacusta, Berkeley / London: University of California Press, 2000.
- Ben-Yehuda, Hemda, "Policy Transformation in the Middle East: Arms Control Regimes and National Security Reconciled," in *Review Essays in Israel Studies: Books on Israel*, vol. V, eds. Laura Zittrain Eisenberg and Neil Caplan. Albany: State University of New York Press, 2000, 173-91.
- Ben-Yehuda, Nachman, *The Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel*, Madison: The University of Wisconsin Press, 1995.
- Berger, Earl, *The Covenant and the Sword: Arab-Israeli Relations, 1948-56*, Toronto: University of Toronto Press [London: Routledge and Kegan Paul], 1965.
- Bickerton, Ian J., and Carla L. Klausner, *A History of the Arab-Israeli Conflict*, 5th ed., Upper Saddle River, NJ: Pearson / Prentice Hall, 2007.
- Biger, Gideon, "The Boundaries of Israel-Palestine, Past, Present and Future: A Critical Geographical View," *Israel Studies* 13:1 (Spring 2008), 68-93.
- Bishara, Marwan, *Palestine/Israel: Peace or Apartheid: Prospects for Resolving the Conflict*, London: Zed Books / Halifax, NS: Fernwood, 2001.
- Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens, London / New York: Verso, 1988.
- Blechman, Barry M., "The Impact of Israel's Reprisals on Behavior of the Bordering Arab Nations Directed at Israel," *Journal of Conflict Resolution* 16:2 (June 1972), 155-81.
- Boutros-Ghali, Boutros, *Egypt's Road to Jerusalem*, New York: Random House, 1997.
- Bowden, Tom, "The Politics of the Arab Rebellion in Palestine, 1936-39," *Middle Eastern Studies* XI:2 (May 1975), 148-74.
- Bowersock, G. W., "Palestine: Ancient History and Modern Politics," *Journal of Palestine Studies* 56 (Summer 1985), 49-57, reproduced in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens, London: Verso, 2001, 181-91.
- Brecher, Michael, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, New Haven, CT: Yale University Press, 1975.

- Brecher, Michael. *The Foreign Policy System of Israel: Setting, Images, Process*. London / Toronto / Melbourne: Oxford University Press, 1972.
- Brecher, Michael, and Jonathan Wilkenfeld. *A Study of Crisis*. Ann Arbor: The University of Michigan Press, 2000.
- Bridging the Divide: *Peacebuilding in the Israeli-Palestinian Conflict*, eds. Edy Kaufman, Walid Salem, and Juliette Verhoeven, foreword by N. Chazan and H. Siniora. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006.
- Bronstein, Eitan, "The Nakba in Hebrew: Israeli-Jewish Awareness of the Palestinian Catastrophe and Internal Refugees," in *Catastrophe Remembered: Palestine, Israel and the Internal Refugees: Essays in Memory of Edward W. Said*, ed. Nur Masalha, London / New York: Zed Books, 2005, 214-41.
- Bruno, Michael, "Israeli Policy in the 'Administered Territories'," in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman, New York: Bantam, 1972, 249-65.
- Brzezinski, Zbigniew. *Power and Principle: Memoirs of the National Security Advisor, 1977-1981*. New York: Farrar, Straus, Giroux, 1983.
- Buehrig, Edward H., *The UN and the Palestinian Refugees: A Study in Nonterritorial Administration*. Bloomington: Indiana University Press, 1971.
- Burg, Avraham. *The Holocaust is Over: We Must Rise from Its Ashes*. London: Palgrave-Macmillan, 2008.
- Burns, E. L. M., *Between Arab and Israeli*. New York: Ivan Obolensky, 1963.
- The Camp David Summit—What Went Wrong? Americans, Israelis, and Palestinians Analyze the Failure of the Boldest Attempt Ever to Resolve the Palestinian-Israeli Conflict*, eds. Shimon Shamir and Bruce Maddy-Weitzman, Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2005.
- Caplan, Neil, "Arab-Jewish Contacts in Palestine after the First World War," *Journal of Contemporary History* XII:4 (October 1977), 635-68.
- Caplan, Neil, "Faisal Ibn Husain and the Zionists: A Re-examination with Documents," *International History Review* V:4 (November 1983), 561-614.
- Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, vol. I: *Early Arab-Zionist Negotiation Attempts, 1913-1931*. London: Frank Cass, 1983.
- Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, vol. II: *Arab-Zionist Negotiations and the End of the Mandate*. London: Frank Cass, 1986.
- Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, vol. III: *The United Nations, the Great Powers and Middle East Peacemaking, 1948-1954*. London: Frank Cass, 1997.
- Caplan, Neil, *Futile Diplomacy*, vol. IV: *Operation Alpha and the Failure of Anglo-American Coercive Diplomacy in the Arab-Israeli Conflict, 1954-1956*. London: Frank Cass, 1997.
- Caplan, Neil, "The Holocaust and the Arab-Israeli Conflict," in *So Others Will Remember: Holocaust History and Survivor Testimony*, ed. Ronald Headland, Montreal: Vehicule Press, 1999, 82-97.
- Caplan, Neil, "Negotiation and the Arab-Israeli Conflict," *Jerusalem Quarterly* 6 (Winter 1978), 3-19.
- Caplan, Neil. *Palestine Jewry and the Arab Question, 1917-1925*. London: Frank Cass, 1978.

- Caplan, Neil, "The 'Sharettist Option' Revisited," in *Arab-Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podch and Asher Kaufman, Brighton: Sussex Academic Press, 2005, 64-73.
- Caplan, Neil, "Zionist Visions of Palestine, 1917-1936," *The Muslim World* LXXXIV: 1-2 (January-April 1994), 19-35.
- Carter, Jimmy, *Keeping Faith: Memoirs of a President*, New York: Bantam, 1982.
- Carter, Jimmy, *Palestine: Peace not Apartheid*, New York: Simon and Schuster, 2007.
- Cattan, Henry, *Palestine and International Law: The Legal Aspects of the Arab-Israel Conflict*, 2nd ed., foreword by W. T. Mallison, Jr., London: Longman, 1976.
- Chapman, Colin, *Whose Promised Land?* updated ed., Oxford: Lion Publishing, 1992.
- Childers, Erskine B., "The Other Exodus," *The Spectator* (London), 12 May 1961, reproduced in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi, Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987, 795-806.
- Childers, Erskine B., "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees," in *The Transformation of Palestine*, ed. Ibrahim Abu Lughod, 2nd ed., Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 165-202.
- Chill, Dan S., *The Arab Boycott of Israel: Economic Aggression and World Reaction*, New York: Praeger, 1976.
- Chomsky, Noam, *Peace in the Middle East? Reflections on Justice and Nationhood*, New York, 1974.
- Christison, Kathleen, "The Arab-Israeli Policy of George Shultz," *Journal of Palestine Studies* 18:2 (Winter 1989), 29-47.
- Cleveland, William, *A History of the Modern Middle East*, Boulder, CO: Westview Press, 2005.
- Cohen, Aharon, *Israel and the Arab World*, New York: Funk and Wagnalls, 1970.
- Cohen, Avner, *Israel and the Bomb*, New York: Columbia University Press, 1998.
- Cohen, Geula, *Woman of Violence: Memoirs of a Young Terrorist, 1943-1948*, transl. Hillel Halkin, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1966.
- Cohen, Hillel, "Why Do Collaborators Collaborate? The Case of Palestinians and Zionist Institutions, 1917-1936," in *Arab-Jewish Relations: From Conflict to Resolution? Essays in Honour of Prof. Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podch and Asher Kaufman, Brighton: Sussex Academic Press, 2005, 43-63.
- Cohen, Israel, *The Zionist Movement*, London: Frederick Muller, 1945.
- Cohen, Michael J., "Churchill and the Balfour Declaration: The Interpretation, 1920-1922," in *The Great Powers in the Middle East, 1919-1939*, ed. Uriel Dann, New York / London: Holmes and Meier, 1988, 91-108.
- Cohen, Michael J., "Sir Arthur Wauchope, the Army, and the Rebellion in Palestine, 1936," *Middle Eastern Studies* IX (1973), 19-34.
- Cohen, Michael J., *Palestine and the Great Powers, 1945-1948*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.
- Cohen, Stanley, *States of Denial. Knowing about Atrocities and Suffering*, Cambridge, UK / Malden, MA: Polity/Blackwell, 2001.

- Cohen, Stephen. "Intractability and the Israeli-Palestinian Conflict." in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005. 343-55.
- Collins-Kreiner, N., Y. Mansfeld, and N. Kliot. "The Reflection of a Political Conflict in Mapping: The Case of Israel's Borders and Frontiers." *Middle Eastern Studies* 42:3 (2006). 381-408.
- Corbin, Jane. *Gaza First: The Secret Norway Channel to Peace between Israel and the PLO*. London: Bloomsbury, 1994.
- Crocker, Chester A., Fen Osler Hampson, and Pamela Aull. "From Intractable to Tractable: The Outlook and Implications for Third Parties." in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*. Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005. 375-86.
- Crossman, Richard. *Palestine Mission: A Personal Record*. New York: Harper and Bros., 1947.
- Crum, Bartley. *Behind the Silken Curtain: A Personal Account of Anglo-American Diplomacy in Palestine and the Middle East*. New York: Simon and Schuster, 1947.
- Dann, Uriel. "Glubb's Ouster and its Aftermath." in U. Dann, *King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism: Jordan, 1955-1967*. New York / Oxford: Oxford University Press, 1989. 31-8.
- Davis, Uri. *Apartheid Israel: Possibilities for the Struggle Within*. London: Zed Books, 2003.
- Davis, Uri. *Israel: An Apartheid State*. London: Zed Books. London 1987 and 1990.
- Dawidowicz, Lucy S., *The War against the Jews, 1933-1945*. New York, etc.: Bantam Books, 1986.
- Dayan, Moshe. *Breakthrough: A Personal Account of the Egypt-Israel Peace Negotiations*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1981.
- Dayan, Moshe. *Diary of the Sinai Campaign*. New York: Harper and Row, 1966.
- Dayan, Moshe. "Israel's Border and Security Problems." *Foreign Affairs* 33:2 (January 1955). 250-67.
- Dayan, Moshe. *Living with the Bible*. London: Weidenfeld and Nicolson, 1978.
- Dekel, Ephraim. *Briha: Flight to the Homeland*, transl. from the Hebrew by Dina Ettinger, ed. Gertrude Hirschler. New York, Herzl Press, 1973.
- Dershowitz, Alan. *The Case for Israel*. New York: John Wiley, 2003.
- Dershowitz, Alan. "Civil Liberties in Israel: The Problem of Preventive Detention." in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman. New York: Bantam, 1972. 266-99.
- Dessouki, Ali E. Hillal. "Arab Intellectuals and al-Nakba: The Search for Fundamentalism." *Middle Eastern Studies* IX (1973). 187-95.
- Diamant, Ety. "Return to Haifa Confronts Holocaust Victims with Palestinian Refugees." *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 15:1-2 (2008). 210-12.
- Dissenter in Zion: From the Writings of Judah L. Magnes*, ed. Arthur A. Goren. Cambridge, MA / London: Harvard University Press, 1982.
- A Documentary History of the Arab-Israeli Conflict*, ed. and with historical introductions by Charles L. Geddes. New York, etc.: Praeger, 1991.

- Doumani, Beshara, "Rediscovering Ottoman Palestine: Rewriting Palestinians into History," in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 11–40.
- Dowek, Ephraim, *Israeli–Egyptian Relations, 1980–2000*, foreword by Yitzhak Shamir, London: Frank Cass, 2001.
- Dowty, Alan, *Israel/Palestine*, 2nd ed., Malden, MA / Cambridge, UK: Polity Press, 2008.
- Dowty, Alan, *The Jewish State: A Century Later*, Berkeley / Los Angeles / London: University of California Press, 1998.
- Dumper, Michael, *The Politics of Sacred Space: The Old City of Jerusalem in the Middle East Conflict*, Boulder, CO: Lynne Rienner, 2002.
- Dynamics of a Conflict: A Re-examination of the Arab–Israeli Conflict*, ed. Gabriel Sheffer, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1975.
- Eban, Abba, *An Autobiography*, New York: Random House, 1977.
- Eban, Abba, *Personal Witness: Israel through My Eyes*, New York: G. P. Putnam's Sons, 1992.
- Eban, Abba, "Some Unsystematic Thinking about the Arab–Israeli Conflict," in *Dynamics of a Conflict: A Re-examination of the Arab–Israeli Conflict*, ed. Gabriel Sheffer, Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press, 1975, 349–66.
- Efrat, Elisha, "Jerusalem: Partition Plans for a Holy City," in *Israel: The First Hundred Years*, vol. 2, *From War to Peace?* ed. Efraim Karsh, London: Frank Cass, 2000, 238–57.
- Eisenberg, Laura Zittrain, and Neil Caplan, *Negotiating Arab–Israeli Peace: Patterns, Problems, Possibilities*, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 1998.
- Elam, Yigal, "Haganah, Irgun and 'Stern': Who Did What?" *Jerusalem Quarterly* 23 (Spring 1982), 70–8.
- Eldar, Akiva, "The Refugee Problem at Tabá: Akiva Eldar Interviews Yossi Beilin and Nabil Sha'ath," *Palestine–Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 9:2 (2002), 12–23.
- Elon, Amos, *The Israelis: Founders and Sons*, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971.
- Elpeleg, Zvi, *The Grand Mufti: Haj Amin al-Husseini, Founder of the Palestinian National Movement*, transl. David Harvey, ed. Shmuel Himelstein, London: Frank Cass, 1993.
- Encyclopedia of the Palestinians*, rev. ed., ed. Philip Mattar, New York: Facts on File, 2005.
- ESCO Foundation for Palestine, Inc., *Palestine: A Study of Jewish, Arab, and British Policies*, 2 vols., New Haven, CT: Yale University Press, 1947.
- Evans, Richard J., *In Defense of History*, London / New York: W. W. Norton, 1999.
- Evron, Boaz, "The Holocaust: Learning the Wrong Lessons," *Journal of Palestine Studies* 10:3 (Spring 1981), 16–25.
- Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews*, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005.
- Feinberg, Nathan, "The Question of Sovereignty over Palestine," *On an Arab Jurist's Approach to Zionism and the State of Israel*, reproduced in *The Arab–Israeli*

- Conflict: Readings and Documents*, abridged and rev. ed., ed. John Norton Moore. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1977. 63–5.
- Feinberg, Nathan. *Studies in International Law: With Special Reference to the Arab-Israel Conflict*. Jerusalem: Magnes Press, Hebrew University, 1979.
- Finkelstein, Israel, and Neil Asher Silberman. *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the Origin of Its Sacred Texts*. New York: Free Press, 2001.
- Finkelstein, Norman G., "Disinformation and the Palestine Question: The Not-So-Strange Case of Joan Peters's *From Time Immemorial*," in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens. London: Verso, 2001. 33–69.
- Finkelstein, Norman G., *Image and Reality of the Israel-Palestine Conflict*, new and rev. ed., New York: W. W. Norton [2nd ed., London: Verso], 2003.
- Firestone, Reuven, *Children of Abraham: An Introduction to Judaism for Muslims*. Hoboken, NJ: Ktav, 2001.
- Fischbach, Michael R., "Palestinian and Mizrahi Jewish Property Claims in Discourse and Diplomacy," in *Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews*, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005. 207–24.
- Fischbach, Michael R., "Palestinian Refugee Compensation and Israeli Counter-claims for Jewish Property in Arab Countries," *Journal of Palestine Studies* 38:1 (Autumn 2008). 6–24.
- Flapan, Simha, *The Birth of Israel: Myths and Realities*. New York: Pantheon, 1987.
- Flapan, Simha, *Zionism and the Palestinians*. New York: Barnes and Noble / London: Croom Helm, 1979.
- Forsythe, David P., *United Nations Peacemaking: The Conciliation Commission for Palestine*. Baltimore, MD / London: Johns Hopkins University Press, 1972.
- Freiberg, Dov, *To Survive Sobibor*, transl. Barbara Doron. Jerusalem / New York: Gefen, 2007.
- Friedman, Isaiah, *Palestine, A Twice-Promised Land?* New Brunswick, NJ: Transaction Publishers, 2000.
- Friedman, Isaiah, *The Question of Palestine, 1914–1918: British-Jewish-Arab Relations*. London: Routledge and Kegan Paul, 1973.
- Friedman, Robert I., *Zealots for Zion: Inside Israel's West Bank Settlement Movement*. New York: Random House, 1992.
- From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi. Beirut: 1971; 2nd printing, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987.
- Frye, Northrop, "The Knowledge of Good and Evil," in N. Frye, Stuart Hampshire, and Conor Cruise O'Brien, *The Morality of Scholarship*, ed. Max Black. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1967. 3–28.
- Frye, Northrop, Stuart Hampshire, and Conor Cruise O'Brien, *The Morality of Scholarship*, ed. Max Black. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1967.
- The Future of Palestine and Israel: From Colonial Roots to Postcolonial Realities*, ed. Aslam Farouk-Alli. Midrand, South Africa: Institute for Global Dialogue, 2007.

- Gabbay, Rony E., *A Political Study of the Arab-Jewish Conflict: The Arab Refugee Problem (A Case Study)*. Geneva: Librairie E. Droz [Paris: Librairie Minard], 1959.
- Galnoor, Yitzhak, *The Partition of Palestine: Decision Crossroads in the Zionist Movement*. Albany: State University of New York Press, 1995.
- Garcia-Granados, Jorge, *The Birth of Israel: The Drama as I Saw It*. New York: Knopf, 1948.
- Garfinkle, Adam M., "Genesis," in *The Arab-Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, ch. 1.
- Gazit, Mordechai, "Egypt and Israel—Was there a Peace Opportunity Missed in 1971?" *Journal of Contemporary History* 32:1 (January 1997), 97–115.
- Gazit, Shlomo, *Trapped Fools: Thirty Years of Israeli Policy in the Territories*, introduction by Shimon Peres. London: Frank Cass, 2003.
- Gelber, Yoav, "The History of Zionist Historiography: From Apologetics to Denial," in *Making Israel*, ed. Benny Morris. Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 47–80.
- Gershoni, Israel, "Rejecting the West: The Image of the West in the Teachings of the Muslim Brotherhood, 1928–1939," in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 370–90.
- Gerson, Allan, *Israel, the West Bank and International Law*. London / Totowa, NJ: Frank Cass, 1978.
- Gervasi, Frank, *The Case for Israel*, foreword by Abba Eban. New York: Viking Press, 1967.
- Gilbert, Martin, *The Routledge Atlas of the Arab-Israeli Conflict*, 7th ed., London / New York: Routledge, 2002.
- Ginor, Isabella, "The Cold War's Longest Cover-up: How and Why the USSR Instigated the 1967 War," *MERIA* 7:3 (September 2003).
- Ginor, Isabella, "The Russians Were Coming: The Soviet Military Threat in the 1967 Six-Day War," *MERIA* 4:4 (December 2000).
- Ginor, Isabella, "Under the Yellow Arab Helmet Gleaned Blue Russian Eyes: Operation *Kavkaz* and the War of Attrition," *Cold War History* 3:1 (October 2002), 129–56.
- Ginor, Isabella, and Gideon Remez "The Six-Day War as a Soviet Initiative: New Evidence and Methodological Issues," *MERIA* 12:3 (September 2008).
- Ginor, Isabella, and Gideon Remez, "The Spymaster, the Communist, and Foxbats over Dimona: The USSR's Motive for Instigating the Six-Day War," *Israel Studies* 11:2 (Summer 2006), 88–130.
- Glock, Albert, "Archaeology as Cultural Survival: The Future of the Palestinian Past," *Journal of Palestine Studies* 23:3 (1994), 70–84.
- Glock, Albert, "Cultural Bias in the Archaeology of Palestine," *Journal of Palestine Studies* 24:4 (1995), 48–59.
- Glubb, J. B., "Violence on the Jordan-Israel Border: A Jordanian View," *Foreign Affairs* 32:4 (July 1954), 552–62.
- Gluska, Ami, "The War over the Water' during the 1960s," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On, Westport, CT / London: Praeger, 2004, 109–31.

- Goitein, S. D., *Jews and Arabs: Their Contacts through the Ages*, 3rd ed., New York: Schocken, 1974.
- Golan, Galia, *Israel and Palestine: Peace Plans and Proposals from Oslo to Disengagement*, Princeton, NJ: Markus Wiener, 2007.
- Golani, Motti, *Israel in Search of War: The Sinai Campaign, 1955–1956*, Brighton: Sussex Academic Press, 1998.
- Gonen, Jay Y., *A Psychohistory of Zionism*, New York: Mason-Charter, 1975.
- Gorenberg, Gershom, *The Accidental Empire: Israel and the Birth of the Settlements, 1967–1977*, New York: Times Books, 2006.
- Gottheil, Fred M., "Arab Immigration into Pre-State Israel: 1922–1931," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London: Frank Cass, 1982, 143–52.
- Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*, eds. Chester A. Crocker, Fen Osler Hampson, and Pamela Aall, Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005.
- Great Britain, The Anglo-American Committee of Enquiry Regarding the Problems of European Jewry and Palestine, *Report, 1946* (Lausanne 20 April 1946), Cmd. 6808, London: HMSO, 1946.
- Great Britain, Colonial Office, *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development by Sir John Hope Simpson*, Cmd. 3686, October 1930.
- Great Britain, Colonial Office, *Palestine: Statement of Policy*, Cmd. 3692, October 1930 ("Passfield White Paper," reproduced in *A Documentary History of the Arab-Israeli Conflict*, ed. and with historical introductions by Charles L. Geddes, New York, etc.: Praeger, 1991, 113–40).
- Great Britain, Colonial Office, *Palestine: Statement of Information Relating to Acts of Violence*, July 1946, Cmd. 6873, London: HMSO, 1946.
- Great Britain, Palestine Royal Commission, *Minutes of Evidence Heard at Public Sessions (with Index)*, Colonial No. 134, London: HMSO, 1937. Reproduced in *The Rise of Israel*, vol. 22: *The Palestine Royal Commission*, ed. and with an Introduction by Aaron S. Kileman, New York / London: Garland, 1987.
- Great Britain, Palestine Royal Commission, *Report Presented by the Secretary of State for the Colonies to Parliament by Command of His Majesty, July 1937*, Cmd. 5479, London: HMSO, 1937.
- Great Britain [United Kingdom], *A Survey of Palestine, Prepared in December 1945 and January 1946 for the Information of the Anglo-American Committee of Inquiry*, HMSO: 1946, reprinted 1991 by the Institute for Palestine Studies, Washington, DC.
- The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann, New York / London: Holmes and Meier, 1988.
- Grob, Leonard, and John K. Roth, eds., *Anguished Hope: Holocaust Scholars Confront the Palestinian-Israeli Conflict*, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 2008.
- Gross, Netty C., "Demolishing David," *Jerusalem Report*, 11 September 2000, 40–6.
- Gunning, Jeroen, *Hamas in Politics: Democracy, Religion and Violence*, New York: Columbia University Press, 2008.

- Habibi, Emil, "Your Holocaust, Our Catastrophe," *The Tel Aviv Review* 1:1 (January 1988), 332-6.
- Hadawi, Sami, *Arab Boycott of Israel: Peaceful, Defensive and Constructive*, Ottawa: Arab League Information Center, 1977.
- Hanlel, Akram, *The Camp David Papers*, Ramallah: Al-Ayyam Newspaper, 2000; an abbreviated version appears in the *Journal of Palestine Studies* 30:2 (Winter 2001), 75-97.
- Hareven, Shulamith, *The Vocabulary of Peace: Life, Culture and Politics in the Middle East*, San Francisco: Mercury House, 1995.
- Harkabi, Yehoshafat, "The Debate at the Twelfth Palestinian National Council" (July 1974), in Harkabi, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 269-83.
- Harkabi, Yehoshafat, "The Last Reminiscence, January 14, 1994" an interview with Pinhas Ginossar and Zaki Shalom, *Israel Studies* 1:1 (Spring 1996), 171-95.
- Harkabi, Yehoshafat, "The Meaning of 'a Democratic Palestinians State'" (April 1970), in Harkabi, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 70-106.
- Harkabi, Yehoshafat, *The Palestinian Covenant and Its Meaning*, London: Valentine Mitchell, 1979.
- Harkabi, Yehoshafat, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974.
- Harkabi, Yehoshafat, "Who Is to Blame for the Persistence of the Arab-Israeli Conflict?: Lessons from Five Explanations," in Harkabi, *Palestinians and Israel*, New York: John Wiley (Halsted Press), 1974, 220-41.
- Heikal, Mohamed, *The Road to Ramadan*, New York: Quadrangle, 1975.
- Heikal, Mohamed, *Secret Channels: The Inside Story of Arab-Israeli Peace Negotiations*, London: HarperCollins, 1996.
- Heller, Joseph, *The Birth of Israel, 1945-1949: Ben-Gurion and His Critics*, Gainesville, etc.: University Press of Florida, 2000.
- Heller, Joseph, *The Stern Gang: Ideology, Politics, and Terror, 1940-1949*, London / Portland, OR: Frank Cass, 1995.
- Heller, Mark A., *A Palestinian State: The Implications for Israel*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1983.
- Heller, Mark A., and Sari Nusseibeh, *No Trumpets, No Drums: A Two-State Settlement of the Israeli-Palestinian Conflict*, New York: Hill and Wang, 1991.
- Herman, Simon N., "In the Shadow of the Holocaust," *Jerusalem Quarterly* 3 (Spring 1977), 85-102.
- Herman, Simon N., *Israelis and Jews: The Continuity of an Identity*, Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1971.
- Herzog, Chaim, *The Arab-Israeli Wars*, New York: Random House, 1982.
- Herzog, Chaim, *The War of Atonement: The Inside Story of the Yom Kippur War*, London: Greenhill Books, 2003.
- Hitchens, Christopher, "Broadcasts," in *Blaming the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question*, eds. Edward W. Said and Christopher Hitchens, London: Verso, 2001, 73-83.

- Horowitz, David. *State in the Making*, transl. Julian Meltzer, New York: Alfred A. Knopf, 1953.
- Hourani, Albert. "The Case against a Jewish State in Palestine: Albert Hourani's Statement to the Anglo-American Committee of Enquiry of 1946," *Journal of Palestine Studies* 35:1 (Autumn 2005), 80–90.
- Hourani, Cecil A., "The Moment of Truth: Towards a Middle East Dialogue," *Encounter* 29:5 (1967), 3–14, reproduced in *A Middle East Reader*, ed. Irene L. Gendzier, Indianapolis / New York: Pegasus, 1969, 384–405.
- Hurewitz, J. C., *The Struggle for Palestine*, New York: Norton, 1950 [Greenwood Reprint 1968].
- Hurewitz, J. C., ed., *Diplomacy in the Near and Middle East: A Documentary Record 1535–1956*, Cambridge: Cambridge University Press, 1987.
- Hutchinson, E. H., *Violent Truce: A Military Observer Looks at the Arab–Israeli Conflict, 1951–1955*, New York: Devin-Adair, 1956.
- Iklé, Fred Charles, *Every War Must End*, 2nd rev. ed., New York: Columbia University Press, 2005.
- Ilan, Amitzur, *Bernadotte in Palestine: A Study in Contemporary Humanitarian Knight-Erantry*, New York: St. Martin's Press, 1989.
- Intifada: the Palestinian Uprising against Israeli Occupation*, eds. Zachary Lockman and Joel Beinin, Boston, MA: South End Press, 1989.
- Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present*, 2nd Edition, eds. Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz, Lebanon, NH: Brandeis University Press / University Press of New England, 2008.
- Israel State Archives, *Documents on the Foreign Policy of Israel*, vol. 6 (1951), ed. Yemima Rosenthal, Jerusalem: 1991.
- Israel State Archives, *Documents on the Foreign Policy of Israel*, vol. 8 (1953), ed. Yemima Rosenthal, Jerusalem: 1995.
- The Israel–Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict*, 7th rev. ed., eds. Walter Laqueur and Barry Rubin, New York: Penguin, 2008.
- The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999.
- Israeli, Raphael, "Is Jordan Palestine?," in *Israel, the Hashemites and the Palestinians: The Fateful Triangle*, eds. Efraim Karsh and P. R. Kumaraswamy, London: Frank Cass, 2003, 49–66.
- Israeli Historical Revisionism: From Left to Right*, eds. Anita Shapira and Derek J. Penslar, London: Frank Cass, 2003.
- Israeli Historiography Revisited*, Special issue of *History & Memory* 7:1 (Spring/Summer 1995), ed. Gulié Ne'eman Arad.
- Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg, Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006.
- The Israeli–Palestinian Conflict: A Documentary Record, 1967–1990*, ed. Yehuda Lukacs, Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Jeffay, Nathan, "The Other Middle East Refugees," *Jerusalem Report*, 4 August 2008, 33–4.
- Jeffries, J. M. N., *Palestine: The Reality*, London, Longmans Green, 1939.

- John, Robert, and Sami Hadawi, *The Palestine Diary*, 2 vols., foreword by Arnold J. Toynbee, Beirut: Palestine Research Center, 1970.
- Kabha, Mustafa, "A Palestinian Look at the New Historians and Post-Zionism in Israel," in *Making Israel*, ed. Benny Morris, Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007, 299–318.
- Kahan, Yitzhak, Aharon Barak, and Yona Efrat, *Report of the Commission of Inquiry into the facts and factors connected with the atrocity carried out by a unit of the Lebanese Forces against the civilian population in the Shatilla and Sabra camps*, Jerusalem, 7 February 1983, accessed online 22 July 2008 at http://www.mideastweb.org/Kahan_report.htm
- Kamel, Mohamed Ibrahim, *The Camp David Accords: A Testimony*, New York: KPI, 1986.
- Kanafani, Ghassan, *Palestine's Children: Returning to Haifa and Other Stories*, transl. Barbara Harlow and Karen E. Riley, Boulder, CO: Lynne Rienner, 2000.
- Kaniuk, Yoram, *Commander of the Exodus*, transl. Seymour Simckes, New York: Grove Press, 1999.
- Karsh, Efraim, "1948, Israel, and the Palestinians: Annotated Text," *Commentary* [April?] 2008, accessed June 2008 online at <http://www.commentarymagazine.com/viewarticle.cfm/1948-israel-and-the-palestinians-annotated-text-11373>.
- Karsh, Efraim, *Fabricating Israeli History: The "New Historians."* 2nd rev. ed., London: Frank Cass, 2000.
- Karsh, Efraim, "Nakbat Haifa: The Collapse and Dispersion of a Major Palestinian Community," *Middle Eastern Studies* 37:4 (October 2001), 25–70.
- Katz, Samuel [Shmuel], *Battleground: Fact and Fantasy in Palestine*, updated and expanded ed., New York / Jerusalem: Steimatsky, 1985.
- Katz, Samuel [Shmuel], *Days of Fire: The Secret Story of the Making of Israel*, Jerusalem: Steimatsky [London: W. H. Allen], 1968.
- Katz, Sheila H., *Women and Gender in Early Jewish and Palestinian Nationalism*, Gainesville, etc.: University Press of Florida, 2003.
- Katz, Yossi, *Partner to Partition: The Jewish Agency's Partition Plan in the Mandate Era*, London / Portland, OR: Frank Cass, 1998.
- Kaufman, Edward [Edy], and Manuel Hassassian, "Understanding Our Israeli/Palestinian Conflict and Searching for Its Resolution," in *Regional and Ethnic Conflicts: Perspectives from the Front Lines*, eds. Judy Carter, George E. Irani, and Vamik D. Volkan, Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 2008, 87–129.
- Kayyali, A. W., *Palestine: A Modern History*, London: Croom Helm, [1978].
- Kedar, Benjamin Z., "Masada: The Myth and the Complex," *Jerusalem Quarterly* 24 (Summer 1982), 57–63.
- Kedourie, Elie, "Great Britain and Palestine: The Turning Point," in *Islam in the Modern World and Other Studies*, New York: Holt, Rinehart and Winston, 1980, 93–170.
- Kedourie, Elie, *In the Anglo-Arab Labyrinth: The McMahon-Husayn Correspondence and Its Interpretations, 1914–1939*, Cambridge: Cambridge University Press, 1976, reprinted London: Frank Cass, 2000.
- Kedourie, Elie, "Religion and Politics," in *The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies*, London: Weidenfeld and Nicolson, 1970, 317–50.

- Kelman, Herbert C.. "Creating the Conditions for Israeli-Palestinian Negotiations." *The Journal of Conflict Resolution* 26:1 (March 1982), 39-75.
- Kelman, Herbert C.. "Overcoming the Barriers to Negotiation of the Israeli-Palestinian Conflict." *Journal of Palestine Studies* 16:1 (Autumn 1986), 13-28.
- Kerr, Malcolm H.. *The Arab Cold: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958-1970*, 3rd ed., London / New York: [for the Royal Institute of International Affairs] Oxford University Press, 1971.
- Khalidi, Rashid. *The Iron Cage: The Story of the Palestinian Struggle for Statehood*, Boston, MA: Beacon, 2006.
- Khalidi, Rashid. *Palestinian Identity: The Construction of Modern National Consciousness*, New York: Columbia University Press, 1997.
- Khalidi, Rashid. *Under Siege: P.L.O. Decisionmaking during the 1982 War*, New York: Columbia University Press, 1986.
- Khalidi, Walid. *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.
- Khalidi, Walid. *Before Their Diaspora: A Photographic History of the Palestinians, 1876-1948*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1984.
- Khalidi, Walid, "The Fall of Haifa," *Middle East Forum* 35:10 (December 1959), 22-32, reproduced in "The Fall of Haifa Revisited," *Journal of Palestine Studies* 37:3 (Spring 2008), 30-58.
- Khalidi, Walid. *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992.
- Khalidi, Walid, "Plan Dalet Revisited: Master Plan for the Conquest of Palestine," *Journal of Palestine Studies* 18:1 (Autumn 1988), 3-37.
- Khalidi, Walid, "Revisiting the UNGA Partition Resolution," *Journal of Palestine Studies* 27:1 (Autumn 1997), 5-21.
- Khalidi, Walid, "Selected Documents on the 1948 Palestine War," *Journal of Palestine Studies* 27:3 (Spring 1998), 60-105.
- Khalidi, Walid, "Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State," *Foreign Affairs* 56:4 (July 1978), 695-713, reproduced in Walid Khalidi, *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992, 82-104.
- Khalidi, Walid, "The United States and the Palestinian People," (Georgetown University, March 1989), reproduced in Walid Khalidi, *Palestine Reborn*, London / New York: I. B. Tauris, 1992, 141-71.
- Khalidi, Walid, "Why Did the Palestinians Leave, Revisited," *Journal of Palestine Studies* 34:2 (Winter 2005), 42-54.
- Khoury, Fred J., "Friction and Conflict on the Israeli-Syrian Front," *Middle East Journal* 17:1-2 (Winter-Spring 1963), 14-34.
- Khoury, Fred J., "The Policy of Retaliation in Arab-Israeli Relations," *Middle East Journal* 20:4 (Autumn 1966), 435-55.
- Kimmerling, Baruch, and Joel S. Migdal. *The Palestinian People: A History*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003.
- Klein, Menachem. *Jerusalem: The Contested City*, transl. Haim Watzman, New York: New York University Press, 2001.
- Klein, Menachem. *The Jerusalem Problem: The Struggle for Permanent Status*, transl. Haim Watzman, Gainesville: University Press of Florida, 2003.

- Klein, Menachem. *A Possible Peace between Israel and Palestine: An Insider's Account of the Geneva Initiative*, transl. Haim Watzman. New York: Columbia University Press, 2007.
- Klieman, Aaron S.. "Bureaucratic Politics at Whitehall in the Partitioning of Palestine, 1937," in *The Great Powers in the Middle East, 1919-1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 128-53.
- Klieman, Aaron S.. *Israel and the World After 40 Years*. Washington, etc.: Pergamon-Brassey's, 1990.
- Kolinsky, Martin. *Law, Order and Riots in Mandatory Palestine, 1928-35*. London: St. Martin's Press, 1993.
- Korn, David A.. *Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967-1970*. Boulder, CO: Westview Press, 1992.
- Kyle, Keith. *Suez: Britain's End of Empire in the Middle East*. New York: I. B. Tauris, 2003 [earlier edition 1991].
- Laqueur, Walter Z.. *A History of Zionism*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1972; reissued New York: Schocken Books, 1989 (with a new preface by the author).
- Lassner, Jacob, and S. Ilan Troen. *Jews and Muslims in the Arab World: Haunted by Pasts, Real and Imagined*. Lanham / Boulder, etc.: Rowman and Littlefield, 2007.
- Lazarus, Ned. "Making Peace with the Duel of Narratives: Dual-Narrative Texts for Teaching the Israeli-Palestinian Conflict," *Israel Studies Forum* 23:1 (Summer 2008), 107-24.
- Lesch, Ann Mosely. *Arab Politics in Palestine, 1917-1939: The Frustration of a National Movement*. Ithaca, NY / London: Cornell University Press, 1979.
- Lesch, David W.. *The Arab-Israeli Conflict: A History*. New York / Oxford: Oxford University Press, 2008.
- Litvak, Meir, and Esther Webman. "Perceptions of the Holocaust in Palestinian Public Discourse," *Israel Studies* 8:3 (Fall 2003), 123-40.
- Lorch, Netanel. *One Long War: Arab Versus Jew since 1920*. New York: Herzl Press, 1976.
- Louis, Wm. Roger, and Roger Owen, eds.. *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*. Oxford: Clarendon Press, 1989.
- Love, Kennett. *Suez: The Twice-Fought War*. New York / Toronto: McGraw-Hill, 1969.
- Lowdermilk, Walter Clay. *Palestine, Land of Promise*, 2nd ed.. New York and London: Harper and Bros., 1944.
- Lowi, Miriam R.. *Water and Power: The Politics of a Scarce Resource in the Jordan River Basin*. New York / Cambridge: Cambridge University Press, 1993.
- Lozowick, Yaacov. *Right to Exist: A Moral Defense of Israel's Wars*. New York, etc.: Doubleday, 2003.
- Lustick, Ian S.. "Changing Rationales for Political Violence in the Arab-Israeli Conflict," *Journal of Palestine Studies* 20:1 (Autumn 1990), 54-79.
- Lustick, Ian S.. *For the Land and the Lord: Jewish Fundamentalism in Israel*. New York: Council on Foreign Relations, 1988.

- Lustick, Ian S., "Terrorism in the Arab-Israeli Conflict: Targets and Audiences," in *Terrorism in Context*, ed. Martha Crenshaw. University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1995. 514-52.
- Lustick, Ian S., *Unsettled States, Disputed Lands: Britain and Ireland, France and Algeria, Israel and West Bank-Gaza*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1993.
- MacDonald, Robert W., *The League of Arab States: A Study in the Dynamics of Regional Organization*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1965.
- Majali, Abdul Salam, Jawad A. Anani, and Munther J. Haddadin, *Peacemaking: The Inside Story of the 1994 Jordanian-Israeli Treaty*, foreword by HRH Prince El Hassan Bin Talal of Jordan, preface by David L. Boren, Norman: University of Oklahoma Press, 2006.
- Making Israel*, ed. Benny Morris, Ann Arbor: University of Michigan Press, 2007.
- Malik, Charles, "The Near East: The Search for Truth," *Foreign Affairs* 30 (January 1952), reprinted in *Arab Nationalism: An Anthology*, ed. with an introduction by Sylvia G. Haim, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1962, 189-224.
- Mallison, Jr., W. T., "The Balfour Declaration: An Appraisal in International Law," in *The Transformation of Palestine*, ed. Ibrahim Abu Lughod, 2nd ed., Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987, 61-111.
- Mallison, W. Thomas, and Sally V. Mallison, *The Palestine Problem in International Law and World Order*, Harlow, UK: Longman, 1986.
- Mandel, Daniel, H. V. Evatt and the Establishment of Israel: *The Undercover Zionist*, London: Frank Cass, 2004.
- Mandel, Neville J., *The Arabs and Zionism before World War I*, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1976.
- Ma'oz, Moshe, *Palestinian Leadership on the West Bank: The Changing Role of the Mayors under Jordan and Israel*, with a contribution from Mordechai Nisan, London: Frank Cass, 1984.
- Ma'oz, Zeev, *Defending the Holy Land: A Critical Analysis of Israel's Security and Foreign Policy*, Ann Arbor: University of Michigan Press, 2006.
- Marblestone, Howard, "The Great Archaeological Debate," *Israel Studies Bulletin* 16:1 (Fall 2000), 23-9.
- Marcus, Amy Dockser, *The View from Nebo: How Archaeology is Rewriting the Bible and Reshaping the Middle East*, Boston, MA: Little, Brown, 2000.
- Marlowe, John, *Rebellion in Palestine*, London: Cresset Press, 1946.
- Marmorstein, Emile, "European Jews in Muslim Palestine," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London: Frank Cass, 1982, 1-14.
- Masalha, Nur, *The Bible and Zionism: Invented Traditions, Archaeology and Post-Colonialism in Palestine-Israel*, London / New York: Zed Books, 2007.
- Masalha, Nur, "A Critique of Benny Morris," *Journal of Palestine Studies* 21:1 (Autumn 1991), 90-7, reproduced in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 211-20.
- Masalha, Nur, *Expulsion of the Palestinians: The Concept of "Transfer" in Zionist Political Thought, 1882-1948*, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1992.

- Massad, Joseph. "Palestinians and Jewish History: Recognition or Submission?" *Journal of Palestine Studies* 30:1 (Autumn 2000), 52-67.
- Massad, Joseph A., *The Persistence of the Palestinian Question: Essays on Zionism and the Palestinians*. London: Routledge, 2006.
- Matthews, Weldon C., *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine*. London / New York: I. B. Tauris, 2006.
- Mattar, Philip. "al-Aqsa Intifada." *Encyclopedia of the Palestinians*, rev. ed., ed. Philip Mattar. New York: Facts on File, 2005, 23-4.
- Mattar, Philip. *The Mufti of Jerusalem: al-Hajj Amin al-Husayni and the Palestinian National Movement*, rev. ed., New York: Columbia University Press, 1992.
- Matz, David. "Reconstructing Camp David." *Negotiation Journal* 22:1 (January 2006), 89-103.
- Matz, David. "Trying to Understand the Taba Talks (Part I)." *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 10:3 (2003), 96-105.
- Matz, David. "Why Did Taba End?" Part II. *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 10:4 (2003), 92-8.
- Meital, Yoram. "Egyptian Perspectives on the Suez War," in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal. London: Frank Cass [Cummings Center Series], 2001, 195-207.
- Meital, Yoram. *Peace in Tatters: Israel, Palestine, and the Middle East*. Boulder, CO: Lynne Rienner, 2006.
- Michelson, Benny. "Insurgency and Counterinsurgency in Israel, 1965-1985," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004, 179-91.
- The Middle East Peace Process: Interdisciplinary Perspectives*, ed. Ilan Peleg. Albany: State University of New York Press, 1998.
- A Middle East Reader*, ed. Irene L. Gendzier. Indianapolis / New York: Pegasus, 1969.
- The Middle East: Ten Years after Camp David*, ed. William B. Quandt. Washington, DC: The Brookings Institution, 1988.
- Miller, Aaron David. *The Much Too Promised Land: America's Elusive Search for Arab-Israeli Peace*. New York: Random House (Bantam Dell), 2008.
- Miller, Aaron David. "The Palestinian Dimension," in *The Arab-Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, ch. 5.
- Mishal, Shaul, and Avraham Sela. *The Palestinian Hamas: Vision, Violence and Coexistence*. New York: Columbia University Press, 2000.
- Mitchell, Thomas G., *Native vs. Settler: Ethnic Conflict in Israel/Palestine, Northern Ireland, and South Africa*. Westport, CT: Greenwood Press, 2000.
- Moratinos Document (Taba, January 2001), as given in Akiva Eldar, "The Peace that Nearly Was at Taba," *Ha-Aretz*, 15 February 2002. Available online at www.mideastweb.org/moratinos.htm.
- Morris, Benny. *1948: A History of the First Arab-Israeli War*. New Haven, CT: Yale University Press, 2008.
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949*. Cambridge: Cambridge University Press, 1987.

- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited*. Cambridge, UK / New York: Cambridge University Press, 2004.
- Morris, Benny. "The Crystallization of Israeli Policy against a Return of the Arab Refugees: April–December, 1948." *Studies in Zionism* 6:1 (Spring 1985), 85–118.
- Morris, Benny. An Interview with Ehud Barak. "Camp David and After: An Exchange." *New York Review of Books* 49:10 (13 June 2002); accessed 15 September 2008 at <http://www.nybooks.com/articles/15501>.
- Morris, Benny. *Israel's Border Wars, 1949–1956: Arab Infiltration, Israeli Retaliation, and the Countdown to the Suez War*. Oxford: The Clarendon Press, 1993.
- Morris, Benny. "A New Exodus for the Middle East?" *The Guardian*, 2 October 2002 accessed online at: www.guardian.co.uk
- Morris, Benny. "Peace? No Chance." *The Guardian*, 21 February 2002.
- Morris, Benny. "Politics by Other Means." *The New Republic*, 22 March 2004.
- Morris, Benny. "Response to Finkelstein and Masalha." *Journal of Palestine Studies* 21:1 (Autumn 1991), 98–114.
- Morris, Benny. *Righteous Victims: A History of the Zionist Arab Conflict, 1881–1999*. New York: Alfred A. Knopf, 1999 / London: John Murray, 2000.
- Morris, Benny. and Ehud Barak. "Camp David and After—Continued." *New York Review of Books* 49:11 (27 June 2002). accessed 15 September 2008 at <http://www.nybooks.com/articles/15540>.
- Mosley, Leonard. "Orde Wingate and Moshe Dayan." in *From Haven to Conquest: Readings in Zionism and the Palestine Problem until 1948*, ed. and introduced by Walid Khalidi. Beirut: 1971; 2nd printing. Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1987. 375–82.
- Muasher, Marwan. *The Arab Center: The Promise of Moderation*. New Haven, CT: Yale University Press, 2008.
- Muslih, Muhammad. "Towards Coexistence: An Analysis of the Resolutions of the Palestine National Council." *Journal of Palestine Studies* 19:4 (Summer 1990), 3–29; reprinted in *From War to Peace: Arab-Israeli Relations 1973–1993*, eds. Barry Rubin, Joseph Ginat, and Moshe Ma'oz. New York: New York University Press, 1995, 265–91.
- Myths and Facts: A Guide to the Arab-Israeli Conflict*, ed. Mitchell G. Bard; foreword by Eli E. Hertz. Chevy Chase, MD: American-Israeli Cooperative Enterprise, 2001; rev. and updated 2002.
- Narratives of 1948*, Special issue of *Palestine-Israel Journal of Politics, Economics and Culture* 9:4 (2002).
- Nashashibi, Nasser Eddine. *Jerusalem's Other Voice: Ragheb Nashashibi and Moderation in Palestinian Politics, 1920–1948*. Exeter: Ithaca Press, 1990.
- Naylor, Tom. "Palestine & Zionism: Ten Myths." *This Magazine*, December 1981–January 1982.
- Neff, Donald. "Nixon's Middle East Policy: From Balance to Bias." in *US Policy on Palestine from Wilson to Clinton*, ed. Michael W. Suleiman. Normal, IL: AAUG Press, 1995. 133–62.
- Nelson, Walter Henry, and Terence C. F. Prittie. *The Economic War against the Jews*. New York: Random House, 1977.

- Netanyahu, Benjamin. *A Durable Peace: Israel and Its Place among the Nations*, rev. ed., New York: Warner Books, 2000.
- A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On. Westport, CT / London: Praeger, 2004.
- Nevo, Joseph. *King Abdallah and Palestine: A Territorial Ambition*, London / New York: Macmillan [St. Antony's Series], 1996.
- New Perspectives on Israeli History: The Early Years of the State*, ed. Laurence J. Silberstein, New York: New York University Press, 1991.
- Nisan, Mordechai. "Harkabi's Despair" *Midstream* XXV:5 (May 1979), 9–17.
- Nusseibeh, Sari, with Anthony David. *Once upon a Country: A Palestinian Life*, New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2007.
- O'Brien, Conor Cruise. *The Siege: The Saga of Israel and Zionism*, New York: Simon and Schuster, 1986.
- Oren, Michael B.. *Origins of the Second Arab-Israel War: Egypt, Israel and the Great Powers: 1952–56*, London: Frank Cass, 1992.
- Oren, Michael B.. *Six Days of War: June 1967 and the Making of the Modern Middle East*, Oxford: Oxford University Press, 2002.
- Oz, Amos. *How to Cure a Fanatic*, Princeton, NJ: Princeton University Press, 2006.
- Oz, Amos. "The Tender among You, and Very Delicate," in *In the Land of Israel*, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1983, 87–100.
- Oz, Amos. *Under This Blazing Light: Essays*, transl. Nicholas de Lange, New York: Cambridge University Press, 1995, 8–9.
- Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London: Frank Cass, 1982.
- The Palestinian-Israeli Peace Agreement: A Documentary Record*, rev. 2nd ed., Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1994.
- The Palestinians: People, History, Politics*, eds. Michael Curtis, Joseph Neyer, Chaim I. Waxman, and Allen Pollack, New Brunswick, NJ: Transaction Books [prepared under the auspices of the American Academic Association for Peace in the Middle East], 1975.
- Pappé, Ilan. *Britain and the Arab-Israeli Conflict, 1948–51*, London: Macmillan Press / St. Antony's College, 1988.
- Pappé, Ilan. *The Ethnic Cleansing of Palestine*, Oxford: Oneworld Publications, 2006.
- Pappé, Ilan. *A History of Modern Palestine: One Land, Two Peoples*, 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
- Pappé, Ilan. "Introduction: New Historical Orientations in the Research on the Palestine Question," in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 1–7.
- Pappé, Ilan. "Jordan between Hashemite and Palestinian Identity," in *Jordan in the Middle East: The Making of a Pivotal State*, eds. Joseph Nevo and Ilan Pappé, London: Frank Cass, 1994, 61–91.
- Pappé, Ilan. *The Making of the Arab-Israeli Conflict, 1947–51*, London / New York: I. B. Tauris / St. Martin's Press, 1992.

- Parker, Richard B., *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, Bloomington: Indiana University Press, 1993.
- Patai, Raphael, *The Arab Mind*, New York: Charles Scribner's Sons, 1973.
- Patai, Raphael, *The Seed of Abraham: Jews and Arabs in Contact and Conflict*, Salt Lake City: University of Utah Press, 1986.
- Pelcovits, Nathan A., *The Long Armistice: UN Peacekeeping and the Arab-Israeli Conflict, 1948-1960*, foreword by Samuel W. Lewis, Boulder / San Francisco / Oxford: Westview Press, 1993.
- Peleg, Ilan, *Begin's Foreign Policy, 1977-1983: Israel's Turn to the Right*, Westport, CT: Greenwood, 1987.
- Peleg, Ilan, *Human Rights in the West Bank and Gaza: Legacy and Politics*, Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1995.
- Penslar, Derek, *Israel in History: The Jewish State in Comparative Perspective*, London / New York: Routledge, 2007.
- People and Politics in the Middle East*, ed. Michael Curtis, New Brunswick, NJ: Transaction Books / E. P. Dutton [proceedings of the annual conference of the American Academic Association for Peace in the Middle East], 1971.
- Peres, Shimon, *Battling for Peace: A Memoir*, New York: Random House, 1995.
- Peretz, Don, *Israel and the Palestine Arabs*, Washington, DC: Middle East Institute, 1958.
- Peters, Joan, *From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over Palestine*, New York: Harper and Row, 1984.
- Plascov, Avi, *The Palestinian Refugees in Jordan, 1948-1957*, London: Frank Cass, 1981.
- Podeh, Elie, *From Fahd to Abdallah: The Origins of the Saudi Peace Initiatives and Their Impact on the Arab System and Israel*, Jerusalem: Hebrew University, Truman Institute, 2003.
- Podeh, Elie, "History and Memory in the Israeli Educational System: The Portrayal of the Arab-Israeli Conflict in History Textbooks (1948-2000)," *History and Memory* 12 (2000), 65-100.
- Podeh, Elie, "Reguining Lost Pride: The Impact of the Suez Affair on Egypt and the Arab World," in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal, London: Frank Cass [Cummings Center Series], 2001, 209-24.
- Popp, Roland, "Stumbling Decidedly into the Six-Day War," *Middle East Journal* 60:2 (Spring 2006), 281-309.
- Porat, Dina, *The Blue and the Yellow Stars of David: The Zionist Leadership in Palestine and the Holocaust, 1939-1945*, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1990.
- Porath, Yehoshua, *The Emergence of the Palestinian Arab National Movement, 1918-1929*, London: Frank Cass, 1974.
- Porath, Yehoshua, "Mrs. Peters's Palestine," *New York Review of Books*, 32:21-2, 16 January 1986, available at <http://www.nybooks.com/articles/5249>; "Mrs. Peters's Palestine: An Exchange" (Ronald Sanders, Daniel Pipes, Yehoshua Porath), *New York Review of Books*, 35:5, 27 March 1986, available at <http://www.nybooks.com/articles/5172>.

- Porath, Yehoshua. *The Palestinian Arab National Movement, 1929–1939: From Riots to Rebellion*. London: Frank Cass, 1977.
- Pressman, Jeremy. "Mediation, Domestic Politics, and the Israeli–Syrian Negotiations, 1991–2000," *Security Studies* 16:3 (July–September 2007), 350–81.
- Pressman, Jeremy. "The Second Intifada: Background and Causes of Israeli–Palestinian Conflict," *Journal of Conflict Studies* 22:2 (Fall 2003), 114–41.
- Pressman, Jeremy. "Visions in Collision: What Happened at Camp David and Taba?" *International Security* 28:2 (Fall 2003), 5–43.
- Pundak, Ron. "From Oslo to Taba: What Went Wrong?" in *The Israeli–Palestinian Peace Process: Oslo and the Lessons of Failure: Perspectives, Predicaments and Prospects*, eds. Robert L. Rothstein, Moshe Ma'oz, and Khalil Shikaki, Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2002, 88–113.
- Quandt, William B., *Camp David: Peacemaking and Politics*. Washington, DC: The Brookings Institution, 1986.
- Quigley, John. *The Case for Palestine: An International Law Perspective*, rev. and updated ed., Durham / London: Duke University Press, 2005.
- Qurie, Ahmed [Abu Ala]. *From Oslo to Jerusalem: The Palestinian Story of the Secret Negotiations*. London: I. B. Tauris, 2006.
- Rabic, Mohamed, *US–PLO Dialogue: Secret Diplomacy and Conflict Resolution*. Gainesville: University Press of Florida, 1995.
- Rabinovich, Abraham, *The Yom Kippur War: The Epic Encounter that Transformed the Middle East*. New York: Schocken, 2005.
- Rabinovich, Itamar. *The Road Not Taken: Early Arab–Israeli Negotiations*. New York / Oxford: Oxford University Press, 1991.
- Rabinovich, Itamar. "Seven Wars and One Peace Treaty," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, ch. 2.
- Rabinovich, Itamar, *Waging Peace: Israel and the Arabs, 1948–2003*, rev. and updated ed., Princeton, NJ: Princeton University Press, 2004.
- Rafael, Gideon. *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy: A Personal Memoir*. New York: Stein and Day, 1981.
- Rejwan, Nissim. "Arab Advocate of Westernization," *New Outlook* 15 (October 1972), 27–34.
- Review Essays in *Israel Studies: Books on Israel*, volume V, eds. Laura Zittrain Eisenberg and Neil Caplan, Albany: State University of New York Press, 2000.
- Rodinson, Maxime. "Israël, fait colonial?" *Les Temps modernes* 22 (1967) 253bis, 17–88, later transl. as *Israel: A Colonial Settler-State?* intro. Peter Buch, transl. David Thorstad, New York, 1973.
- Rodinson, Maxime, *Israel and the Arabs*, transl. Michael Perl, Harmondsworth: Penguin, 1968.
- Ro'i, Yaacov, "The Zionist Attitude to the Arabs, 1908–1914," in *Palestine and Israel in the 19th and 20th Centuries*, eds. Elie Kedourie and Sylvia G. Haim, London: Frank Cass, 1982, 15–59.

- Rokach, Livia. *Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Moshe Sharett's Personal Diary and Other Documents*. Belmont, MA: Association of Arab-American University Graduates, 1980.
- Ross, Dennis. *The Missing Peace: The Inside Story of the Fight for Middle East Peace*. New York: Farrar, Straus, and Giroux, 2004.
- Rouhana, Nadim N.. "Zionism's Encounter with the Palestinians: The Dynamics of Force, Fear, and Extremism." in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*. ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006. 115-41.
- Roy, Sara. "Humanism, Scholarship, and Politics: Writing on the Palestinian-Israeli Conflict." *Journal of Palestine Studies* XXXVI:2 (Winter 2007). 54-65.
- Rubenberg, Cheryl A.. "The Bush Administration and the Palestinians." in *U.S. Policy on Palestine from Wilson to Clinton*, ed. Michael W. Suleiman, Normal, IL: AAUG Press, 1995. 195-21.
- Rubin, Barry. "America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919-1939." in *The Great Powers in the Middle East, 1919-1939*. ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988. 238-51.
- Rubin, Jacob A.. *True and False about Israel*. New York: Herzl Press, for the American Zionist Federation, 1972.
- Rubinstein, Alvin Z.. "Transformation: External Determinants." in *The Arab-Israeli Conflict: Perspectives*. 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein. New York: HarperCollins, 1991, ch. 3.
- Rubinstein, Amnon. *From Herzl to Rabin: The Changing Image of Zionism*. New York: Holmes and Meier, 2000.
- Rubinstein, Amnon. *The Zionist Dream Revisited: From Herzl to Gush Emunim and Back*. New York: 1984.
- Sachar, Howard M.. *A History of Israel: From the Rise of Zionism to Our Time*. New York: Alfred A. Knopf, 1976.
- Sadat and His Legacy: Egypt and the World, 1977-1997*. ed. and introduced by Jon B. Alterman. Washington, DC: Washington Institute for Near East Policy, 1998.
- Said, Edward W.. *The Question of Palestine*. New York: Vintage 1980.
- Saliba, Samir N.. *The Jordan River Dispute*. The Hague: Martinus Nijhoff, 1968.
- Salibi, Kamal. *The Bible Came from Arabia*. London: J. Cape, 1985.
- Samuel, Edwin. *A Lifetime in Jerusalem*. Jerusalem: Israel Universities Press, 1970.
- Samuel, Maurice. *Harvest in the Desert*. Philadelphia, PA: Jewish Publication Society, 1944.
- Sasson, Ted, and Shaul Kelner. "From Shrine to Forum: Masada and the Politics of Jewish Extremism." *Israel Studies* 13:2 (Summer 2008). 146-63.
- Saunders, Harold H.. *The Other Walls: The Arab-Israeli Peace Process in a Global Perspective*. rev. ed., Princeton, NJ: Princeton University Press, 1991.
- Savir, Uri. *The Process: 1,100 Days that Changed the Middle East*. New York: Random House, 1998.
- Sayigh, Yezid. "Arafat and the Anatomy of a Revolt." *Survival* 43:3 (Autumn 2001). 47-60.

- Sayigh, Yezid. *Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement, 1949–1993*, Oxford: Oxford University Press / Washington, DC: The Institute for Palestine Studies, 1997.
- Sayigh, Yezid. "The Palestinian Strategic Impasse," *Survival* 44:4 (Winter 2002), 7–21.
- Schiff, Ze'ev, and Ehud Ya'ari. *Intifada: The Palestinian Uprising—Israel's Third Front*, New York: Simon and Schuster, 1990.
- Schueftan, Dan. "The Israeli–Egyptian 'War of Attrition,' 1969–1970," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On, Westport, CT / London: Praeger, 2004, 147–59.
- Segev, Samuel. "The Arab–Israeli Conflict under President Bush," in *From Cold War to New World Order: The Foreign Policy of George H. W. Bush*, eds. Meena Bose and Rosanna Perotti, Westport, CT: Greenwood, and Hofstra University, 2002, 113–36.
- Segev, Tom. 1949: *The First Israelis*, ed. Arlen Neal Weinstein. New York: Free Press / London: Collier Macmillan, 1986.
- Segev, Tom. *The Seventh Milliton: The Israelis and the Holocaust*. New York: Hill and Wang, 1993.
- Sela, Avraham. "Arab Historiography of the 1948 War: The Quest for Legitimacy," in *New Perspectives on Israeli History: The Early Years of the State*, ed. Laurence J. Silberstein, New York: New York University Press, 1991, 124–54.
- Sela, Avraham. "Arab Nationalists and Nazi Germany, 1939–1945," in *So Others Will Remember: Holocaust History and Survivor Testimony*, ed. Ronald Headland, Montreal: Vehicule Press, 1999, 70–81.
- Sela, Avraham. "The 'Wailing Wall' Riots (1929) as a Watershed in the Palestine Conflict," *The Muslim World* LXXXIV: 1–2 (January–April 1994), 60–94.
- Shafir, Gershon. *Land, Labor, and the Origins of the Israeli–Palestinian Conflict, 1882–1914*, Cambridge, UK / New York: Cambridge University Press, 1989; updated ed., Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1996.
- Shafir, Gershon. "Zionism and Colonialism: A Comparative Approach," in *The Israeli/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 81–96.
- Shaked, Haim. "Continuity and Change: An Overview," in *The Arab–Israeli Conflict: Perspectives*, 2nd ed., ed. Alvin Z. Rubinstein, New York: HarperCollins, 1991, 191–214.
- Shalev, Aryeh. *The Israeli–Syria Armistice Regime, 1949–1955*, Boulder, CO: Westview Press / Jerusalem: The Jerusalem Post [Jaffee Center for Strategic Studies, Study No. 21], 1993.
- Shalev, Michael. *Labour and the Political Economy in Israel*, Oxford: Oxford University Press, 1992.
- Shamir, Shimon. "The Collapse of Project Alpha," in *Suez 1956: The Crisis and Its Consequences*, eds. Wm. Roger Louis and Roger Owen, Oxford: Clarendon Press, 1989, 73–100.
- Shamir, Yitzhak. "Israel's Role in a Changing Middle East," *Foreign Affairs* 60:4 (Spring 1982), 789–801.

- Shanks, Hershel. "Archeology as Politics." *Commentary* (August 1986). 50–2.
- Shapira, Anita. *Land and Power: The Zionist Resort to Force, 1881–1948*. trans. William Templer. Stanford, CA: Stanford University Press, 1999.
- Shared Histories: A Palestinian–Israeli Dialogue*. eds. Paul Scham, Walid Salem, and Benjamin Pogrund. Walnut Creek, CA: Left Coast Press, 2005.
- Sharett, Moshe. "The 1953 Qibya Raid Revisited: Excerpts from Moshe Sharett's Diary," special document introduced by Walid Khalidi, annotated by Neil Caplan, *Journal of Palestine Studies* 31:4 (Summer 2002), 77–98.
- Sharon, Ariel, with David Chanoff. *Warrior: The Autobiography of Ariel Sharon*. New York: Simon and Schuster, 1989.
- Sheffer, Gabriel. "Principles of Pragmatism: A Reevaluation of British Policies toward Palestine in the 1930s," in *The Great Powers in the Middle East, 1919–1939*, ed. Uriel Dann. New York / London: Holmes and Meier, 1988, 109–27.
- Shenhav, Yehouda. "Arab Jews, Population Exchange, and the Palestinian Right of Return," in *Exile and Return: Predicaments of Palestinians and Jews*, eds. Ann M. Lesch and Ian S. Lustick. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2005, 225–45.
- Sher, Gilead. *The Israeli–Palestinian Peace Negotiations, 1999–2001: Within Reach*. New York: Routledge, 2006.
- Shikaki, Khalil. "Ending the Conflict: Can the Parties Afford It?" in *The Israeli–Palestinian Peace Process: Oslo and the Lessons of Failure: Perspectives, Predicaments and Prospects*, eds. Robert L. Rothstein, Moshe Ma'oz, and Khalil Shikaki. Brighton, UK / Portland, OR: Sussex Academic Press, 2002, 37–46.
- Shikaki, Khalil. "Refugees and the Legitimacy of Palestinian–Israeli Peace Making," in *Arab–Jewish Relations from Conflict to Resolution: Essays in Honour of Professor Moshe Ma'oz*, eds. Elie Podeh and Asher Kaufman, Brighton: Sussex Academic Press, 2006, 363–74.
- Shimshoni, Jonathan. *Israel and Conventional Deterrence: Border Warfare from 1953 to 1970*. Ithaca, NY / London: Cornell University Press, 1988.
- Shipler, David K.. *Arab and Jew: Wounded Spirits in a Promised Land*, rev. ed., New York: Penguin, 2002.
- Shlaim, Avi. *Collusion across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine*. Oxford: Clarendon Press, 1988.
- Shlaim, Avi. "The Debate about 1948," in *The Israel/Palestine Question*, ed. Ilan Pappé, London / New York: Routledge, 1999, 171–92.
- Shlaim, Avi. "Husni Za'im and the Plan to Resettle Palestinian Refugees," *Journal of Palestine Studies* 15:4 (Summer 1986), 68–80.
- Shlaim, Avi. *The Iron Wall: Israel and the Arab World*, London: Allen Lane / Penguin Press, 2000.
- Shlaim, Avi. *Lion of Jordan: King Hussein's Life in War and Peace*. London: Penguin, 2007.
- Shlaim, Avi. "The Protocol of Sèvres: Anatomy of a War Plot," in *The 1956 War: Collusion and Rivalry in the Middle East*, ed. David Tal. London: Frank Cass [Cumings Center Series], 2001, 119–44.

- Shlaim, Avi. "The Rise and Fall of the All-Palestine Government in Gaza," *Journal of Palestine Studies* 20:1 (Autumn 1990), 37–53.
- Shulman, David. *Dark Hope: Working for Peace in Israel and Palestine*. Chicago: University of Chicago Press, 2007.
- Siegmán, Henry. "The Perils of Messianic Politics" (1988), in *Wrestling with Zion: Progressive Jewish-American Responses to the Israeli-Palestinian Conflict*, ed. and with an introduction by Tony Kushner and Alisa Solomon, New York: Grove Press, 2003, 113–15.
- Simons, Chaim. *International Proposals to Transfer Arabs from Palestine, 1895–1947: A Historical Survey*. Hoboken, NJ: Ktav Publishing, 1988.
- The Six Day War: A Retrospective*, ed. Richard B. Parker, Gainesville: University Press of Florida, 1996.
- Slater, Jerome. "Lost Opportunities for Peace in the Arab-Israeli Conflict: Israel and Syria, 1948–2001," *International Security* 27:1 (Summer 2002), 79–106.
- Slater, Jerome. "What Went Wrong? The Collapse of the Palestinian-Israeli Peace Process," *Political Science Quarterly* 116:2 (Summer 2001), 171–99.
- Smith, Charles D.. "The Invention of a Tradition: The Question of Arab Acceptance of the Zionist Right to Palestine during World War I," *Journal of Palestine Studies* XXII:2 (Winter 1993), 48–61.
- Sofer, Arnon. *Rivers of Fire: The Conflict over Water in the Middle East*, transl. Murray Rosovsky and Nina Copaken, Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 1999.
- Spiegel, Steven L.. *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan*. Chicago: University of Chicago Press, 1985.
- Stein, Kenneth W.. *Heroic Diplomacy: Sadat, Kissinger, Carter, Begin and the Quest for Arab-Israeli Peace*. New York: Routledge, 1999.
- Stein, Kenneth W.. "The Intifada and the 1936–39 Uprising: A Comparison," *Journal of Palestine Studies* 19:4 (Summer 1990), 64–85.
- Stein, Kenneth W.. *The Land Question in Palestine, 1917–1939*. Chapel Hill: University of North Carolina Press, 1984.
- Stein, Leonard. *The Balfour Declaration*. London: Valentine Mitchell, 1961.
- Stone, I. F.. *Underground to Palestine, and Reflections Thirty Years Later* [reprint of the original 1946 edition]. New York: Pantheon, 1978.
- Stone, Julius. *Israel and Palestine: Assault on the Law of Nations*. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1981.
- The Suez-Sinai Crisis 1956: Retrospective and Reappraisal*, eds. Selwyn Ilan Troen and Moshe Shemesh, London: Frank Cass, 1990.
- Susser, Asher. "Jordan, the PLO and the Palestine Question," in *Jordan in the Middle East: The Making of a Pivotal State*, eds. Joseph Nevo and Ilan Pappé, London: Frank Cass, 1994, 211–28.
- Swedenburg, Ted. *Memories of Revolt: The 1936–1939 Rebellion and the Palestinian National Past*. Fayetteville: University of Arkansas Press, 2003.
- Swisher, Clayton E.. *The Truth about Camp David: The Untold Story about the Collapse of the Middle East Peace Process*. New York: Nation Books, 2004.
- Sykes, Christopher. *Crossroads to Israel, 1917–1948*. Bloomington: Indiana University Press, 1965 [Midland pb edition, 1973].

- Syrkin, Marie. "The Palestinian Refugees: Resettlement, Repatriation or Restoration?" [from *Commentary* magazine 41:1 (1966)], in *Israel, the Arabs and the Middle East*, eds. Irving Howe and Carl Gershman. New York: Bantam, 1972, 157-85.
- Syrkin, Marie. *The State of the Jews*. Washington, DC: New Republic Books / Herzl Press, 1980.
- Syrkin, Marie. "Who Are the Palestinians?" in *People and Politics in the Middle East*, ed. Michael Curtis. New Brunswick, NJ: Transaction Books / E. P. Dutton [proceedings of the annual conference of the American Academic Association for Peace in the Middle East], 1971, 93-110.
- Tal, Uriel. "Foundations of a Political Messianic Trend in Israel," *Jerusalem Quarterly* 35 (Spring 1985), 36-45.
- Tamari, Salim. "In League with Zion: Israel's Search for a Native Pillar," *Journal of Palestine Studies* 12:4 (Summer 1983), 41-56.
- Tawil, Raymonda Hawa. *My Home, My Prison*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1979.
- Tekoah, Yusef. *In the Face of the Nations: Israel's Struggle for Peace*, ed. David Aphek. New York: Simon and Schuster, 1976.
- Telhami, Shibley. "Beyond Resolution? The Palestinian-Israeli Conflict," in *Grasping the Nettle: Analyzing Cases of Intractable Conflict*, Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 2005, 357-72.
- Tessler, Mark. *A History of the Israeli-Palestinian Conflict*. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 1994; revised ed. 2009.
- Tessler, Mark. "Intifada, 1987-1993." *Encyclopedia of the Palestinians*, rev. ed., ed. Philip Mattar. New York: Facts on File, 2005, 224-32.
- Tessler, Mark. "Narratives and Myths about Arab Intransigence toward Israel," in *Israeli and Palestinian Narratives of Conflict: History's Double Helix*, ed. Robert I. Rotberg. Bloomington / Indianapolis: Indiana University Press, 2006, 174-93.
- Teveth, Shabtai. *Ben-Gurion and the Holocaust*. New York: Harcourt Brace, 1996.
- Teveth, Shabtai. *Ben-Gurion: The Burning Ground, 1886-1948*. Boston, MA: Houghton Mifflin, 1987.
- Teveth, Shabtai. "The Palestinian Refugee Problem and Its Origins" (review article), *Middle Eastern Studies* 26:2 (April 1990), 214-49.
- Tibawi, A. L. "T. E. Lawrence, Faisal and Weizmann: The 1919 Attempt to Secure an Arab Balfour Declaration," *Royal Central Asian Journal* 56:2 (June 1969), 156-63.
- Tibawi, A. L. "Visions of the Return: The Palestine Arab Refugees in Arabic Poetry and Art," *Middle East Journal* 17:5 (Autumn, 1963), 507-26.
- Touval, Saadia. *The Peace Brokers: Mediators in the Arab-Israeli Conflict, 1948-1979*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1982.
- Toward Peace in the Middle East*, report of the Brookings Institution Middle East Study Group. Washington, DC: December 1975.
- Traditions and Transitions in Israel Studies: Books on Israel volume 6*, eds. Laura Zittrun Eisenberg, Neil Caplan, Naomi B. Sokoloff, and Mohammed Abu-Nimer. Albany: State University of New York Press, 2002.

- The Transformation of Palestine: Essays on the Origins and Development of the Arab-Israeli Conflict*, 2nd ed., ed. Ibrahim Abu Lughod, foreword by Arnold J. Toynbee, Evanston, IL: Northwestern University Press, 1987.
- Troen, S. Ilan, "De-Judaizing the Homeland: Academic Politics in Rewriting the History of Palestine," *Israel Affairs* 13:4 (2007), 872–84.
- Troen, S. Ilan, "The Protocol of Sèvres: British/French/Israeli Collusion against Egypt, 1956," *Israel Studies* 1:2 (Fall 1996), 122–39.
- Turki, Fawaz, *The Disinherited: Journal of a Palestinian Exile*, 2nd ed., London / New York: Monthly Review Press, 1974.
- United Nations Resolutions on Palestine and the Arab-Israeli Conflict, vol. 1: 1947–1974, rev. ed., ed. George J. Tomch, Washington, DC: Institute for Palestine Studies, 1988.
- United Nations Special Committee on Palestine (UNSCOP); *Report of the United Nations Special Committee on Palestine (UNSCOP)*, 3 September 1947, accessed online 21 March 2008 at <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/99818751a6a4c9c6852560690077ef61/07175dc9fa2de563852568d3006e10f3>.
- United Nations, Division for Palestinian Rights, "The Origins and Evolution of the Palestine Problem: 1917–1988—PART I. 1917–1947," posted 30 June 1990, accessed 13 April 2008 at <http://domino.un.org/UNISPAL.NSF/561cfee353d740fb8525607d00581829/acac80e740c782e4852561150071fdb0>.
- United Nations. *The Question of Palestine*. New York: United Nations, 1979 [prepared for, and under the guidance of, the Committee on the Exercise of the Inalienable Rights of the Palestinian People].
- Vance, Cyrus, *Hard Choices: Critical Years in America's Foreign Policy*, New York: Simon and Schuster, 1983.
- Viorst, Milton, *Reaching for the Olive Branch: UNRWA and Peace in the Middle East*, Washington, DC: Middle East Institute, 1989.
- Von Horn, Carl, *Soldiering for Peace*, London: Cassell, 1966.
- The War for Palestine: Rewriting the History of 1948*, eds. Eugene L. Rogan and Avi Shlaim, Cambridge: Cambridge University Press, 2001.
- Wasserstein, Bernard, *Divided Jerusalem: The Struggle for the Holy City*, 3rd ed., New Haven, CT: Yale University Press, 2008.
- Wasserstein, Bernard, *Israelis and Palestinians: Why Do They Fight? Can They Stop?* 3rd ed., New Haven, CT / London: Yale University Press / London: Profile Books, 2008.
- Weinstock, Nathan, *Le Sionisme contre Israël*, Paris: François Maspéro, 1969.
- Weizman, Ezer, *The Battle for Peace*, New York: Bantam, 1981.
- Weizmann, Chaim, *The Letters and Papers of Chaim Weizmann*, series B: vol. II, December 1931–April 1952, ed. Barnet Litvinoff, Rutgers, NJ: Transaction Books / Jerusalem: Israel Universities Press, 1984.
- Weizmann, Chaim, "Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem," *Foreign Affairs* 20:2 (1942), 324–38, reprinted in *A Middle East Reader*, ed. Irene L. Gendzier, Indianapolis / New York: Pegasus, 1969, 311–25.
- Weizmann, Chaim, *Trial and Error: The Autobiography of Chaim Weizmann*, London: Hamish Hamilton, 1949.

- West, Deborah L., *Myth and Narrative in the Israeli-Palestinian Conflict*, Cambridge, MA: World Peace Foundation [WPF Report #34], 2003.
- When Enemies Dare to Talk: An Israeli-Palestinian Debate (5/6 September 1978), ed. Simha Flapan, London: Croom Helm, 1979.
- Wilson, Evan M., *A Calculated Risk: The U.S. Decision to Recognize Israel*, foreword by William B. Quandt, Cincinnati, OH: Clerisy Press, 2008 [reprint of *Decision on Palestine: How the U.S. Came to Recognize Israel* (1979)].
- Wilson, Mary, *King Abdullah, Britain and the Making of Jordan*, Cambridge, UK / New York / etc.: Cambridge University Press, 1987.
- Yehoshua, A. B. "The Holocaust as Junction," in *Between Right and Right*, New York: Doubleday, 1981, 1–19.
- Zartman, I. William, *Cowardly Lions: Missed Opportunities to Prevent Deadly Conflict and State Collapse*, Boulder, CO / London: Lynne Rienner, 2005.
- Zertal, Idith, *From Catastrophe to Power: Holocaust Survivors and the Emergence of Israel*, Berkeley / Los Angeles: University of California Press, 1998.
- Zertal, Idith, *Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood*, Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
- Zertal, Idith, and Akiva Eldar, *Lords of the Land: The War over Israel's Settlements in the Occupied Territories, 1967–2007*, transl. from the Hebrew by Vivian Eden, New York: Nation Books, 2007.
- Zerubavel, Yael, *Recovered Roots: Collective Memory and the Making of Israeli National Tradition*, Chicago / London: University of Chicago Press, 1995.
- The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader*, ed. and introduced by Arthur Hertzberg, Garden City, NJ: 1959, reprinted New York: Atheneum, 1969.
- Zisser, Eyal, "The 1982 'Peace for Galilee' War: Looking Back in Anger—Between an Option of a War and a War of no Option," in *A Never-Ending Conflict: A Guide to Israeli Military History*, ed. Mordechai Bar-On, Westport, CT / London: Praeger, 2004, 193–210.
- Zuraik, Constantine, "Today and Yesterday—Two Prominent Aspects of the New Meaning of the Disaster," *Middle East Forum* XLIII:2–3 (1967), 13–20.
- Zurayk, Constantine K., *The Meaning of the Disaster*, transl. R. Bayly Winder, Beirut: Khayat's, 1956.

المؤلف فى سطور:

نيل كابلان

- حاصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من مدرسة لندن للاقتصاد السياسى.
- ألف سبعة كتب كلها عن تاريخ الصراع العربى - الإسرائيلى.
- يعمل حاليا فى كلية فانيير، وأستاذ مساعد للتاريخ بجامعة كونكورديا بكندا.
- يُعد حاليا كتابا حول مذكرات موسى شاريت أول وزير خارجية لإسرائيل وثانى رئيس وزراء لها.

المترجم فى سطور

محمد محمود العشماوي

- ولد فى ١٢/٠١/١٩٤٩.
- حاصل على بكالوريوس فى العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية القاهرة عام ١٩٧١.
- التحق بالسلك الدبلوماسى المصرى عام ١٩٧٥.
- زميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا ١٩٨٨.
- حاصل على وسام الاستحقاق من رتبة ضابط عظيم من جمهورية النيجر عام ٢٠٠٩.
- ترجم كتابا من الإنجليزية إلى العربية وهو "الإمبراطورية الصينية الجديدة وما تعنيه للولايات المتحدة الأمريكية"، وصدر عن المركز القومى للترجمة عام ٢٠١٠.
- وقد أوى المترجم اهتماما بالشئون الفلسطينية وصلتها باعتبارات الأمن القومى المصرى والعربى منذ بداية دراسته وخلال حياته العملية؛ حيث قام بإعداد وشارك فى بحوث ودراسات وتقديرات للموقف حول هذا الموضوع.

المراجع فى السطور:

عماد الدين صالح عواد

- ولد فى القاهرة عام ١٩٥٨.
- حاصل على دكتوراه فى العلوم السياسية- جامعة القانون والعلوم الاجتماعية باريس ٢- فرنسا- امتياز مع تهنئة لجنة التحكيم- مارس ١٩٩٠. (موضوع الرسالة "التسوية السلمية للصراع العربى- الإسرائيلى: نحو مؤتمر دولى جديد؟).
- حاصل على درجة أستاذ- جامعة القانون والعلوم الاجتماعية- باريس ٢- فرنسا- أكتوبر ١٩٩٤.
- بريد إلكترونى: emadawwed@yahoo.fr

الخبرة الوظيفية:

- نائب المنسق الوطنى لمشروع دعم القدرات فى مجال حقوق الإنسان بجمهورية مصر العربية. (منذ بداية ٢٠٠٦)
- مستشار لرئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية منذ سبتمبر ٢٠٠٦.

- نشر أكثر من سبعين مقالاً باللغة الفرنسية فى مجلة "Defense Nationale" الصادرة عن لجنة دراسات الدفاع الوطنى التابعة لوزارة الدفاع الفرنسية، فضلا عن الأهرام إيدو، ومركز الدراسات بجامعة مونتريال بكندا.
- من مؤسسى سلسلة دراسات استراتيجية ومستقبلية الصادرة عن معهد البحوث والدراسات العربية؛ حيث نشر الدراسة الثانية (عام ٢٠٠٠) تحت عنوان (الخطوط الحمراء: مقومات السلام الإسرائيلى) والدراسة الثامنة (عام ٢٠٠٣) بعنوان الشرق الأوسط وتحديات النظام الدولى الجديد.
- "أنابوليس"، قدمه السيد الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالى، أصدرته دار النهضة العربية فى يناير ٢٠٠٨.
- نشر كتاب باللغة العربية تحت عنوان "المواطنة والأمن"، ٢٠٠٩، قدمه السيد الأستاذ الدكتور بطرس بطرس غالى.

التصحيح اللغوى: كريمان البدرى

الإشراف الفنى: محسن مصطفى

